تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس

في العصر المريني

(٦١٠هـ / ١٢١٣م) - (٨٦٩هـ - ١٤٦٥م)



محمد عيسى الحريرى

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد

كلية الآداب بجامعتى المنصورة وصنعاء



تاريخ
المغرب الإسلامي والأندلس
في العصر المريني
(٦١٠هـ / ١٢١٣م) - (٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)

الإهداء ...

إلى أحبائي

ماجدة وريم وزياد

تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس

في العصر المريني

(٦١٠هـ / ١٢١٣م) - (٨٦٩هـ - ١٤٦٥م)



محمد عيسى الحريري

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد

كلية الآداب بجامعتي المنصورة وصنعاء



الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
الطبعة الثانية : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م



دار القلم للنشر والتوزيع
ص.ب : ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقياً توزيعكو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة الطبعـة الثانيـة

أحمد الله تعالى على نعمه وفضله وتوفيقه ، وأسجد له شاكراً على خيره ورحمته ، وأدعوه تعالى مخلصاً أن يمنحنى القوة والقدرة على مواصلة العمل دون كلل ، فى خدمة العلم والمعرفة بجهد خالص لوجهه الكريم .

وبعـد ...

فهذه هى الطبعة الثانية من كتاب « **تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى** » ، الذى يؤرخ لفترة من أهم فترات تاريخنا الإسلامى ، ولا شك أن استيعاب الدروس التاريخية لهذه الفترة ، يمثل فى تقديرى عوناً كبيراً لأبناء الأمة العربية والإسلامية على اجتياز أخطار المرحلة التى نعيشها الآن بكل ملابساتها ، والحذر كل الحذر من قوى الحقد الأوربى المتطلعة إلى التهام ديار الإسلام .

والله ولى التوفيق ...

د. محمد عيسى الحريرى

القاهرة ـــ المهندسين : ٢٣ من ذى الحجة ١٤٠٧هـ

١٧ أغسطس ١٩٨٧م

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله

فاتحة كل خير

وتمام كل نعمة

فهرس الكتاب

الصفحة

الفصل الأول

قيام دولة بني مرين

الفصل الثاني

توطيد دولة بني مرين واتساعها

الفصل الثالث

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية لبنى مرين

الفصـــل الخامــس

النظم الادارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين

الفصـــل الســـادس

الحياة الاجتماعية والفكرية فى دولة بنى مرين

الملاحـــق

تقـــديم
بقلــم
الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العدوى
نائب رئيس جامعة القاهــرة

ما زال المغرب العربى يكون ميدانا هـاماً من ميادين التاريخ الإسلامى ، التى تحتاج إلى دراسة وبحث وتمحيص حتى يقف أبناء الأمة الإسلامية اليوم على منابع القوة الحقيقية التى تكفل لهم استرداد سالف عظمتهم ورسالتهم السامية فى خدمة الحضارة الإنسانية . ذلك أن المغرب العربى قد أسهم بدور فريد فى حمل رسالة الإسلام وحضارته إلى أوربا ، كما كان فى الوقت نفسه أرض الطليعة التى تعرضت للأحقاد الأوربية الزاحفة على دار الإسلام ، والدرع الذى كسر أنياب هذه الهجمة الحاقدة على الإسلام وأهله .

وتمثل هذه الدراسة عن بنى مرين صورة حية لسمات المغرب العربى ومكانته فى التاريخ الإسلامى ، وكيف تصدّت هذه الدولة للموجة الأوربية الباغية على الإسلام ، وهدّت من طغيانها وعنفها دون أن يبالى رجال هذه الدولة الإسلامية بأن يجودوا بحياتهم وسلطانهم ومالهم فى سبيل الدفاع عن الكيان الإسلامى . ويزيد فى أهمية الدور الذى قام به بنو مرين ، أنهم حملوا راية الجهاد الإسلامى من بعد الموحدين ، دون أن تنزل بهم رهبة لما حل بمن سبقهم من ضربات سددها إليهم الحقد الأوربى ، أو يترددوا لحظة فى صد الخطر الأوربى الزاحف على المسلمين فى غرب البحر المتوسط .

وقدمت دولة بنى مرين دماء أبنائها ومقومات بلادها المادية رخيصة فى سبيل تكوين سد منيع يحول دون تحقيق الطغيان الأوربى لأطماعه فى ابتلاع دار الإسلام .

وتطلبت هذه الصورة الإسلامية المشرقة ، ورسم أبعادها قلم باحث مجد مخلص ، لا يتردد فى بذل الجهد العلمى ، إيماناً بأنه يؤدى بعمله دوره فى خدمة الإسلام والمسلمين ، وتقوية القاعدة التى ينطلق منها نضالهم اليوم . وهذا الباحث هو صاحب تلك الدراسة التى تطالعنا اليوم ، وهو الأستاذ الدكتور محمد الحريرى . فقد استطاع بما أوتى من جرأة العلماء

وإخلاصهم أن يجعل من دراسته رافداً ثراً يغذى الإسلام والدراسات الإسلامية المعاصرة ، وتحقيق أهدافها فى تمهيد السبيل أمام المسلمين لاستئناف مسيرتهم المظفرة - إن شاء الله - فى خدمة الإسلام ورسالته الحضارية المجيدة .

وأرجو لصاحب هذه الدراسة دوام التوفيق والعمل السديد فى خدمة تاريخ المغرب العربى ، وأن يسهم بأبحاثه فيما يكفل لهذا الشطر الحيوى أن يستعيد دوره الخالد باعتباره الجناح الأيسر للإسلام ، يدفع مع قرينه المشرق العربى ، أى الجناح الأيمن للإسلام ، وأن يتعاونا سويا حتى تحلق الأمة الإسلامية مرة أخرى فى أجواز المجد العالمى والعزة والسؤدد .

أ.د. إبراهيم أحمد العدوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الأمين .

وبعد :

هذه دراسة عن دولة بنى مرين فى المغرب والأندلس ، تلك الدولة التى قامت فى المغرب الأقصى ، فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، وظلت حتى سقوطها سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) تقدم للعالم الإسلامى فى جناحه الغربى عطاءها السيساسى والحضارى ، متأثرة ومؤثرة فى شعوب المغرب الإسلامى وبصفة خاصة فى بلاد الأندلس ، حيث حمل المرينيون على أكتافهم مسئولية الدفاع عن الجناح الغربى للعالم الإسلامى ضد الزحف الأسبانى على ممتلكات المسلمين فى الأندلس . إذ نذر المرينيون قوتهم لخدمة الإسلام فى هذا الميدان الأندلسى ، دون سائر القوى الإسلامية الأخرى التى كانت موجودة آنذاك فى بلاد المغرب كالحفصيين ، وبنى عبد الواد . ولذلك حاول المرينيون فى حياتهم السياسية التوفيق بين العمل لتحقيق الوحدة المغربية ، والجهاد فى الميدان الأندلسى .

ولم يكن عطاء المرينيين الحضارى ، أقل من عطائهم السياسى والعسكرى حيث تسلموا مشعل الحضارة الإسلامية من الموحدين ، ووقفوا طيلة عصرهم فى بلاد المغرب يمثلون واجهة الحضارة الإسلامية المغربية فى هذه الاصقاع .

وعلى الرغم من أهمية الدور الذى أدته هذه الدولة الفتية فى تاريخ بلاد المغرب ، فإنها لم تحظ بدراسة متكاملة ، تظهر وجهها السياسى المشرق وعطاءها الحضارى الفياض . وإنما ذُكرت فى صفحات قليلة هنا أو هناك فى كتابات المؤرخين ، ضمن المقالات أو الدراسات العامة لتاريخ المغرب . ومن هنا كان اتجاهى لدراسة الدور السياسى والحضارى لهذه الدولة لاستجلاء عناصر القوة الإسلامية فى غرب البحر المتوسط ، ودورها الطليعى فى خدمة الأهداف الإسلامية العليا والمحافظة عليها .

وخلال الفصل الأول من هذا البحث ظهر أن المرينيين قفزوا إلى قمة الأحداث فى بلاد المغرب الأقصى ، بعد هزيمة الموحدين فى معركة العقاب بالأندلس سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) إذ غيرت هذه المعركة وجه التاريخ فى بلاد المغرب ، فكانت أهم العوامل التى شجعت بنى مرين على الدخول إلى المغرب الأقصى ، وعلى وجه التحديد سنة (٦١٠ هـ /١٢١٣ م) ومنذ هذا التاريخ ، وحتى سنة (٦٦٨ هـ /١٢٦٩ م) عمل المرينيون على تأسيس دولتهم ، وأتموا ذلك على مراحل ثلاث : فى الأولى استولوا على مناطق تلول المغرب الأقصى وأريافه ، وفى الثانية : استولوا على المدن الكبرى فى المغرب الأقصى ، وفى الثالثة : تمكنوا من اسقاط عاصمة الموحدين (مراكش) فى أيديهم ، وأعلنوا قيام دولتهم الجديدة . ثم مضوا بعد ذلك فى استكمال تأسيس دولتهم فى الميدان المغربى والميدان الأندلسى وفى هذا الميدان الأخير حقق السلطان يعقوب بن عبد الحق انتصارات كبرى خلال المرات الأربع التى عبر فيها إلى بلاد الأندلس ، وتمكن خلالها من إيقاف حركة الاسترداد المسيحى لبلاد الأندلس .

والفصل الثانى تتبع جهود سلاطين بنى مرين الذين اعتلوا العرش المرينى بعد مؤسس دولة بنى مرين السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وتميز هؤلاء السلاطين بالقوة ، حيث كانت مقاليد الأمور والسلطة كاملة فى أيديهم ، ومن ثم كان عصرهم عصرا لسلاطين بنى مرين الأقوياء ، حيث بلغت الدولة فى عهدهم أقصى درجة من الازدهار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، وأقصى حد أيضا من الاتساع ، ففى عهد السلطان أبى الحسن المرينى (٧٣١ هـ /١٣٣٠ م) - (٧٥٢ هـ /١٣٥١ م) ، اشتملت دولة بنى مرين على بلاد المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، وإفريقية ، وأجزاء أخرى من بلاد الأندلس ، ولكن مشاريع التوسع هذه منيت بانتكاسة كبرى ، أثرت تأثيرا كبيرا فى دولة بنى مرين ، فكانت هزيمة السلطان أبى الحسن فى طريف بالأندلس سنة (٧٤١ هـ /١٣٤٠ م) . لا تقل فى مضاعفاتها عن هزيمة الموحدين فى معركة العقاب ، فهذه المعركة بددت قوة بنى مرين وأنهكتها ، ولذلك كان توسعهم فى إفريقية بعد ذلك هشا ، لم يقو على مواجهة تطورات الأحداث التى خلفتها القبائل العربية ، عندما أحست بالخطر يقترب من مصالحها هناك . ولم تمض سنوات قليلة حتى تدهور هذا التوسع ، لتعود دولة بنى مرين أخيرا إلى حجمها الحقيقى فى بلاد المغرب الأقصى .

وقادتنا هذه الظروف الجديدة إلى الانتقال بالدراسة إلى الفصل الثالث للتعرف على مرحلة التفكك والانحلال ، التى تولى فيها أمر بنى مرين مجموعة من السلاطين الضعاف ، إما صغار السن ، أو ضعاف العقول أو ضعاف الشخصية ، وهؤلاء جميعا عجزوا عن مواجهة

نفوذ الوزراء ، الذين سيطروا على السلطة ، ومقاليد الأمور فى الدولة ، واقترن ذلك بتدخل بنى الأحمر فى الشئون الداخلية لبنى مرين ، وشجعهم على ذلك احتفاظهم ، بعدد من الشخصيات الهامة من أبناء البيت المرينى الحاكم ، وكثيرا ما استخدموا هذه الشخصيات للتأثير على الأوضاع السياسية فى العدوة المغربية ، الأمر الذى أضعف دولة بنى مرين تماما ، وأدى إلى سقوطها سنة (٨٦٩ هـ /١٤٦٥ م) .

أما الفصل الرابع فدراسة للعلاقات الخارجية لبنى مرين ، الذين أصبح لهم منذ قيام دولتهم شخصيتهم الدولية المستقلة ، ومن خلال هذه الشخصية ، تعامل المرينيون مع سائر الدول الأخرى ، سواء تلك التى تربطها بها حدود مباشرة ، أو تلك التى تبعد عنها . وقد كان لهذه العلاقات أثرها الكبير فى دعم دولة بنى مرين ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا ، وكانت قوة التأثير والتأثر فى هذه النواحى تتوقف على مدى طبيعة هذه العلاقات ، من حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث ميلها إلى الصداقة أو العداء ، واتضح من هذه العلاقات ، أنها كانت واسعة شملت معظم بلاد العالم الإسلامى شرقه وغربه ، حيث حرص المرينيون على إظهار شخصيتهم الدولية ، ففى المشرق كانت لبنى مرين علاقات قوية مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ، وفى المغرب كانت لهم علاقات أكثر بالحفصيين ، وبنى عبد الواد ، وبلاد السودان الغربى ، وبلاد الأندلس ، وما فيها من قوى إسلامية تتمثل فى بنى الأحمر ، وقوى مسيحية معادية تتمثل فى القشتالين والأراغونيين .

واستوعب الفصل الخامس ، دراسة النظم الادارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين ، وارتكز نظام الحكم المرينى على نظام السلطنة الذى اختاره المرينيون بدلاً من نظام الخلافة الذى كان فى عهد الموحدين ، كما كان نظام الحكم وراثيا فى أبناء البيت المرينى ، ولذلك كان لمنصب ولى العهد أهمية كبيرة فى أيام بنى مرين ، واتخذ سلاطين بنى مرين الوظائف المعاونة لهم فى الحكم وإدارة الدولة ، كالوزارة والكتابة والحجابة . وجرت الادارة المرينية فى الدولة وفق نظام دقيق ، فقسمت الدولة تقسيما إداريا ، إلى أقاليم ، وعلى كل اقليم والى يمثل السلطة المركزية فى فاس ، وإلى جانب ذلك كله كانت هناك الدواوين ، والنظم القضائية كالقضاء والنظر فى المظالم والشرطة والحسبة ، وهذه ساهمت فى ضبط شئون الدولة وادارتها على نحو دقيق .

وسارت النظم الاقتصادية فى الدولة على نفس المستوى من الدقة ، وفى هذا الفصل درست جوانب النظام المالى للدولة ومصادر الدخل فيها ، وعناصر الاقتصاد المرينى ، الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، وما يتصل بها من المكاييل والموازين والسكة .

والفصل السادس والأخير درست فيه (الحياة الاجتماعية والفكرية فى دولة بنى مرين) . وبينت فيه عناصر المجتمع المغربى فى دولة بنى مرين ، وسياسة المرينيين فى البناء والتعمير ، وقد شهدت بلاد المغرب فى العصر المرينى نهضة عمرانية ، ما زالت آثارها باقية حتى الآن تشهد بعظمة العصر المرينى فى هذا المجال . كما تحدثت عن بعض المظاهر الاجتماعية فى الدولة ، كالحياة اليومية لسلاطين بنى مرين ، والبلاط المرينى والاحتفالات ، والافراح والاتراح والملابس .

أما فى مجال الحياة الفكرية فقد أرسى المرينيون عدة دعائم قوية لتنمية الحركة الفكرية فى دولتهم ، كان من آثارها تلك النهضة الفكرية التى ازدهرت فى العصر المرينى ، وشملت جميع فروع العلم والمعرفة ، ومن معالم الحركة الفكرية التى انعكست عليها آثار هذه النهضة الفكرية ، المذهب المالكى ، وإنتاج الأدباء والشعراء والمكتبات والتصوف .

ويسعدنى أن اتقدم بالشكر إلى أستاذنا العالم الجليل الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد العدوى ، الذى منحنى رعاية العلماء لتلاميذهم ، ولم يبخل أبداً علىَّ برأى أو علم أو مشورة .

وختاماً : أحمد الله تعالى الذى أعاننى على إتمام هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم والله ولى التوفيق .

المهندسين — ٢٤ من ذى القعدة ١٤٠٥ هـ
١٠ أغسطس ١٩٨٥ م

د. محمد عيسى صابر الحريرى

دراسة عن أهم مصادر البحث

اعتمدت فى هذه الرسالة على عدد من المصادر الأصلية ، بعضها مخطوط والآخر مطبوع ، ومن أهم المصادر المخطوطة كتاب : « المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن » تأليف أبى عبدالله محمد بن مرزوق الخطيب التلمسانى المتوفى سنة (٧٨١ هـ/١٣٧٩م) وعثرت على نسخة لهذا المخطوط مصورة بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (١٨٥ تاريخ) ، وهى مصورة عن الخزانة العامة بالرباط ، والنسخة كتبت بخط مغربى ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأبواب ، وفى المقدمة استعرض المؤلف فى اختصار شديد نسب المرينيين ، ونشأتهم ، وسلاطين بنى مرين الذين سبقوا السلطان أبا الحسن ، وانتهى المؤلف بالمقدمة عند عهد السلطان أبى سعيد عثمان ابن يعقوب . ثم تناول بعد ذلك فى كل باب من أبواب الكتاب صفة من صفات السلطان أبى الحسن ، وأفاض فى الحديث عنها وعن أثرها فى حياته

وتأتى أهمية هذا المخطوط من أن صاحبه كان معاصرا لدولة بنى مرين ، وكان أحد رجال الإدارة والبلاط فى الدولة ، ومن ثم اطلع على كثير من الحقائق والأحداث التى تتعلق بهذه الدولة عن قرب ، وقد أفاد المخطوط هذا البحث فى مواضع كثيرة ، وبصفة خاصة ما كتبته عن عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، والنظم الإدارية والاقتصادية لدولة بنى مرين ، وعند الكتابة عن كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية .

ويأتى بعد هذا المخطوط فى الأهمية مخطوطان بعنوان « النفحة النسرينية واللمحة المرينية » « وروضة النسرين فى دولة بنى مرين » ألفهما إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج ابن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر . والمخطوط الأول مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٤/٣٥٧ تاريخ) ، مصور عن مكتبة الاسكوريال بمدريد . وهذه النسخة كتبت بخط المؤلف نفسه ، وهى بقلم أندلسى معتاد ، وتقع المخطوطة فى ست وخمسين ورقة ، وحجم الورقة ١٥×٢٠ سم ، وتحتوى كل ورقة على خمسة عشر سطرا ، والمخطوط فى أصل وضعه عبارة عن قصيدة طويلة نظمها مؤلفها لرصد تاريخ أمراء بنى مرين وسلاطينهم منذ نشأتهم الأولى حتى عهد السلطان أبى العباس أحمد المستنصر بالله بن إبراهيم (٧٧٦ هـ/١٣٧٤م) – وهو السلطان الذى أهداه المؤلف هذا الكتاب – وانتهت هذه

القصيدة المطولة عند الورقة ١٦ . أما باقى المخطوطة فقد مضى المؤلف فيها فى شرح هذه القصيدة ، واتخذ المؤلف لنفسه منهجا التزم به من أول الشرح إلى آخره ، فهو يذكر اسم السلطان ، ثم كنيته ، ولقبه ، وأمه وتاريخ مبايعته ، وتاريخ وفاته ، ومدة حكمه ، وصفاته ، ثم يذكر أولاده الذكور والإناث ، ثم يتبع ذلك بالحديث عن وزرائه وحجابه ، وكتابه ، وقضاته ، ونادرا ما يتعرض المؤلف لبعض الأحداث السياسية ، ونفس هذا المنهج سار عليه المؤلف فى كتابه الثانى « روضة النسرين » وهذا المخطوط اعتمدت على نسخته المصورة بالميكروفيلم ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم (٦٣٧ تاريخ مصنف غير مفهرس) وهى مصورة عن النسخة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، وتقع فى سبع وعشرين ورقة . وهذه النسخة منقولة عن الأصل - الذى كتبه المؤلف بيده ، وقد انتهى الناسخ من كتابتها فى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر صفر عام ثلاثين وألف من الهجرة .

وكلا المخطوطتين وثيقة هامة جدا عن العصر المرينى ، فى مجال التعرف على النواحى الإدارية ونظم الدولة بما حوته من مادة وفيرة عن الوزراء والحجاب والكتاب والقضاة فى دولة بنى مرين .

ومخطوط آخر أفادنى كثيرا وهو : « نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان » لعبدالجليل التنسى ، والمخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٨٦٦١ ح) ، وهو مخطوط بخط مغربى ، فى أربع وثلاثمائة ورقة ، وقد قسمه مؤلفه إلى عدة أقسام ، حوى القسم الأول مادة وفيرة عن بنى زيان أفادت البحث عن الحديث عن العلاقات الخارجية ، وبيان الظروف التى انفصل فيها بنو عبدالواد عن الموحدين ، وفى الفصل الذى كتبته عن قيام الدولة عند الحديث عن غزو السعيد الموحدى للمغرب الأوسط ومقتله هناك ، وحروب السلطان يوسف ابن يعقوب المرينى مع بنى عبدالواد وشرح بعض أسبابها ، والحصار الكبير لمدينة تلمسان ، ومقتل السلطان يوسف بن يعقوب ، ودور المتصوفة فى هذا الحصار ، وتوسع أبى الحسن المرينى وأبى عنان المرينى فى المغرب الأوسط .

ومن المخطوطات الهامة التى استخدمتها : « نهاية الأرب فى فنون الأدب » لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالكريم البكرى المعروف بالنويرى المولود سنة (٦٧٧ هـ/١٢٦٨م) والذى كان كاتب الإنشاء فى عهد الناصر قلاوون المعاصر لبنى مرين ، والمتوفى سنة (٧٣٢ هـ/١٣٣١م) . وقد أمدنى القسم الثانى من الجزء الثلاثين من المخطوط بمعلومات هامة عن توقف جهود بنى مرين فى بلاد الأندلس فى عهد أبى سعيد المرينى .

ومخطوط آخر اعتمدت عليه هو « الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس » ولم أجد على المخطوط اسم مؤلفه ، وإنما وجدت أن تاريخ تأليفه فى سنة ١٠٩٩ هـ ،

وهو مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، والنسخة مصورة عن النسخة الموجودة بالخزانة العامة فى الرباط . وقد أمد المخطوط البحث بقطعة هامة عن أسباب بناء مدينة فاس الجديدة .

وإلى جانب هذه المصادر المخطوطة اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر المنشورة ، . وعدد من مؤلفى هذه المصادر عاصروا أحداث دولة بنى مرين ، كابن خلدون ، وصاحب الذخيرة السنية ، وابن أبى زرع ، وابن الخطيب . ومعظم هؤلاء عاشوا فى البلاط المرينى ، ومن ثم اكتسبت معلوماتهم التى وردت ضمن مؤلفاتهم أهمية كبيرة ، وأول هذه المصادر الهامة ، كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » لمؤلفه « عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى التونسى » المتوفى سنة (٨٠٨ هـ/١٤٠٦م) . وقد اعتمدت على طبعتين لهذا الكتاب الأولى وهى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ ، واستخدمت منها الجزء السابع فقط ، والطبعة الثانية طبعة مؤسسة الأعلمى ببيروت سنة ١٩٧١م . واستخدمت منها الجزء الأول والسادس . والطبعة الأولى ، سارت مع البحث فى جميع مراحله ، فأمدته بمعلومات وفيرة فى النواحى السياسية والحضارية ، أما الطبعة الثانية ، فقد أفدت منها فى الفصل الذى كتبته عن النظم الإدارية والاقتصادية .

وكتاب الذخيرة السنية من أهم البحوث المطبوعة ، وترجع أهميته إلى أن مؤلفه المجهول عاصر كثيرا من أحداث الدولة المرينية ، ورآها رأى العين ، فقد قال : إننى كنت « معتمدا فى جميع ما أذكره من ذلك على ماشهدته وقيدته وما رويته عمن أثق به من الأشياخ والثقات من أهل العلم بالتاريخ وأيام الناس والمعرفة بالأنساب » .

وحقق هذا الكتاب محمد بن أبى شنب سنة ١٩٢٠ م وطبعه بالجزائر . وفهرس الكتاب الذى سطره المؤلف بيده فى أول الكتاب يحدد أنه وضع الكتاب فى عشرة أبواب ، تنتهى عند عهد أبى سعيد المرينى ، ولكن الذى يبدو أن المحقق وجد الكتاب ناقصا ، إذ ينتهى الكتاب عند الباب السابع الذى تحدث فيه المؤلف عن عهد السلطان أبى يوسف يعقوب ابن عبدالحق ، والباب السابع ناقص هو الآخر ، إذ إن المادة الموجودة به تتوقف عند بناء مدينة (فاس الجديدة) ، ومن ثم فقد افتقدنا مادة لا بأس بها فى هذه الأبواب الثلاثة المفقودة ، ولكن على كل حال ، فقد حصلت من هذا الكتاب على مادة علمية وفيرة أفادتنى كثيرا فى جميع فصول الرسالة ، وبصفة خاصة فى الفصل الأول الذى تحدثت فيه عن قيام الدولة ، وجهود بنى مرين الأولى فى الميدان الأندلسى ، كما أمدنى الكتاب بمادة لابأس بها عند الكتابة عن النظم الإدارية ، والتقسيم الإدارى للدولة والنظم الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية والفكرية فى الدولة وخاصة ما كتبته عن الأدباء والشعراء .

كذلك اعتمدت اعتمادا كبيرا على كتاب : « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ، ومؤلفه ابن ابن زرع - (على بن محمد بن أحمد ابن عمر بن أبى عمر بن أبي زرع الفاسى) - الذى كان معاصرا لدولة بنى مرين وتولى الكتابة لأبى سعيد عثمان المرينى (٧١٩ هـ - ٧٣١ هـ) واعتمدت على جميع الطبعات التى صدرت لهذا المؤلف الهام . الطبعة الأولى طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٣ هـ ، والطبعة الثانية طبعة نشرتها دار المنصور للطباعة بالرباط سنة ١٩٧٣ م ، والثالثة حققها محمد الهاشمى الفيلالى سنة ١٩٣٦ ، وقد أفدت كثيرا من المادة التى وردت بهذه الطبعات الثلاث فى مواضع كثيرة من الرسالة ، فى كلا الجانبين السياسى والحضارى لدولة بنى مرين .

ومن المصادر الهامة التى أمدت البحث بمعلومات قيمة كتاب : « البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » - لابن عذارى المراكشى - وقد استخدمت الجزء الرابع من هذا الكتاب الذى حققه : أوثينى ميراندا وإبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت ، وطبع سنة ١٩٥٦ بالمطبعة الحسنية بتطوان . واستفاد البحث من هذا الكتاب مادة قيمة عن دخول المرينيين إلى المغرب الأقصى ، والصراع بين المرينيين والموحدين ، والمؤامرة التى دبرها الموحدون لاغتيال الأمير أبى سعيد المرينى ، وتحطيم الجبهة المرينية بإغراء بنى عسكر للخروج على أبناء عمومتهم القائمين على رئاسة بنى مرين ، وتحالف الموحدين مع بنى زيان ضد بنى مرين .

ومن بين الكتب الهامة التى رجعت إليها كتاب : « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » لأحمد بن خالد السلاوى ، واستخدمت الجزء الأول والثانى من طبعة القاهرة التى طبعت سنة (١٣١٢ هـ) والجزء الثالث والرابع من طبعة الدار البيضاء التى نشرت سنة ١٩٥٤م . ولكن استخدام هذه الطبعة الأخيرة جاء قليلا ، ولذلك أشرت إليها فى هوامش الرسالة بطبعة الدار البيضاء ، تمييزا لها عن الطبعة الأخرى . والمعلومات التى وردت فى هذا المصدر الهام ، تكاد تتطابق مع المعلومات التى وردت فى كتاب العبر لابن خلدون ، لأن المؤلف كثيرا ما كان ينقل عنه ، إلا أن أهمية هذا الكتاب تأتى بما يحويه من معلومات أخرى نقلها السلاوى عن بعض المؤرخين من أمثال المقرى وابن أبى زرع ، وبعض المؤرخين الأسبان الذين ألفوا فى تاريخ المغرب الأقصى ، وقد استخدمت كثيرا من المادة العلمية الوفيرة - التى رصدها هذا المؤرخ عن بنى مرين خلال أجزاء متفرقة كثيرة من الرسالة .

كما استفدت كثيرا من مؤلفات لسان الدين بن الخطيب - (ت ٧٧٦ هـ) - ولايخفى أن شخصية ابن الخطيب لعبت دورا من أخطر الأدوار السياسية والحضارية ، فى تاريخ بلاد المغرب والأندلس ومن ثم اكتسبت مؤلفاته أهمية كبرى بالنسبة لهذا البحث ، وكان كتاب : « الإحاطة فى أخبار غرناطة » من أهم كتبه التى اعتمدت عليها فى مواضع كثيرة من

الرسالة ، وبصفة خاصة عند كتابتي عن عصر تفوذ الوزراء وسقوط دولة بني مرين ، وعلاقة بني مرين ببني الأحمر في الأندلس ، وعن الحياة الفكرية . واستخدمت من طبعات هذا الكتاب طبعة الخانجي ، وطبعة دار المعارف ، وهذه الأخيرة أشرت إليها في هوامش الرسالة بطبعة دار المعارف تمييزا لها عن الطبعة الأخرى .

كما اعتمدت على كتاب : « اللمحة البدرية في الدولة النصرية » الذي حققه محب الدين الخطيب سنة (١٣٤٧ هـ) ، وأفادني هذا الكتاب بما فيه من معلومات عن سلاطين بني مرين ، ولذلك شاع استخدامه في معظم فصول الرسالة ، وخاصة عند الكتابة عن علاقة بني مرين ببني الأحمر ، والجدير بالملاحظة أن أكثر المادة التاريخية التي وردت في اللمحة البدرية ، تكاد تكون هي نفسها الموجودة في كتاب الإحاطة .

وكتاب آخر لابن الخطيب هو : « القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام » ، وقد قدم هذا الكتاب للبحث معلومات قيمة عن فتح سجلماسة في عهد الأمير أبي يحيى المريني ، وفي عهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق . والنسخة التي اعتمدت عليها ، وهي التي حققها الدكتور أحمد مختار العبادي ، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، ونشرها في الدار البيضاء سنة (١٩٦٤ م) ، وصدر تحت اسم « تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط » .

ومن مؤلفات ابن الخطيب التي استخدمتها في هذا البحث كتابه المسمى « كناسة الدكان بعد انتقال السكان » الذي حققه الدكتور محمد كمال شبانة سنة ١٩٦٦ ، وهذا الكتاب من الكتب التي ألفها ابن الخطيب وهو في منفاه في بلاد المغرب الأقصى أيام بني مرين ، وضم رسائل متبادلة بين البلاط المريني وبلاط بني الأحمر ، ومن ثم أفاد هذا الكتاب كثيرا فيما كتبته عن العلاقات بين بني مرين وبني الأحمر .

وأسهم كتاب : « صبح الأعشى في صناعة الإنشاء » للقلقشندي بمعلومات طيبة وردت خلال الجزء الخامس والسابع والثامن ، وأفادت هذه المعلومات عند الحديث عن نسب بني مرين ، ومنازلهم في بلاد المغرب ، وأمراء بني مرين الذين حملوا عبء تأسيس الدولة ، وسلاطين بني مرين الذين وطدوا دولة بني مرين ، كما أفادني هذا المصدر بمعلومات قيمة عن العلاقات بين بني مرين وسلاطين المماليك في مصر ، ومعلومات أخرى وفيرة عن النظم الإدارية والاقتصادية في دولة بني مرين .

كذلك أفدت من كتاب : « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » وقد استخدمت النسخة التي حققها الدكتور إحسان عباس ، والصادرة في بيروت سنة ١٩٦٨ م . وقد حفل الكتاب بمادة تاريخية خصبة ، أفادت البحث عند الحديث عن علاقة المرينيين ببني الأحمر ، وعند الحديث عن الحياة الفكرية في دولة بني مرين ، وبصفة خاصة

ما كتبته عن الأدباء والشعراء والمواد العلمية .

واستخدمت أيضا كتاب : « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » لأبى عبدالله محمد ابن إبراهيم الزركشى ، واستخدمت الطبعة الثانية التى حققها محمد ماضور سنة (١٩٦٦ م) ، ونشرتها المكتبة العتيقة فى تونس ، وقد أفادنى هذا المصدر الهام عند تتبعى للتوسع المرينى فى إفريقية وتبعية المرينيين فى آخر أيامهم لبنى حفص ، وفى الكتابة عن تاريخ العلاقات بين بنى مرين وبنى حفص .

ومن المصادر الهامة التى استفاد منها البحث كتاب : « بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالواد » ألفه ابن أبى بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن (يحيى بن خلدون) وحققه الفردبل فى جزئين ، وكل جزء يحتوى على تحقيق كامل باللغة العربية والفرنسية . وقد سار المؤرخ فيه على طريقة السنيين ، وانتهى فيه إلى سنة (٧٧٧ هـ) ، واستفدت من هذا الكتاب كثيرا عند الكتابة عن عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين ، ومحاولات بنى مرين استرداد المغرب الأوسط ، فى عهد أبى عنان المرينى ، والعلاقات بين بنى مرين وبنى عبدالواد .

ورجعت إلى كتاب : « الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية » ، الذى ألفه أبوالعباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب بن القنفذ المتوفى سنة (٨١٠ هـ) ، وحققه محمد الشاذلى النيفر وعبدالمجيد التركى ، وقدم لى هذا الكتاب مادة لابأس بها استخدمتها فى مواضع كثيرة من البحث خاصة فى عهد السلطان أبى سعيد المرينى ، وأبى الحسن المرينى ، وعند الحديث عن العلاقات الحفصية المرينية .

وساعدنى كثيرا كتاب : « المؤنس فى تاريخ أفريقيا وتونس » – الذى ألفه ابن أبى دينار القيروانى ، وحققه محمد شمام حيث أمدنى بمعلومات قيمة فى أجزاء متفرقة من البحث وخاصة فى الفصل الأول عند الحديث عن قيام دولة بنى مرين ، واستخدمت الطبعة الثالثة ، التى أصدرتها المكتبة العتيقة بتونس سنة ١٣٨٧ هـ .

كذلك أفادنى كتاب : « الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية » – الذى حققه ى . س . علوش ، وصدر فى رباط الفتح سنة ١٩٣٦ م – وأمدنى بمعلومات قيمة عن منازل بنى مرين وحركة انتشارهم فى أفريقية والمغرب الأوسط ، وموقعة العقاب التى أضعفت دولة الموحدين ، وجهود الأمير أبى سعيد المرينى فى تأسيس دولة بنى مرين ، ومقتله ، وأحداث الصراع بين المرينيين والموحدين حتى إعلان قيام الدولة .

ومن أهم المصادر التى أمدت البحث بمادة قيمة وفيرة ، عند الكتابة عن النظم الإدارية

والاقتصادية والحياة الاجتماعية والفكرية كتابا « سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس » ، « وجذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس » .
والكتاب الأول ألفه محمد بن جعفر إبن إدريس الحسنى الإدريسى الكتانى ، والكتاب فى ثلاثة أجزاء ، وطبع طبع حجر بفاس سنة (١٣١٦ هـ) ، أما الجذوة فألفه أحمد بن محمد ابن محمد (ابن القاضى) ، وطبع طبع حجر بفاس أيضا سنة ١٣٠٩ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـــل الأول

قيام دولة بنى مريــن

قيام دولة بنى مريـــن

– أنسـب بنى مرين (١) :

المرينيون فخذ قوى من قبيلة زناتة البترية ، فجد المرينيين الأعلى الذى ينتسبون إليه . : « مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن بدر بن نجفت بن عبد الله بن تبيص بن المعز بن إبراهيم بن رجيك بن واشين بن بصلتن بن مشد بن إكيا بن ورسيك بن بدت بن جانا وهوزناتة » (٢) .

وقد نقل صاحب الذخيرة السنية ما ذكره الفقيه أبو على المليانى مشيرا إلى انتماء بنى بن إلى الأصل العربى الذى ينتمى إليه سائر البربر فيقول إن : « مرين فخذ من زناتة وهم د مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن بدر بن يجفت بن يصليتن بن عبد ، بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم بن شجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن سيد بن زانات بن جانا بن يحيى بن تمريت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر بن رجيح مادغيس الأبتر بن برّ بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان فهم عرب الأصل بحون من ولد نزار بن معدّ وهو أصح ما ذكر فى نسبهم » (٣) .

ويؤكد انتماء المرينيين إلى العرب عن طريق جدهم الأعلى زناتة ما قاله ابن رشيق : صل زناتة من الشام وكانت دارهم بفلسطين وملكها جالوت فلما قتله داوود عليه السلام ءت البربر إلى المغرب فانتشروا إلى السوس الأقصى » (٤) . ويقول ابن أبى زرع فى هذا مأن أيضا : « فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريحون » (٥) .

وكان بنو مرين هؤلاء يمثلون قسما قويا له عراقته وسطوته بين قبائل زناتة فهم : على قبائل زناتة حسبا وأشرفها نسبا وأغزرها كرما وأحسنها شمما وأرعاها ذماما وأرجحها لاما وأشدها فى الحروب بأسا وإقداما » (٦) .

وقد حاول بعض المؤرخين أن يضفى على النسب المرينى هالة من التكريم فرفع نسب ينيين إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالوا عن عبد الحق المرينى – وهو ، من تطلع من بنى مرين إلى إقامة دولة لهم فى بلاد المغرب « هو عبد الحق بن محيو بن أبى ر بن حمامة بن زيان بن محمد بن محمد بن على بن تاشفين بن يحيى بن على بن إبراهيم بن

إسماعيل بن عمر بن أمير المؤمنين الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه » (٧) .

وقد ذهب بعض المؤرخين فى هذا الشأن إلى ما هو أبعد من ذلك فرأى أن المرينيين : « من زناتة ، وزناتة عرب .... من مضر وهم (أى بنو مرين) يجتمع نسبهم بنسب رسول الله ﷺ فى مضر وهم من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان » (٨) وقد يكون هذا الرأى صحيحا لاتفاق معظم المؤرخين وعلماء الأنساب فى السلسلة التى رصدوا فيها تسلسل نسب المرينيين حتى عدنان .

أما الرأى الذى ينسب المرينيين إلى الإمام على بن أبى طالب فهو رأى يبدو بعيدا عن الصحة لأن تسلسل النسب المرينى - عند من رأى هذا الرأى - ابتداء من والد حمامة المرينى وحتى الإمام على بن أبى طالب لا يتفق مع سلسلة النسب التى اتفق عليها معظم المؤرخين .

وقد حفظت كتب التاريخ شيئا من روايات بعض النسابة فى العصر المرينى ومحاولاتهم لتحقيق النسب المرينى ، ومما يروى فى هذا الشأن أن أحد النسابة وهو أبو القاسم الملّاحى قدم على السلطان أبى يعقوب المرينى يحمل إليه شجرة بنسب المرينيين وكان السلطان المرينى أبو يعقوب يوسف آنذاك محاصرا لمدينة تلمسان فلما قدم عليه أبو القاسم قرأها بين يديه وبيّن فى هذه الشجرة صلة المرينيين وانتسابهم إلى الرسول ﷺ والإمام على بن أبى طالب ، ولما فرغ من قراءتها قال له السلطان أبو يعقوب يوسف : « أما هذا فقد شكرنا ... وحمدنا لك مسعاك .. فنرجوا النفع به عند الله فى العقبى وإن كان غير ذلك فلا خير لنا فى التمسك بما فيه مطعن علينا » (٩) .

وتستوقفنا هذه الرواية بعض الشىء فالسلطان أبو يعقوب لم يقف منها موقف القابل لها وإنما وقف منها موقف المتشكك فيها ، وهذا ما يجعل من الصعب الجزم بصحة الروايات التى ترفع النسب المرينى إلى الإمام على بن أبى طالب .

٢ - منازل بنى مريـــن :

تعددت منازل بنى مرين - قبل دخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى - نتيجة لأسلوب الحياة الذى درجوا على اتباعه فى معيشتهم ، وهو أسلوب البداوة الذى غلب على كل شىء فى حياتهم ، فقد نزلوا بأنعامهم التى يمتلكونها فى القفار والصحارى فى نظام عظيم يمتد من جنوب مدينة القيروان إلى صحراء بلاد السودان (١٠) . وهم فى هذا الامتداد العظيم يتمتعون بما يتمتع به المجتمع البدوى الذى يحيا حياة الصحراء ، وقد وصفهم ابن أبى دينار فى المؤنس قائلا : « وبنو مرين كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية وينتقلون من مكان إلى مكان

وجل أموالهم الإبل والخيل وطعامهم اللحوم والتمر » (١١) . ومؤرخ آخر يذكر أن المرينيين كانوا « لا يعمرون إلا القفار ولا يؤدون لسلطانهم بدرهم ولا دينار ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان ولا يرضون بذل ولا هوان لهم همم عالية ونفوس إلى المعالى سامية لا يعرفون الحرث ولا التجارات ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات جل أموالهم الإبل والخيل ودأبهم الحرب وخوضان الليل وشيمتهم إكرام الضيف وضرب أعدائهم بالسيف » (١٢) .

وفى ضوء هذه الحقائق - التى تتعلق بنظم الحياة فى المجتمع المرينى القبلى المتنقل - لم يتفق المؤرخون على أماكن محددة لإقامة هذه القبائل - فابن خلدون يرى أن إقامة القبائل المرينية كانت بمجالات القفر من فيكيك إلى سجلماسة فى الجنوب ، ومن فيكيك إلى ملوية فى الشمال ، وربما يتقدمون فى ظعنهم شرقا إلى بلاد الزاب (١٣) . أما القلقشندى فيحدد إقامة المرينيين ما بين فيكيك وصا وملوية فقط (١٤) . ثم يأتى ابن مرزوق - مؤرخ الدولة المرينية - فيذكر فى مسنده أن القبائل المرينية تملكت مساحات شاسعة تنقلت فيها من بلاد الجريد إلى ناحية المغرب حيث شمل ملكهم من بلاد الزاب إلى تاهرت وجهات تلمسان (١٥) .

أما صاحب الحلل الموشية فلديه معلومات أكثر أهمية عن الموطن الأول للمرينيين وطريقة انتشارهم فى بلاد المغرب فيرى أن : « أصل بنى مرين من حوز تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ودار مملكة زناتة على قديم الزمان وكان وطنهم (بنو مرين) ما بينها (تلمسان) وبين تاهرت من شرقيها » (١٦) وهذا يعنى بطبيعة الحال أن تلمسان هى المركز الذى انتشرت منه قبائل بنى مرين شرقا وغربا ، وأن المرحلة الأولى من انتشار القبائل المرينية كانت إلى الشرق من تلمسان وفى اتجاه مدينة تاهرت ، ثم تقدمت منها بعد ذلك نحو بلاد الزاب ، وبلاد الجريد . وقد نزحت قبائل بنى مرين بعد ذلك نحو الغرب ، من هذه المواطن إلى بلاد المغرب الأقصى (١٧) فأصبح المرينيون بذلك يقفون على مداخل المغرب الأقصى يراقبون ما يدور به من أحداث .

٣ - بيت بنى مريـن :

كانت البيت المرينى بيتا قويا عريقا فى قبيلة زناتة ففى فترة مبكرة من حياة هذه القبيلة تولى ماخوخ الزناتى - وهو الجد الأعلى لمرين الذى من نسله تفرقت قبائل بنى مرين وعشائرها - رياسة زناتة فى وقته (١٨) ، فقد كانت لديه فى ذلك الوقت ، كل الصفات التى تؤهله لقيادة هذه القبيلة وشعوبها إذ كان ماخوخ « أحد الشجعان الأجواد الأبطال المضروب بهم المثل فى الشجاعة والكرم وعلو الهمة وكان ينحر كل يوم جملين من إبله وعشرين رأسا من الضأن فيطعمها الضيوف والواردون وأبناء السبيل » (١٩) . وفى المجالس التى كانت تضم

أشياخ زناتة من مغراوة وبنى يفرن وبنى واسن ونفوسة وغيرهم كان ماخوخ جد المرينيين يبدو متفوقا عليهم ، فهو عندما يلعب معهم بأقلام الذهب والفضة – وكانت هذه اللعبة تسمى (تداس) ، كان يهب جلساءه من شيوخ القبائل هذه الأقلام عندما يهم بالقيام من المجلس [٢٠] .

فى بيئة الرياسة هذه نشأ مرين وأبناؤه الذين كان من بينهم جرماط بن مرين ، وَوُلِد لجرماط هذا ولدان بُجُوس ويابان ومن يابان هذا تشعبت جميع قبائل بنى يابان . أمابُجُوس فولد له ثلاثة أولاد ، هم : واطاس ، وتنالفت ، ووزرير ، فأنجب وزرير ولدين هما : يتجاس ومحمد ، وكان لمحمد هذا سبعة أولاد منهم أخوان شقيقان هما عسكر وحمامة [٢١] وفى أبناء هذين الحفيدين من أحفاد مرين كانت رياسة قبائل بنى مرين .

٤ – ظهور بنى مرين على مسرح الأحداث فى بلاد المغرب :

الفترة المبكرة فى حياة المرينيين يغلفها شيء من الغموض ، ولكن من خلال كتابات المؤرخين القليلة ، يمكن الخروج ببعض المعلومات الهامة عنهم وعن أوليتهم فى بلاد المغرب . فلم تكن القبائل المرينية فى المغرب الأوسط إفريقية قبائل خاملة ، وإنما كانت قبائل نشيطة مؤثرة فى مجريات الأحداث ، فكان المخضب بن عسكر زعيما قويا موهوب الجانب استطاع أن يسيطر على جميع بوادى زناتة وبلاد الزاب وبلغ من قوته أنه كانت له طبوله وبنوده الخاصة به [٢٢] ويذكر صاحب الذخيرة السنية أنه : « أذاق ملوك لمتونة وملوك تكلاتة الصنهاجيين شرا كثيرا ولم يزل يغير فى بلادهم بتلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك من البلاد يهزمون وينهبون ويهزم الجيوش ، ويقتل الرجال » [٢٣] وأمام وطأة هذا الزعيم المرينى القوى اضطر المرابطون إلى مصانعته ومهادنته بتقديم الهدايا له كى يسالمهم وظلوا على هذه الحالة حتى سقوط دولتهم [٢٤] .

وبلغ الأمر بالمرابطين وأهل تلمسان – حين كان عبد المؤمن بن على يحاصرهم – إلى تهديده بقدوم المخضب بن عسكر ، ولكن الحظ لم يحالف المرابطين فقد كان المخضب غائبا ببلاد الزاب يقاتل بعض قبائل زناتة هناك [٢٥] . ويذكر ابن خلدون أن بنى يادين ، وبنى يلومى وبنى مرين ومغراوة اشتركوا معا فى حرب قبائل زناتة بقيادة أبى حفص الذى أمره عليهم عبد المؤمن بن على [٢٦] ويبدو أن المخضب لم ينل من الموحدين ما أراده نظير اشتراكه معهم فى حرب قبائل زناتة فما إن لفظت دولة المرابطين أنفاسها الأخيرة حتى كان على المخضب ابن عسكر أن يسبر غور القوة الجديدة التى ظهرت فى بلاد المغرب كى ينال منها ما كان يحصل عليه من المرابطين ؛ فأراد أن يمارس مع الموحدين ما كان يمارسه مع المرابطين من قبلهم ، ولم يضع المخضب وقتا طويلا ، فقد وصلته الأخبار بأن عبد المؤمن بن على بعد أن فتح تلمسان

ووهران بعث بما وجد فيها من الأموال والذخائر والسلاح إلى تينمال (٢٧) .

تحرك المخضب بقوة جمعها من بنى مرين تقدر بخمسمائة فارس واتجه بهذه القوة إلى الجنوب سالكا أقصر الطرق حتى يقطع الطريق على هذه الأموال ، وقد تمكن من قطع الطريق عليها عند وادى تلاغ (٢٨) ، وفى هذه الأثناء علم عبد المؤمن بن على بما آل إليه شأن الأموال ، فأرسل جيشا من ثلاثمائة فارس من الموحدين والجشم بقيادة الشيخ أبى محمد عبد الحق بن معاذ الزناتى العبد الوادى ، فالتقى هذا الجيش بالمخضب عند فحص حسون ، فدار بين القوتين قتال عظيم هزم فيه المرينيون وقتل المخضب وأخذ الموحدون طبوله وبنوده ونهبت أمواله وحمل رأسه إلى عبد المؤمن فى جمادى الآخرة سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥ م (٢٩) . ولم يجد المرينيون بعد مقتل أميرهم واكتساح الموحدين لهم - مفراً من العودة إلى صحراواتهم ومجالات قفرهم التى تعودوا على الحياة فيها (٣٠) .

بعد هذه الأحداث الجسيمة انتقلت رياسة بنى مرين إلى الفرع المرينى الآخر وهو فرع أبناء حمامة بن محمد بن وزرير حيث تولى أمر بنى مرين أبو بكر بن حمامة وهو ابن عم المخضب ويبدو أن المرينيين قد آثروا السلامة فى مجالاتهم التى يعيشون فيها فلم يشتركوا فى أحداث المنطقة حتى توفى أميرهم أبو بكر بن حمامة سنة (٥٦١هـ/١١٦٥ م) (٣١) .

أصبح محيو بن أبى بكر بن حمامة المرينى أميرا على قبائل مرين ، يقوم بأمرهم وينظر فى أحكامهم بعد وفاة والده أبى بكر (٣٢) . وفى عهده نشط المرينيون وشاركوا فى الأحداث السياسية العسكرية التى كانت تعيشها دولة الموحدين فى ذلك الوقت ، فما إن دعاهم المنصور (يعقوب بن يوسف) واستنفرهم إلى الخروج بما عندهم من رجال وسلاح للمشاركة معه فى غزوة الآراك الكبرى - التى جرت أحداثها ووقائعها فى بلاد الأندلس - حتى لبى المرينيون نداءه وكان ذلك فى سنة (٥٩١هـ/١١٩٥ م) (٣٣) .

وعمد المنصور الموحدى إلى الأمير محيو بن أبى بكر المرينى - الذى كان محبوبا مطاعا فى قومه - فأسند إليه قيادة المتطوعين من قبائل بنى مرين وقبائل زناتة كلها (٣٤) . وقد أبلى الأمير محيو ومن معه من رجال بنى مرين بلاء حسنا فى هذه المعركة وأصيب بجراحات أثقلته فعاد إلى بلاده من الغزوة ، واشتدت عليه جراحاته فمات شهيدا فى شهر صفر سنة (٥٩١هـ/١١٩٥ م) بصحراء الزاب (٣٥) .

المرينيون إذن ساعدوا الموحدين فى مهمة تأسيس دولتهم وعملوا على تثبيت أقدامهم فى بلاد المغرب ، كما عاونوهم معاونة جدية وفعالة ، واشتركوا معهم فى معاركهم الكبرى خارج بلاد المغرب فى الميدان الأندلسى ، فكان المرينيون بذلك عنصرا من عناصر القوة التى تلتفت إليها الأنظار فى الدولة الموحدية .

٥ - دخول بنى مرين إلى بلاد المغرب الأقصى :

تقلد أبو محمد عبد الحق بن محيو رئاسة القبائل المرينية بعد استشهاد والده (٣٦) ، ويعتبر هذا الزعيم المرينى أول من قاد المرينيين إلى دخول بلاد المغرب الأقصى ، والمعروف أن كثيرا من القبائل المرينية تعودت منذ أيام الموحدين وما قبلها بأنهم فى فصل الربيع والصيف يشدون رحالهم ويتجهون شمالا إلى التلول والأرياف إلى جهات تمتد من أجرسيف إلى وطاط ، وهناك فى هذه المناطق كانوا يأنسون بمن هناك من بقايا قبائل زناتة الأولى مثل مكناسة فى جبال تازى وبنى يدنيان ومغراوة الذين يقطنون فى قصور وطاط فى المناطق المرتفعة من وادى ملوية ، فإذا ما توسط الخريف واقترب الشتاء ، فإنهم ينحدرون إلى مشاتيهم بما يمتارونه من هذه المناطق من أنواع الحبوب التى يستعملونها لأقواتهم (٣٧) .

ولم يفكر المرينيون فى الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية إلا فى سنة (٦١٠هـ /١٢١٣ م) فى أعقاب الهزيمة الكبرى التى لحقت بالموحدين فى بلاد الأندلس فى معركة العقاب (٣٨) وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المرينى بنفسه عملية الإشراف على تقدم المرينيين من إفريقية والمغرب الأوسط ودخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى (٣٩) .

ولابن عذارى رواية ترى أن دخول المرينيين للاستقرار فى بلاد المغرب الأقصى كان فى سنة (٦٠١هـ /١٢٠٤ م) (٤٠) ، وهى رواية تختلف عن الروايات التى أجمعت عليها معظم المصادر . وترى هذه الروايات أن دخول المرينيين إلى المغرب الأقصى كان فى سن (٦١٠هـ /١٢١٣ م) (٤١) . وهى روايات تدعمها القرائن التاريخية وتثبت صحتها ، فالمرينيون لم يفكروا فى الاستقرار فى بلاد المغرب الأقصى إلا بعد أن اضطربت أحوال الموحدين نتيجة لهزيمتهم فى موقعة العقاب وهذه الموقعة كانت فى سنة (٦٠٩هـ /١٢١٢ م) (٤٢) وقد أعقبها ضعف شديد مُنِيَ به الموحدون وأصبحوا عاجزين عن حماية دولتهم ، ويصور صاحب الذخيرة السنية الأحوال السيئة التى وصلت إليها بلاد المغرب فى ذلك الوقت حيث أصبح « المغرب خاليا ، قد باد أهله ورجاله ، وفنى خيله ، وحماته ، وأبطاله ، وقتلت قبائله وأقياله وقد استشهد الجميع فى غزاة العقاب فأقفرت بلادهم (الموحدين) فعمرها البوم والسباع والذئاب » (٤٣) ولو أن المرينيين فكروا فى الاستقرار فى المغرب الأقصى قبل سنة (٦١٠هـ /١٢١٣ م) لكان فى إمكان الموحدين أن يقاوموهم ويقضوا بسهولة على أية محاولة يقوم بها المرينيون للاستقرار فى المغرب الأقصى .

ولكن رواية ابن عذارى يمكن قبولها فى ضوء ما ذكره المؤلف المجهول صاحب الذخيرة السنية الذى يذكر أن خلافا شديدا حدث فى سنة (٦٠١هـ /١٢٠٤ م) بين بنى مرين وبين

بنى عبد الواد وبنى واسين بسبب امرأة ولم يذكر صاحب الذخيرة السنية شيئا عن طبيعة هذا الخلاف وإنما اكتفى بأن قال : « فوقعت بينهم (بنى مرين) وبين عبد الواد وبنى واسين حرب بسبب امرأة فافترقوا من تلك السنة (سنة ٦٠١ هـ) وقصدت مرين نحو المغرب فنزلوا بالجبل المطل على وادى ملوية وهو الجبل الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد الصحراء فأقاموا به إلى سنة عشر وستمائة » (٤٤) . وهذا يعنى حسب هذه الرواية أن المرينيين فى سنة (٦٠١هـ /١٢١٤ م) فكروا فى التحرك نحو المغرب ووقفوا هناك عند مداخله ، وفى سنة (٦١٠هـ /١٢١٣ م) بعدما رأوا ما اعترى المغرب من أحداث وطرأ عليه من تغييرات دخلوه واستقروا فيه .

وكانت بلاد المغرب بطبيعتها بلادا مغرية للقبائل المرينية التى أقبلت على عادتها للرعى وجلب الميرة والأقوات ، فما إن شاهد المرينيون ما صارت إليه أحوال بلاد المغرب من الخلاء والضعف ، ورأوا أن الاستقرار فى بلاد المغرب الأقصى سيغير من الهيكل الاقتصادى لقبائلهم فيتحولون إلى قبائل مستقرة ، وفى نفس الوقت قبائل حاكمة مثلها فى ذلك المرابطين والموحدين . بعث المرينيون إلى إخوانهم وقبائلهم يخبرونهم « بحال البلاد وخلائها وخصبها ونقاية هوائها وسعة مسارحها ومراعيها وعذوبة مياهها وكثرة أنهارها والتفاف أشجارها وبركات ثمارها ويأمرونهم بالمسير إليها والقدوم عليها فليس ثم من يصدهم عنها ولا ينازعهم فيها فوصل الخبر إلى أشياخ مرين فأعلمهم بخلاء البلاد وخصبها وضعف الموحدين عن حمايتها فشدوا رحالهم وأقبلوا إلى المغرب مسرعين . حتى وصلوا إلى وادى تلاغ فولجوا المغرب من تلك الباب بالخيل والإبل والمراكب والقباب فى جيوش كالسيل أو الليل أو النمل أو الجراد المنتشر » (٤٥) .

٦ - بنو مرين فى المغرب الأقصى :

بدأ المرينيون فى أعقاب دخولهم إلى المغرب الأقصى حركة انتشار واسعة ، شملت منطقة الريف القبلى من إقليم تازة (٤٦) ، وفضلوا الاستقرار فى النواحى المرتفعة من المغرب الأقصى ، لأنها توفر لهم شيئا من الحماية الطبيعية ، ومن ناحية أخرى هذه المناطق المرتفعة يشرفون منها على سائر الأرجاء المحيطة بهم فيأمنون من مفاجأة العدو لهم (٤٧) .

وكان هدف بنى مرين أول الأمر الاستحواذ على خيرات المغرب والاستئثار بها تحت وطأة قوتهم التى تمتعوا بها ومن منطلق حاجتهم إلى هذه الخيرات التى لا تتوفر لديهم فى صحراواتهم (٤٨) ، ولكن المرينيين سرعان ما غيروا شعارهم البدوى ونصبوا أنفسهم لإقرار الأمن ونشر العلم ، واقترن هذا التغيير برغبة أكيدة لدى المرينيين فى الإطاحة بنفوذ الموحدين الذين تسببوا بسبب فشل سياستهم ، فى هذه الفوضى التى شملت البلاد (٤٩) .

وقبل أن يواجه المرينيون الموحدين حاولوا جذب الأنظار إليهم حيث عملوا على استتباب الأمن والعمل لصالح المواطنين ، فركزوا فى سياستهم على استئصال شأفة الأعراب الذين كانوا يعيثون فى الأرض فسادا (٥٠) ، وقد جذب هذا أنظار المواطنين وجعلهم ينظرون إلى بنى مرين على أنهم المنقذون لهم من قسوة الاضطراب الذى يعانون منه بسبب ضعف قبضة الموحدين عن الإمساك بزمام الأمور فى بلاد المغرب .

تأسيس دولة بنى مريـــن

بدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عاما ، وكان لاشتراك بنى مرين مع الموحدين . فى ميادين القتال فى بلاد المغرب والأندلس – الفضل الكبير فى تعرف المرينيين واطلاعهم على كثير من الخبرات فى مجالات الحرب والقتال ، وامتص المرينيون رحيق هذه الخبرات من بين صفوف الموحدين وأضافوا إليها قوتهم وخبرتهم وجلدهم ، وقد قاد المرينيون مراحل هذا الصراع ببسالة وعزم منذ وطئت أقدامهم أرض المغرب الأقصى ، وقد مر هذا الصراع بمراحل متعددة ، استطاع المرينيون بما لديهم من قوة ودراية بمجريات الأحداث أن يتفوقوا على الموحدين ، ويمكن استعراض أحداث هذا الصراع – الذى انتهى بفتح مراكش عاصمة الموحدين وإعلان قيام دولة بنى مرين – من خلال مراحل ثلاث :

أولا : مرحلة استقرار بنى مرين فى مناطق التلول والأرياف :

يعتبر عبد الحق بن محيو المرينى أول من نقل بنى مرين من حالة البداوة فى الصحراء إلى مرحلة التفكير العملى لإقامة دولة للمرينيين فى المغرب الأقصى ، ولذلك فإن بعض المؤرخين يطلقون عليه أبو الأملاك (٥١) لأن أبناءه الأربعة الذين تولوا أمر بنى مرين من بعده ، هم الذين حملوا على عاتقهم أعباء تأسيس الدولة المرينية ، وكان عبد الحق يدعو أبناء بنى مرين دائما إلى توحيد صفوفهم لتحقيق أملهم فى العزة والسلطان بقوله لهم : « يا معشر بنى مرين أما مادمتم فى أمركم مجتمعين وفى آرائكم متفقين وكنتم على حرب أعدائكم أعوانا وفى ذات الله إخوانا فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وإن اختلفت أهواؤكم وتشتتت آراؤكم ظفر بكم أعداؤكم » (٥٢) .

وقد اتصف هذا الأمير بكثير من الصفات التى أهلته لقيادة القبائل المرينية ، ومن ناحية أخرى أثرت هذه الصفات فى سلوك القبائل المرينية فى المغرب الأقصى مما أعطى انطباعا حسنا عن المرينيين لدى كثير من سكان المغرب الأقصى فأحبوا المرينيين ووجدوا فى الانضمام إليهم

الأمن والأمان الذى فقدوه فى ظل السلطة الموحدية .

فقد تمتع عبد الحق بن محيو المرينى بصفات جسمية خلعت على شخصيته كثيرا من المهابة والإجلال فقد كان أبيض اللون ، طويل القامة بعيد ما بين المنكبين حسن الوجه أشم (٥٣) ، كما كان مشهورا بالتقى والصلاح والبركة معروفا بين المرينيين بالورع ، موصوفا فى أحواله وأحكامه بالعدل ، وهو إلى ذلك كله يطعم الطعام ويؤثر على المساكين ، ويحنو على الفقراء والمستضعفين (٥٤) ، وبهذا توفر فى المرينيين حفظ قوانين الدين ، فحاولوا منذ اللحظة الأولى التى وضعوا فيها أقدامهم فى بلاد المغرب الأقصى أن يعملوا على استتباب الأمن فى المناطق التى بسطوا فيها سلطانهم فعمدوا إلى قمع البغاة والمعتدين وحماية كل من نزل فى جوارهم أو استجار بهم مع رغبة أكيدة فى الوفاء بالعهود والوقوف مع الحدود وكان شعارهم فى ذلك التقوى والحق (٥٥) .

وقد حققت هذه المبادىء التى التزم بها المرينيون فى موطنهم الجديد انتصاراً معنوياً جذب إليهم كثيرا من قبائل المغرب التى كانت تتوق إلى الأمن والاستقرار بعد أن ذاقت من الاضطراب والفزع الكثير من الأهوال (٥٦) .

ظل المرينيون طيلة ثلاث سنوات متصلة وحتى سنة (٦١٣ هـ /١٢١٦ م) يوسعون رقعة نفوذهم فى المغرب الأقصى ، وقد ساعدهم على ذلك أن الخليفة الذى تولى أمر الموحدين بعد الناصر وهو ابنه يوسف المستنصر — نصبه الموحدون وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم ، قد شغلته أحوال الصبا وجنونه عن تدبير أمر دولته (٥٧) .

فاستفحل شأن بنى مرين . فلما أدرك المستنصر (الموحدى) أن الأمر بات يهدده ، حشد جيشا من الموحدين بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبى على بن وانودين ويبدو أن هذا الجيش تضخم كثيرا فوصل إلى عشرين ألف مقاتل بما انضم إليه من مقاتلين من قبائل مكناسة وتسول والبرانس وسدراته وهوارة وصنهاجة وقشتالة وعطة وغيرهم من قبائل تاس والرباط بقيادة السيد أبى إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن على والى فاس ، وكانت الأوامر الصادرة من الخليفة المستنصر متشددة تطلب إبادة المرينيين واستئصالهم (٥٩) .

وصلت الأخبار إلى بنى مرين بتقدم جيش الموحدين نحوهم ، وكانوا فى ذلك الوقت قد بسطوا نفوذهم فى جهات كثيرة من الريف وبلاد بطوبة واستقر رأى المرينيين على ترك أثقالهم وأمتعتهم وحريمهم بحصن تاروطا فى قاع الريف حتى تخف حركتهم ، ويسهل عليهم مقاومة الموحدين ، والتقى الجمعان بوادى نكور (٦٠) . فهزم المرينيون جيش الموحدين ومزقوه شر ممزق بعد حرب استمرت أكثر من أربعة أيام ، وامتلأت أيدى المرينيين

من أسلاب الموحدين وأمتعتهم ، وبالغ المرينيون فى تجريدهم من ملابسهم وفر من فر إلى فاس وهم عرايا يسترون عوراتهم بأوراق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة ، ولذلك سميت الموقعة بعام المشعلة (٦١) وكان من بين الأسرى السيد أبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والى فاس ، أسره المرينيون عندهم ثلاثة أيام ثم أطلقوه وبعثوا به إلى فاس ، مع بعض كبار السن من الموحدين معززا مكرما (٦٢) .

وقد تضخمت قوة المرينيون بعد هذه المعركة إلى درجة كبيرة بما غنموه من أثاث وسلاح وأموال وخيل وعبيد وبغال ، وقد أصبح المرينيون قوة عظيمة ، فاستطاعوا بعد ذلك مباشرة مهاجمة مدينة رباط تازى وتم لهم الاستيلاء عليها بعد أن هزموا حاميتها (٦٣) .

وفى تلك الأثناء تعرض المرينيون لانقسام داخلى هدد كيان البيت المرينى الحاكم ففى سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) تحركت عوامل الحقد فى نفوس بنى عسكر بن محمد المرينى لاستقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة فى بنى مرين ، ولما حققوه من انتصارات ضد الموحدين رفعت من شأنهم فى بلاد المغرب الأقصى . ووصل الأمر ببنى عسكر إلى حد انضمامهم إلى قبائل عرب رياح ، ضد أبناء عمومتهم وعرب رياح هؤلاء كانوا أقوى قبائل العرب فى المغرب الأقصى وأكثرها أموالا ، وكان الموحدون قد أوكلوا إليهم حماية بلاد الهبط وحراستها (٦٤) . وفى شهر جمادى الآخرة سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أقبل بنو عسكر وحلفاؤهم عرب رياح لحرب المرينيين فالتقوا بهم (بواجزهان) على مقربة من وادى سبو على أميال قريبة من قرية تافرطاست فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الحق فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) وولده إدريس (٦٥) . وأقسم بنوه وجماعة من أشياخ مرين ألا يدفنوهما حتى يأخلوا بثأرهما . وزحف المرينيون نحو بنى عسكر وعرب رياح واشتدت الحرب بينهما حتى انتصر المرينيون واكتسحوا أمامهم عرب رياح وحلفاءهم من بنى عسكر ، وغنم المرينيون ما كان معهم من الأموال والخيل والعدد والثياب والإبل والدواب (٦٦) ولم يكتف المرينيون بذلك بل فرضوا على عرب رياح إتاوة يؤدونها للمرينيين كل سنة (٦٧) .

لم يؤثر مقتل الأمير عبد الحق وولده إدريس فى سلامة الجبهة المرينية فقد تولى أمر بنى مرين أبو سعيد عثمان بن عبد الحق سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) وقد اشتهر بين المرينيين باسم إيرغال وهى تعنى بلغتهم البربرية الأعور(٦٨) . وهو الذى أنهى الحرب الدائرة بين المرينيين وعرب رياح لصالح بنى مرين وأصبح المرينيون قوة يهابها الموحدون ويحسبون لها حسابها . فأبو إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن والى فاس أصبح : « يواليهم بالإكرام والبر والإحترام ويعظمهم ويرضيهم فى كل عام ويقربهم ويدنيهم من (هذا) العام إلى عام سبعة

عشر حين ظهر الأمير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق فإنه استبد برأيه دون غيره إلا ما كان من المراسلات بينهما ومهادنات إلى آخر دولة المستنصر بالله فى عام عشرين (٦٩) » .

وقد تركزت جهود أبى سعيد عثمان بن عبد الحق ، فى بسط مزيد من نفوذ المرينيين على البوادى والضواحى والأرياف ، وقد ساعد المرينيين على ذلك أنهم كانوا لا يمثلون مذهبا دينيا يدعون الناس إليه مثل المرابطين أو الموحدين ، وإنما كانوا يركزون جهودهم على بسط الأمن والاستقرار فى المناطق التى يمتد إليها نفوذهم وسلطانهم ، وفى نفس الوقت يتركون لرعاياهم الحرية التامة فى اتباع المذهب الذى يحبونه وقد كان جمهور أهل المغرب يتوقون إلى الحرية فى ممارسة مذهب أهل السنة وفقه مالك ، كما انتظر كثير من خصوم الموحدين الألداء لبدعة الموحدين هذه الفرصة فدخلوا فى دائرة النفوذ المرينى (٧٠) .

وفى سنتى (٦١٦هـ / ١٢١٩ م) (٦١٧هـ / ١٢٢٠ م) كانت الأحوال فى المغرب الأقصى تزداد فى كل يوم سوءا على سوء « كثرت الفتن بين قبائل المغرب واشتد الخوف فى الطرقات ونبذ أكثر القبائل الطاعة وفارقوا الجماعة . وقالوا لا سمع ولا طاعة . وأكل القوى الضعيف . واستوى الدنى والشريف وكان كل من قدر على شىء صنعه ومن أراد منكرا أظهره وابتدعه . إذ ليس لهم مليك يحوطهم ولا أمير يكفهم ويصدهم فكانت قبائل فازاز من جاناته وقبائل غمارة ؛ وأوربة وصنهاجة والعرب يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمجاشر مع شريف الأحيان والساعات فانقطع الحرث واشتد الغلاء فى البلاد بسبب الإهمال والفساد » (٧١) كل هذا كان يحدث بينما خلفاء الموحدين قد « اعتكفوا فى قصورهم واحتجبوا عن مهمات أمورهم وأنهم قد اشتغلوا بالخمور والغوانى وتلذذوا باللهو وسمع الأغانى » (٧٢) .

وأمام هذا التدهور فى موقف الموحدين فى المغرب الأقصى دعا الأمير أبو سعيد عثمان ابن عبد الحق أشياخ بنى مرين وعقد معهم مؤتمرا لبحث أوضاع المغرب ، والخطوات التى يجب على المرينيين اتخاذها وقد تكشف هذا المؤتمر عن نتائج خطيرة ، حيث قرر المرينيون البدء فى اتخاذ الترتيبات العملية لإقامة الدولة المرينية – فأعلنوا أن خلع طاعة الموحدين أصبحت واجبة ، كما أخذوا على عاتقهم مهام رعاية البلاد والمحافظة على الأمن فيها (٧٣) . وأمر الأمير أبو سعيد شيوخ بنى مرين « وندبهم إلى القيام بأمر الدنيا والدين والنظر فى صلاح المسلمين » (٧٤) . ورأى الأمير أبو سعيد أن يقوم بحركة واسعة كى يضم القبائل فى بوادى المغرب الأقصى إلى النفوذ المرينى خاصة وأن الموحدين قد فقدوا سيطرتهم عليها تماما ، وانحسر سلطانهم إلى حد بعيد فى المدن بصفة خاصة (٧٥) . كما تقوم هذه القبائل

بدعم القوة المرينية الجديدة بالأموال اللازمة لها وذلك بدفع الخراج إلى المرينيين بدلا من الموحدين .

خرج أبو سعيد ومعه جيوش بنى مرين الضخمة « فمر على جميع قبائله (المغرب الأقصى) وأوديته وجباله ومعاقله فمن سارع إلى بيعته وطاعته أمنه ووضع عليه الخراج وأمره ببلده وماله آمنا منيعا ومن حاد عن طاعته ونابذه أباده نهبا وقتلا وغادره صريعا » (٧٦) فكان أول من بايعه من القبائل ودخل فى طاعته هوارة ، وتسول ، ومكناسه ، وبطوية ، وبطلاسة ، وكزناية ، وبنو يوتيان ، وغيّاثة ، ومجاصة ، وماريوه ، وبنو مكود ، وبنو سيتان ، وبنو يازغة ، وبنو واسليت ، وبنو بحر ، وبنو يوسف(٧٧) .

أما القبائل التى كانت تثير الشغب ، فقد فتح بلادها بالقوة ومن هؤلاء بنو كانون ، وجبل زرهون ، وبلاد أوربة ، وصنهاجة ، وقشتالة ، وسدراتة ، ولمطة ، وبنو واريتن ، وكثير من بلاد غمارة (٧٨) . ووضع على كل قبيلة مالاً وزرعا معلوما يؤدونه فى كل سنة وذلك فى نظير ما تقوم به القوات المرينية من أعمال الخفارة على بلادهم ، كما وزع عليهم العمال لتدبير شئونهم (٧٩) .

ولم يكتف أبو سعيد بذلك بل صالح أشياخ مدن فاس ، ومكناسة ، ورباط تازى ، وقصر كتامة على أموال محددة يدفعونها فى كل سنة فى نظير أن يقوم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بأعمال الخفارة وتأمين الطرقات لهم ، ويدفع عنهم أذى وغارات القبائل المجاورة لهم (٨٠) .

وفى سنة (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م) قام الأمير أبو سعيد يغزو بلاد فازاز ومن بها من قبائل زناتة ومكلاته وغيرهم فأخضعهم ، وردعهم عن إلحاق الأذى بالناس . وفى سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) هاجم فحص أزغار ومن به من قبائل العرب والبربر الذين كانوا يقطعون الطريق (٨١) .

وما أن حلت سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) حتى قوى شأن المرينيين بالمغرب وخضعت لهم جميع قبائل المغرب ، وتملكوا جميع بوادى المغرب من وادى ملوية إلى رباط الفتح (٨٢) .

وهكذا حقق أبو سعيد عثمان بن عبد الحق انتصارات كبرى للمرينيين ، مما جعل الرشيد (الموحدى) الذى تولى الخلافة الموحدية سنة (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) (٨٣) يرسل إلى بنى مرين مع عامله ابن وانودين أحمالا من الكساء الشرقية البديعة متعددة الأنواع لتوزع على بنى عبد الحق وأشياخ بن مرين . كان ذلك فى سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) (٨٤) وهى

نفس السنة التى قتل فيها أبو سعيد عثمان بن عبد الحق وتذكر المصادر أنه قتل غدرا ، قتله علج من عبيده نهارا ، عندما كان يجلس فى خبائه ، اغتاله بضربة غدر سددها إلى نحره ، فمات فى حينه ، كان ذلك فى وادى ردات سنة (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) (٨٥) .

وينفرد ابن غذارى من بين المؤرخين بذكر بعض التفاصيل عن مقتل أبى سعيد فيروى أنه بعد أن قتل العلج الأمير أبا سعيد هرب قاصدا إلى ابن وانودين : « فعرفه بالأمر فأعطاه وأرضاه وقيل أن ابن وانودين هو الذى حرضه على ذلك واتفق معه عليه ثم صرفه ابن وانودين من عنده فلم يعلم له بعد ذلك صحة خبر »(٨٦) . وهذا يعنى أن الموحدين لجأوا إلى أسلوب التآمر والاغتيال لتحقيق أهدافهم التى عجزوا عن تحقيقها فى ميادين القتال ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن ابن وانودين استغل ما بين بنى عسكر و بنى حمامة من منافسة على رياسة المرينيين ، واستطاع عن طريق اتصالات سرية قام بها أن يستخلص « بنى عسكر لنفسه استخلاصا وأخلص لهم نيته فيما زعم إخلاصا واستعطفهم واستلطفهم ووعدهم بأموال يعطيهم وأحوال ترضيهم على أن يقاتل بهم أخوانهم ويطرق بهم أوطانهم فارتبط معهم على ذلك ارتباطا » (٨٧) ..

أثمرت جهود ابن وانودين فى فصل بنى عسكر من الجبهة المرينية : ورأى أن ذلك يضعف المرينيين ، ومن ناحية أخرى يقوى وضعه العسكرى أمام المرينيين بإضافة بنى عسكر إلى قواته ولكن المرينيين بزعامة الأمير محمد بن عبد الحق : الذى أصبحت له الرياسة على بنى مرين بعد مقتل أخيه أبى سعيد – لم يترك لابن وانودين الفرصة ليدمر المكاسب التى أحرزها المرينيون فى عهد أخيه .

وانتهج الأمير محمد بن عبد الحق سياسة قوامها المحافظة على متابعة الجهود التى قام بها أخوه أبى سعيد ، فأشعر أهل المناطق التى تحت سيطرته بقوة المرينيين وسطوتهم ، فأخذ منهم الضريبة من الأمصار والمغارم من أهل البادية (٨٨) . كما قام بفتح كثير من جبال المغرب ، وقلاعه المنيعة (٨٩) .

وفى نفس الوقت كان ابن وانورين يتنقل بين فاس ومكناسة الزيتون فى محاولات لجمع المال والسلاح والرجال . وقد ألحق فى هذا السبيل بأهل هذه الجهات أضرارا بالغة من تعنته معهم فى جمع المال من الأهالى ، حتى إنه كان يلجأ إلى أسلوب الاستيلاء والسلب والنهب (٩٠) . واستقر به الأمر أخيرا فى مكناسة الزيتون ولم يتركه المرينيون يمضى فى سياسته هذه فقرروا الخروج إليه ، وتقدموا بقواتهم حيث نزلوا بالقرب من مكناسة الزيتون على بعد ثمانية أميال منها (٩١) . والتحمت طلائع الجيش المرينى – التى راحت تتجسس الطريق – بفرقة من أجناد الروم تابعة لجيش ابن وانودين واستطاعت هذه الطلائع المرينية أن تبيد فرقة الروم وتقتل قائدها (٩٢) .

تقدم جيش ابن وانودين من مكناسة نحو المرينيين والتقى بهم ودارت بين الجانبين حرب شديدة هزم فيها ابن وانودين واستولى المرينيون على محلته « واحتووا على جميع ما كان بها من دواب وأسباب وأخبية وأمتعة وغير ذلك من الأشياء الخفاف والثقال ولم يتركوا لأحد فيها ما يساوى العقال » (٩٣) وفر ابن وانودين هاربا إلى قصر عبد الكريم حيث كان هناك أولاده وعياله (٩٤) . كان ذلك فى سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) (٩٥) .

وامتاز الأمير محمد بن عبد الحق بأنه كان ذا عقل حصيف وفهم شديد بالأحداث من حوله يصفه صاحب الذخيرة السنية فيقول : « وكان الأمير محمد بن عبد الحق مبارك الإمارة ميمون النقية ذا عقل وفهم وصدق ووفاء وكرم عجيب ورأى سديد إذا وعد وفى وإذا قال فعل وإذا أعطى أغنى . وإذا صال أفنى وإذا وجد الفرصة انتهزها وإذا رأى القوة حاد عنها ودار عنها حياطة على قومه » (٩٦) وقد أثبتت الأحداث صدق هذا الوصف ففى سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) وفد عليه الأمير ابن عبد الحق جرمون بن رياح العربى الشقيانى فى جماعة من قومه - وكان الأمير جرمون هذا من أنصار الخليفة الرشيد الموحدى - فأحسن الأمير محمد بن عبد الحق استقباله وتلقاه بالبر وأصبح المرينيون ملاذا للخارجين على السلطة المركزية فى مراكش وقام المرينيون بإعطاء هؤلاء الخارجين ما يشبه حق اللجوء السياسى إلى الجماعة المرينية (٩٧) .

وعلى أثر هذه الأحداث أرسل الرشيد الموحدى جيشا آخر من الموحدين والعرب والروم لقتال بنى مرين عند بلدة (كرث) فهزم جيش الموحدين هزيمة شنيعة ، وأخذ المرينيون كل ما معهم من الأموال والخيل والرجال والسلاح (٩٨) . وكانت هزيمة ابن وانودين على هذا النحو ضربة جديدة للخلافة الموحدية ، وكسبا جديدا للمرينيين زاد من قوتهم وهيبتهم فى المنطقة (٩٩) . ولم يجد الرشيد الموحدى بدا من مسالمة بنى مرين ومهادنتهم فكانت بينه وبينهم مراسلات ومهادنات ودية يقول ابن عذارى : « فكان بنو مرين يجولون فى تلك البلاد ولا مدافع لهم لقتال ولا جلاد ثم كانت بينهم وبين الرشيد مهادنات ومراسلات » (١٠٠) .

وفى سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) فى عهد السعيد الموحدى بدأت مؤشرات الخطر المرينى تقترب من مرحلة جديدة فى الصراع بين المرينيين والموحدين . وبدأ الخليفة السعيد نفسه يحس بخطورة المرحلة المقبلة ، حيث أخبر السعيد بقوة سلطان الأمير أبى محمد عبد الحق المرينى ، وأنه « استحوذ على جميع بوادى المغرب وأنه زحف إلى المدن وأن جميع القبائل دخلت تحت طاعته خوفا من شدة بأسه (١٠١) .

جهز السعيد جيشا كبيرا من عشرة آلاف جندى فى رواية الذخيرة السنية (١٠٢) .

ومن عشرين ألفا فى رواية الحلل الموشية وابن خلدون وابن أبى زرع (١٠٣) . وقد ضم هذا الجيش الموحدين والعرب والغز والروم والمصامدة وقبائل هسكورة (١٠٤) . وقد التقى هذا الجيش بالمرينيين عند أبى نياس بالقرب من مدينة فاس (١٠٥) وفى هذه المعركة استطاع قائد من زعماء الروم اسمه جوان غيطان أن يطعن الأمير محمد بن عبد الحق بحربة كانت معه فأرداه قتيلا ، فى يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) . ولحقت الهزيمة ببنى مرين وارتدوا على أثرها بسرعة من أحواز فاس إلى مناطق البوادى التى يسيطرون عليها فنزلوا بجبال غياثة حيث بايعوا أخاه أبا بكر بن عبد الحق سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (١٠٦) . واشترك فى هذه البيعة قبائل بنى مرين وبعض القبائل الزناتية ، وبنو ورا وغيرهم من القبائل فى بلاد المغرب الأقصى (١٠٧) .

وإذا كان الموحدون قد نجحوا هذه المرة فى تأجيل مرحلة اقتحام المرينيين للمدن الكبرى فى بلاد المغرب الأقصى ، فأنهم لم يستطيعوا اقتحام مناطق البوادى والأرياف التى كانت فى يد بنى مرين . ولذلك فقد ارتد المرينيون إلى مواطن نفوذهم لاستعادة تقييم موقفهم لبدء مرحلة جديدة من كفاحهم .

ثانيا : مرحلة استيلاء بنى مرين على المدن الكبرى فى المغرب الأقصى :

كان أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق ذا شخصية قوية متألقة استمدت عناصر قوتها وتألقها من مكوناته الجسدية وأوصافه الشخصية التى طبع عليها ، فقد كان أبيض اللون مشربا بحمرة ، تام القد سبط الجسم حسن الوجه والعينين ، أبيض الرأس ، أيسر أعسر يرمى ويطعن فى الحرب بحربتين فى وقت واحد ، لذلك كانوا يطلقون عليه فارس زناتة وكان بطلا شجاعا جوادا كريم الأخلاق ، صادقا وفيا بالعهود ذا أناة وحلم وحسن أخلاق وكرم طباع . فهو بهذه الأوصاف كلها نموذج للقوة فى جسد قوى متين التركيب (١٠٨) .

كان المرينيون وهم يقبلون على هذه المرحلة الخطيرة من مراحل تأسيس دولتهم – فى حاجة إلى أن تقودهم شخصية قوية صلبة كشخصية أبى بكر بن عبد الحق . الذى قام بوضع تخطيط دقيق يضمن للمرينين الاستيلاء على المدن الكبرى فى المغرب الأقصى ، واستند هذا التخطيط إلى ثلاث دعائم كبرى أتاحت له التقدم فى مهمته بسهولة ويسر .

(أ) الاعتراف بتبعية المرينيين لبنى حفص الذين استقلوا عن الدولة الموحدية منذ سنة (٦٢٥ هـ / ١٢١٧ م) (١٠٩) . ولهذا الاعتراف مغزاه ، فأبو بكر بن عبد الحق بهذا الاعتراف يضفى على أعماله العسكرية نوعا من الشرعية أمام الجماهير ، فلا تعارض هذه الجماهير فى الانضواء تحت رايته خاصة وأن بنى حفص كانوا قد

رفعوا شعارا بأنهم يحيون مبادىء ابن تومرت التى أهملها الموحدون وعجزوا عن حمايتها (١١٠) . ومن ناحية أخرى حتى يأمن جانب بنى حفص .فيخرجهم من بوتقة الصراع بينه وبين الموحدين فلا يقع بين فكى الرحى ، خاصة وأن اتجاهات القوى المتصارعة فى بلاد المغرب قد بدأت منذ سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) تأخذ شكلا جديدا ، ففى هذه السنة أرسل يغمراسن بن زيان هدية إلى السعيد الخليفة الموحدى الجديد « وعاهده على قتال بنى مرين وأن يأخذوهم بعساكرهم من الجانبين (١١١) » . وهذا التحالف لم يكن بعيدا عن آذان المرينيين ، وبنى حفص ، الذين قاموا على الفور بإجراءات وقائية لتدمير هذا التحالف ، أسفرت عن استيلاء الحفصيين على تلمسان أواخر سنة (٦٤٠ هـ / ١٢٤٣ م) وتعيين يغمراسن واليا عليها من قبل بنى حفص بعد أن رضخ لشروطهم (١١٢) .

ويرى البعض أن المرينيين الزناتيين وهم من البتر اعلنوا تبعيتهم لبنى حفص لأن مناوأة المرينيين للحفصيين معناها إشعال نار الحرب بين قبائل البرانس وقبائل البتر مما قد يؤدى إلى القضاء على دولتهم فى مهدها ، فكان اعلان تبعية المرينيين للحفصيين سياسة تدل على بعد النظر (١١٣) .

وقد ظل الأمير أبو يحيى يحافظ من جانبه على مظهر هذه التبعية طيلة حياته ، فيذكر ابن القنفذ فى فارسيته أنه فى « سنه اثنين وخمسين وستمائة وصلت بيعة بنى مرين وفاس ورباط بارى » (١١٤) .

(ب) تأمين الجبهة الداخلية للمرينيين ، وذلك بإخضاعها لإشراف مالى وإدارى دقيق حتى يكتب لهم النصر فقسم مناطق المغرب الأقصى التى تقع تحت النفوذ المرينى على قبائل بنى مسرين وأنزل كل قبيلة بناحية وأصبحت كل قبيلة مسئولة أمامه عن جباية هذه المنطقة ، كما أمر شيوخ القبائل كل فى ناحيته بإعداد الفرسان والاستكثار من الأتباع وقد ساعد ذلك على وفرة المقاتلين لدى المرينيين (١١٥) . وقد دعت هذه الخطوة ابن أبى زرع إلى وصف هذا الأمير بقوله : « وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد وأعطي النصر والتمكين » (١١٦) .

(جـ) مهاجمة المدن الكبرى والاستيلاء عليها ، لحصر النفوذ الموحدى فى عاصمته مراكش .

١ – الاستيلاء على مكناسة الزيتون :

بعد أن أعاد الأمير أبى بكر بن عبد الحق توحيد صفوف بنى مرين تقدم لينزل بالقرب من مكناسة الزيتون وكان معه قرابته وأخواته وحشمه وعبيده وأعوانه ، نزل بهم فى المنطقة

الواقعة بين بلدة سَلْفات وجبل زرهون ومن هذه المنطقة بدأ يشن الغارات على مدينة مكناسة وفى نفس الوقت يدعو أهلها إلى بيعة الأمير أبى زكريا الحفصى . ووصل الأمر إلى محاصرة المدينة . والتضييق عليها وقطع جميع المرافق والموارد عنها . واضطرمت فى نفوس بنى عسكر من بنى مرين أحقاد المنافسة القديمة وولوا وجوههم صوب السعيد الموحدى يحرضونه على بنى عبد الحق ومن معهم من بنى مرين ، وصادفت هذه الدعوة هوى فى نفس السعيد الذى اهتم كثيرا بحصار المرينيين لمكناسة الزيتون (١١٧) .

وعلى الفور جهز السعيد الموحدى جيشا سار به نحو فاس وهناك بايعته قبائل بنى عسكر وأعطته أربعين فردا من أبنائها رهينة عنده على صدقهم فى مناصرته ، كما وصل إلى فاس أيضا يغمراسن بن زيان ومعه ألف فارس من قومه وبايع السعيد ، فخلع عليه السعيد وأعطاه أموالا كثيرة وخيلا وسلاحا ، واستغل السعيد هذه الفرصة التى تجمعت حوله فيها جميع العناصر المعادية لبنى مرين وقرر توجيههم لحرب الأمير أبى يحيى بن عبد الحق ، وأمدهم بألف فارس من الموحدين وألف من الجند (١١٨) .ولعل السعيد اراد بهذه العملية أن يضرب أعداءه بعضهم ببعض ، فإذا انهزم المرينيون فقد قضى على عدو قريب يتربص به الدوائر ، وإذا انهزم يغمراسن فقد تخلص من عدو يهدد ممتلكات للموحدين فى المغرب الأوسط ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن أبا يحيى بن عبد الحق قال ليغمراسن وبنى عسكر « أن هذا الرجل (السعيد) عزم على غدرنا وغدركم » (١١٩) .

وقد فطن يغمراسن وبنو عسكر إلى هذا الأمر الذى أشار به أبو يحيى بن عبد الحق فبعد أن تتبعوا الأمير أبا يحيى المرينى حتى بلدة/ كُرث ، عادوا ونكثوا عهودهم مع السعيد . فلما علم بذلك السعيد أرسل إليهم قائده أبا المسك ومعه الأجناد والروم ، ووجد بنو عسكر فى أبى المسك ومن معه من الجند فرصة لتحرير رهائنهم - التى كان السعيد قد أخذها منهم - فقبضوا على أبى المسك ومن معه ولم يطلقوا سراحهم حتى أخذوا رهائنهم . وانتهت محاولة السعيد بالفشل فى ذى الحجة سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (١٢٠) .

أما الأمير أبو يحيى فقد تشدد فى حصار مكناسة الزيتون وظل يباكرها ويراوحها بالقتال والغارات ، حتى إذا يئس أهلها من إنقاذ الموحدين لهم خلعوا طاعتهم ، وبايعوا بنى مرين . فأرسل أبو الحسن على بن أبى العافية ثلاثة من كبار أشياخ المدينة إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، واتفق الطرفان على فتح المدينة صلحا سنة (٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) (١٢١) . وأرسل أهل مكناسة بيعتهم إلى الأمير أبى زكريا الحفصى ، وقام بإعداد مراسم البيعة أبو المطرف بن عميرة المخزومى وهو من أعلام العصر ومشاهيره ، كان يتولى قضاء مدينة مكناسة (١٢٢) .

وقد منح الأمير أبو يحيى أخاه يعقوب ثلث جباية المدينة نظرا للجهود التى بذلها فى فتح المدينة (١٢٣) . يقول ابن مرزوق « وهى أول قاعدة ملكها بنو مرين من بلاد المغرب ولم يزل أهلها يفخرون بهذا » (١٢٤) .

وكان لاستيلاء المرينيين على مكناسة الزيتون وقع الصاعقة على السعيد الموحدى الذى بادر إلى عقد اجتماع ضم رجال دولته وعرض عليهم تطورات الأحداث فى الدولة الموحدية وأراهم كيف اقتطع الأمر عنهم شيئا فشيئا « فابن أبى حفص اقتطع إفريقية ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الأوسط وأقاموا فيها دعوة ابن أبى حفص وأطمعوه فى الحركة إلى مراكش بمظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الأندلس وأقام فيها دعوة بنى العباس ، وابن الأحمر بالجانب الأخر مقيم لدعوة ابن أبى حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحى المغرب ثم سموا إلى تملك أمصاره ثم افتتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبى حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك أن رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه الواقعات أن يختل الأمر وتنقرض الدعوة » (١٢٥) .

واستطاع السعيد الموحدى فى سنة (٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م) أن يجهز جيشا قويا جرارا ، ضم أمما لا تحصى من الموحدين وقبائل المصامدة والعرب والأندلس والأعزاز والروم وسار السعيد بهذه القوات الضخمة حتى نزل فى وادى بهت (١٢٦) ، ولما علم أبو يحيى المرينى بقدوم السعيد خرج ليلا من مكناسة ليتجسس أحوال السعيد فرأى جيوشا ضخمة لا قبل لبنى مرين بها ، وعلى الفور قرر أبى يحيى الانسحاب من مكناسة إلى تازة وقلاع الريف (١٢٧) . ودخل السعيد مكناسة فاستقبله أهلها بأولادهم وصبيانهم وقد رفعوا المصاحف والألواح على رؤوسهم يطلبون عفو السعيد فعفا عنهم وأعطاهم الأمان (١٢٨) . ثم ارتحل عن مكناسة إلى فاس ومن فاس إلى رباط تازى ، فنزل بظاهرها ، وبعث إليه الأمير أبو يحيى بن عبد الحق ببيعته ، وقد حمل يحيى بن الوزير الوطاسى هذه البيعة ومعها هدية قيمة من الخيل العراب والدرق اللمطية ، وطلب منه الأمان لجميع قبائل مرين ، فقبل السعيد بيعته على أن يرسل له أبو يحيى حصة من قبائل مرين للخدمة فى الجيش الموحدى المتقدم نحو المغرب الأوسط وإفريقية (١٢٩) . فقال له أبو يحيى : « ياأمير المؤمنين لا تتعب نفسك فى أمر يغمراسن أنا أكفيك أمره فارجع إلى حضرتك وقونى بالمال والعدة وأنا أبيد جميع عبد الوادى وغيرهم ممن ثار بتلك البلاد من قبائل زناتة وافتح لك البلاد وأمهدها فعزم السعيد على ذلك واستشار أشياخ الموحدين فأشاروا عليه ألا يفعل وقالوا له ياأمير المؤمنين إن الزناتى أخو الزناتى لا يخذله ولا يسلمه فتخاف أن يصطلحا ويجتمعا على حربك فتكون المشقة بهم أعظم والمقاساة فى حربهم أشد فرجع (السعيد) عن ذلك » (١٣٠) .

كتب السعيد إلى أبي يحيى يشكره ، ويأمره أن يظل بموضعه من قلاع الريف ، ويبعث إليه بالحصة التي طلبها منه فأرسل إليه أبو يحيى خمسمائة فارس من فرسان بني مرين مع ابن عمه عياد بن أبي يحيى (١٣١) .

اتجه السعيد بقواته إلى تلمسان ، وما أن اقترب منها حتى خرج منها يغمراسن بن زيان فارا إلى قلعة تامزجدرت الواقعة في جنوبي مدينةوجدة وامتنع بها . وعلى الرغم من أن يغمراسن بن زيان بعث ببيعته إلى السعيد ، إلا أن السعيد أصر على وجوب مقدم يغمراسن إليه ، ولكن يغمراسن رفض الحضور ، مما جعل السعيد يقرر مطاردته وقتاله ، يقول ابن عذارى : « فأقسم السعيد أنه إن لم يصل بنفسه إليه وإلا ونزل بمحلته عليه » . وكان الطريق إلى القلعة يمر من خلال شعب وأوعار ضيقة ، وقد حذر الوزير ابن عطوش السعيد من سلوك تلك المضايق ، ولكن السعيد رفض الاستجابة إلى نصح الوزير وتقدم من خلال هذه الأوعار ، انقض بنو عبد الواد على السعيد بمنتهى العنف ، فقتلوه هو ومن معه ، وارتدت الفلول المتبقية نحو معسكر القوات الموحدية فساد فيها الرعب والفزع ، وفروا مسرعين نحو مراكش (١٣٢) ، وكان ذلك يوم الثلاثاء آخر صفر سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م)(١٣٣) .

انتفض المرينيون عندما وصلتهم أنباء مقتل السعيد الموحدي فكأنما قد بعثوا من جديد إلى سابق عهدهم وقوتهم ويصور ابن خلدون هذه الانتفاضة الجديدة التي سرت في نفوس بني مرين بقوله : « وبَعْثُ بني مرين من تيار تلك الصدمة » (١٣٤) فنهضوا للعمل ومتابعة الجهود لبناء الدولة المرينية ، وكان على أبي يحيى أن يبدأ باعتراض فلول الموحدين للاستحواذ على ما معهم من سلاح ومتاع ، وقد تم له ذلك عند أجرسيف ، واستطاع أن يضم إلى جيشه كتيبة الفرنج وفرقة الناشبة من الأغزاز ، واتخذ لنفسه المركب الملوكي (١٣٥) . ثم توجه نحو مكناسة الزيتون فاقتحمها واستولى عليها وأقام بها أياما ، توجه بعدها إلى رباط تازا خوفا من أن يسبقه إليها يغمراسن بن زيان وقد تم له فتحها بعد ثمانية أيام من مقتل السعيد . وظل أبو يحيى مقيما برباط تازى عشرة أيام خرج بعدها إلى فتح أجرسيف وأعمال وطاط وحصون ملوية في ربيع الأول سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) (١٣٦) . كل هذا ليؤمن الطريق أمام تقدمه للاستيلاء على مدينة فاس ، وعن فتح تازى يتحدث ابن عذارى فيقول : « ويسر الله فتح تازا لبني عبد الحق الكرام على يد الأمير أبي يوسف بتيسير مرام فهو كان قفل المدينة الغربية فصار مفتاحها وأول فتوحها لهذه الدولة المرينية » (١٣٧) .

٢ - الاستيلاء على فاس :

كانت الخطوة التالية لأبي يحيى الاستيلاء على فاس وانتزاعها من أيدي الموحدين وقد

تمت هذه الخطوة بعد أن حاصرها الأمير أبو يحيى بن عبد الحق بخيله ورجاله حصارا شديدا ضايق أهلها فطلبوا من أشياخهم مفاوضة المرينيين فى أمر الصلح . وكان واليها الموحدى هو السيد أبو العباس بن أبى حفص لا يملك حولا ولا قوة (١٣٨) . وتمت الاتصالات بين أبى يحيى وأشياخ المدينة الذين خرجوا إليه لمبايعته بالرابطة التى بخارج باب الشريعة من أبواب مدينة فاس وكان فى مقدمة المبايعين له العالم الولى الصالح أبو محمد القشتالى (١٣٩) . وتلطف أبو يحيى بالمبايعين « وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الأذى عنهم والحماية الكفيلة لهم بحسن المغبة وصالح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهده وغنائه وأووا إلى ظله وركنوا إلى طاعتهم وانتحال الدعوة الحفصية بأمره » (١٤٠) .

دخل أبو يحيى قصبة المدينة التى كانت مقرا لوالى الموحدين وقد أخلى هذا الوالى القصبة وغادرها بأولاده وعياله وحشمه بعد أن أمنه الأمير أبو يحيى وبعث معه سبعين فارسا من فرسان بنى مرين ليبلغوه مأمنه عند وادى أم الربيع (١٤١) . وكان دخول الأمير أبى يحيى مدينة فاس إعلانا بانتهاء السيادة الموحدية عليها وذلك فى ظهر يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)(١٤٢) .

وظل الأمير أبو يحيى بمدينة فاس أكثر من عام ، يضع التنظيمات والقواعد لحكم مملكة بنى مرين التى أخذت تتألق فى الأفق المغربى ، وفى تلك الأثناء قدمت عليه الوفود من البلدان تبايعه وتهنئه (١٤٣) . « وتهدنت البلاد وصلحت الأحوال وسكنت الفنون وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة وانطلقت الأسفار وأمر القبائل بمسكن الأوطية وعمارة القرى والمجاشر الخالية والاستكثار من الحرث فصلح أمر الناس ورخصت أسعارهم وأعطى حصون تازا وجميع حصون ملوية إلى أخيه أبى يوسف » (١٤٤) .

وقد انتهزت بعض العناصر السيئة من رجال فاس خروج الأمير أبى يحيى سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) إلى غزو بلاد فازاز ومعد وعوّام فخرجوا على عامل أبى يحيى المسعود بن خرباش وكان من عرب الجشم أحلاف بنى مرين وقتلوه ، وأعلنوا خلع الأمير أبى يحيى والبيعة لخليفة الموحدين المرتضى المتولى بمراكش سنة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) (١٤٥) وتمت هذه المؤامرة بموافقة قاضى المدينة أبى عبد الرحمن المغيلى وقائد جند الروم زنار الذى تولى هو وأربعة من رجاله قتل المسعود بن خرباش (١٤٦) وبعد أن تم للثوار الاستيلاء على المدينة نصبوا قائد الروم لضبط أحوال المدينة ، وأرسلوا ببيعتهم إلى المرتضى فى مراكش (١٤٧) .

وصلت أنباء الثورة إلى مسامع الأمير أبى يحيى وهو فى معدن عوام ، فقطع على الفور مهمته فى هذه البلاد وعاد مسرعا إلى فاس فوجدها مغلقة فى وجهه ، فقرر حصار

المدينة (١٤٨) . ولكن الأحداث تمضي بأبي يحيى في اتجاه آخر ، ذلك أن يغمراسن بن زيان أراد انتهاز هذا الموقف للاستيلاء على إقليم رباط تازى - الذي كان مربعا لبنى عبد الواد أيام الموحدين (١٤٩) . وفي نفس الوقت كان الخليفة المرتضى الموحدى قد استنجد بيغمراسن ليقف في وجه بنى مرين (١٥٠) . وقد أدرك أبو يحيى خطورة هذه التحركات التي يقوم بها يغمراسن بن زيان . فما كان من الأمير أبي يحيى إلا أن ترك قوات زمزية تقدر بحوالى خمسمائة فارس بقيادة ورياس المرينى وكانت مهمة هذه القوات مباكرة فاس ومراوحتها بالحرب حتى لا يشعر من في فاس بانصراف القوات الرئيسية لبنى مرين نحو رباط تازى (١٥١) .

وصل أبو يحيى إلى رباط تازى وأقام بظاهرها ثلاثة أيام ، تقدم بعدها يغمراسن بن زيان ، الذى تقهقر أمامه إلى منطقة وجدة (١٥٢) . ولكن أبا يحيى انقض عليه هناك عند إيسلى (١٥٣) . ودارت بين الطرفين معارك طاحنة فر يغمراسن على أثرها إلى تلمسان ناجيا بنفسه ، وكانت هذه المعركة هى أول لقاء مباشر بين المرينيين وبنى عبد الواد (١٥٤) .

عاد الأمير أبو يحيى إلى فاس في آخر ذى الحجة سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) حيث أحكم قبضته على المدينة وشدد في حصارها ، فقطع مجارى المياه التي تمد المدينة بالماء ، وأرسل في طلب تعزيزات لقواته المحاصرة للمدينة من مكناسة والقبائل الأخرى (١٥٥) . حتى ضاقت الحال بأهل فاس ، فطلبوا من أبي يحيى العفو والأمان والصفح ، فتعهد لهم بالعفو عنهم على أن يقوموا بتعويض أبي يحيى عما تلف من أمواله وأثاثه وسلاحه (١٥٦) . وفتحت أبواب المدينة فدخلها الأمير أبو يحيى ونزل بقصره في قصبة المدينة في العشرين من جمادى الآخرة سنة (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) (١٥٧) .

وقد تشدد أبو يحيى مع أهل فاس تشددا كبيرا ، لإشعار الأهلين بقوة الدولة الجديدة ، وسطوتها ، فحين أحس بتراخى أشياخ المدينة في رد الأموال والأثاث والسلاح التى نهبوه من قصره في أثناء الثورة عليه ، قبض عليهم جميعا وشد وثاقهم في دار الجوزة (١٥٨) .

ولما واجههم بمطلبه قام أحد الأشياخ يعرف بابن الجنا وأعلن في صراحة عن المدبرين لهذه الثورة (١٥٩) . وقال لأبي يحيى « يامولاى إنما فعل ذلك منا ستة من الأشياخ فلا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا وإن فعلت ما أقول لك وقبلت رأيى لكان حزما وصوابا وأدبا لرعيتك قال (أبو يحيى) ، وما تراه أن أصنع أيها الشيخ قال : تخرج هؤلاء الأشياخ الستة الذين سعوا في الفتنة فتضرب أعناقهم وتأخذ بثأر من قتلوه من رجالك ... وتأخذنا نحن بغرم مالك عقوبة لمتابعتنا إياهم قال (أبو يحيى) صدقت والله ... فأخرج (أبو يحيى الأشياخ الستة إلى خارج باب الشريعة من أبواب فاس فضربت أعناقهم » (١٦٠) .

ولم يكتف أبو يحيى بذلك بل قام بمصادرة دورهم ورباعهم وأملاكهم وقد كان لتوقيع العقوبة على مدبرى هذه الثورة بهذه الصورة أثر كبير فى توطيد النفوذ المرينى والسلطة المرينية فى هذه المدينة الضخمة فيقول صاحب الذخيرة السنية « ولم يكن بعدها منهم (أهل فاس) من يرفع رأسه إلى قومه ولا يتكلم بين اثنين إلى الآن » (١٦١) . ويقول ابن خلدون « فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادهم لأحكام بنى مرين وضرب الرعب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم الأصوات وانقادت الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد فى فتنة » (١٦٢) .

٣ – الاستيلاء على سلا ورباط الفتح :

كانت المهمة الملقاة على عاتق المرينيين بعد ذلك مهمة حصر الموحدين فى نطاق ضيق لا يتعدى المناطق المحيطة بعاصمتهم مراكش . وكان ذلك يتطلب من المرينيين القيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينة سلا ورباط الفتح . لأن الاستيلاء على هاتين المدينتين من شأنه أن يقطع كل اتصال للموحدين بشمال المغرب الأقصى ، فيبقوا وكأنهم محاصرون فى جنوب المغرب الأقصى .

وكان الخليفة المرتضى يستشعر موضع الضربة القادمة للمرينيين فقرر أن يبدأ هو بالهجوم على بنى مرين بهدف إيقاف زحفهم نحو سلا ورباط الفتح ، وذلك بمنعهم من عبور وادى أبى رقراق إلى ارض تامسنا (١٦٣) وقد أغرى المرتضى وشجعه على القيام بهذه العملية العسكرية موسى بن زيان الونكاسى وأخوة على وهما من بنى مرين كانا قد خرجا على الأمير أبى يحيى ولحقا بالبلاط الموحدى (١٦٤) .

التقى المرتضى الموحدى – بما جمعه من جيوش ضخمة – بالمرينيين عند (بايميلولين) وهى من نواحى مكناسة – واستطاع المرينيون فى هذا اللقاء أن يقضوا على جموع المرتضى ، ويستولوا بسهولة على مامعه حيث أشاع يعقوب بن جرمون شيخ عرب سفيان أن صلحا عقد بين المرتضى وبنى مرين وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الموحدية مرتبكة دون أمر من الخليفة وفى غير نظام إلى ثغر أزمور ، ولاحق بنو مرين فلول الجيش المنسحب وانتزعوا منه كثيرا من العتاد والأمتعة (١٦٥) .

وحلت بالموحدين الهزيمة دون قتال يقول ابن عذارى « فكانت عليه (المرتضى) هذه الهزيمة من غير قتال هزيمة عظيمة (١٦٦) . وكان ذلك دليلا على مدى ماأصاب قوى الموحدين المعنوية من الانهيار والتخاذل أمام بنى مرين (١٦٧) .

سارع المرينيون إلى استثمار هذا الانتصار ، فتقدم الأمير أبو يحيى إلى بلاد فازاز فافتتحها وأحكم قبضته على أوطان زناتة ، وفرض المغارم عليهم جميعا ، ثم تقدم بقواته بعد

ذلك نحو الغرب حيث فتح سلا ورباط الفتح سنة (٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م) ، واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق (١٦٨) ولكن إقامة المرينيين لم تطل فى سلا حيث تمكن المرتضى من استرجاعها بجيش أرسله إليها سنة (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) . ويبدو أن نجاح الموحدين فى استرجاع سلا كان بسبب وجود حامية مرينية صغيرة بالمدينة لم تستطع مقاومة الجيش الذى أرسله الخليفة المرتضى (١٦٩) .

أصبح وقف بنى مرين عن التقدم غربا إلى سلا ورباط الفتح - بالنسبة للموحدين مسألة حياة أو موت ، ولذا فإن المرتضى فى سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) حشد جيشا ضخما من للموحدين والعرب والمصامدة والأغزاز والأندلسيين والروم بلغ ثمانين ألفا من المقاتلين سار بهم حتى وصل جبال بهلولة بالقرب من فاس (١٧٠) . وهناك التقى بالأمير أبى يحيى « وصدقهم بنو مرين القتال فاختل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع إلى مراكش مفلولا واستولى القوم (بنو مرين) على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم (١٧١) .

ويذكر ابن أبى دينار أن من بين أسباب الهزيمة أن فرسا من أفراس جند الموحدين فر من مكانه فجرى صاحبه فى أثره فظن الموحدون أن العدو قد دهمهم فجأة ففروا منهزمين . ووصل الخبر إلى أبى يحيى فخرج إلى الموحدين واستولى على محلتهم ، وفر المرتضى إلى مراكش فى نفر يسير (١٧٢) .

٤ - استيلاء بنى مرين على سجلماسة ودرعة :

كان انكسار الموحدين فى موقعة جبل بهلولة ضربة قاصمة لقوى الموحدين المادية والمعنوية ، إذ جنح الخليفة المرتضى بعدها إلى الدعة والراحة ، ويذكر ابن عذارى فى هذا الشأن أن المرتضى عقد الهدنة والسلم مع الأمير أبى يحيى المرينى ، واكتفى بما تحت يده من مناطق يمتد إليها نفوذه فى جنوب المغرب الأقصى (١٧٣) . ولكن هذه الحالة من الهدوء النسبى التى بسط ظلالها على المغرب الأقصى لم تستمر طويلا لأن بنى مرين كانوا يتطلعون إلى اقتلاع الموحدين نهائيا لإقامة دولتهم الفتية ، دون أن يكون هناك منازع يهدد أمنهم أو يعوق رخاء دولتهم (١٧٤) .

وجه المرينيون اهتمامهم بعد ذلك إلى الاستيلاء على سجلماسة ودرعة، لما لهما من أهمية اقتصادية وتجارية واستراتيجية ، فمدينة سجلماسة متوسطة فى صحراء المغرب الأقصى والمسافة بينها وبين فاس وتلمسان ومراكش متساوية تبلغ تسع مراحل (١٧٥) . وهي من هذا الموقع تقف على أول الطريق التجارى بين بلاد المغرب وأقطار السودان الغنية وبذلك

يضمن المرينيون – بالاستيلاء على هذه المدينة – موردا ومنفذا اقتصاديا هائلا .

وتختلف المصادر فى تاريخ استيلاء المرينين عليها فبعضها يرى أنه كان فى سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م) (١٧٦) . وبعضها يرى أنه كان فى سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) (١٧٧) . وقد لجأ المرينيون فى فتح سجلماسة إلى أسلوب آخر غير أسلوب القتال المباشر ، فقد عقد المرينيون اتفاقا سريا مع أحد زعماء سلجماسة ويسمى ابن القطرانى ، حيث قام ابن القطرانى بانقلاب قبض فيه على عامل الموحدين ، وسهل للأمير أبى يحيى مهمة الاستيلاء على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة (الجنوب) (١٧٨) .

قام أبو يحيى بتولية ثلاثة من رجاله على هذه البلاد حتى يضمن ألا يستأثر أحدهم بالحكم أو تسول له نفسه الخروج على المرينيين ، وهؤلاء الثلاثة هم يوسف بن بركاسن وعُين قائدا على الجند (١٧٩) ، وعبد السلام الأوربى ، وداود بن يوسف على شئون الجباية (١٨٠) .

وفى سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ثار أهل سجلماسة وأحس المرتضى بهذه الثورة فأرسل جيشا بقيادة ابن عطوش لاسترداد سجلماسة ، ولكن محاولته باءت بالفشل حيث سبقه إليها أبو حديد ابن الأمير أبى يحيى ففر ابن عطوش راجعا إلى مراكش (١٨١) .

وكان يغمراسن بن زيان قد تحرك هو الآخر سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) نحو سجلماسة حيث راسله بعض أهلها وأطمعوه فى الاستيلاء عليها ولكن يغمراسن فوجىء بوصول الأمير أبى يحيى إلى سجلماسة فى نفس اليوم ودارت معركة بين الطرفين فى اليوم التالى بباب تاحسنت انسحب يغمراسن بن زيان على أثرها عائدا إلى بلده بعد أن تأكد من صلابة المرينيين فى سجلماسة (١٨٢) . وغادرها الأمير أبو يحيى أيضا بعد أن رتب شئونها وأحوالها وأسند ولايتها إلى أبى يحيى القطرانى (١٨٣) .

وظل الأمير أبو يحيى طيلة سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) وجزءا من سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وهو يعمل على تثبيت أقدام المرينيين فى سلا ورباط الفتح وسجلماسة (١٨٤) . حتى دهمه مرض الموت فتوفى فى يوم الخميس منسلخ جمادى الآخرة سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) (١٨٥) . وقد أجمعت معظم المصادر على هذا التاريخ بينما ترى بعض المصادر الأخرى أن وفاته كانت فى سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) (١٨٦) .

دفن الأمير أبو يحيى بإزاء قبر الولى الصالح أبى محمد القشتالى عند باب الجيزيين حسب الوصية التى أوصى بها فى حياته (١٨٧) . ومع انتهاء حياة هذا الأمير

المرينى المناضل انتهت مرحلة استيلاء المرينيين على المدن الكبرى فى المغرب الأقصى ، وبدأت مرحلة جديدة لها أهميتها وخطورتها فى بناء صرح الدولة الجديدة .

ثالثا : مرحلة الاستيلاء على العاصمة مراكش وإعلان قيام الدولة :

١ - يعقوب بن عبد الحق ومشكلة الإمارة على بنى مرين :

بويع عمر بن أبى يحيى بعد وفاة والده ليتولى أمر بنى مرين وكانت العامة من قومه كما يقول ابن خلدون ترضى عنه ، أما المشيخة وأهل الحل والعقد فقد كانوا يميلون إلى عمه يعقوب بن عبد الحق الذى كان غائبا عند وفاة أخيه أبى يحيى بتازى (١٨٨) . ونتيجة لذلك ظلت أموره مضطربة بالعاصمة فاس طيلة أربعة أشهر ، الأمر الذى دفع بعمه يعقوب بن عبد الحق إلى القدوم إلى فاس من رباط تازى (١٨٩) . وقد أثار مجيئه حفيظة أتباع عمر بن أبى يحيى فأخذوا يحرضون عمر على عمه يعقوب ، فاعتصم عمر بقصبة فاس ، وكان الأمير يعقوب بن عبد الحق يسعى إلى إنهاء هذا الوضع المتأزم بتحقيق مصلحة المرينيين وإقرار الأوضاع وتهدئة الأحوال ، خاصة وأن العدو يتربص بالمرينيين الدوائر . وعلى هذا الأساس حسم الأمر وتنازل لابن أخيه عمر على أن تكون له بلاد تازى وبطوية وملوية (١٩٠) .

ولكن شيوخ بنى مرين لم يرضوا عن ذلك ، وتبعوا الأمير يعقوب الذى لحق بتازى ، وهناك أصروا على مبايعته ، وأجبروه على العودة فى الأمر ، وعاهدوه على مناصرته والوقوف إلى جانبه (١٩١) . وقالوا له : « والله لا نبايع عمر ابن أخيك ولا نرضى به أميرا وأنت بقيد الحياة أبدا فبايعه كافة أولاد عبد الحق ثم بايعه بنو على ثم بنو عسكر وبنو ينجاسن وبنو وطاس ثم تتابعت قبائل بنى مرين بالبيعة » (١٩٢) . وأمام هذا الإصرار القوى من جانب مؤيديه وافق على رأيهم وعاد بهم إلى فاس فلما علم عمر بذلك خرج للقاء عمه يعقوب فالتقى به عند وادى مكس ، وفر أصحاب عمر عنه وأسلموه إلى عمه يعقوب الذى أرسله مغلولا إلى فاس .

وهناك فى فاس تنازل عمر عن إمارة بنى مرين إلى عمه يعقوب على أن يقطعه عمه مكناسة ، ووافق يعقوب بن عبد الحق على ذلك وتولى أمر المرينيين سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) (١٩٣) .

والناظر لأوضاع المغرب فى ذلك الوقت يجد أن الموحدين قد انحسرت مناطق نفوذهم فى المنطقة الواقعة بين وادى أم الربيع وبين عاصمتهم مراكش وبالنسبة لمنطقة السوس فى جنوب مراكش فقد كانت فى يد الثائر على بن بدر (١٩٤) . أما بنو مرين فقد امتد سلطانهم ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة (١٩٥) . أما القبائل العربية فكان

ولاؤها مذبذب بين المرينيين تارة وبين الموحدين إذا ما اختلفوا معهم (١٩٦) وكثيرا ما كانت القبائل العربية تفقد ثقتها فى الموحدين تارة أخرى ، فهم يلجئون إلى بنى مرين ليحتموا بين ظهرانيهم من بطش الموحدين خاصة فى السنوات الأخيرة وفى عهد المرتضى الموحدى بالذات (١٩٧) لذلك ظهرت بين القبائل العربية روح من السلبية فى المقاومة مع الموحدين ضد بنى مرين وكثيرا ما انسحبت قوات هذه القبائل العربية من معارك كبرى خاضها الموحدون دون قتال ، وتسبب ذلك فى هزيمة الموحدين أمام بنى مرين (١٩٨) ، على أن الجدير بالذكر أن المرينيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية ، وإنما اعتمدوا على قوتهم الذاتية فى حرب الموحدين ، بينما على العكس من ذلك كان الموحدون يعتمدون على القبائل العربية كثيرا ، وكثيرا ما خذل هؤلاء العرب الموحدين ولم يخلصوا فى القتال معهم (١٩٩) .

ولد الأمير الجديد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) (٢٠٠) وقد وصفته بعض المصادر بأنه سيد بنى مرين على الإطلاق (٢٠١) ، وقد استحق يعقوب بن عبد الحق هذا التفوق ، بما تحقق له من شخصية قوية جذابة متمرسة ، جمعت فيها كثيرا من عناصر التفوق ، فقد كان ذا شكل مقبول لدى الجميع ، إذ هو معتدل الجسم ، أبيض اللون ، حسن الوجه والصورة ، تجلله لحيته البيضاء وسعة المنكبين ، بكثير من الجلالة والمهابة (٢٠٢) . وتدعم هذه الصفات الجسمية صفات نفسية لا تقل عنها أهمية فقد كان : « كريم اللقاء ، شديد الصفح مؤثر للفقر حليما شفيقا متواضعا لأهل العلم والدين كريما جوادا ذا حزم وعزم ودين متين » (٢٠٣) . كما كان يعقوب بن عبد الحق وافر الحظ من الصفات الروحية فكان « صواما قواما دائم الذكر ، كثير البر لا يزال فى أكثر نهاره ذاكرا وفى أكثر ليله قائما سبحته فى يده لا تزال ما دام فى أوقاته ، مكرما للصلحاء والمساكين ، متوضعا فى ذات الله تعالى لأهل الدين قاهرا للطغاة المفسدين متوقفا فى سفك الدماء » (٢٠٤) . وقد كان لهذه القيم والملكات الروحية ، التى تأصلت فى نفسه ، أثر كبير فى المناخ السياسى فى بلاد المغرب والأندلس ، إذ ما كادت أوضاع المرينيين تستقر فى بلاد المغرب حتى ركز هذا الأمير جهوده لخدمة الإسلام والمحافظة عليه من المحاولات التى كان يتعرض لها من جانب مسيحى إسبانيا . كما كان الأمير يعقوب رجلا من رجالات السياسة والإدارة والحرب حيث اكتسب فى هذه المجالات خبرات كثيرة فى أثناء الحكم فى إقليم تازة من قبل أخيه أبى بكر .

وقد تعرض المرينيون فى مطلع عهد أبى يعقوب سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م) إلى غزو من جانب بنى عبد الواد ، فقد ظن يغمراسن بن زيان أن وحدة الأراضى قد تمزقت بانفراد عمر بن أبى يحيى بمكناسة ويعقوب بن عبد الحق بمدينة فاس ، وأن هذه فرصة لضرب

المرينيين والقضاء عليهم (٢٠٥) ، فجمع يغمراسن جيشا كبيرا من قومه ، وضم إليه فى هذا الجيش قبائل بنى توجين ، وقبائل مغراوة (٢٠٦)

ووصلت أنباء هذه التجمعات إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، فخرج بجيش من بنى مرين ، والتقى بجموع يغمراسن عند بلدة (كلداماث) ، فهزم المرينيون بنى عبد الواد وانسحب يغمراسن ، يأكله الغيظ والحقد على بنى مرين ، حتى كان فى أثناء انسحابه ينسف ويحرق الأخضر واليابس نكاية من بنى مرين (٢٠٧) .

٢ - تأمين الجبهة الداخلية لبنى مرين :

قام الأمير يعقوب بن عبد الحق بعد ذلك بعدة خطوات كان الهدف منها تأمين الجبهة الداخلية لبنى مرين ، التى سيواجه بها . الموحدين ، خاصة وأن هذه الجبهة قد اعتراها بعض التصدع فى أعقاب وفاة الأمير أبى يحيى بن عبد الحق . وقد تمت أولى هذه الخطوات فى أول المحرم سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) عندما قتل عمر بن أبى يحيى عند ساقية عبولة قتله بنو عمه عمر بن عثمان وإبراهيم بن عثمان والعباس بن محمد بن عبد الحق فى دم وثأر كان بينهم . وبمقتل عمر هذا أعاد الأمير يعقوب مكناسة الزيتون إلى حظيرة النفوذ المرينى فى فاس ، وجددت له البيعة وبذلك توحدت الأراضى المرينية مرة أخرى تحت قيادة واحدة (٢٠٨) .

وكانت مدينة سلامنذ استعادها المرتضى الموحدى سنة (٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م) من أبى يحيى المرينى وهى تحت نفوذ الموحدين (٢٠٩) . وكان واليها المرينى يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق قد انطلق إلى بلاد تامسنا مقتربا بذلك من مدينة سلا سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) ويرى ابن خلدون وصاحب الذخيرة أن تحرك يعقوب بن عبد الله ، كان بسبب خلاف وقع بينه وبين عمه الأمير يعقوب بن عبد الحق (٢١٠) . قرر يعقوب بن عبد الله على أثر هذا الخلاف الرحيل إلى بلاد تامسنا ليستوطنها للرعى والصيد ، وفى بلدة عبولة نزل بدواره بها يراقب منها الأحوال فى مدينة سلا كى يستولى عليها . وكان والى سلا إذ ذاك من قبل الموحدين هو أبا عبد الله بن أبى يعلى الموحدى (٢١١) ، واستطاع يعقوب بن عبد الله التسلل إلى رباط الفتح وسلا واستقر فى قصبتها وأخرج عامل الموحدين ابن أبى يعلى منها ، وتملك زمام الأمور ، وجاهر بخلع طاعته لعمه يعقوب ، وبدأ فى الاتصال بتجار السلاح وأدوات الحرب والقتال من نصارى الاسبان ، الذين كثر ترددهم على مدينة سلا ، وقد انتهز هؤلاء النصارى من الأسبان فرصة انشغال المسلمين بيوم عيد فطرهم واستولوا على المدينة ، بينما ظل يعقوب بن عبد الله متحصنا برباط الفتح (٢١٢) .

ترامت هذه الأنباء إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق الذى كان بتازى يراقب منها أحوال يغمراسن بن زيان ، فبادر على الفور بتجميع جيوشه وتوجه من فوره إلى سلا فوصلها فى يوم وليلة . ثم تتابعت عليه الإمدادات من كل مكان (٢١٣) . وظل الأمير يعقوب بن عبد الحق يلاحق المدينة بالحرب أربع عشرة ليلة ، ثم اقتحمها عنوة ، وأثخن القتل فيمن بها من النصارى (٢١٤) . وبعد استيلائه على المدينة شرع فى ترميم سورها الغربى الذى تسلل منه نصارى الأسبان ، وقد اشترك بنفسه فى عمليات التحصين والبناء (٢١٥) . بينما فر يعقوب بن عبد الله إلى حصن علودان من جبال غمارة يطارده الأمير أبو مالك بن يعقوب بن عبد الحق ومعه القائد المرينى على بن زيان (٢١٦) . وظل يعقوب خارجا على السلطة المرينية حتى قتله طلحة بن على بساقية عبولة سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) (٢١٧) .

بعد أن أتم الأمير يعقوب بن عبد الحق تنظيم شئون سلا وأصلح ما تخرب منها ، قدم على ولايتها أحد رجاله وهو أبا عبد الله بن أحمد الفنزارى ، وخرج بقواته إلى تامسنا فأخضعها للحكم المرينى وبايعته جميع قبائلها ثم استولى على أنفى لبنى مرين (٢١٨) . وبذلك وصل النفوذ الفعلى لبنى مرين حتى وادى أم الربيع مما جعل فرائص المرتضى (الموحدى) ترتعد ، وبادر بإرسال هدية إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق ، ومع هذه الهدية رسالة من الصلحاء وسائر شيوخ الموحدين ، يطلبون الصلح والموادعة بينهم وبين بنى مرين ، فوافق الأمير يعقوب على الصلح وكانت أهم بنود هذا الصلح أن يكون الحد الفاصل بين بنى مرين والموحدين هو وادى أم الربيع (٢١٩) . وتعتبر هدية المرتضى والصلح كلاهما اعتراف صريح من الموحدين بالوجود المرينى كما أنهما يظهران مدى ما وصل إليه النفوذ المرينى من قوة حصرت الموحدين هناك خلف وادى أم الربيع .

وفى نفس الوقت التقى الأمير يعقوب بن عبد الحق بيغمراسن بن زيان عند (جوجرمان) وأسفر هذا اللقاء عن عقد صلح آخر بين بنى مرين ويغمراسن بن زيان أساسه المحافظة على السلم بين الطرفين ووضع أوزار الحرب بينهما (٢٢٠) . ومعاهدات التصالح هذه — التى تمت بين سائر القوى السياسية المتصارعة فى المغربين الأوسط والأقصى — أشبه ما تكون بتوزيع لمناطق النفوذ بين الأطراف المتصارعة .

وقد استغل الأمير يعقوب بن عبد الحق فرصة السلام فى علاج بعض المشكلات الداخلية فقد خرج عليه أبناء أخيه إدريس وثاروا عليه بقصر كتامة ، متبعين فى هذه الثورة رأى يعقوب بن عبد الله (٢٢١) . حاصرهم الأمير يعقوب فى جبال غمارة ، ولكنه لجأ إلى أسلوب فيه شىء من الحكمة وحسن التصرف ، حيث استرضاهم وعقد لعامر بن إدريس سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) على ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون عن ذلك . ووجههم

إلى القتال والحرب والجهاد فى الميدان الأندلسى ، فكانوا بذلك أول قوة مرينية عاملة فى الميدان الأندلسى (٢٢٢) . وبهذا وجه الأمير يعقوب طاقة هذه الجماعة الثائرة من البيت المرينى إلى حرب أعداء الإسلام هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أمن شرورهم وما قد يحدثه وجودهم فى بلاد المغرب على حال من الثورة من بلبلة للأفكار حول الدولة الجديدة الناشئة .

٣ - الاستيلاء على مراكش :

لم يدم الصلح الذى عقد بين المرينيين والموحدين زمنا طويلا ، حيث كان هدنة مؤقتة ، وسلاما زائفا ، فلم يكن يعقوب بن عبد الحق من جانبه ينوى التوقف عن مطاردة الموحدين والقضاء عليهم ، وكان المرتضى هو الآخر على درجة كبيرة من التشكك فى نوايا بنى مرين ، لذا فقد كان يتأهب لجولة جديدة من القتال مع المرينيين (٢٢٣) .

وكانت هذه الجولة فى سنة (٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) حسب رواية ابن أبى زرع وصاحب الذخيرة وفى سنة (٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) حسب رواية ابن خلدون (٢٢٤) . حيث التقت جيوش بنى مرين بجيوش الموحدين الضخمة التى حشدها المرتضى وتألفت من : « وجوه الموحدين وأشياخهم من سفيان والخلط والأثبج وبنى جابر والعاصم وقواد الروم والأغزاز والمصامدة » (٢٢٥) . وكان اللقاء عند بطن وادى أم الربيع فى منطقة تنحسر عنها مياه الوادى ، فتبدو وكأنها أرجل فسميت الموقعة بأم الرجلين ، ورغم أن الموحدين فاجأوا القوات فى هذا الموضع إلا أن الموحدين هزموا هزيمة شنيعة (٢٢٦) . جعلت قائد الموحدين يحيى بن عبد الله بن وانودين يعتذر للخليفة المرتضى ويذكر له أن سبب الهزيمة يرجع إلى تخاذل عرب بنى جابر وانسحابهم من المعركة (٢٢٧) . وكان لهذه الهزيمة وقع عظيم فى العاصمة الموحدية مراكش وخشى الناس أن يزحف المرينيون إليها فأغلقت بعض أبواب المدينة ، ولكن الهدوء ساد بعد ذلك ، عندما وردت الأخبار بانصراف بنى مرين إلى بلادهم (٢٢٨) .

ولم يمض وقت طويل حتى عبأ الأمير يعقوب بن عبد الحق جيشا ضخما سار به نحو العاصمة الموحدية مراكش ، ووصل فى تقدمه حتى جبل (إيكليز) (٢٢٩) . وأقام الأمير يعقوب بن عبد الحق بالجبل ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع « ركب فى جميع جيوشه المنصورة ثم أقبل حتى نزل على باب المدينة واصطفت جيوشه أمامها وبرز عليها فى أحسن تبريز فانحصر المرتضى بداخلها ، وغلق على نفسه أبوابها » (٢٣٠) . « وكانت جيوش الموحدين بقيادة أبى العلاء إدريس المعروف بين الموحدين (بأبى دبوس) تخرج لتقاتل المرينيين فى معارك ضارية استمرت قرابة الشهرين (٢٣١) ، ضاع فيها من خيرة

بنى مرين الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ، وكان المرينيون يطلقون عليه (العجوب) وذلك لمقدرتة وتفوقه فى فنون الحرب والقتال » (٢٣٢) . ويذكر ابن خلدون أيضا أن مقتل هذا المحارب المرينى أثر فى مجريات أحداث القتال : « ففت مهلكة فى عضدهم (بنى مرين) وارتحلوا عنها (مراكش) إلى أعمالهم » (٢٣٣) . وأكد سبب الانسحاب هذا أيضا صاحب الذخيرة السنية بقوله : « فارتحل ... (يعقوب بن عبد الحق) عن مراكش بسبب قتل ولده » (٢٣٤) . « وقد أرسل المرتضى رسالة يعزى فيها الأمير يعقوب بن عبد الحق ويلاطفه وضرب له اتاوة يبعث بها إليه فى كل عام فرضى (يعقوب بن عبد الحق) وارتحل » (٢٣٥) .

ولم تتوقف جهود بنى مرين ومحاولاتهم للاستيلاء على مراكش ففى سنة (٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م) تقدم يعقوب بن عبد الحق للاستيلاء على مراكش ، ووصل فى تقدمه إلى أحوازها ، وهناك بايعته أكثر القبائل المحيطة بالمدينة من العرب والمصامدة ، واكتفى أبو يوسف بذلك وعاد إلى فاس (٢٣٦) .

لم يكد أبو يوسف يصل إلى فاس ، حتى وصل إليها فى إثره أبو العلاء وإدريس ابن عبد الله بن أبى حفص بن الخليفة عبد المؤمن الموحدى الملقب بأبى دبوس (٢٣٧) — لأنه كان وهو فى بلاد الأندلس لا يفارقه الدبوس فاشتهر به . أحسن أبو يوسف استقباله ، وبالغ فى إكرامه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال له : « ولست بزائر ولكنى دخيل مستجير بك إننى فررت من القتل وقصدت حماك لتنصرنى وتعيننى على عدوى وعدوك » (٢٣٨) .

وترى معظم المصادر أن فرار أبى دبوس كان لخوف المرتضى من تطلعه إلى العرش الموحدى (٢٣٩) . بينما ترى بعض المصادر أن فراره كان بسبب علم المرتضى بأن مراسلات سرية تتداول بين بنى مرين وأبى دبوس (٢٤٠) . وفى كلتا الحالتين كانت نظرة المرتضى لأبى دبوس على أنه خائن ، هى التى دفعت هذا الأخير إلى الفرار إلى البلاط المرينى .

وجرت مشاورات مستفيضة بين أبى يوسف وأبى دبوس ، وتكشفت نواياه أبى دبوس حين قال لأبى يوسف : « تعطينى جيشا من بنى مرين وطبولا وبنودا وتعيننى بما أنفقه على ذلك فى طريقى وأنا أضمن لك فتح مراكش وأحوازها فإن أكثر من بها من الجيوش والقواد والأشياخ شيعة لى وإذا ملكتها يكون بيننا ملكها مشتركا نصفها لك ونصفها لى » (٢٤١) .

ووجد يعقوب بن عبد الحق فى هذا العرض أمرا مشجعا ، ونظر اليه على أنه حلقة من حلقات الصراع بينه وبين الموحدين ، ولعله بالموافقة على هذا العرض أراد أن يستفيد من هذا التصدع الذى طرأ على البيت الموحدى الحاكم فى مراكش إلى أقصى حد ممكن . لذلك فقد سعى يعقوب بن عبد الحق فى تهيئة كل عوامل النجاح لحملة قادها أبو دبوس لفتح مراكش ، فأصدر أبو يوسف يعقوب أوامره بإمداد أبى دبوس بخمسة آلاف من جنود بنى مرين (٢٤٢) ، وأعطاه أموالا كثيرة بلغت على حد تقدير ابن خلدون خمسة آلاف دينار عشرية (٢٤٣) . وأمده كذلك بكثير من آلات الحرب والقتال ؛ وأمر القبائل العربية الخاضعة للنفوذ المرينى بإعطائه عونا ضخما من الرجال والعتاد ، ومن هذه القبائل قبائل الخلط بزعامة ابن أبى على الخلطى وقبائل هسكورة وهزرجة (٢٤٤) . وقد تضخم هذا الجيش كثيرا بمن انضم إليه من الخارجين على المرتضى من العرب ، وللموحدين ، والجند ، والنصارى (٢٤٥) .

وكان المرتضى بمراكش غافلا عن تحركات أبى دبوس ، فكانت أسوار المدينة خالية من الحراس والحامية ، وقد أعطى ذلك لأبى دبوس فرصة عظيمة لاقتحام المدينة بسهولة ، وتمكن من دخولها من باب أغمات (٢٤٦) « فتسور (أبو دبوس) البلد من هنالك ودخلها على حين غفلة وقصد القصبة فدخلها من باب الطبول ، وفر المرتضى ومعه الوزير أبو زيد بن يعلو » (٢٤٧) إلى أزمور مستنجدا بصهره ابن عطوش والى أزمور وكان ذلك فى الثانى والعشرين من محرم سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) (٢٤٨) . ولكنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار فقد قبض عليه ابن عطوش ، واقتاده أسيرا إلى أبى دبوس ، الذى سارع بإرسال مولاه مزاحم ، فقتل المرتضى فى الطريق واحتز رأسه ، وتولى أبو دبوس خلافة الموحدين (٢٤٩) .

وصلت أنباء استيلاء أبى دبوس على مراكش إلى أبى يوسف يعقوب ، فبعث إليه رسولا يهنئه بالفتح ، ويطلب منه الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه فقال أبو دبوس لرسول أبى يوسف : « ما بينى وبينه عهد إلا السيف ارجع إليه ومره أن يبعث بيعته وأقره على ما بيده من البلاد فإن بادر بالبيعة وسارع إلى الخدمة خير له من الدنيا والآخرة وإن امتنع من ذلك غزوته بجنود لا قبل له بذلك وكتب له بذلك كتابا يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء إلى عمالهم » (٢٥٠) .

قرر أبو يوسف يعقوب على أثر وصول هذه الرسالة إليه مهاجمة أبى دبوس والقضاء عليه ، فحشد قوات ضخمة خرج بها إلى مراكش وأحكم حصار المدينة ، وأطلق سرايا الجيش المرينى فى جهات مراكش ونواحيها ، تحطم الزروع وتنسف الأقوات (٢٥١) .

ورأى أبو دبوس أن الأحداث تسير فى غير صالحه ، فأرسل إلى أبى يوسف الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن مخلوف المسكورى ومعه هدية سنية ، ويتعهد على لسان ذلك الشيخ بالوفاء لأبى يوسف بما سبق أن عاهده عليه ، فرضى بذلك أبو يوسف وعاد إلى فاس (٢٥٢) ، وقد أتاحت عودة أبى يوسف إلى فاس لأبى دبوس فرصة عظيمة يلتقط فيها أنفاسه ، فخرج من مراكش قاصدا السوس ، فقدم عليه عرب الخلط والمعقل فبايعوه ، وفى نفس الوقت وصلته بيعة يغمراسن بن زيان فى رسالة خاطب فيها أبا دبوس بقوله : « إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة فى حربهم » (٢٥٣) .

شعر أبو دبوس أنه فى موقف يستطيع معه مواجهة بنى مرين ونقض عهودهم ، فخرج أبو يوسف لحصاره مرة ثانية فى مراكش حتى ضاق الحصار بأبى دبوس ، وانتشرت المجاعة ببلاده وغلت الأسعار ، الأمر الذى جعله يستنجد بيغمراسن بن زيان أمير تلمسان ، وعلى الفور قام يغمراسن بشن غارات على أطراف المغرب وخاصة بلاد ملوية (٢٥٤) .

فلما وقف أبو يوسف على تطورات الأحداث هذه قرر إرجاء أمر العاصمة الموحدية ، ورفع الحصار عنها مؤقتا ، وعاد إلى فاس ، حيث أقام بها أياما استكمل فيه أهبته واستعداده لحرب يغمراسن ، وفى منتصف ربيع الأول سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) سار أبو يوسف إلى وادى ملوية متخذا طريق أجرسيف ، وكان اللقاء بوادى تلاغ (٢٥٥) . « وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وعبى كل منهم كتائبه وزحف مصافه وبرز النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريض » (٢٥٦) « ودارت المعركة طاحنة قتل فيها أبو حفص عمر أكبر أبناء يغمراسن وفر يغمراسن بعد أن لحقت به الهزيمة هو وقومه من بنى عبد الواد . وعاد أبو يوسف إلى فاس ليستأنف منها العمل للاستيلاء على مراكش » (٢٥٧) .

وفى شعبان سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م) خرج أبو يوسف يعقوب من فاس فى حشود ضخمة عبر بها وادى أم الربيع (٢٥٨) ، وكانت خطته فى هذه المرة تقوم على ضرب المؤيدين لأبى دبوس فى كل مكان وبكل قوة حتى يضعف من جهودهم فى مساعدة أبى دبوس ، وفى نفس الوقت تقوم القوات المرينية بتدمير كل عناصر الاقتصاد فى المنطقة ، لإضعاف مقاومة أبى دبوس ومن معه . فانتشرت سرايا الجيش المرينى فى كل مكان تحطم الزروع ، وتخرب الضياع ، وتسلب وتنهب كل ما يقع فى يدها . وقام بغزو شامل لعرب الخلط ، ووادى العبيد ، وبلاد صنهاجة (٢٥٩) . واستغرقت هذه العمليات الحربية ما تبقى من سنة (٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م) وشطرا من سنة (٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) (٢٦٠) وقد أتت هذه الخطة المحكمة بثمارها التى توقعها أبو يوسف حيث اجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند

أبى دبوس وقالوا له : « يا مولانا كم تقعد عن حرب بنى مرين وقد ترى ما نزل بنا فى حريمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا إليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فإنهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بنى عبد الواد ولم يزالوا يفتلون له فى الذروة والغارب حتى أجابهم إلى رأيهم » (٢٦١) .

استعد أبو دبوس للقاء أبى يوسف وخرج من مراكش فى جيوش ضخمة وجموع وافرة ، وتظاهر أبو يوسف بالفرار أمامه ، وكان هدفه من ذلك إبعاده عن مراكش حتى لا يعود أبو دبوس إلى التحصن بها إذا ما هزم أمام أبى يوسف ، وحتى يبعده أيضا عن أى إمدادات قد تصله من مراكش (٢٦٢) .

ظل أبو يوسف يتظاهر بالانسحاب وأبو دبوس فى إثره حتى إذا نزل أبو دبوس بوادى غفو كر عليه أبو يوسف فى هذا الوادى والتحم القتال بين الطرفين ، واشتدت الحرب ، وحاول أبو دبوس الفرار من المعركة إلى مراكش (٢٦٣) فأدركته الخيول وحطمته الرماح فخر صريعا وأخذ رأسه وجيء به إلى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الأحد ثانى محرم سنة ثمان وستين وستمائة (٢٦٤) .

وتشكل معركة وادى غفو هذه نقطة تحول بارزة فى تاريخ دولة بنى مرين إذ كانت هذه المعركة نهاية للدولة الموحدية وبداية لقيام دولة جديدة فتية هى الدولة المرينية . حيث لم تقم للموحدين قائمة بعد هذه المعركة .

تقدم أبو يوسف صوب العاصمة مراكش فدخلها بعد سبعة أيام من معركة وادى غفو فى يوم الأحد التاسع من محرم سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) (٢٦٥) وكان من بها من الموحدين قد فروا إلى تينملل حيث بايعوا هناك إسحق أخا المرتضى ولكنه كان شيخا هزيلا لا أثر له (٢٦٦) .

دخل أبو يوسف مراكش فى موكب فخم ، واستقبلته جماهير المدينة وعلى رأسهم فقهاؤها وصلحاؤها وقضاتها وعمالها وأشياخها ، وأعلنوا بيعتهم لأبى يوسف يعقوب (٢٦٧) ، وطلبوا منه الأمان فأمنهم (وتلقاهم بالبر والإكرام وأحسن إلى جميعهم بالخلع والأموال كل على قدر مرتبته) (٢٦٨) .

وبهذا الانتصار الضخم طوى الأمير يعقوب بن عبد الحق آخر صفحة من صفحات دولة الموحدين بالمغرب ، وبدأ يسطر بنفسه أولى الصفحات فى تاريخ الدولة المرينية الجديدة ، وجرت فى البلاط المرينى مراسم تتفق ومستلزمات الدولة الجديدة حيث تلقب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بلقب « أمير المسلمين » بعد أن كان يلقب قبل ذلك

بالأمير وصدرت الكتب والرسائل من البلاط المريني إلى القبائل وسائر بلاد المغرب تحمل هذا اللقب الجديد (٢٦٩) ، وكان ذلك إعلانا رسميا بقيام الدولة المرينية ، التى أصبحت تسيطر على سائر أنحاء المغرب الأقصى من وادى ملوية وجبال الأطلس الوسطى شرقا وحتى المحيط الأطلنطى غربا ، ومن رباط تازى وجبال غمارة شمالا حتى مراكش ووادى تنسيفت جنوبا (٢٧٠) ، وغدت هذه الدولة شامخة تقوم بدورها فى خدمة الإسلام وبناء الحضارة الإسلامية فى بلاد المغرب .

جهود أبي يوسف يعقوب لاستكمال تأسيس دولة بني مرين
(٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) - (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

أ - جهود أبي يوسف لاستكمال تأسيس الدولة فى الميدان المغربى :

قام أبو يوسف يعقوب - بعد إعلانه الدولة المرينية - بجهود سياسية ضخمة ، وكانت أهم أهداف هذه الجهود استكمال تأسيس الدولة الجديدة ، وتدعيم أركانها ، وإظهار سطوتها ، وقوتها. وسيطرتها الكاملة على كافة أقاليمها ومواطنيها. ومما ساعد المرينيين على نجاحهم فى بسط سلطانهم ، أن حركتهم كانت حركة سياسية محضة ، لم تتشح بثوب الدين كما فعل الموحدون من قبلهم [٢٧١] . فلم يتخذ المرينيون من الدين وسيله لإثارة مشاعر الجماهير وتوجيههم الوجهة التى يريدونها ، وإنما كان شعار المرينيين - الذى رفعوه ولاقى كثيرا من مظاهر التأييد - هو إقامة حكم سياسى يراعى مصلحة البلاد ، ويحافظ عليها من مخاطر الانحرافات ، ويبعث فى المواطنين الشعور بالأمن على أنفسهم وأموالهم .

وفى ضوء هذا الشعار الذى رفعه المرينيون سار أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق ، وتابع جهوده بنفس الدرجة من القوة والكثافة ، فقد كانت هناك أجزاء من الدولة الموحدية تقع تحت نفوذ بعض الثائرين مثل منطقة السوس وإقليم درعة ، فضلا عن ذلك كانت طنجة وسبتة منطقتين تقعان خارج السيطرة الموحدية ، وأصبح لها بعد سقوط دولة الموحدين أهمية «إستراتيجية » - إذا جاز استخدام هذا التعبير - بالنسبة لدولة جديدة ناهضة لها مشاريعها الخاصة بها فى تأمين نفسها ضد أى خطر خارجى ، وكان هناك أيضا يغمراسن بن زيان يراقب المرينيين ، ويبسط نفوذه بالفعل على أقليم سجلماسة ، وهذا الإقليم من الناحية السياسية كان تابعا قبل ذلك للنفوذ المرينى [٢٧٢] .

أرسل أبو يوسف يعقوب حملة كبيرة إلى بلاد السوس بقيادة ابنه الأمير أبى مالك عبد الواحد وتمكنت هذه الحملة من إخضاع ثوار السوس ومن فر إليهم من بقايا الموحدين [٢٧٣] . كما خضعت جميع قبائل المنطقة للنفوذ المرينى من ماسة - ثغر السوس الأقصى - إلى نول إلى البحر المحيط (الأطلنطى) [٢٧٤] .

وقام أبو يوسف بنفسه بغزو منطقة درعة ومن بها من طوائف العرب فى أول رمضان سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) وكان هؤلاء العرب « قد ثاروا ببلاد درعة

وأبادوا رجالها بالقتل وأموالها بالنهب وكثر أذاهم فى تلك النواحى »(٢٧٥) وكانت هذه التصرفات لا تتفق وتقاليد الدولة الجديدة التى ترى الأمن والاستقرار من أهم أهدافها .

اخترق أبو يوسف النطاقات الجبلية والأوعار لينزل إلى أرض درعة فى أقرب وقت ، فنزلها فى منتصف رمضان فقتل أبو يوسف من هؤلاء الثائرين من العرب خلقا كثيرا وسبى نساءهم وأموالهم بعد أن حاصرهم بمعقل من معاقل درعة أياما فنزلوا إليه بأمان ولده الأمير أبى مالك فعفا عنهم وأمضى أمان ولده لهم وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها ومعاقلها (٢٧٦) . وقام أبو يوسف بنقل هؤلاء العرب إلى مراكش ليكونوا تحت رقابة عمال الدولة هناك ، كما عين على المنطقة العمال اللازمين لها لتأكيد سلطان الدولة على هذه المنطقة وقد استغرقت عملية درعة هذه شهرين عاد بعدها أبو يوسف إلى مراكش (٢٧٧) . حيث عقد عليها وعلى أعمالها لمحمد بن على بن يحيى وهو من أكابر وزراء أبى يوسف وقرابته ، وأسند إليه أبو يوسف أيضا قيادة الجيوش ، وأصدر إليه أوامر مشددة بالقضاء على الموحدين ومحو آثارهم (٢٧٨) .

وغادر أبو يوسف مراكش متجها إلى رباط الفتح فدخلها فى آخر ذى القعدة سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م) (٢٧٩) . وغادرها إلى سلا ، وهناك فى سلا أصابه مرض جعله يتخذ إجراءات سريعة لتعيين ولى للعهد ، وجمع شيوخ مرين وأخذ عليهم العهد بولاية ولده أبى مالك عبد الواحد (٢٨٠) ، وهذه أول مرة تتم فيها مراسم تعيين ولى للعهد فى الدولة الجديدة .

ولم يدرك بعض شيوخ بنى مرين شديدى القرابة لأبى يوسف أهمية هذه الخطوة فى تأمين الدولة وتدعيم أركانها ، حيث رأوا أن هذه الخطوة جرت على غير المألوف من طبيعتهم القبلية ، وانتهى أمر هؤلاء المعترضين إلى الاعتصام بجبل علودان . وقد تولى أمر هؤلاء الثوار وقيادتهم محمد بن إدريس بن عبد الحق ، وموسى بن رحو بن عبد الله (٢٨١) . وكانت هذه الثورة تمثل خطرا كبيرا يهدد وحدة البيت المرينى لذا عزم أبو يوسف على مواجهتها بحزم شديد ، فأرسل إليهم جيشا من خمسة آلاف جندى بقيادة ولده يوسف بن يعقوب وقد حاصرهم هذا الجيش فى معقلهم ، وفى نفس الوقت خرج جيش آخر بقيادة أبى مالك عبد الواحد ومعه مسعود بن كانون شيخ قبائل سفيان ، وأخيرا خرج أبو يوسف بنفسه ومعه جيش ثالث ليحسم الموقف ، واستمر القتال ثلاثة أيام ، طلب الثائرون الأمان بعدها على أن يسمح لهم بمغادرة الأراضى المرينية إلى تلمسان ، فوافق أبو يوسف على ذلك ، فانتقل بعضهم إلى تلمسان وغادروها بعد ذلك إلى الأندلس (٢٨٢) .

ويذكر ابن خلدون ونقل عنه السلاوى ، أن أبا يوسف فكر جديا فى توجيه ضربة قاصمة لخصمه العنيد يغمراسن بن زيان – الذى يقف حجرة عثرة تهدد شرق الدولة المرينية دائما ، ويتربص بها الدوائر . ويرى ابن خلدون أن ذلك كان بدافع من الانتقام لأن أبا يوسف : « رأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره على غزوهم » (٢٨٣) ولكن صاحب الذخيرة السنية يضيف إلى ذلك سببا آخر ففى سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) أرسل ابن الأحمر صاحب غرناطة بالأندلس إلى أبى يوسف يستنصر به ويدعوه إلى العبور إلى الأندلس للقيام بدوره فى مساندة المسلمين هناك ضد النصارى (٢٨٤) . ولم يكن أبو يوسف ليستطيع أن يقوم بهذه الخطوة ويغمراسن بن زيان يقف مهددا شرق الدولة لذا بعث أبو يوسف إلى يغمراسن يشرح له حقيقة الأمر ويطلب عقد الصلح بينهما ، وأن يتعاونا معا فى إنقاذ الجبهة الإسلامية فى الأندلس (٢٨٥) . ولكن يغمراسن رفض هذا العرض بشدة : « وأقسم ألا يصالحه أبدا حتى يأخذ منه الثأر أو يموت دون ذلك » (٢٨٦) .

كان ذلك الرد العنيف يمثل فى رأى أبى يوسف قصورا من جانب يغمراسن ابن زيان عن فهم طبيعة الأحداث السياسية التى تمر بها المنطقة ، ومن ناحية أخرى يمثل تقصيرا فى خدمة الإسلام الذى يواجه موقفا حرجا فى بلاد الأندلس . لذا أعلن أبو يوسف التعبئة العامة فى أنحاء الدولة واستخدم فى عملية التعبئة هذه ولده أبا مالك ، حيث أرسله إلى مراكش ومعه عدد كبير من خاصة الوزراء للقيام بهذه المهمة (٢٨٧) . ونجح أبو يوسف فى حشد جيوش ضخمة . هزم بها يغمراسن بن زيان عند وادى إيسلى من بسائط وجدة سنة (٦٧٠ هـ ١٢٧١ م) (٢٨٨) . ثم تقدم بعد ذلك نحو تلمسان فحاصرها وكان يعاونه فى هذا الحصار قبائل توجين بقيادة زعيمها محمد بن عبد القوى التجينى – وكانت هذه القبائل قد جاءت لتحارب يغمراسن بن زيان حتى تأخذ منه بثأرها (٢٨٩) . وشدد المرينيون فى حصار المدينة « فقطعوا الثمار والجنات وخربوا الرباع وأفسدوا الزروع ، وأحرقوا القرا والضياع حتى لم يدعوا بتلك النواحى قوت يوم » (٢٩٠) .

وقرر أبو يوسف رفع الحصار عن المدينة ، ولكنه لم يفك حصاره للمدينة إلا بعد أن تحركت قبائل توجين إلى مواطنها ووصلت فى تحركها إلى ونشريس وبلغت مأمنها ، فقد كان أبو يوسف يخاف أن يتبعها يغمراسن بن زيان (٢٩١) . وقد أعطى أبو يوسف هذه القبائل كثيرا من غنائم هذه الحرب ، فأعطى محمد بن عبد القوى شيخ توجين « ألف ناقة من مال بنى عبد الوادى ومائة فرس من مراكبهم وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب » (٢٩٢) .

رفع أبو يوسف الحصار عن تلمسان وعاد إلى فاس سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) (٢٩٣) . بعد أن اتخذ بعض الخطوات الدفاعية بإعادة تحصين حصن تاونت وشحنه بالمؤن والأقوات ليقف مركزا متقدما لمراقبة يغمراسن بن زيان وتحركاته ، وكان قبل ذلك قد أمر بهدم مدينة وجدة وتحصيناتها حتى لا يحتمى بها يغمراسن مرة أخرى (٢٩٤) .

وبعد عودة أبى يوسف إلى فاس توفى ولى عهده الأمير أبو ملك ، فى صفر سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) ، – ورغم حزن أبى يوسف الشديد على أبى مالك فقد خرج من فاس فى آخر صفر من نفس السنة لمتابعة جهوده لتدعيم الدولة المرينية . وفى رباط الفتح أخذ البيعة على بنى مرين بولاية العهد لولده الأمير يوسف (٢٩٥) . ثم توجه بعد ذلك إلى مراكش ومنها قاد حملة كبيرة إلى بلاد السوس لضبطها ، وأرسل وزيره فتح الله ابن عمر السدراتى فى جيش من ثلاثة آلاف فارس إلى عرب المعقل ، فغزاهم ذلك الوزير وقتل منهم أعدادا كبيرة بتيرس (٢٩٦) . وكان لهذه الجولة التى قام بها أبو يوسف أثرها فى تهدئة الأحوال فى هذه المناطق حديثة الانضمام إلى الدولة الجديدة .

اتجهت أنظار أبى يوسف بعد ذلك إلى الاستيلاء على طنجة وسبتة ، لما لهما من أهمية كبرى ، فقد كانتا من أعظم عمالات الموحدين ، فهما ثغرا العدوة المغربية ، ومرفأ الأساطيل ، وبها دور صناعة السفن والآلات البحرية ، كما أنهما المعبران الرئسيان إلى بلاد الأندلس حيث ميادين الجهاد الواسعة التى كانت تنتظر المرينيين (٢٩٧) . وكانت طنجة إذ ذلك تقع ضمن مناطق نفوذ ابن العزفى حاكم سبتة (٢٩٨) .

وفى سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) تحرك أبو يوسف نحو طنجة وضرب عليها حصارا ضخما وظل يقاتلها صباحا ومساء طيلة ثلاثة أشهر حتى أوشك أن يرفع الحصار عنها (٢٩٩) ، وذات مساء يوم من أيام الحصار ، رأى المرينيون جماعة من الرماة فى برج من أبراج طنجة المحاصرة (وكان معهم شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجى فأشار إلى المحلة ورفع راية بيضاء شعارا فبادر إليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهزم أهل البلد وأخلوا الأسوار وركنوا للفرار – فدخلت المدينة عنوة على أهلها (٣٠٠) » ويذكر صاحب الذخيرة أن السبب فى مبادرة أهل المدينة إلى التسليم بسرعة يرجع إلى شروع أبى يوسف فى البناء عليها حيث بنى جزءا من البنية المنصورة فضاق أهلها لأجل ذلك » (٣٠١) وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين أبى يوسف إليها فى يوم الخميس أول ربيع الأول سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) (٣٠٢) .

وبعد أن انتهى أبو يوسف من تنظيم الأوضاع فى المدينة وأرسى فيها التقاليد والنظم المرعية فى الدولة الجديدة أرسل ولى عهده الأمير يوسف على رأس قوات كبيرة للاستيلاء على سبتة ، فحاصر الأمير يوسف المدينة حصارا شديدا وقطع عنها ما كان يأتيها من الإمدادات من الريف والبوادى (٣٠٣) . ونتيجة لهذا الحصار الشديد عقد الصلح بين الأمير يوسف وابن العزفى ، على أن يقوم ابن العزفى ، بدفع مبلغ من المال سنويا لخزانة الدولة المرينية (٣٠٤) . وذكر صاحب الذخيرة أن هذا المال كان فى صورة كميات من السلاح والثياب والأخبية ، وكان ذلك أيضا فى سنة (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) (٣٠٥) وأيما كان المدفوع أموالا أو سلاحا أو غير ذلك فقد كان فتح طنجة وسبتة تتويجا للانتصارات المرينية فى الميدان المغربى ، ونقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه الدولة ، إذ أصبح الطريق مفتوحا أمام للمرينيين ليعبروا فى سلام إلى بلاد الأندلس ليقوموا بدورهم فى خدمة الإسلام والمسلمين هناك .

لم يبق أمام المرينيين سوى سجلماسة وهى القاعدة الجنوبية لدولتهم والمفتاح الجنوبى للمغرب الأقصى ، وكان الاستيلاء عليها بالنسبة للمرينيين يعد أمرا حيويا ، خاصة وأن يغمراسن بن زيان يسيطر عليها هو وحلفاؤه من عرب المنبات ، وكان يبعث فى كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع عرب المنبات (٣٠٦) .

تقدم أبو يوسف نحو سجلماسة بحشوده الضخمة التى ضمت أعدادا كبيرا من زنانة والعرب والبربر وكافة جنده ، وحاصر المدينة ، ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات (٣٠٧) . واستخدم البارود فى هذا الحصار ، وهذه أول مرة تأتى فيها الإشارة إلى استخدام البارود فى الحروب فى بلاد المغرب ، فقد استخدم أبو يوسف « هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها » (٣٠٨) .

ظل المرينيون سنة كاملة يحاصرون المدينة حتى سقط جزء من سور المدينة تحت إلحاح ضربات المنجنيق ، فاقتحم المرينيون المدينة من خلال فتحة السور هذه فى صفر سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) (٣٠٩) . وبسقوط سجلماسة كمل للمرينيين السيادة التامة على أراضى المغرب الأقصى كلها يقول ابن خلدون « وكمل فتح بلاد المغرب للسلطان أبى يوسف وتمشت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تتحيز إلى غير فئته ولا أمل ينصرف إلى سواه (٣١٠) .

واتخذ أبو يوسف من فاس عاصمة للدولة المرينية الجديدة (٣١١) . ولكن بعد عودته من عبوره الأول إلى الأندلس رأى أن فاس القديمة لم تعد تتسع بهيئتها التى هى

عليها لجميع المرافق اللازمة للحكم ، ومن ناحية أخرى فقد تضخم عدد العسكريين كثيرا ، وكبر حجم الإدارات والمرافق الحكومية . لذلك فقد أمر أبو يوسف ، فى شوال سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) ببناء عاصمة جديدة سماها (فاس الجديدة) (٣١٢) وغلب على المدينة الطابع الإدارى والعسكرى إذ يقطنها السلطان وأسرته ، وأعيان الدولة ورجالاتها ، والموظفون والخدام والجند (٣١٣) . حيث أمر أمير المسلمين هذه الفئات بالبناء والاستقرار فى المدينة الجديدة « وأمر رحمه الله عماله ووزراءه ببناء الديار بها فبنى كل واحد منهم دارا » (٣١٤) .

وقد أطلق على هذه المدينة أيضا المدينة البيضاء (٣١٥) ، بينما ظلت فاس القديمة مركزا للتجارة والعلم ، وأتاح بناء هذه المدينة الجديدة لفاس القديمة أن تحافظ على سكانها القدامى المستقرين بها (٣١٦) .

واستكمالا لتأسيس الدولة الجديدة اتخذ أبو يوسف لنفسه الوزراء ، والحجاب والكتاب ، والقضاة . ومن أشهر وزرائه عيسى بن ماسى الفودودى ، وفتح الله ابن عمر السدراتى ، وقد تولى الحجابة فى عصره مولاه الخصى عتيق ، أما الكتاب فمنهم محمد بن الفقيه الكاتب ، ومحمد بن سعد الكلبى المعروف بالكتانى .. وتولى منصب القضاء فى عصره عدد من الشخصيات البارزة ، منهم محمد بن عمران العمرانى ، وأبو الحسن ابن أحمد اليفرنى ، وأبو جعفر أحمد المزغنى (٣١٧) .

جهود أبي يوسف لاستكمال تأسيس الدولة فى الميدان الأندلسى .

نظر المرنييون إلى الميدان الأندلسى على أنهم ورثة للموحدين ، لذلك فكروا – بعد إتمام استيلائهم على المغرب الأقصى – فى استئناف سياسة الجهاد ضد نصارى أسبانيا ، كما كان يفعل أسلافهم من المرابطين والموحدين . والمرينيون بهذه السياسة يتميزون عن معاصريهم من الحفصيين وبنى عبد الواد ، فالحفصيون وبنو عبد الواد ، لم تكن لديهم هذه السياسة للعمل والجهاد فى الميدان الأندلسى (٣١٨) .

وبدأ المرينيون عملهم فى الميدان الأندلسى فور عودة أبي يوسف من فتح سجلماسة ، فقد صادفت عودته وصول وفد من شيوخ الأندلس يحمل رسالة من السلطان محمد الفقيه سلطان غرناطة وتشرح هذه الرسالة تدهور أوضاع المسلمين فى بلاد الأندلس ، وتكالب العدو عليهم ، وتطلب النجدة والعون من بنى مرين (٣١٩) .

أحسن أبو يوسف استقبال الوفد وقرر تلبية نداء المسلمين والإسراع إلى نجدتهم ، ورأى أبو يوسف أن يبدأ جهاده فى الميدان الأندلسى بحملة استطلاعية ، جعل ابنه أبا زيان منديل قائدا عليها ، وتكونت هذه الحملة من خمسة آلاف مقاتل (٣٢٠) . وقد هيأ لها أبو يوسف كل عوامل النجاح حيث أشرف بنفسه على كافة الاستعدادات اللازمة لها فخرج من فاس فى شوال سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) قاصدا إلى طنجة ، ومن هناك أرسل إلى الفقيه أبي القاسم العزفى يأمره بتعمير الأساطيل لجهاد المشركين ، وإصلاح الأجفان وإعدادها لجواز المجاهدين (٣٢١) ، وتخير أبو يوسف جنود الحملة من أنجاد بنى مرين وفرسان العرب ، وهيأهم للقتال ، وأعطاهم رواتبهم ، ودفع إليهم رايته المنصورة ، وأوصى ولده بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية (٣٢٢) .

عبرت الحملة من قصر المجاز ونزلت بطريف من بلاد الأندلس ، وقامت بشن غاراتها على أرض النصارى حتى وصلت فى تقدمها إلى شريش ، ثم عاد أبو زيان إلى الجزيرة مثقلا بالغنائم والسبى من النصارى (٣٢٣) . وقد شجعت هذه النتائج الأولية لهذه الحملة أبا يوسف على العبور بنفسه إلى الميدان الأندلسى .

١ – العبور الأول :

قبل أن يعبر أبو يوسف إلى الأندلس بعث حفيده تاشفين بن أبي مالك إلى يغمراسن ابن زيان يطالبه بعقد الصلح حتى يعبر أبو يوسف إلى الأندلس وهو مطمئن إلى أن

يغمراسن بن زياد لن يقوم بالإغارة على حدود دولته ، فوافق على هذا العرض ، وتم الصلح بين الطرفين (٣٢٤) . وقد أثمرت هذه السياسة التى اتنهجها أبو يوسف إذ أحدثت جوا من الاستقرار والهدوء فى سائر بلاد المغرب ، ونقلت مجال العمل العسكرى للمرينيين إلى الميدان الأندلسى . وقد سعد أبو يوسف بهذا الصلح كثيرا حتى إنه تصدق بأموال كثيرة شكرا لله على وحدة كلمة المسلمين (٣٢٥) .

وأضاف أبو يوسف إلى هذه السياسة الحكيمة ألوانا أخرى من السياسة الناجحة ، إذ عمد هذا السياسى البارع إلى توجيه طاقات القبائل العربية – التى كانت من قبل فى أيام الموحدين تنتهج سياسة الإفساد فى البلاد ، وقطع الطرق ، ونسف الأخضر واليابس – إلى الجهاد المقدس دفاعا عن الإسلام والمسلمين فى الميدان الأندلسى . فقد حشد أبو يوسف قواته فى قصر المجاز ، وكان ضمن هذه القوات معظم هذه القبائل العربية من سفيان والخلط والعاصم وبنى جابر والأثبج وبنى حسان ورياح والشبانات (٣٢٦) . وكان أبو يوسف يجوز فى كل يوم قبيلة من هذه القبائل العربية ومن بنى مرين وطوائف من المتطوعين والبربر (٣٢٧) . وعبر أبو يوسف فى الحادى والعشرين من صفر سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) فنزل بساحل طريف (٣٢٨) . وكان أبو يوسف قد اشترط على السلطان محمد الفقيه (ابن الأحمر) حينما استنجد به أن يتنازل للمرينيين عن بعض الثغور والقواعد الساحلية ، لتنزل بها القوات المرينية ، فنزل له ابن الأحمر عن رنده وطريف والجزيرة الخضراء (٣٢٩) ، وكان والده الشيخ أبو عبد الله بن الأحمر قد أوصاه عند وفاته أن يستدعى أمير المسلمين أبا يوسف للجهاد ، ويعطيه ما يريده من البلاد (٣٣٠) .

اتجه أبو يوسف من طريف إلى الجزيرة الخضراء حيث عُقد هناك مجلس للحرب ضم أبا يوسف وابن الأحمر وابن أشقيلولة (٣٣١) . وعلى الرغم من أن صاحب الذخيرة السنية وابن أبى زرع يذكران أن أبا يوسف نجح فى إنهاء الخلاف الذى كان بين محمد الفقيه (ابن الأحمر) ، وبين ابن أشقيلولة (٣٣٢) . فإن ابن خلدون والسلاوى يذكران أن الخلاف بينهما ظل موجودا وأن ابن الأحمر غادر الجزيرة الخضراء غاضبا إلى غرناطة ، ويبدو أن رأى ابن خلدون والسلاوى هو الأقرب إلى الصحة لأن تصرفات ابن الأحمر واتصالاته المريبة بالنصارى – بعد الانتصارات الأولى التى أحرزها أبو يوسف – تشير إلى ذلك ، فقد عطر ابن الأحمر رأس القائد النصرانى ذنونة – دون نونيو دى لارا بالمسك وأرسله إلى بلاط قشتالة وهذا يحمل فى طياته عدم رضاه عن تصرفات أبى يوسف (٣٣٣) . وقد أكد ابن الخطيب ذلك إذ ذكر أن الاجتماع أفضى إلى وحشة كبيرة بين السلطان يعقوب وابن الأحمر (٣٣٤) .

لم يعبأ أبو يوسف بهذه الخلافات الشخصية ، وانطلق يؤدى مهمته فى تحرير الأراضى الإسلامية فنفذ بجيوشه الجرارة إلى الوادى الكبير قبل أن يشعر به العدو ، وكون مقدمة استطلاعية قوامها خمسة آلاف جندى جعل على قيادتها ولده الأمير يوسف ، وسار هو خلفه بالقوات الرئيسية ، وانتشرت الجيوش فى أرض الوادى الكبير تقتل وتأسر وتنسف الزروع وتخرب الضياع ، حتى وصلت هذه القوات إلى حصن المدور وبياسة وأبذة بالقرب من قرطبة ، واستولى على حصن بلمة بالقوة (٣٣٥) . « وامتلأت أيدى بنى مرين بالغنائم ، فأمر أمير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيل والدواب والعلوج والروميات والذرارى والثياب والعدد فتألف منها ما ملأ السهل والوعر ولا يحويه عدد ولا حصر (٣٣٦) .

اقترب أبو يوسف من استجه ، ووصلته الأخبار بتقدم النصارى نحوه بقيادة ذننه المعروف فى الروايات الأسبانية باسم (نونيو دى لارا) . وقدرت بعض الروايات جيشه بثلاثين ألف فارس ، وستين ألف راجل (٣٣٧) . واستطاع أبو يوسف أن يبدد هذا الجيش بين قتيل وأسير وفار فى يوم السبت الخامس عشر من شهر ربيع الأول سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) (٣٣٨) . وذكرت بعض الروايات أن عدد القتلى بلغ ثمانية عشر ألف قتيل (٣٣٩) ، بينما تذكر الأخرى أن القتلى كانوا ستة آلاف من النصارى وثلاثين من المسلمين (٣٤٠) . وقتل فى المعركة القائد النصرانى ذننه وقطعت رأسه وأرسلت إلى ابن الأحمر الذى عطرها بالمسك وأرسلها إلى بلاط قشتالة تقربا إليهم (٣٤١) . وقد أطلق بعض المؤرخين على هذه الموقعة (غزاة دونونة) للنصر الساحق الذى أحرزه المسلمون على هذا القائد النصرانى (٣٤٢) .

عاد أبو يوسف إلى الجزيرة الخضراء بعد هذه المعركة الناجحة حيث قسم الغنائم بين المحاربين وجعل خمسها لبيت المال (٣٤٣) . وبعد أيام خرج أبو يوسف بجيوشه مرة ثانية واتجه فى هذه المرة إلى إشبيلية ، ونزل بظاهرها عند موضع يعرف (بالماء المفروس) (٣٤٤) . ويبدو أن جولة أبى يوسف فى هذه المرة كانت للتعرف على مسارح العمليات الحربية فى الميدان الأندلسى ، ومن ناحية أخرى لاستعراض قوى المسلمين وإشاعة الرعب والفزع فى نفوس النصارى ، فقد وقف أبو يوسف أمام أبواب إشبيلية وطبوله تخفق وبنوده ترفرف ، والنصارى ينظرون إليه فى رعب من فوق الأسوار ، بينما باقى قواته تدمر المناطق المحيطة بإشبيلية وتخربها (٣٤٥) ، وأحدث أبو يوسف فى شريش ما أحدثه فى إشبيلية (٣٤٦) ، وعاد إلى الجزيرة الخضراء حيث أمر ببناء مدينة البنية لتكون معسكرا للقوات العابرة إلى الأندلس . ثم عبر هو إلى المغرب فى رجب سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م) (٣٤٧) .

وكان قد سبقته إلى المغرب أخبار انتصاراته العظيمة ، فقد كتب أمير المسلمين أبو يوسف إلى جميع بلاد المسلمين بالأندلس والمغرب يشرح تفاصيل حروبه وانتصاراته على النصارى ، وقرئت هذه الكتب على المنابر ، وأخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا الرقاب شكرا لله على النصر ، ونشرت رايات جيوش النصارى المنهزمة منكسة فى أعلى منار القرويين ، ومنارجا مع الكتبيين بمراكش (٣٤٨) .

وأسفر هذا العبور الأول عن تثبيت أقدام المرينيين فى ثلاثة قواعد رئيسية من قواعد بلاد الأندلس ، وهى رندة ، وطريف ، والجزيرة الخضراء ، وتأسيس قاعدة أخرى جديدة وهى البنية . كما أطاح هذا العبور بأحلام نصارى أسبانيا فى القضاء على ما تبقى للمسلمين من أراضى فى بلاد الأندلس إذ رأوا قوة جديدة تقتحم عليهم ميادين القتال ، كانوا يظنون أنهم متفوقون فيها على المسلمين لا محالة .

العبور الثانى :

فى آخر المحرم من سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) عبر أبو يوسف يعقوب إلى بلاد الأندلس للمرة الثانية (٣٤٩) . وترى بعض الروايات أن ذلك كان فى سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) (٣٥٠) . وجه أبو يوسف حملته هذه المرة مباشرة إلى إشبيلية (٣٥١) . وقد عاونه فيها أبو إسحاق بن أشقيلولة صاحب قمارش ، وأبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة ، وقد نجح أبو يوسف فى إيقاع الهزيمة بجيوش إشبيلية التى كان يقودها ابن أدفونش ملك النصارى ، وقد فرت بقايا هذا الجيش لتتحصن بالمدينة (٣٥٢) . ورأى أبو يوسف ألا يضيع وقتا فى حصار المدينة ، فعمد إلى القضاء على كافة الحصون المحيطة بها ، وتدمير كل مظاهر العمران من حول إشبيلية ليوهن قوى النصارى . ونالت شريش من أبى يوسف ضربات لا تقل شراسة عما تلقته إشبيلية (٣٥٣) .

ورأى أبو يوسف أن الخطوة القادمة لمهاجمة قرطبة تحتاج إلى تكاثف جهود سائر القوى الإسلامية فى بلاد الأندلس وبخاصة قوة غرناطة ، فراسل ابن الأحمر الذى استجاب لهذه الخطوة من جانب أبى يوسف والتقى به عند قرطبة (٣٥٤) وقامت الجيوش الإسلامية بمهاجمة قرطبة ، ولم تستطع الجيوش النصرانية الصمود أمام هذا التحالف القوى فتراجعت وتحصنت بالمدينة (٣٥٥) . وقد ظهرت نتائج تحالف القوى الإسلامية فى الميدان الأندلسى سريعة إذ أرسل ملك النصارى القشتالى وفدا من القساوسة والرهبان يطلب من أبى يوسف الصلح . ولكى يظهر أبو يوسف لابن الأحمر سلامة نواياه ، وأن أهداف عمله فى الميدان الأندلسى ليست إلا العمل من أجل حماية الإسلام والمسلمين قال :

« إنما أنا ضيف والضيف لا يصالح على رب المنزل » (٣٥٦) . وترك أبو يوسف لابن الأحمر عقد هذا الصلح مع نصارى قشتالة (٣٥٧) . والأكثر من ذلك أن أبا يوسف عند عودته إلى الجزيرة الخضراء مر فى طريقه بغرناطة وهناك تنازل لابن الأحمر عن جميع الغنائم التى أحرزتها جيوشه فى هذه الحملة (٣٥٨) .

ولكن هذه العلاقة الطيبة بين أبى يوسف وابن الأحمر سرعان ما تبددت بعد وفاة أبى محمد بن عبد الله بن إشقيلولة صاحب مالقة ، فقد وفد ولده محمد على أبى يوسف وهو بالجزيرة الخضراء وتنازل له عن مالقة والغربية ، وقد غضب لذلك ابن الأحمر ، لأن مالقة فى نظره عمالة من عمالات دولته (٣٥٩) . وعاد أبو يوسف إلى المغرب فى سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) (٣٦٠) . والحقيقة التى أظهرتها أحداث هذا العبور الثانى أن ابن الأحمر على الرغم من جدية أبى يوسف فى إظهار نواياه بالنسبة للوجود المرينى فى بلاد الأندلس - كان يتوجس خيفة من بنى مرين ، ويشك كثيرا فى مسلكهم . كما أظهرت هذه الأحداث أيضا عمل أبى يوسف إلى بنى أشقيلولة ، نظرا للمعاونة الجدية التى كان يلقاها منهم ، بينما كان ابن الأحمر يبدى تحفظا شديدا فيما يقوم به من عون لبنى مرين .

العبور الثالث :

كان لتنازل محمد بن أشقيلولة عن مالقة والغربية لأمير المسلمين أبى يوسف ، ردود فعل عنيفة لدى محمد بن الأحمر ، إذ قرر ابن الأحمر التحالف مع القشتاليين ضد أبى يوسف (٣٦١) . وهذا يعني أن القضية التى كانت تشغل ابن الأحمر ليست هى قضية الدفاع عن الإسلام ضد الزحف النصرانى لا بتلاع أملاك المسلمين فى أسبانيا ، وإنما خوفه على ملكه ، ورغبته فى الاستيلاء على ما فى يد بنى أشقيلولة من ممتلكات وهذا يعنى أن بعد النظر لم يكن متوافرا لدى ساسة غرناطة . وكانت هذه فرصة عظيمة كى ينقض ملك قشتالة الصلح بينه وبين أبى يوسف (٣٦٢) .

أرسل ملك قشتالة أساطيله إلى الجزيرة الخضراء ، حيث رست هناك بالزقاق ، لتقطع الطريق أمام أية إمدادات تنتقل من المغرب إلى الأندلس ، وفى نفس الوقت هاجمت هذه الأساطيل مسالح الجيش المرينى الرابض فى هذه المناطق (٣٦٣) .

ولم يكتف ابن الأحمر بذلك ، بل أغرى عامل أبى يوسف على مالقة « واتفق معه أن يتنازل لابن الأحمر عن مالقة فى مقابل أن يعطيه ابن الأحمر شلوبانية والمنكب (٣٦٤) . ووصل ابن الأحمر فى هذا الموقف العدائى من أبى يوسف إلى أبعد مدى . فراسل يغمراسن بن زيان وتبادل معه الهدايا ، واتفق الطرفان أن يقوم يغمراسن بمهاجمة حدود الدولة المرينية حتى يصرف أبا يوسف عن العبور إلى الأندلس (٣٦٥) . وقد حاول بعض

المؤرخين تعليل موقف ابن الأحمر من المرينيين على هذا النحو بأنه كان يخشى أن يقف منه المرينيون نفس الموقف الذى كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف . وقد سيطرت هذه المخاوف دائما على جو العلاقات بين بنى مرين وبنى الأحمر (٣٦٦) .

وقد عاصرت تلك الأحداث التى واجهها أبو يوسف المنصور فى الأندلس فتن ومؤمرات داخلية فى المغرب كثورة مسعود بن كانون ، أمير عرب سفيان ، كما كان أقليم السوس يعانى من بعض الخارجين على السلطة المرينية (٣٦٧) ، ولكن هذه الأحداث لم تصرف أبا يوسف عن سياسته فى الاهتمام بالوجود المرينى فى الميدان الأندلسى فأمر فى صفر سنة (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م) ولى عهده الأمير يوسف بقيادة حملة بحرية تألفت من أكثر من سبعين سفينة . وتمكنت هذه الحملة من تحطيم الأسطول القشتالى ودخول الجزيرة الخضراء بالقوة (٣٦٨) . ويذكر ابن خلدون أن أساطيل ابن الأحمر عاونت الأساطيل المرينية ، بعد أن رأى ابن الأحمر خطورة تحالفه مع القشتاليين ضد أبى يوسف (٣٦٩) .

وكان لهذه الانتصارات الجديدة للمرينيين فى الأندلس صداها فى بلاد المغرب ، إذ اتجه أبو يوسف بعدها إلى يغمراسن بن زيان – حليف ابن الأحمر والقشتاليين – فقاد أبو يوسف حملة تأديبية ضده وتمكنت هذه الحملة من هزيمة يغمراسن ولاحقته وقضت على مقاومته عند موضع يعرف بالملعب قرب تلمسان (٣٧٠) .

وباستقرار الأوضاع فى بلاد المغرب ، عادت شئون الميدان الأندلسى تستغرق اهتمام أبى يوسف ، وتشكل عنصرا هاما وبارزا فى سياسة بنى مرين ، وكانت مملكة غرناطة تلعب دورا كبيرا فى شئون أسبانيا النصرانية كلما اضطربت الأوضاع الداخلية فى البلاط النصرانى ، ولما سطع نجم الدولة المرينية فيما وراء البحر ، لجأ المتنازعون من أعضاء البيت النصرانى إلى مؤازرة غرناطة أو بنى مرين (٣٧١) . وهذا ما حدث فى سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) فقد وصل إلى مراكش وفد من قبل الملك الأسبانى هراندة « يطلب معاونته فى استرجاع عرشه الذى استولى عليه ولده شانجة (٣٧٢) .

عبر أبو يوسف المنصور إلى الجزيرة الخضراء فى ربيع الثانى سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وعند صخرة عباد التقى بهراندة (الفونسو العالم) (٣٧٣) . ورأى أبو يوسف فى معاونته ضد ولده شانجة (سانشو) فرصة لتعميق الخلاف داخل البيت الحاكم فى قشتالة وهى فرصة ثمينة لإضعاف الجبهة النصرانية ، يقول ابن خلدون « فاغتنم (أبو يوسف) الفرصة فى فساد بينهم لقضاء إربه من الجهاد » (٣٧٤) .

أمد أبو يوسف المنصور الفونسو العالم بمائة ألف دينار ، ليستعين بها على حرب ولده سانشو ، وفى مقابل ذلك رهن الفونسو تاجه لدى المنصور (٣٧٥) . ودخل أبو يوسف المنصور معه إلى دار الحرب ، التى شهدت معارك طاحنة حول قرطبة وطليطلة وحصن مجريط ، وعاد إلى الجزيرة مثقلا بالغنائم (٣٧٦) . وخرج من الجزيرة الخضراء سنة (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) لاسترجاع مالقة والحصون الغربية من ابن الأحمر ، وكادت أن تنشب بين المنصور وابن الأحمر فتنة مستطيرة ، لولا أن خشى ابن الأحمر العاقبة ، وتوسط لدى الأمير يوسف ولد المنصور لحل هذه الأزمة ، وصفا الجو بين الطرفين نتيجة لجهود الأمير يوسف بن يعقوب (٣٧٧) .

وقام أبو يوسف المنصور بجولة حربية أخرى فى دار الحرب شملت طليطلة وقرطبة ووصل فى جولته هذه حتى آبدة وبياسة وجبال البرت . وغص جيشه بالسبى والغنائم ثم عاد إلى المغرب بعد أن ولى أحد أحفاده وهو عيسى بن عبد الواحد (٣٧٨) .

العبور الرابع :

عبر أبو يوسف إلى الميدان الأندلسى للمرة الرابعة فى أول صفر سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٧٩) وتعتبر هذه الحملة من أقوى الحملات التى واجهها القشتاليون إذ بلغ عدد الجيوش من المتطوعين التى عبرت إلى الميدان الأندلسى خلال هذه الحملة ثلاثة جيوش عدا الجيش الرئيسى الذى عبر به أبو يوسف ، والجيش الذى أرسله محمد الفقيه ابن الأحمر لمعاونة أبى يوسف (٣٨٠) ، وقد بلغ أحد جيوش المتطوعين فى هذه الحملة ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من بربر المغـرب (٣٨١) . وقد سهل هذا العدد الضخم من المحاربين عملية ضرب النصارى فى وقت واحد وفى كل مكان (٣٨٢) . وبالإحصاء يظهر مدى عنف الضربات التى وجهها أبو يوسف لدولة قشتالة خلال هذه الحملة فقد بلغ عدد ما هوجم من المدن والحصون خلال فترة هذه الحملة التى عشرة مدينة ، وكان الجهد الحربى الرئيسى لهذه الحملة مركزا على مدينة إشبيلية ، باعتبارها عاصمة قشتالة ، ومقر البلاط القشتالى – ومدينةشريش باعتبارها قاعدة رئيسية لهذه الدولة – وتمثل فى نفس الوقت مصدر خطر مباشر على المسلمين فى بلاد الأندلس ، وقد ظلت شريش محاصرة طيلة فترة وجود أبى يوسف فى هذا العبور الرابع (٣٨٣) . أما إشبيلية فقد هاجمتها جيوش أبى يوسف خلال هذه المدة القصيرة أربع مرات ، حتى أصاب أهلها الفزع والهلع ، ووضع أبو يوسف بعد ذلك فرقة مكونة من مائتين من الجنود لمراقبة المدينة والتجسس عليها والتقاط أخبارها (٣٨٤) .

كما اشترك الأسطول المريني في هذه الحملة ، وكانت مهمته منع سفن الأسطول القشتالي من الاقتراب من ممر العبور بين المغرب والأندلس واستطاعت سفن الأسطول المريني التي كانت تتكون من ست وثلاثين سفينة من القيام بمهمتها على خير وجه (٣٨٥) .

وقد حال دون استمرار الحملات المغربية في بلاد الأندلس حلول فصل الشتاء ، وكان أبو يوسف المنصور يفضل ألا يخوض بجنوده الحرب في طقس غير مأمون العواقب ، ومن ناحية أخرى فإن الميرة والأقوات تشح في ذلك الوقت . لذلك اضطر أبو يوسف المنصور إلى فك الحصار عن شريش وعاد بجيوشه إلى الجزيرة الخضراء (٣٨٦) .

ويصور ابن خلدون ما ألحقته هذه الحملة بالعدو من أضرار بالغة بقوله : « فلا يخلو يوما عن تجهيز عسكر أو إغزاء جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط إشبيلية وليلة وقرمونة وأستجة وجبال الشرق وجميع بسائط الفرنتيرة (٣٨٧) .

ورأى سانشو أنه لا قبل له بحرب أبي يوسف المنصور فأرسل وفدا من القساوسة والرهبان وزعماء النصارى لطلب الصلح (٣٨٨) . وقد تردد هذا الوفد على الجزيرة الخضراء – مقر أبي يوسف – مرتين ، وأخيرا تم عقد الصلح على أساس شروط وضعها أبو يوسف وقبلها سانشو ملك قشتالة (٣٨٩) .وجاءت بنود هذا الصلح دليلا على السيادة الكاملة للمرينيين على الموقف في الميدان الأندلسي . وقد أجمل ابن أبي زرع بنود هذا الصلح فيما جاء على لسان الشيخ عبد الحق الترجمان – الذي أوفده أبو يوسف إلى سانشو حاملا شروط الصلح – حيث قال لسانشو : « يقول لك أمير المسلمين لا أسألك ولا أترك حربك وغزو بلادك إلا على شروط منها أن لا تتعرض بعد هذا لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجفن من أجفانهم ولا تصلهم بإذاية في بر ولا بحر ، كان ذاك من أهل طاعته أو غيرهم ، وتكون أنت لي بمنزلة الخديم فيما أمرك به وأنهاك عنه ، وأن يكون المسلمون يسيرون في بلادك لتجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لا يتعرض لهم بشر ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولاتدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولا تعقد مع أحد منهم محاربة » (٣٩٠) .
وقد حضر سانشو بنفسه لمقابلة أمير المسلمين أبي يوسف ، فاجتمع به في حصن عين الصخرة على مقربة من (وادى لك) وتم الصلح بينهما في العشرين من شعبان سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (٣٩١) .

واستكمالا لمظهر السيادة المرينية على ما بأيدى المرينيين من أراضي أندلسية أرسل أبو يوسف المنصور ولده الأمير أبا زيان بجيش ليقف به على الحدود : « بين بلاده وبلاد ابن

الأحمر وأمره أن لا يحدث فى بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها بأذاية ولامضرة » (٣٩٢) .

وما لبث أبو يوسف قليلا حتى مرض ووافته منيته وهو بقصره من مدينة البنية بالقرب من الجزيرة الخضراء فى العشرين من محرم سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٣٩٣) .ونقل جثمانه إلى رباط الفتح حيث دفن بمسجد شالة.(٣٩٤) .

ويعتبر أبو يوسف المنصور من أعظم ملوك المغرب فقد كان بشغفه وحرصه على الجهاد ، ووفرة جيوشه واستعداداته ، يعيد إلى الأذهان ذكرى أسلافه العظام من أمثال يوسف بن تاشفين ، وعبد المؤمن بن علي ، ويعقوب المنصور (٣٩٥) . وقد استطاع أبو يوسف من خلال هذه الجولات الأربع أن يوسع رقعة دار الحرب فى الميدان الأندلسى ، فوصل إلى أحواز طليطلة وقرطبة ، بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك إلى مجريط وهى قرية من آخر حيز وصل إليه الإسلام فى بلاد الأندلس كما قال عنها الحميرى فى صفة جزيرة الأندلس (٣٩٦) .

ومن التقاليد الحربية التى أرسى أبو يوسف المنصور قواعدها فى بلاد الأندلس ، ما عرف فى الخطط الغرناطية باسم « مشيخة الغزاة » وهى أثر عظيم من آثار التفاهم بين ابن الأحمر والمنصور ، حيث أفسح ابن الأحمر لقرابة السلطان من بنى مرين النازحين إلى الأندلس ، رياسة مشيخة الغزاة . ويحتل هذا المنصب على وجه الخصوص رئيس من بنى العلاء المرينيين ويسمى « شيخ الغزاة » . وقد تولى بنو العلاء هؤلاء قيادة الجيوش الأندلسية دهرا طويلا ، وكانت لهم جهود عظيمة فى الميدان الأندلسى (٣٩٧) .

هوامش الفصل الأول

(١) (ضبط ابن مرزوق الاسم (مَرين) : بفتح الميم وكسر الراء ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن ، مخطوط مصور بالميكروفيلم ، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ١٨٥ تاريخ ، ورقة ١٦) .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ط الأميرية ١٩١٥ م ، ج ٥ ص ١٩٤ (لم يكد المؤرخون يتفقون على تسلسل واحد لأجداد المرينيين ولعل مرجع هذا الاختلاف إلى أن البعض كان يذكر الاسم الحقيقى للجّد وبعضهم كان يذكر لقبه ألذى كان يلقب به بين البربر وقد اشتهر هذا الأمر خاصة بين زناتة فى البربر ، فعسكر وهو أحد أجداد بنى مرين كان له ثلاثة من الولد هم لكوم ، وأبو بكر وهذا الأخير لقب بين قومه من بنى مرين بالمخضب ، أما الثالث وهو على فقد لقب هو الآخر بالأعذر . انظر فى شأن هذا الاختلاف ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ت : محمد بن أبى شنب ، الجزائر ١٣٣٩ هـ ، ص ٩ ، ص ١٠ . ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، طبع حجر بفاس ١٣٠٣ هـ ص ١٩٩) .

(٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص : ٩ ، ١٠ .

(٤) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ت : ى :س علوش ، ط رباط الفتح ١٩٣٦ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، وانظر فى هذا الشأن ما ذكره مؤرخون آخرون ، ابن أبى زرع الأنيس المطرب ، ط حجر ١٣٠٣ هـ ، ص : ١٩٩ ، ابن أبى دينار المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد شمام ، ط ٣ المكتبة العتيقة بتونس ، ص : ١٤٥ .

(٥) ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، طبع حجر ١٣٠٣ هـ ، ص : ١٩٩ . (ذكر ابن حزم فى جمهرته أن زنات جد المرينيين ينحدر أصله من ولد كنعان بن حام بن نوح النبى ﷺ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ت : عبد السلام هارون ، ط ٣ دار المعارف ، ص : ٤٩٥) .

(٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص : ١٩٩ .

(٧) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ٦٣٧ تاريخ) ، ورقة ح ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، (على ابن إبراهيم ابن إسماعيل « هكذا فى الأصل ») .

(٨) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ح .

(٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

(١٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٣ (القيروان : وهى « فى بساط من الأرض مديد من الجوف منها بحر تونس وفى الشرق بحر سوسة والمهدية وفى القبلة بحر اسفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرق بينها وبينه مسيرة يوم ، البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ط مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٢٤) .

(١١) ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٤٦ ، (بلاد الزاب : وهى على طرف الصحراء بحذاء بلاد

الجريد ، وهى تماثل بلاد الجريد فى هوائها الحار ، وكثرة النخيل ، وبلاد الزاب مدن كثيرة وأقطار واسعة ، وعمائر متصلة متوفرة المياه والأنهار والعيون (مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد - الإسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ١٧١) .

(١٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب : ط حجر ، ص ٢٠٢ ، (مع خلاف فى اللفظ) .

(١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ١٢٨٤ هـ ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، سجلماسة : بنيت هذه المدينة سنة (١٤٠هـ) وهى مدينة سهلية أرضها سبخة وحولها أرباض كثيرة ، وهى فى أول الصحراء ولا فى غربها ولا فى جنوبها عمران ، (البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٣٨ .

مُلْوِية : وادى ملوية يقع بين تلمسان ورباط تازا ويصب فى البحر المتوسط (المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، ط أولى ١٩٤٩ ، ص ٣٦٤) .

(١٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٤ .

(١٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، (بلاد الجريد : سميت بلاد الجريد لكثرة النخيل بها ، وهى مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة ، وهى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء ، (مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد ، ص ١٥٠) ، تاهَرْت : بفتح الهاء ، وسكون الراء ، وتاء فوقها نقطتان : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحدهما تاهرت القديمة ، والأخرى تاهرت المحدثة ، بين تلمسان وقلعة بنى حماد (البغدادى : مراصد الأطلاع ، ت : على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ط أولى ١٩٥٤م ج ١ ، ص ٢٥١) ، تِلِمْسان : وكانت تلمسان دار مملكة زناتة ، وحواليها قبائل كثيرة من زناتة ، وتكتب بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة ، (ياقوت : معجم البلدان ، طبعة الخانجى ، ج ٢ ص : ٤٠٨) .

(١٦) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٥) .

(١٧) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائرى ، ط الجزائر ، ١٩٦٩ ، ص ١٩٦ ، الفرديل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ترجمة : عبد الرحمن بدوى ط بنغازى ١٩٦٩ ، ص ٣٠٨ .

(١٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦ ، ١٧ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم ٣٥٧ /٤ تاريخ) ورقة ١٦ ، (يذكر ابن الأحمر أن مقر حكمه فى بلاد الزاب كان فى جبل يقال له إيكجان ، ابن الأحمر : روضة النسرين مخطوط ورقة ٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ط ١٩٦٦ « العصر الإسلامى » ، ص ٨٦٨) .

(١٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحات (لم يرد فى المصدر الذى تحدث عن هذه اللعبة أو غيره من المصادر التى تمكنت من الاطلاع عليها تفاصيل عن هذه اللعبة) .

(٢١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ .

(٢٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ .

(٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق · المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ٤ .

(٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .

(٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط أولى ١٩٦٤ م ، ص ٣٣٥ .

(٢٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، مطبعة بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر ١٩٠٤ ، ج ١ ، ص ١٠١ ، (تينمال : ذكرها ياقوت (تينُ مَلّل) ، الميم مفتوحة واللام الأولى مشددة ، جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابرة ، بينها وبين مراكش نحو ثلاثة فراسخ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

(٢٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .

(٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٨ ، ١٩ ، (فحص حسون : ذكر ياقوت أن كلمة الفحص تطلق على كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا ، بشرط أن يزرع . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٣٣٩) .

(٣٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ .

(٣١) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ١٩ . مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ١٩ (يذكر ابن مرزوق أن أبا بكر هذا هو عم المخضب وهذا غير صحيح لأن حمامة والد أبى بكر هو عم المخضب ، كما أن ابن خلدون يرى أنه بعد مقتل المخضب قام بأمر بنى مرين ابن عمه حمامة وهذا غير صحيح أيضا لأن حمامة هو عم المخضب وقد تولى حمامة هذا أمر بنى مرين قبل أخيه عسكر وعسكر هذا هو والد المخضب ، انظر ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨) .

(٣٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ ، مجهول الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، الزركلى : الأعلام ، ط ٢ ، مطبعة كوستا توماس القاهرة ، ج ٨ ، ص ٦٧ .

(٣٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٣٣٦ .

Julien, Hist, de L'frique du Nord (DE LACONQUETE ARABE A 1830) P. 163.

(٣٤) ابن مرزوق :المسند الصحيح الحسن، مخطوط ، ورقة ١٨، مجهول الذخيرة السنية ،ص٢١ .

(٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٨ ، ص ٦٧ ، (يذكر صاحب الذخيرة السنية سنة ٥٩٢ هـ بدلا من سنة ٥٩١ هـ التى ذكرها ابن خلدون) .

(٣٦) السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ط مصر ١٣١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين مخطوط ، ورقة ٥ .

(٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، مجهول: الذخيرة السنية ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ط حجر ، ص ٢٠٢ ، الفرد بل: الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص : ٣٠٨ . (أجرْسيف : قرية عامرة على نهر ملوية بالقرب من مليلة ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٢) .

(٣٨) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ،

ط حجر ، ص ٢٠٢ ، عن موقعة العقاب انظر : Manual de historia de Espana, vol, I, P. 643-645 نقلاً عن التاريخ الأندلسي للدكتور عبد الرحمن الحجي ، ص ٤٩٠ .

(٣٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٢ .

(٤٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ت : اوثيثى ميراندا ، إبراهيم الكتانى ، محمد بن تاويت ، الجزء الرابع ، ط ١٩٥٦ ، تطوان ص ٢٤٧ .

(٤١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص ٢٠٢ ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٤٢) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٣٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٩٣ ، يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ج ٢ ، ط ١٩٤١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ ، فؤاد دياب : المغرب الأقصى بين الماضى والحاضر ، كتب سياسية ، رقم ١٤١ ، ص ٣٠ .

(٤٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص ٢٠٢ (مع خلاف فى اللفظ وذكرت بعض المراجع أن قتلى المسلمين بلغوا مائتى ألف قتيل ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٣١٤ ، ٣١٥) .

(٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، (خالف روجيه لوتورنو ما أجمع عليه معظم المؤرخين فذكر أن دخول بنى مرين إلى المغرب الأقصى كان فى سنة ٦١٢ هـ ، وقد نظم شاعر مرينى وهو محمد بن عبد العزيز الملزوزى شعرا يؤرخ به لدخول المرينيين إلى بلاد المغرب الأقصى يقول فيه :

فى عام عشرة وستمايـــة   أتوا إلى الغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسباسب   على ظهور الخيل والنجائب

روجيه لوتورنو . فاس فى عصر بنى مرين ، ترجمة : د. نقولا زيادة ، مؤسسة فرانكلين – بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٥ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٥) .

(٤٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤٦) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ت : أحمد رفعت البدراوى ، ط أولى ، دار المعرفة بيروت ١٩٧٠ م ، ج ٢ ، ص ٣١٧

GAUTIER, E.F., LE PASSE DE L'AFRIQUE DU NORD, P. 408 .

(٤٧) د. أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ج ١ ، دار المعارف ١٩٦٩ ، ص ٨٩ .

(٤٨) محمد الفاسى: التعريف بالمغرب ، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ١٩٦١ ، ص ٤٦ .

(٤٩) نفس المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ، السنة الأولى ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م ، ص ١٨ .

(٥٠) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٦ .

(٥١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(٥٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٢ ، ٣٣ ، محمد بن عبد السلام بن عبودة ، تاريخ المغرب ، ج ١ ، ط ثانية ١٩٥٧ ، دار الطباعة المغربية – تطوان ، ص ١٧٦ .

(٥٣) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ .

(٥٤) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ السلاوى : الاستقصا ، ج ٥ ، ص ٢٤ (ويذكر المؤرخون أنه كانت للأمير عبد الحق المرينى « بركات معروفة ودعاء مجاب وكانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها فى جميع أحياء زناتة تحمل إلى الحوامل التى صعب عليهن الوضع فيسهل عليهن الوضع وتهون عليهن الولادة ببركة بقية ماء وضوئه يحمله الناس تبركا .. ويستشفون لمرضهم ، وكان رضى الله عنه على ستة أهل الفضل والدين يسرد الصوم فلا يزال صايما فى شدة الحر قائما فى ليالى البرد ... كثير الذكر والتسبيح لايكاد يفتر عن الذكر على أية حالة ولا يأكل إلا الحلال المحض من طيب كسبه ولحوم إبله وغنمه وألبانها أو مما يجاتيه بيده من الصيد فكان فى قبائل مرين علما مشهورا وأميرا مطاعا » ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٥ ، ٦ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط حجر ، ص ٢٠٤ مع اختلاف فى اللفظ) .

(٥٥) أبو مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٨ .

(٥٦) نفس المصدر السابق ، ونفس الورقة .

(٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، وانظر أشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ج ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٥٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٦ .

(٥٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣ . مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٦ .

(٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٧ ، (بلاد بطوية : وهذه البلاد من بلاد الريف القريبة من ساحل البحر المتوسط) السلاوى : الاستقصا ، ط الدار البيضاء ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

حصن تاروطا : ذكره السلاوى (حصن تازوطا) ، ويقع هذا الحصن فى بلاد الريف من المغرب الأقصى (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦ ، ١٣) .

وادى نكور : ويقع هذا الوادى بين رباط تازا والمقربدة ، (المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦) .

(٦١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٦٩

(٦٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٦٨ .

(٦٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٢٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٦٩ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ، السنة الأولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ، ص ١٨ ، (ويذكر صاحب الذخيرة السنية أن الأمير عبد الحق المرينى طلب من عامل رباط تازى أن يقيم له الأسواق بخارج المدينة ليتجهز منها بنو مرين مما يحتاجون إليه من الثياب والجهاز والسلاح وغير ذلك ويرتحلون فرفض عامل الرباط ذلك واغتاظ واستشاط وجمع من كان عنده من الموحدين والعرب والتقى بهم بالأمير عبد الحق فهزم عامل الرباط ، وأمر الأمير عبد الحق بتوزيع ما أحرزه الجنود من غنائم عليهم وتعفف هو وبنوه عن أخذ شيء منها ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣١ ، ٣٢) .

(٦٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٢ ، محمد الفاسى : مجلة البينة ، نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ص ١٨ .

(٦٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩ .

(٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩ ، ٢٠ .

(٦٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ .

(٦٩) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٥١ (هاذا) هكذا فى الأصل .

(٧٠) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٥ ، مراجع عقيلة الغناى : سقوط دولة الموحدين الطبعة الأولى ١٩٧٥ م ، منشورات جامعة بنغازى ، ص ٢٦٨ ، (وجه الموحدون تهمة الكفر إلى كل من بقى على طاعة المرابطين انطلاقا من أن المرابطين لا يؤولون الآيات القرآنية التى تتصل بذات الله تعالى ، ويقفون عند ظاهر الآيات ، وأمام قوة الموحدين اضطر المغاربة إلى الخضوع لهم والدخول فى طاعتهم ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يحقدون على الموحدين لفرضهم هذه الأفكار الدينية عليهم وأخذ هذا الحقد ينمو فى نفوس المغاربة ، حتى إذا ما بدأت بوادر الضعف فى الظهور على الموحدين ، أظهرت الرعية ما بنفسها من أحقاد وساهمت فى حركة إسقاطهم والقضاء عليهم . د. عبد الله على علام : الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على ، دار المعارف ١٩٦٨ ، ص ٦٢ ، محمد ولد دادة : مفهوم الملك فى المغرب ، ط أولى ١٩٧٧ ، دار الكتاب المصرى ص ١٣٧ ، ١٣٨) .

(٧١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مع خلاف فى اللفظ .

(٧٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٨ ، مع خلاف فى اللفظ .

(٧٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٧٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٥ ، وانظر السلاوى : الاستقصا ج ٢ ، ص ٥ ، مع اختلاف فى اللفظ .

(٧٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٨٨ ، ط الرباط ١٩٧٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٥ .

(٧٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٧٧) نفس المصدر السابق ، ونفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٧٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ .

(٧٩) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٣٦ ، د. السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير ص ٨٦٩ .

(٨٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٠ ،

مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ .

(٨١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ ، (مكلاتة : وهؤلاء كانوا يسكنون موضعا يعرف بالمزى بينه وبين فاس ثلاث مراحل ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٣٧) .

(٨٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٧ .

(٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، أحمد النائب الأنصارى : المنهل العذب ، مكتبة الفرجانى طرابلس الغرب ، ص ١٤٤ .

(٨٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٠ .

(٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ١٩٥ ، (وترى بعض المصادر الأخرى أن اغتيال الأمير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق كان فى سنة (٦٢٨ هـ) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٢١ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص ١٤٥ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٣٧ ، وابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٣٧ ص ٢٨٩ ، وانفرد ابن مرزوق بالقول بأنه قتل فى سنة (٦٣٦ هـ) ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠) .

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١١ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص ٤١٢ .

(٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٥ .

(٨٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٢ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٩ وقد نظم أحد شعراء المرينيين أرجوزة تحدث فيها عن الأمير محمد بن عبد الحق قال فيها :

ثم تولّى بعده (أبو سعيد محمدُ) وكان فى أمـــــوره مُسَدّدُ
وكان لا يفتر عن قتـــالْ مواظبـــاً للحـــرب والنـــزال
كم عسكر لاقى وكم حشود ومن جموع جمّة الجنـــود
وكل جيش جاء من مراكش أفنـــاه بالحروب والتنـــاوش
نهاره وليلـــــه طعـــــان لكنـــه مؤيـــد معـــان

المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٣ .

(٩٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٧١ .

(٩١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٣ .

(٩٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (وأجناد الروم هؤلاء هم بقايا الأسرى الذين عاشوا فى المغرب الأقصى وقد أسروا فى المعارك التى خاضها المرابطون والموحدون فى الأندلس ، وقد استخدمهم ولاة الأمر فى المغرب الأقصى للخدمة وبصفة خاصة فى الجيش للاستفادة من خبرتهم العسكرية . د. حسن على

حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦٤) .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٩٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة (-قصر عبد الكريم : مدينة على ساحل بحر المغرب قرب سبْتة مقابل الجزيرة الخضراء من الأندلس ، البغدادى : مراصد الأطلاع ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩) .

(٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٩٨) المصدر السابق ، ص ٦٤ (كُرث : بالضم ثم السكون وثاء مثلثة ، مدينة فى أقصى المغرب قرب بلد السودان وربما قيلت بالتاء المثناة ، البغدادى : مراصد الأطلاع ، ج ٣ ص ١١٥٤) .

(٩٩) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

Abdallah Laroui, L'histoire du maghreb, P. 204 .

(١٠٠) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

(١٠١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ .

(١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٠٣) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٠ .

(١٠٤) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ ، (والغز : جنس من الترك مواطنهم فى أقصى المشرق على تخوم الصين ، استعان بهم المرابطون فى جيوشهم ، وزاد عددهم كثيرا فى عهد المنصور الموحدى ، وقد طعم الموحدون جيوشهم بهذه الدماء الجديدة للاستفادة من دربتهم وخبراتهم العسكرية ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٢٨٨ ، د. حسن على حسن : الجيش المغربى فى دولة الموحدين ، حوليات دار العلوم ، العدد الخامس ١٩٧٥ ، ص ٥٣ ، ٥٤) .

(١٠٥) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٦٦ .

(١٠٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٠ .

(١٠٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ .

(١٠٨) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٢٠ ، ٢٣ ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ، طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٩ هـ ، ص ١٠١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩١ ، (.ومما قيل من الشعر فى أبى بكر بن عبد الحق :

فاق ملوك الأرض فى الزعامة ... وبالوفاء والصدق والكرامة
يستوهب الدُّعا من العُبَّاد ... ويكرم العلماء الزّهاد
ويسرد الصوم على الدوام ... مبتهلا للواحد العلام

مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨) .

(١٠٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، د. إحسان عباس : تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى القرن التاسع الهجرى ، ج ١ ، ط أولى ١٩٦٧ م ، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازى ، ص ١٩٤ ، د. أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(١١٠) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، ج ٢ ، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ ، ص ١٩٠ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٥ ، ٨٧٦ .

(١١١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٥ – ٤٢٨ .

(١١٣) حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ط رابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ ، ص ١٠٠ .

(١١٤) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ت : محمد الشاذلى ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨ ، ص ١١٩ (رباط بازى) ذكرت هكذا فى النص وهى رباط تازى) .

(١١٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠١ .

(١١٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩١ .

(١١٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٧٢ ، مجهول : الذخيرةالسنية ، ص ٢٦٨ ، السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ٦ ، (مِكْنَاسَةُ : بكسر أوله وسكون ثانية ونون وبعد الألف سين مهملة ، مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على البر الأعظم بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ١٣٣) .

(١١٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، (يذكر ابن خلدون أن تراجع يغمرا سن بن زيان وبنى عسكر كان لإحتسابهما بالعجز عن لقاء أبى يحيى ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧١) .

(١٢١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠١ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ .

(١٢٢) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ص ٤٤٦ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين القسم الثانى ، ص ٥٢٤ ، (ونص هذه البيعة أورده ابن عذارى ص : ٤٤٦ – ٤٥١) .

(١٢٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٦ .

(١٢٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ .

(١٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٢ (شيئا فشيئا هكذا فى الأصل) .

(١٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٤ .

(١٢٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٦ ، ص ٧٧ ،

ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ، ص ١٧٢ . (يذكر ابن أبى زرع أن الأمير أبا يحيى استقر فى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٢) .

(١٢٨) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ج ٧ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(١٢٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٥ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١١٣ ، (ويذكر ابن عذارى أن هذه الحصة من الجند كانت من بنى عسكر ، انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧) .

(١٣٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٣ (مع خلاف فى اللفظ) .

(١٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٨ ، ص ٣ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤/٠٤٦٥ .

(١٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، التنس : نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان ، مخطوط ، دار الكتب رقم (٨٦٦١ ج) ص ٤٥ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس القسم الثانى ص ٥٢٦ ، ٥٢٧ .

(١٣٣) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٣٦ ، المقرى : نفح الطيب ، د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ، (يذكر يحيى بن خلدون : أن الذى قتل السعيد الموحدى هو يوسف بن خزرون المدلولى ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، ج ١ ، ص ١١٤ ، التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ص ٤٥) .

(١٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ت : محمد ماضور ، ط ٢ ، المكتبة العتيقة بتونس ، ص ٣١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٣ ، (سبق التعريف بهذه العناصر من الروم الفرنج والأعزاز ، انظر هامش ٩٢ ، ١٠٤ من هذا الفصل) .

(١٣٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٥٣١ .

(١٣٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .

(١٣٨) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٣٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(١٤٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ١٧٣ .

(١٤١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ . السلاوى : الاستقصا ، ص ٧ج ٢ ، ص ٢ ، (وادى أم الربيع : نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس ويصب فى المحيط الأطلسى عند أزمور ، ابن أبى زرع : الأنيس

المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، هامش ص ٣٠٢) .

(١٤٢) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، (يرى ابن عذارى أن دخول المدينة كان فى الثامن عشر لربيع الآخر سنة « ٦٤٦ هـ » ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .

(١٤٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٥٣٢ .

(١٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ .

(١٤٥) المصدر السابق ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ٢١ ، (يذكر ابن عذارى أن اسم عامل أبى يحيى هو (المسعود بن خربش الحشمى) ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ .

(١٤٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨١ ، ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق جـ ٧ ، ص ١٧٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، (كان زنار هذا قائد المائتين من جند الروم عند فتح فاس وقد أبقاهم أبو يحيى على حالهم عند استيلائه على فاس ولكنهم كانوا يضمرون فى نفوسهم الولاء للموحدين ، المصدر السابق نفس الصفحات) .

(١٤٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٧٥ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(١٤٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٢ .

(١٤٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٣ .

(١٥٠) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(١٥١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(١٥٢) المصدر السابق ، ص ٨٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(١٥٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ .

(١٥٤) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٣ ، عبد الرحمن الجيلانى (تاريخ الجزائر العام ، ط ثانية ١٩٦٥ ، دار مكتبة الحياة – بيروت ، ص ٧٧) .

(١٥٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة (يذكر السلاوى أن عودة أبى يحيى إلى فاس لإحكام الحصار حولها كانت فى جمادى الأخرة سنة « ٦٤٨هـ » وهذا التاريخ هو تاريخ دخوله قصبة فاس بعد القضاء على الثورة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٨ .

(١٥٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن . مخطوط ، ورقة ٢١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٣ .

(١٥٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ .

(١٥٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، (بلغت التعويضات التى طلبها أبو يحيى من أهل فاس ثلاثمائة ألف دينار عشرية ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٤) .

(١٥٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٢٩٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٤ (مع خلاف فى اللفظ) .

(١٦٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ ، (وهؤلاء الستة الذين أعدموا هم : القاضى أبو عبد الرحمن المغيلى وولده والمشرف ابن جشار وولده وابن أبى طاهر وأخوه ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٧٥) .

(١٦١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٤ .

(١٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ .

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ص ٥٤٠ ، ٥٤١ ، (سَلا : اسمها بالعجمى شلّة وهى مدينة قديمة أزلية تقع على ضفة وادى الرمان الذى يصب فى المحيط وهى تجاور رباط الفتح بينها وبين مراكش تسع مراحل ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ت : د. سعد زغلول عبد الحميد ص ١٤٠ ، عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد العريان ، ط أولى مطبعة الاستقامة ص ٣٥٩ ، رباط الفتح : بناها المصامدة على ساحل البحر المحيط وبينها وبين سلا وادى الرمان ، المصدر السابق . نفس الصفحة) .

(١٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٨٧ .

(١٦٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٧ .

(١٦٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩١ ، (يذكر ابن عذارى اسم الموقعة « أمن ملولفين » انظر ص ٤٨٩) .

(١٦٧) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٤١ .

(١٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٣ ، ص ٩ .

(١٧٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ٧ /١٧٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوطة ، ورقة ٢١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ .

(١٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٣ ، ص ١٧٦ .

(١٧٢) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ .

(١٧٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٩ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٥٤٤ .

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٥٤٥ .

(١٧٥) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٥٧ ، (سِجِلْمَاسة : مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء لا يعرف من قبليها ولا غربيها عمران بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة قليلة الماء (مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وقارن البكري . المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٣٨) .

دَرْعَة : « وإنما تعرف درعة بواديها فإنه نهر كبير يجرى من المشرق إلى المغرب ومنبعه من جبل درن وعليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام وفيها أسواقا حفيلة كثيرة » ، مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص ١٨٧) .

(١٧٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ١٧٦ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٩ .

(١٧٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤١٦ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٦ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ت : د. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، القسم الثالث ، ص ١٥١ .

(١٧٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٦ .

(١٧٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٨٩ (يذكر مؤلف الذخيرة أن اسمه يوسف بن يرجاسن) .

(١٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .

(١٨١) المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(١٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٤ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ٢٢ (ويذكر ابن مرزوق أنهما التقيا ببابستا حسونت) .

(١٨٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٢ .

(١٨٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(١٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٠ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٩٦ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٦ .

(١٨٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، (ويروى ابن الوردي تاريخا سابقا لهذا التاريخ بكثير فيقول أن أبا يحيى تولى سنة « ٦٥٣ هـ » ، ابن الوردي : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٧) .

(١٨٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٢ ، الكتاني : سلوة الأنفاس ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٤ ،

(ويحدد صاحب الذخيرة هؤلاء العامة بأنهم الحشم والأجناد وجماعة من بنى مرين ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٦) .

(١٨٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٢ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(١٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .

(١٩٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٦ .

(١٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٦ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ .

(١٩٤) محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٤٧ ، ٥٥٢ .

Abdallah Laroui, opcit, P. 204.

(١٩٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .

(١٩٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ .

(١٩٧) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(١٩٨) المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٨ ، انظر ص ٢٤٠ .

(١٩٩) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، ص ٢٥٩ .

(٢٠٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣ (وترى بعض الروايات أن مولده كان فى سنة ٦٠٩ هـ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤) .

(٢٠١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢٠٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ .

(٢٠٣) المصدر السابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٨ ، (يذكر مؤلف الذخيرة السنية ، أن والدة يعقوب بن عبد الحق هى أم اليمن بنت مَحْلى البطوئى الزناتى كانت من عقلاء النساء رأت فى منامها وهى بكر كأنّ القمر خرج من قبلها فعلى وصعد حتى استوى فى السماء وأشرق نوره على الأرض فقصت رؤياها على والدها فصار إلى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقص عليه رؤياها فقال له : إن صدقت رؤيا هذه الجارية فإنها تلد ملكا عظيما مباركا فاضلا يعم المسلمين خيره وتشملهم بركته فكان كذلك ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٣) .

(٢٠٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٤ .

(٢٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢٠٦) المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٧ .

(٢٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، (ويذكر صاحب الذخيرة « جلداسان » بدلا من « كلداسان » التى ذكرها ابن خلدون ، مجهول : الذخيرة السنية ص ٩٧) .

(٢٠٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٠ .

(٢٠٩) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٢ (يقول مؤلف الذخيرة : « سار يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق عن عمه أمير المسلمين منافرا إلى بلاد تامسنا » ويقول ابن خلدون : « ولما بويع يعقوب بن عبد الحق أسفته بعض الأحوال فذهب مغاضبا حتى نزل عبولة » المصدرين السابقين ، نفس الصفحات) .

(٢١١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٢ .

(٢١٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، (ويذكر عنان أن يعقوب بن عبد الله كتب إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة يرجوه أن يبعث إليه بمائتين من المرتزقة النصارى لمعاونته على مقاتلة أعدائه ، فأرسل الفونسو حملة بحرية صغيرة ، استقرت فى مياه سلا ، واعتقد أهل المدينة أنهم قدموا للمتاجرة معهم ، بينما اعتقد يعقوب أنهم الجند الذين طلب إلى ملك قشتالة إرسالهم لمساعدته وجمع القشتاليون سفنهم تدريجيا فى مياه سلا ، ثم فاجأوا أهلها بالهجوم واستولوا على المدينة ، عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٥٤٨ ، ٥٤٩) .

(٢١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، المخطوط ، ورقة ٢٣ .

(٢١٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ (الذى أورد الخبر باختصار شديد) ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ .

(٢١٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص ٨٧٠ .

(٢١٦) السلاوى : الاستقصاء ج ٢ ، ص ١١ .

(٢١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .

(٢١٨) المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

(٢١٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .

(٢٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٢٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٨ . (كان أبناء إدريس يرون أنهم أحق بأمر بنى مرين من عمهم يعقوب . لأن أباهم إدريس هو أكبر أبناء عبد الحق ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢) .

(٢٢٢) المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ ، الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٣ ، شكيب أرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، ط أولى ١٣٥٥هـ ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ (ويذكر صاحب الذخيرة أن هذه القوات عبرت سنة « ٦٦٢هـ » إلى الأندلس ، وتمثل هذه القوات أول نشاط حربى للمرينيين فى الميدان الأندلسى ، وقد فكر المرينيون فى إرسالها على إثر قصيدة لمالك بن المرحل شاعر الأندلس يستنهض فيها أهل المغرب لإنقاذ مسلمى الأندلس من نصارى أسبانيا ، وكان هذا الشاعر الأندلسى يشغل منصب الكتابة للأمير مالك بن يعقوب بن عبد الحق ويقول فى مطلع هذه القصيدة التى تبلغ واحدا وخمسين بيتا :

استنصر الدين بكم فاستقدموا	فإنكم إن تسلموه يسلم
لا تسلموا الإسلام يا إخواننا	وأسرجوا النصرة وألجموا

مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢٢٣) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٥٢ .

(٢٢٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ج ١ الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

(٢٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٥ .

(٢٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢٢٧) ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٥٣ .

(٢٢٨) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، د. مراجع عقيلة الغناى : سقوط دولة الموحدين ، ص ٢٧٤ .

(٢٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ (ويذكر اسم الجبل جبل « جليز ») .

(٢٣٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٧ ، (وقد أرخ أحد الشعراء المرينيين واسمه عبد العزيز لهذه الأحداث بقوله :

فى عام ستمائة وستين	سار لمراكش سلطان مرين
فوقف المنصور فى يجليز	مبرزا فى أحسن التبريز
وعاد فيها المرتضى محصورا	ذا أرّف فى قصره مقصورا
ودارت الأعراب بالأسوار	واعتمدوا فيها على الحصار

المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .

(٢٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢٣٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٧ .

(٢٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط (مؤسسة الأعلمى) بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

(٢٣٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٣ .

(٢٣٧) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤١ ، (صحب أبا دبوس ابن عمه السيد أبو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى ، ج ٦ ، ص ٢٦٠) .

(٢٣٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ (مع خلاف فى اللفظ) ، (يذكر ابن خلدون والسلاوى أن قدوم أبى دبوس كان فى

سنة ٦٦١ بينما يرى صاحب الذخيرة وابن أبي زرع أن قدومه كان في أعقاب حملة سنة ٦٦٣هـ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ص ١٢) .

(٢٣٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، العبر ، ج ٦ (طبعة مؤسسة الأعلمى) ، ص ٢٦٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢٤٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ .

(٢٤١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، (مع خلاف في اللفظ) .

(٢٤٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ٧ / ١٧٩ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤ ، (يذكر صاحب الذخيرة السنية أن أبا يوسف يعقوب أمد أبا دبوس بألف فقط من المحاربين ، وهذا يخالف ما ذكره ابن خلدون وابن أبي زرع من أنهم خمسة آلاف وقد يكون ذلك الرقم هو عدد من خرج من المرينيين مضافا إليه من خرج معهم من جند القبائل الخاضعة للنفوذ المريني وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٤) .

(٢٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٦٠ .

(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ط أولى ، دار السلمى - الدار البيضاء ، سنة ١٩٦٥ ، ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢٤٦) ابن خلدون ، العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .
(يذكر ابن حوقل أنه على يسار الطريق المتجه من فاس إلى سجلماسة يقع إقليم أغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة ولعل هذا الباب كان من اتجاه هذا الإقليم ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠)

(٢٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ .

(٢٤٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٥ .

(٢٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت (مؤسسة الأعلمى) ، ج ٦ ، ص ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد شمام ، ص ١٢٩ ، مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤١ ، إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٤ . (الذى يذكر أن اقتحام مراكش كان في سنة ٦٦٦هـ وهو بذلك يخالف ما أجمعت عليه المصادر السابقة) .

(٢٥٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٦ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ت : محمد شمام ، ص ١٢٩ مع خلاف في اللفظ (يذكر عبد الواحد المراكشي أن أبا دبوس سلم للمرينيين مدينة مراكش ثمنا لمعونتهم وهو بذلك يخالف ما رواه المؤرخون من أن المرينيين لم يحصلوا من أبي دبوس على شيء من وعوده لهم ، عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ت : محمد سعيد العريان ، ص ٣٣٦) .

(٢٥١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٧ ، ص ١٢ .

(٢٥٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٦ .

(٢٥٣) المصدر السابق ، ص ١٢٧ . (انفرد صاحب الذخيرة عن غيره من المؤرخين بذكر هذه التفاصيل) .

(٢٥٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢٥٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٥ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٦٧ .

(٢٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(٢٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ .

(٢٥٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢٦٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، (يذكر ابن أبى دينار أن خروج أبى يوسف لهذه الحملة كان فى سنة ٦٦٧هـ) خلافا لما ذكره ابن خلدون وابن أبى زرع والسلاوى ، ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ١٢٩) .

(٢٦١) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٦ .

(٢٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢٦٣) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

(٢٦٤) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، مع خلاف فى اللفظ (خالف ابن أبى دينار وابن القنفذ ما أجمع عليه معظم المؤرخين حول تاريخ مقتل أبى دبوس وسقوط دولة الموحدين فابن القنفذ يرى مقتل أبى دبوس فى سنة « ٦٦٦ هـ » وسقوط عاصمة الموحدين مراكش فى سنة « ٦٦٧هـ » أما ابن أبى دينار فيجعل مقتل أبى دبوس فى آخر ذى الحجة سنة « ٦٦٧هـ » ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٢٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، وانظر أيضا ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣)

(٢٦٥) المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ ، المقرى : نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ ، Roland Oliver and J. D. Fage, Ashort History of Africa, P.86. .

(٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ (بقى إسحق الموحدى فى تينملل حتى قبض عليه وجماعة من الموحدين سنة « ٦٧٤هـ » سيقوا جميعا إلى مراكش حيث أعدموا ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٢٦٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٢٦٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ .

(٢٦٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، Roland Oliver, Op. Cit, P.86, Toynbee, A., Op. Cit, P.336.

(٢٧٠) عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٧٠ .

(٢٧١) د. حكمة على الأوس : الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين ، مكتبة الخانجى ١٩٧٥ ، ص ٢٣ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ١٧ .

(٢٧٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ .

(٢٧٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٤ .

(٢٧٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (تُوْل : آخره لام وأوله مضموم وثانيه ساكن ، مدينة فى جنوبى بلاد المغرب ، وهى حاضرة لَمْطَة فيها قبائل من البربر ، ياقوت : معجم البلدان ، ط الخانجى ، ج ٨ ، ص ٣٢٨) .

(٢٧٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٨ .

(٢٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ .

(٢٧٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(٢٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .

(٢٧٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ .

(٢٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ .

(٢٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٣ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٢٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٢٨٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط ١٩٦٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٥١ ، (ابن الأحمر الذى راسل أبو يوسف هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الأنصارى يكنى أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله ، انظر ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ت : محمد عبد الله عنان ، ط ١٩٧٤ ، المجلد الثانى ، ص ٩٢) .

(٢٨٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .

(٢٨٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٣ .

(٢٨٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٢٨٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢١ ، ٢٢ ، (ولقد منى بنو عبد الواحد بخسائر فادحة فى هذه الموقعة فقتل فيها فارس ولد يغمراسن بن زيان ، كما قتل من بنى عبد الوادى وبنى راشد خلق كثير ، وقتل أيضا جميع من كان بمحلته من الروم ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٠) .

(٢٨٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ .

(٢٩٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة (القرا ، هكذا فى الأصل) .

(٢٩١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٩٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٧ ، ص ٣١١ (مئة هكذا فى الأصل) .

(٢٩٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٢٩٤) المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(٢٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٤ .

(٢٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٩٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٥ .

(٢٩٨) المصدر السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢٩٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٥ ، ص ١٧ .

(٣٠٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ ، ٣١٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٦ مع خلاف فى اللفظ .

(٣٠١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٦ .

(٣٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ .

(٣٠٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٧ .

(٣٠٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٣٠٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٣٠٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٨ .

(٣٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٠٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، انظر عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، ط أولى ١٩٥٨ ، القسم الثانى ، ص ٣٦ .

(٣٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث ، ص ١٥٢ ، يحيى بن

خلدون : بغية الرواد ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٥ ، ٢٦٣ .

(٣١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٨٩ .

(٣١١) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٤ .

(٣١٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٣١٣) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٢٢ ، انظر خريطة الدولة فى الملاحق .

(٣١٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٨ .

(٣١٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٣١٦) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٢٦ .

(٣١٧) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ .

(٣١٨) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣١٦ .

(٣١٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٩ . (نص الرسالة موجود بملحق رقم ١) .

(٣٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٤ ، المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، (وأبو زيان منديل هذا ولد أبى يوسف وليس حفيده كما أشار إلى ذلك عنان ، انظر ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، عنان : نهاية الأندلس ، ط ٣ ، هامش ص ٩٩) .

(٣٢١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ .

(٣٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٦٤ .

(٣٢٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٩ ،

طَريف : اسم بلد جزيرة طريف ، على البحر الشامي فى أول المجاز المسمى بالزقاق ، وهى مدينة صغيرة عليها سور تراب ومن جزيرة طريف إلى الخضراء ثمانية عشر ميلا ، (الحميرى صفة جزيرة الأندلس : ت ألافى بروفنصال) لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٣٧ ، ص ١٢٧) .

شَريش : من كور شذونة بالأندلس ، وهى على مقربة من البحر ، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روطة على شاطىء البحر بينهما ستة أميال ، (المصدر السابق) ص ١٠٢ .

الجزيرة : بالأندلس وهى الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم وهى على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به ، وهى منيعة حصينة سورها حجارة ، ومرسى الجزيرة مشتى مأمون وهو أيسر المراس للجواز ، وأقربها من بر العدوة ويحاذيه مرسى مدينة سبتة ويقطع البحر بينهما فى ثلاث مجار ، (المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ٧٤) .

(٣٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٢٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣١٤ .

(٣٢٦) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٦ . (يذكر ابن خلدون أن أبا يوسف عبر إلى الأندلس من فرضة طنجة) ابن خلدون ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٢٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ١٦٦ .

(٣٢٨) المصدر السابق ، ص ١٦٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ ، (ويرى ابن القنفذ أن عبور أبي يوسف إلى الأندلس كان فى سنة « ٦٧٥هـ » ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٣٤) .

(٣٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، (رُنْدَة : مدينة قديمة ، وهى على نهر ينسب إليها يصب فى نهر لَكُّه ، الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ص ٧٩) .

(٣٣٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٧٣ ، ص ٣١٣ .

(٣٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٣٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٧ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٥ ، كان أبو محمد بن أشقيلولة وأخوه أبو إسحق بن أشقيلولة من أصهار ابن الأحمر وكانا يستوليان على مالقة ووادى آش وقمارش ووقع بينهما وبين ابن الأحمر خلاف فخرجا عن طاعته ، وقد سبق أبو محمد ابن أشقيلولة ابن الأحمر إلى لقاء أبي يوسف وأخلص إليه النصيحة وبر مقدمه ولعل ذلك لم يعجب ابن الأحمر أو أنه صدرت من ابن أشقيلولة جفوة بمحضر السلطان يعقوب أدت إلى عودة ابن الأحمر غاضبا كما يقول السلاوى ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

(٣٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ .

(٣٣٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط ثانية ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ .

(٣٣٥) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٧ ، ص ٣١٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٢ ، ص ١٩٣ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، (المُدَوَّر : حصن بالقرب من مدينة قُرْنُجُولُش ، الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٤٣) .

بَيَّاسة : بينها وبين جيان عشرون ميلا وبياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، (المصدر السابق ، ص ٥٧) .

أُبَّدَة : بينها وبين بياسة سبعة أميال وهى مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير ، (المصدر السابق ، ص ١١) ،

قُرْطُبَة : قاعدة الأندلس وأم مدائنها ، وهى فى ذاتها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور حاجز ، وهى فى سفح جبل يطل عليها يسمى جبل العروس ، (المصدر السابق ، ص ١٥٣) ،

بلمة : ذكر الحميرى أن اسمه حصن بَلْمَالَة ، (المصدر السابق ، ص ١٠٧) ،

إسْتِجَّة : بين القبلة والغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة ، (المصدر السابق ، ص ١٤) .

(٣٣٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٥ .

(٣٣٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٠ . محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ١٩٦٩ ، لجنة البيان العربى ، ص ٢٨ . وانظر ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ /٥٦٥ .

(٣٣٨) المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ١ /٥٦٥ ، محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ١٩٦٩ ، لجنة البيان العربى ، ص ٢٨ .

(٣٣٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٣ .

(٣٤٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ .

(٣٤١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٦ ، مجهول : الذخيرة السنية ص ١٧٤ .

(٣٤٢) المصدر السابق ، ص ١٧١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .

(٣٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٩٣ ، (وقد رصد ابن خلدون الغنائم التى غنمها المسلمون فى ذلك الوقت بمائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبى ، وسبعة آلاف وثمانمائة وثلاثين من الأسرى ، ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فاتسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا أن الشاة بيعت فى الجزيرة بدرهم ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٠) .

(٣٤٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، (إشبيلية : مدينة جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام ومن الأميال ثمانون وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة ، وهى على النهر الكبير وهو فى غربيها ، الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٨) .

(٣٤٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٢١ .

(٣٤٦) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ١٩٣ .

(٣٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٤ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، (البنية : وتقع فى خارج الجزيرة الخضراء ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٩) .

(٣٤٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٨ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٥٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط ثانية ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٢ .

(٣٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ .

Julien, Op. Cit, P. 172.

(٣٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .

(٣٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة (من الحصون التى استولى عليها أبو يوسف حصن قطيانة ، وجلياتة ، والقليعة) .

(٣٥٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٤٥ .

(٣٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .

(٣٥٦) السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٧ .

(٣٥٨) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٥٩) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٣٦٠) المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، الزركلى : الأعلام ، ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ .

(٣٦٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٦٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٣٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠١ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٢ .

(٣٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٣٦٦) المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

(٣٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .

(٣٦٨) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣ . (ذكر السلاوى أن الأسطول تألف من اثنتين وسبعين سفينة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٣٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ . (بلغ عدد السفن التى أرسلها ابن الأحمر اثنتى عشرة سفينة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٥) .

(٣٧٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ٢٠٤ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٣٧١) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٣ .

(٣٧٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، (ذكر عنان أن هذا الإمبراطور هو الفونسو العالم وأن ولده هو سانشو ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضا ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ، ابن الأحمر : سلطان غرناطة ، ص ٢٩) .

(٣٧٣) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، المقرى : أزهار الرياض فى أخبار عياض ، ت : مصطفى السقا وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ ، ص ٦١ ، المقرى : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ١٢٠ .

(٣٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٣٧٥) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٦١ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٣٧٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، (طُلَيْطُلَة : وهى مركز لجميع بلاد الأندلس بينها وبين كل من قرطبة وبلنسية والمرية تسع مراحل ، (الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٣٠) ،

مجريط : بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن وهى قرية من قنطرة ماقلة آخر حيز للإسلام فى بلاد الأندلس ، وهى بمقربة من طليطلة ، (المصدر السابق ، ص ١٧٩) .

(٣٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ .

(٣٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٥ .

(٣٧٩) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٧ .

(٣٨٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .

(٣٨١) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ، ١٩٧٣ ، ص ٣٥٠ .

(٣٨٢) المصدر السابق ، ص ٣٤١ ، (وقد رصد ابن أبى زرع تفاصيل دقيقة عن أحداث سير هذه العمليات العسكرية فى صورة يوميات حربية ، انظر المصدر السابق ، ص ٣٤١ – ص ٣٧٤) .

(٣٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، (يرى صاحب الحلل الموشية أن شريش حوصرت مدة أربعة أشهر فقط ويرى السلاوى أن مدة الحصار كانت ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠) .

(٣٨٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٨ .

(٣٨٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٨٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٣٨٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٢٠٨ ، (لَبْلَة : ليست كما ذكرها ابن خلدون ليله ، وهى مدينة فى غرب الأندلس بينها وبين إشبيلية أربعون ميلا ، (الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٨ .

قَرْمُونَة : مدينة بالأندلس فى شرق إشبيلية ، بينها وبين استجة خمسة واربعون ميلا ، (المصدر السابق ، ص ١٥٨) .

(٣٨٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣٨٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣٩٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٥٩ .

(٣٩١) المصدر السابق ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، انظر مقال ارنولد توينبى فى La Rousse Encylopedia ot Ancient and Medieval History.

(٣٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ ، (أن لا هكذا فى الأصل) .

(٣٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، ص ٥٦٣ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٤٢ ،

مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩٧ (ويذكر ابن الأحمر أن وفاته كانت فى الثالث والعشرين من محرم سنة ٦٨٥هـ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ٧) .

(٣٩٤) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٧ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، (ويذكر صاحب الحلل أن الجثمان نقل إلى سلا ولم يذكر شيئا عن التفاصيل غير ذلك ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٣٩٥) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٨ .

(٣٩٦) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٥ ، (بين مجريط وقنطرة ماقدة وهو آخر حيز الإسلام إحدى وثلاثون ميلا) .

(٣٩٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ج ٧ ، ص ٣٦٦ وما بعدها ، المقرى : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

الفصل الثانى

توطيد دولة بنى مرين
(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٧٣١هـ/ ١٣٣١ م)

توطيد دولة بنى مرين واتساعها

أولا : توطيد دولة بنى مرين :

(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٧٣١ هـ /١٣٣١ م) .

(أ) توطيد دولة بنى مرين فى عهد السلطان أبى يعقوب يوسف ابن يعقوب .

(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - (٧٠٨هـ / ١٣٠٨ م) .

شخصية أبى يعقوب يوسف بن يعقوب :

كنيته أبو يعقوب ويلقب بالناصر لدين الله (١) ، وينتمى إلى ذلك الطراز القوى من سلاطين بنى مرين ، وقد استمد ذلك السلطان عناصر قوته من مصادر مختلفة منها بناؤه الجسدى فقد كان « أبيض اللون ضخم الجسم رحب الوجه معتلى الأنف معتدل القامة عظيم البطن والخلق كث اللحية كثير شعر الحاجبين (٢) » كما كان تركيبه المعنوى يمثل عنصرا هاما من عناصر قوته إذ كان جريئا شجاعا صارما عادلا (٣) . وأمدته ملازمته لوالده السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق - بخبرات واسعة فى مجالات السياسة والإدارة وفنون الحرب والقتال ، فقد شاركه فى جهوده لبناء الدولة المرينية ، فكان ساعده الأيمن سواء فى الميدان المغربى أو فى الميدان الأندلسى ، فهو شخصية صقلتها الخبرة وغنتها الأحداث ، حتى إذا جاء دورها انطلقت تساهم بدورها فى صنع الأحداث على نحو هو أحسن ما يقبل منها ، ويصف ابن أبى زرع هذه الشخصية القوية فيقول : إنه كان « مهيبا لايكاد أحد يبتدئه بالكلام من مهابته ، ذا أناة وسياسة فإذا عزم بطش ، وإذا أخذ أفنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا فى سلطانه ، إذا أعطا أغنا ، وإذا صال أفنا ، شفيقا بالضعفاء ، متفقدا لأحوال رعيته وبلاده ، غليظ الحجاب ، لايكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد (٤) » .

جهود أبى يعقوب لإقرار الأوضاع فى بلاد المغرب والأندلس :

كان أبو يعقوب غائبا فى بلاد المغرب عند وفاة والده أبى يوسف بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس فأخذ له الوزراء وأشياخ بنى مرين البيعة باعتباره وليا للعهد ، ثم جددت له البيعة مرة ثانية عند حضوره إلى الجزيرة الخضراء فى أول صفر سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٥) . ولم يغادر أبو يعقوب بلاد الأندلس حتى عمل من جانبه على خلق حالة من الاستقرار السياسى فى هذه المنطقة حتى يتفرغ لتنظيم الأوضاع الداخلية فى

دولته التى كانت فى حاجة إلى كثير من الإصلاحات الداخلية .

أرسل أبو يعقوب إلى محمد الفقيه ابن الأحمر وحدد معه موعدا للقائه ، وقد تم هذا اللقاء عند مربالة فى أول ربيع الأول سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حيث تمت المصالحة بينهما على أن يحتفظ المرينيون بنفوذهم فى مناطق محددة من بلاد الأندلس وهذه المناطق هى الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادى آش وأحوازها . أما ما عدا ذلك فيتركه المرينيون لابن الأحمر (٦) . وفى الثامن من ربيع الآخر (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حضر وفد من قبل سانشو ملك قشتالة لتجديد المعاهدة – التى سبق أن عقدت بين سانشو وبين أبى يوسف – مع سلطان بنى مرين الجديد (٧) .

ودعم أبو يعقوب الوجود المرينى إداريا فى بلاد الأندلس بتعيين أخيه أبى عطية واليا من قبله هناك وأوصاه « بتقوى الله تعالى وضبط ثغوره والحزم فى جميع أموره » (٨) ، وترك معه حامية قوية من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة على بن يوسف ابن يرتاجن . وعاد السلطان أبو يعقوب إلى عاصمته فاس الجديدة فى الثانى عشر من جمادى الأولى (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٩) . حيث كانت تنتظره كثير من المهام الداخلية .

ويعتبر السلطان أبو يعقوب يوسف « أول من هذب ملك بنى مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك (١٠) » فقد حرص ذلك السلطان على الاهتمام بشعبه غاية الاهتمام منذ اللحظة الأولى التى تولى فيها مهام منصبه ، وكانت أهم أهدافه تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المرينى وإبعاد الظلم عن المواطنين وبخاصة ظلم العمال لهم (١١) . وقد أجرى أبو يعقوب تقليدا جديدا يتفق ومظاهر الأبهة والعظمة التى بدأت تظهر فى البلاط المرينى ، فما أن تمت له البيعة حتى فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس والأغزاز وسائر الجند ، وأحسن إلى الفقهاء والصلحاء ، وأطلق سراح المسجونين فى جميع البلاد (١٢) . كما أجرى أبو يعقوب تعديلات جديدة فى بعض قوانين الدولة ونظمها بما من شأنه أن يعطى المواطن فى الدولة الكثير من الحرية فى التصرف فى شئونه الخاصة ، وما يرفع عن كاهله أيضا كثيرا من الأعباء التى ترهقه ، فأصبح للفرد مثلا حرية التصرف فى زكاة الفطر بعد أن كانت الدولة تقوم بجمعها والأشراف على إنفاقها كما رفع نوعا من الضرائب كان يفرض على ديار الرعية يسمى الأنزال ونوعا آخر وهو المكوس (١٣) . وفوق هذا وذاك عمل على استتباب الأمن فى البلاد « فخضعت مرين تحت قهره وصلح أمر الناس فى أيامه » (١٤) على حد قول ابن أبى زرع .

المشكلات التى واجهها السلطان يوسف بن يعقوب :

(أ) الثورات الداخلية : يبدو أنه كان لانشغال السلطان يعقوب بن عبد الحق فى الأعمال العسكرية المتتابعة فى الميدان الأندلسى أثره فى الوضع السياسى الداخلى فى بلاد المغرب حيث هبت فى أعقاب وفاة هذا السلطان بعض الثورات الداخلية التى أخذت كثيرا من وقت السلطان الجديد يوسف بن يعقوب وبذل فى إخمادها جهدا كبيرا ، وكان بعض هؤلاء - الثائرين ينتمون من قريب أو بعيد إلى البيت المرينى الحاكم ، وقد عاقب السلطان يوسف هؤلاء الثائرين بصفة خاصة - بأقسى أنواع العقوبة حيث تراوحت بين القتل أو النفى والتشريد من البلاد (١٠) .

١ - ثورة محمد بن إدريس :

وهو محمد بن إدريس بن عبد الحق ، وقد دأب بنو إدريس هؤلاء على الثورة كلما انتقلت السلطة فى الدولة المرينية إلى حاكم جديد ، حدث هذا فى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق ، إذ أن أبناء إدريس هؤلاء يرون أنهم أحق بالحكم من السلطان يعقوب وأبنائه ، لأن أباهم إدريس كان أكبر من عمهم يعقوب (١٦) .

ويبدو أن أبناء إدريس هؤلاء كانوا يملكون كثيرا من وسائل الإقناع والحجة ، فحين أرسل إليهم السلطان يوسف بن يعقوب أخاه محمد بن يعقوب اقتنع هو الآخر برأيهم وانضم إليهم . (١٧) وتوالت جيوش السلطان على الثائرين لإخماد حركتهم ، وعن طريق السياسة استطاع السلطان يوسف إبعاد أخيه عن الثائرين بعد أن أعطاه الأمان على نفسه (١٨) ، وفر محمد بن إدريس وبنوه إلى تلمسان ، وفى طريقهم إليها قبض عليهم وسيقوا مكبلين بالحديد إلى رباط تازي حيث أعدموا خارج باب الشريعة فى رجب سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (١٩) .

٢ - ثورة عمر بن عثمان بن يوسف العسكورى :

أعلن هذا الأمير الثورة فى قلعة فندلاوة فى جبال بنى يازغة فى سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) (٢٠) . وأصدر أمير المسلمين يوسف بن يعقوب أوامره إلى قبائل بنى عسكر وسدراتة وبنى وارثين وبنى يازغة وبنى سيتان وغيرهم من قبائل المنطقة بحصار هذا الثائر وقتاله . ولم تفلح جهودهم التى استمرت شهرا فى القضاء عليه . (٢١) فتحرك السلطان يوسف بن يعقوب بنفسه لإخماد الثورة فى جيش ضخم جهزه بالرماة والمنجنيق وآلات الحرب ، وما أن وصل السلطان إلى قرية سدورة ، وأحس الثائر بمصيره ، حتى أرسل إلى السلطان وفدا من العلماء يطلبون له الأمان ، فأعطاه السلطان الأمان على شريطة أن يقبل عمر بن عثمان وأهله النفى من البلاد إلى تلمسان (٢٢) .

٣ – ثورة طلحة بن على البطوئ :

هرب ذلك الشيخ من مراكش إلى بلاد السوس ، وهناك احتمى بعرب بنى حسان من المعقل ودعا لنفسه . (٢٣) وكان السلطان أبو يوسف فى ذلك الوقت يقيم فى مراكش لضبط أحوالها . وعلى الفور استدعى السلطان يوسف ابن أخيه منصور بن عبد الواحد وعينه حاكما عاما من قبله على ولاية السوس ، وأمده بالأموال والجيوش اللازمة لقمع هذه الثورة . (٢٤) وتمكن منصور فى الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) من أخماد هذه الثورة ، وقتل رأسها المدبر لها طلحة بن على « وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور إلى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر أن يطاف به فى جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة فلم يزل عليها طول أيام خلافته معلقا فى شبكة من نحاس » (٢٥) .

٤ – ثورة الأمير أبى عامر ابن السلطان يوسف :

اتجهت سياسة السلطان يوسف بن يعقوب إلى تعيين أحد أبنائه فى إقليم مراكش إلى جانب والى الإقليم رغبة منه فى إحكام السيطرة عليه ، للحيلولة دون قيام أية حركة انفصالية به ، خاصة وأن هذا الإقليم كان مهدا للموحدين ، وفيه كانت عاصمتهم . وكان أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بعد أن خمدت ثورة طلحة بن على البطوئ – قد عين ولده أبا عامر مع محمد بن عطوا عامل مراكش لتكون له اليد العليا فى مراكش (٢٦) ، ولكن الحذر يؤتى من مأمنه فقد استطاع هذا العامل إغراء أبى عامر بخلع طاعة أبيه والدعوة إلى نفسه ، كان ذلك فى أول ذى القعدة سنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) (٢٧) .

وما أن وصلت الأنباء إلى السلطان يوسف حتى خرج للقاء الثائر وتمكن من إلحاق الهزيمة بهما بظاهر مراكش ، وفر الأمير أبو عامر وابن عطوا إلى بلاد القبلة ومنها إلى تلمسان حيث آواهما عثمان بن يغمراسن بن زيان (٢٨) . وفى تلك الأثناء تحركت عاطفة السلطان نحو ولده فعفا عنه وأعاده إليه ، بينما طالب السلطان عثمان بن يغمر اسن بأن يسلم إليه ابن عطوا ، ولكن عثمان رفض الاستجابة لمطالب السلطان ، وأغلظ رسول السلطان فى الحديث إلى عثمان ابن يغمراسن الأمر الذى دعاه إلى اعتقاله . (٢٩) وكانت هذه الأحداث سببا فى إثارة السلطان يوسف وتحريك كوامن غيظه . فجرد حملة تأديبية كبيرة فى السابع والعشرين من ربيع الثانى سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) لقتال عثمان بن يغمراسن ، ولم تنجح هذه الحملة إلا فى حصار تلمسان وتخريب المناطق المحيطة بها إذ أن الحصار استمر ستة عشر يوما عاد بعدها السلطان يوسف إلى المغرب (٣٠) .

– ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسى :

بنو وطاس هؤلاء منافسون آخرون للبيت المرينى الحاكم ، فهم فخذ من قبيلة بنى

مرين ، وكانت بلاد الريف من نصيبهم عند دخول المرينيين إلى بلاد المغرب ، وكان حصن تازوطا هو معقلهم المنيع ، وقد فطن البيت المرينى الحاكم إلى تطلعات بنى وطاس هؤلاء ، فجرت سياستهم على الاهتمام بهذا الحصن فأنزلوا به حامية قوية تستطيع أن تكبح جماح بنى وطاس كلما سولت لهم أنفسهم الخروج على السلطة المركزية فى فاس . (٣١) وكانت آخر جهود السلطان يوسف بن يعقوب فى الاهتمام بهذا الحصن هى تعيين ابن أخيه منصور بن عبد الواحد قائدا على حامية هذا الحصن (٣٢) .

وفى شعبان سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م) وثب عمر وأخو عامر بن يحيى بن الوزير الوطاسى ، وكانا رئيسين على بنى وطاس فى ذلك الوقت ، ثائرين على منصور بن عبد الواحد ، الذى فر من الحصن ليلا إلى رباط تازى (٣٣) . بينما فتك عمر بمن كان فى الحصن من الرجال واستولى على الأموال والأسلحة والمتاع وماكان بالحصن من أعشار للروم كانت مختزنة فيه (٣٤) . ويرجع السلاوى أسباب هذه الثورة إلى استهانة بنى وطاس بالسلطان يوسف بعد وفاة والده (٣٥) .

أرسل السلطان يوسف على الفور جيشا كبيرا بقيادة وزيره عمر بن السعود بن خرباش ، وتبعه هو الآخر بقوات ضخمة ، وأحكما الحصار حول القلعة الثائرة (٣٦) . ولما رأى عامر بن يحيى الوطاسى تدهور الأحوال من حولهم خالف أخاه عمر ، ونزل من القلعة بقومه ، وانضم إلى السلطان يوسف حذرا من مغبة الأمر (٣٧) .

وطلب عامر بن يحيى من السلطان أن يسمح له بالصعود إلى الحصن لإنزال أخيه عمر ، ولكن عمر انتهز هذه الفرصة وفر فى الليل هاربا إلى تلمسان (٣٨) . وخاف عامر من النزول إلى السلطان حتى لا يعاقبه لافلات أخيه ، وظل متحصنا بالقلعة حتى قدم على السلطان وهو يحاصر القلعة — الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل ابن الأحمر ، فطلب عامر بن يحيى من الرئيس أبى سعيد أن يتشفع له عند السلطان يوسف بن يعقوب ، وقبل السلطان شفاعته على أن يقبل عامر وذويه النفى إلى بلاد الأندلس (٣٩) .

ووافق عامر على شرط السلطان وأنزل حاشيته إلى المرسى حيث ركبوا فى السفن ، وانتظر هو حتى الليل فنزل من الحصن وانطلق فى الصحراء هاربا إلى تلمسان وتبعته خيل السلطان فلم يدركوا سوى ولده أبا الخيل فقبضوا عليه ، وبعث به السلطان إلى فاس حيث ضربت عنقه هناك وصلب جسده (٤٠) . وأنزل السلطان يوسف حاشية عامر من السفن ومن كان بالحصن من أتباعه وقرابتهم وذرياتهم ونفذ السلطان فيهم جميعا حكم الإعدام ، واستولى على الحصن وأنزل به عماله ، وشحنه بالأسلحة والمؤن والعتاد ، وعاد إلى فاس فى آخر جمادى الأولى من سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) (٤١) .

٦ - حركات الأعراب فى جنوب درعة :

وإلى جانب هذه الثورات المنظمة كانت هناك تحركات من جانب بعض القبائل العربية استهدفت قطع الطرق ، والقيام بأعمال السلب والنهب . وقد قابل السلطان يوسف هذه الحركات من جانب العرب بمنتهى العنف والقسوة ومن ذلك ماحدث للعرب المقيمين فى قبلة درعة وهم من معقل كانوا يقطعون طريق سجلماسة حيث هاجمهم السلطان يوسف باثنى عشر ألف جندى فى سنة (٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) (٤٢) . « فقتل منهم خلقا كثيرا وسبأ أموالهم ونساءهم وأمر بقطع رءوسهم وحملها إلى مراكش وفاس وسجلماسة وتعليقها فى الأسوار (٤٣) .

(ب) مشاكل الجبهة الأندلسية :

أثرت الثورات المتتابعة فى بلاد المغرب فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب فى مدى الجهد المبذول من جانبه فى الجبهة الأندلسية فلم يكن جهده فيها فى حجم ذلك الجهد الجبار الذى بذله والده السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق . وقد حاول السلطان يوسف من جانبه المحافظة بكل الوجوه على بقاء العلاقات بينه وبين ابن الأحمر قوية حتى ولو كان ذلك على حساب الرقعة التى تسيطر عليها الدولة المرينية فى بلاد الأندلس فشهدت هذه الفترة تنازلات كبيرة من جانب السلطان يوسف بن يعقوب حرصا منه على إحياء الجبهة الأندلسية وعلى سلامتها أمام القشتاليين ، فأعطى السلطان يوسف لابن الأحمر كل ما يرضيه من الحصون والبلاد (٤٤) . كما حرص السلطان يوسف أيضا على القضاء على كافة أوجه الخلاف الرئيسية بين المرينيين وابن الأحمر ، ومن بينها مناصرة المرينيين لبنى أشقيلولة ، فأرسل إلى أبى إسحق بن أشقيلولة يأمره بتسليم وادى آش إلى ابن الأحمر ، والانتقال إلى بلاد المغرب ، وهناك أعطاه فى مقابلها عمالة القصر الكبير له ولبنيه من بعده (٤٥) . وأنهى السلطان يوسف بذلك مشكلة كبرى طالما أظلم جو العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر بسببها . ويؤرخ ابن أبى زرع لتسليم وادى آش لابن الأحمر بسنة (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) ويضيف أن ابن الأحمر تسلم معها أيضا عددا من الحصون ، وهى حصن رانجة وحصن بليانة وحصن الدير والأيتر وغور وغوروب (٤٦) . ولم يكن ذلك تراجعا من السلطان يوسف فى الميدان الأندلسى ، لأن ابن الأحمر هو الذى طلب ذلك من السلطان يوسف (٤٧) .

وكان السلطان يوسف من جانبه يرى أن هذه الخطوات من شأنها تقوية العلاقات بين فاس وغرناطة ، وكان بقاء هذه العلاقات قوية يمثل شيئا مهما فى نظره ، فهو من ناحية يكبح جماح مملكة قشتالة بحيث لاتفكر فى شن هجوم على المسلمين فى الأندلس فى غفلة من سوء العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ومن ناحية أخرى فإن ذلك الهدوء يتيح للسلطان يوسف

توطيد وتدعيم دولته فى بلاد المغرب حيث كانت تنتظره متاعب كثيرة بعد وقلة والده .

نجحت سياسة السلطان يوسف بن يعقوب فى تهدئة الأحوال فى بلاد الأندلس حتى سنة (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) ففى هذه السنة نقض سانشو – ملك قشتالة – معاهدة الصلح بينه وبين بنى مرين وهاجم التخوم والثغور المرينية فى الأندلس (٤٨) . فأرسل السلطان يوسف بن يعقوب أوامره إلى على بن يوسف بن يزكاتن قائد المسالح المرينية بالأندلس بالقيام بالهجوم على مدينة شريش ، وشن الغارات على حدود قشتالة (٤٩) .

وفى نفس الوقت جهز السلطان يوسف قوات ضخمة ، استعد للعبور بها من قصر مصمودة (قصر المجاز) ولما أحس سانشو بذلك أرسل أسطولا قشتاليا ليمنع المرينيين من العبور إلى الأندلس ، ونجح هذا الأسطول فى تحطيم الأسطول المرينى الذى تصدى له فى بحر الزقاق فى شعبان سنة (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) (٥٠) . وأدى ذلك إلى تأخير تنفيذ العمليات العسكرية المرينية فى بلاد الأندلس ، حتى قامت دور صناعة السفن بتعويض الأسطول المرينى ماافتقده من سفن (٥١) . وقد استطاع الأسطول المرينى فى هذه المرة انجاز عملية العبور بنجاح دون أن يجرؤ الأسطول القشتالى على الاقتراب من الأسطول المرينى العامل فى بحر الزقاق (٥٢) .

نزل السلطان يوسف بطريف ومنها انتقل مباشرة إلى جبهة القتال فشن غارات مكثفة على شريش وأشبيلية ، كما حاصر حصن بجير ثلاثة ، أشهر . ولكن الشتاء كان دائما عاملا هاما فى حسم المعارك العسكرية فى بلاد الأندلس فمجيئه كان يؤذن دائما بتوقف عمليات الجهاد فى دار الحرب لانقطاع الميرةوالأقوات – عن المقاتلين ، وسوء الأحوال الجوية ، لذا عاد السلطان يوسف إلى المغرب فى أول محرم سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) (٥٣) .

ويكشف ابن خلدون أن مراسلات ومفاوضات مستفيضة تمت بعد ذلك بين شانشو وابن الأحمر ، ومن خلالها استطاع سانشو أن يقنع ابن الأحمر بخطورة تحالفه مع السلطان المرينى وأظهر سانشو لابن الأحمر أيضا أن هدف المرينيين الاستيلاء على الأندلس ، واستعرض الطرفان خلال المفاوضات عناصر القوة لدى المرينيين فى الميدان الأندلسى (٥٤) . وقد حرص سانشو على ابرازها والتأكيد على خطورتها على ابن الأحمر يقول ابن خلدون : « ففاوض (ابن الأحمر) الطاغية وخلصوا نجيا وتحدثوا أن استمكانه (السلطان يوسف) من الإجازة إليهم إنما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافية لتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا فضلا عن الأساطيل وأن أم تلك الثغور طريف وأنهم إذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق وكان أسطولهم بمرفاها بمرصد لأساطيل صاحب المغرب » (٥٥) .

واتفق الطرفان على أن يستولى سانشو بمساعدة ابن الأحمر على طريف ، وحدد ابن أبى زرع مدى هذه المساعدة فقد تعهد ابن الأحمر لسانشو بأن « ينفق عليه وعلى محلته طول إقامته عليها (طريف) (٥٦) » .

على أن يقوم سانشو بتسليمها لابن الأحمر فى مقابل أن يتنازل : له ابن الأحمر عن ستة من الحصون ، وقد تنازل ابن الأحمر لسانشو عن هذه الحصون الستة مقدما ، وقبل بدء القتال للاستيلاء على طريف (٥٧) .

هاجم سانشو طريف وحاصرها « وسرب (ابن الأحمر) إليه المدد من السلاح والرجال والميرة والأقوات » (٥٨) واضطر أهل المدينة إلى التسليم تحت ضغط الطرفين عليهم ، ولما طالب ابن الأحمر من سانشو أن يسلم له طريف ، رفض سانشو أن يعطيه شيئا (٥٩) . وبهذا خسر ابن الأحمر حصونه الستة وأفقد المسلمين قاعدة من أهم قواعدهم الدفاعية المتبقية فى بلاد الأندلس (٦٠) .

عاد ابن الأحمر يخطب ود بنى مرين مرة أخرى ، وأرسل لهذه المهمة وفدا كبيرا كان على رأسه ابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل ، ووزيره أبو سلطان عزيز الدانى (٦١) . وكان هذا الوفد كما يقول ابن خلدون : « لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف » (٦٢) ، وقد التقى هذا الوفد بالسلطان يوسف وهو يحاصر قلعة تازوطا ، فأحسن السلطان استقبالهم وأجاب مطالبهم فى شأن الصلح (٦٣) .

ولما عاد الوفد إلى غرناطة يحمل هذه الأخبار السارة ، قرر محمد الفقيه ابن الأحمر القدوم بنفسه على السلطان وحمل معه هدية نفيسة كان من بينها « المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الأربعة المنبعثة إلى الآفاق المختص هذا منها بالمغرب » (٦٤) . واجتاز ابن الأحمر المضيق إلى بلاد المغرب فى ذى القعدة سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، وجاء السلطان يوسف بنفسه إلى طنجة لمقابلته ، وتمت المقابلة فى جو من الحفاوة والتكريم (٦٥) ، وفى هذا اللقاء تنازل السلطان يوسف لابن الأحمر عن الجزيرة ورندة وأرض الغربية وعشرين حصنا من ثغور الأندلس فى رواية السلاوى (٦٦) ، واثنين وعشرين حصنا فى رواية ابن أبى زرع (٦٧) . أما ابن خلدون فيعكس الوضع تماما ، اذ يجعل ابن الأحمر هو الذى يتنازل للسلطان يوسف عن هذه الثغور والحصون يقول ابن خلدون : « ونزل له ابن الأحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الأندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب (٦٨) » . ورواية ابن خلدون هنا تتضارب مع رواية ابن أبى زرع والسلاوى . والحقيقة ان ابن الأحمر لم يكن يملك فعلا هذه الثغور والحصون حتى يعطيها للسلطان يوسف بن يعقوب ، وأنما الذى كان يملكها من الناحية الفعلية هو السلطان

يوسف ، ويقرر هذه الحقيقة ابن خلدون نفسه ، ففي مطلع عهد السلطان يوسف التقى بابن الأحمر « وتجافى (السلطان يوسف) له (لابن الأحمر) عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت لمملكته ما عدا الجزيرة وطريف (٦٩) » .

ولعل السلطان يوسف بتنازله فى هذه المرة عن هذه المواضع أراد أن يؤكد لابن الأحمر سيادته التامة على كافة أراضيه التى كان يمتلكها قبل دخول المرينيين إلى بلاد الأندلس ، وأن مهمة المرينيين هناك هى معاونة المسلمين والمساهمة فى المحافظة على وجودهم هناك . وكأنه أراد بهذا أيضا القضاء على الدعاية التى كان يرددها ملك قشتالة دائما لابن الأحمر عن أطماع بنى مرين فى بلاد الاندلس ، تلك الدعاية التى أثرت قبل ذلك فى ابن الأحمر ، وفى العلاقة بينه وبين السلطان يوسف المرينى وأدت إلى ضياع طريف من المسلمين (٧٠) .

عاد ابن الأحمر إلى الأندلس وأرسل السلطان يوسف معه حملة مرينية لغزو طريف يقودها وزيره عمر بن السعود بن الخرباش الحشمى ، ولكن هذه الحملة لم تحقق أهدافها فى الاستيلاء على المدينة (٧١) .

واستمرت العلاقات الطيبة تسود بين غرناطة وفاس حتى وفاة السلطان محمد الفقيه سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠٢ م) (٧٢) . وفى عهد ولده أبو عبد الله الملقب بالمخلوع حاول فى مطلع عهده إحكام المودة بينه وبين السلطان يوسف ، فأرسل أبا سلطان عزيز الدانى وزير أبيه ، ومعه وزيره ابن الحكيم إلى سلطان المغرب لتجديد المودة والصداقة (٧٣) .

قدم الوزيران على السلطان يوسف وهو يحاصر تلمسان ، فأكرمهما وطلب إليهما إمداده بعدد من جند الأندلس من ذوى الخبرة بمهاجمة الحصون ، فأرسل أبو عبد الله المخلوع إليه قوة من الخبراء العسكريين لمعاونة الجيش المرينى فى حصار تلمسان (٧٤) .

ولكن ابن الأحمر عدل فجأة عن سياسة التحالف هذه مع بنى مرين ويكتفى السلاوى فى الإشارة إلى أن سبب ذلك كان « لمناقشات جرّت إلى ذلك (٧٥) » وعاد ابن الأحمر (المخلوع) إلى سياسة التحالف مع ملك قشتالة (هراندة) ، فأثار ذلك التصرف السلطان يوسف ، وقرر وقف التعامل مع بنى الأحمر ورد إليهم الفرقة التى كانت تعمل بين قوات الجيش المرينى فى آخر سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) (٧٦) .

وبدأ ابن الأحمر (المخلوع) فى تصعيد الموقف مع سلطان المغرب فتآمر مع ابن عمه صاحب مالقة الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل للاستيلاء على مدينة سبتة ، وقد تم لهما ذلك عن طريق حملة بحرية جهزها أبو سعيد فرج بن إسماعيل ، وكانت بقيادة عثمان بن أبى العلاء المرينى ، ونجحت الحملة فى الاستيلاء على سبتة ، والقبض على بنى العزفى – حكامها من قبل

سلطان المغرب – وترحيلهم إلى غرناطة (٧٧) . وفى حقيقة الأمر كان وصول عثمان بن أبى العلاء إلى سبتة يعد عملا خطيرا ، إذ أن عثمان هذا هو أحد أفراد الأسرة المرينية من بنى العمومة ، وهو أيضا يمثل فى واقع الأمر شخصية عسكرية تحدوها أطماع فوق مستوى القادة من أمثاله (٧٨) .

علم السلطان يوسف بذلك الموقف الغادر من جانب ابن الأحمر وهو تحت أسوار تلمسان يحاصرها ولم يستطع أن يتحرك بنفسه لمواجهة الموقف فى سبتة فتلمسان توشك أن تسقط فى يده كما يقول ابن خلدون « كانت (تلمسان) على شفا هلكة ومعاينة انفضاض (٧٩) » . ولذلك أرسل ولده أبا سالم بجيش لمواجهة الأمر هناك ولكنه هزم أمام عثمان بن أبى العلاء (٨٠) . وتتغير الظروف فجأة بمقتل السلطان يوسف بن يعقوب فى ذى القعدة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) (٨١) .

(جـ) حصار تلمسان الكبير :

وهذا الحصار أطول حصار قام به المرينيون لعاصمة بنى عبد الواد تلمسان ، وكان السلطان يوسف بن يعقوب يهدف من وراء هذا الحصار وضع حد لأعمال بنى الواد العدوانية ضد بنى مرين ، إذ أصبحت دولتهم ملاذا للثائرين عليه ، والأخطر من ذلك أن عثمان بن يغمراسن بدأ فى الاتصال بملك قشتالة وأرسل إليه سفيرا يدعى ابن بربدى فى سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) . وقد رد ملك قشتالة على ذلك بسفارة قام بها (الريك ركس) ، ثم أرسل عثمان يغمر اسن سفيرا آخر يسمى (بالحاج مسعود) (٨٢) .

أثرت هذه التصرفات من جانب عثمان بن يغمر اسن فى نفس السلطان يوسف كثيرا يقول ابن خلدون : « واعتدها السلطان عليه (عثمان بن يغمراسن) وطوى له على الغث (٨٣) » وأخذ السلطان يوسف يتحين الأوضاع الدولية المناسبة للقضاء على ذلك الخصم العنيد ، وقد واتته الفرصة ففى سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) مات سانشو ملك قشتالة (٨٤) .

وبعدها فى سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) قويت العلاقات بين السلطان يوسف وبنى الأحمر بعد الزيارة التى قام بها محمد الفقيه ابن الأحمر للسلطان يوسف فى طنجة وتحالفهما معا ضد قشتالة (٨٥) ، ثم جاءت حادثة جزئية لتفجر الموقف بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمر اسن بن زيان تماما ، ففى نفس السنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) قدم على السلطان يوسف ثابت بن منديل أمير قبيلة مغراوة مستنجدا به من عثمان بن يغمر اسن ، فبعث السلطان يوسف رجلا من كبار قومه وهو مرسى بن أبى حمو ليتشفع لثابت بن منديل عند عثمان بن يغمراسن « فرده عثمان أقبح رد وأساء إجابته فعاود (السلطان يوسف) الرسالة

إليهم فى شأنه (ثابت بن منديل) فلم يزدهم إلا اصراراً » [٨٦] .

وكانت هذه الحادثة هى السبب المباشر فى حصار تلمسان والتى اختفت خلفها جميع الأسباب الأخرى غير المباشرة . وبدأ الحصار الفعلى لتلمسان فى سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) [٨٧] . وقبل ذلك جرت استعدادات ضخمة فى مناطق الحدود ، وفى قلب أراضى الدولة الزيانية ، ووصلت بعض هذه الحملات إلى تلمسان نفسها [٨٨] .

وصل السلطان يوسف إلى تلمسان فى شعبان سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٩ م) فحاصر المدينة من فوره ، وأدار حول المدينة سياجا ضخما من الأسوار حتى يحكم عليها الحصار ،وظلت القوات الرئيسية بقيادة السلطان يوسف تحاصر المدينة [٨٩] . بينا خرجت جيوش متعددة للاستيلاء على مدن وأقاليم دولة بنى عبد الواد ، فاستولت على « ندرومة وهنين ووهران وتاوانت ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبوشك والبطحاء ومازونة وونشريش ومليانة والقصبات والمدية وتازجذنت ، وجميع بلاد بنى عبد الوادى وبلاد تجين وبلاد مغراوة » [٩٠] . وظلت تلمسان تعانى من الحصار طيلة سنوات سبع حتى أكل أهلها الجيف والحيات والعقارب ، كل ذلك والسلطان يوسف يشدد عليها الحصار ويقول : « لا أرحل عنهم حتى أقتلهم جوعا » [٩١] .

وكان لمظهر القوة والسطوة التى أحاط بها السلطان يوسف حملته هذه أثر كبير فى نفوس بعض زعماء الأقاليم والمدن بل والدول المتاخمة لبنى عبد الواد فبايعة « صاحب الجزائر ووفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذلك محاصر لتلمسان » [٩٢] .

وحقق السلطان يوسف إلى جانب هذه الانتصارات العسكرية انتصارا عمرانيا كبيرا فأنشأ مدينة المنصورة (تلمسان الجديدة) [٩٣] . ويصف ابن خلدون هذه المدينة التى اتسع عمرانها وقويت مكانتها الاقتصادية بقوله : « واستبحر فى عمرانها ونفقت أسواقها ورحل إليها التجر بالبضائع من الآفاق فكانت إحدى مدائن المغرب » [٩٤] .

وفجأة تنقلب الأوضاع فى المغرب الأوسط رأسا على عقب ، فقتل السلطان يوسف نتيجة مؤامرة دبرها خصيان القصر السلطانى ، ففى السابع من ذى القعدة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) [٩٥] . استأذن أحد الخصيان ويسمى سعادة على السلطان وهو فى بعض الحجر من قصره فأذن له السلطان يوسف بالدخول ، وكان السلطان مستلقيا على فراشه مخضبا بالحناء فوثب عليه سعادة وطعنه طعنات قطعت أمعاءه وخرج هاربا من القصر ، وتابعه الحراس فأمسكوا به وسيق إلى القصر حيث قتله العبيد والحاشية . أما السلطان يوسف فلم يتحمل آلامه فتوفى فى آخر النهار من ذلك اليوم الأربعاء السابع من ذى

القعدة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) ، ودفن بمقابر سلاطين بنى مرين بشالة (٩٦) .

وتتجه أصابع الاتهام فى هذه المؤامرة إلى الخصيان باعتبار أن الجانى واحد منهم ، وباعتبار أن علاقتهم فى أثناء وقوع الحادث بالسلطان كانت بالغة فى السوء . (٩٧) ويشرح ابن خلدون أسباب الجريمة فيقول : « وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزمولاه واتهم بمداخلة بعض الحرم وقتل بالظنة واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره واعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير عريفهم وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك (٩٨) » وبحسب رواية ابن خلدون يكون سبب القتل هو الانتقام لضياع مكانة جماعة الخصيان فى البلاط المرينى . ولكن بعض الروايات تحدد جهات أخرى مسئولة عن هذه الجريمة ، فابن أبى زرع يشير إشارة عابرة إلى أن الجانى نفسه كان مولى لأبى على المليانى قبل أن ينضم إلى البلاط المرينى (٩٩) . والمعروف أن السلطان يوسف قتل أبا على المليانى هذا – وكان أحد موظفى الدولة المعينين على جباية قبائل المصامدة – عندما ثبت عند السلطان انحرافه فى مهمته . (١٠٠) والصلة بين الجانى وأبى على المليانى تصلح أن تكون مبررا لأن يقتل السلطان انتقاما لسيده ، وقد أكد ذلك ابن حجر العسقلانى فى روايته حيث يقول : « إلى أن قيض الله له (السلطان يوسف) عبدا خصيا جشيا حقد عليه أنه قتل قريبا له فى جناية جناها فاستقبله يوما وهو فى قصره فوجأه بسكين فأتى على نفسه » (١٠١) . وذكر ابن حجر أيضا أن التآمر فى هذه الجريمة كان بين الخصى سعادة وبين أبى بكر الذى كان أخا للسلطان يوسف ، وقد نفذ فى أبى بكر هذا حكم الإعدام بسبب تآمره فى هذه الجريمة بعد ذلك (١٠٢) . على أنه من الجائز أن تكون هذه العوامل مجتمعة سببا فى وقوع الجريمة على هذا النحو .

وقد لخص ابن الخطيب الدور العظيم الذى قام به ذلك السلطان الجليل فى قوله : « أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق وهو الذى وطّد الدولة المرينية وجبا الأموال العريقة ، واستأصل من تتقى شوكته من القرابة وغيرهم وجاز إلى الأندلس فى أيام أبيه وبعده غازيا ثم محاصر تلمسان وهلك عليها » (١٠٣) ، وقال عنه ابن حجر العسقلانى أيضاً : « وأعظمته الملوك شرقا وغربا وجاءته الهدايا من كل وجه (١٠٤) » .

(ب) جهود السلطان أبى ثابت عامر لتوطيد دولة بنى مرين :

من (٧٠٦ هـ / ١٣٠٧ م) إلى (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .

أبو ثابت عامر هذا هو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب وليس ابنه كما يقول بذلك بعض المؤرخين (١٠٥) . وقد نشأ ذلك السلطان هو وأخوه سليمان فى كفالة جدهما السلطان يوسف لأن والدهما الأمير أبا عامر ولى عهده مات شريدا ببلاد بنى سعيد من غمارة الريف

سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) (١٠٦) . وكان لذلك أثر كبير فى نفسية السلطان يوسف ، « فكان لهنا بعينه حلاوة وفى قلبه لوطة لمكان حبه فيهما واغترابه عنه فحدب عليهما وآثرهما من نفسه بمكان » (١٠٧) .

كانت ردود الفعل المقتل السلطان يوسف بن يعقوب عنيفة فى داخل البيت المرينى الحاكم ، لأنه لم يرشح فى حياته وليا جديدا للعهد بعد وفاة ولده عبد الله الذى كان صاحب هذا المنصب (١٠٨) ، ومن ثم انقسم المرينيون إلى فريقين الفريق الأول ضم أشياخ بنى مرين والعرب – بايع الأمير أبا ثابت عامر بن عبد الله خارج مدينة المنصورة وأيد وجهة نظر هذا الفريق بنى ورتاجن لصلتهم القوية بالأمير أبى ثابت (١٠٩) . أما الفريق الثانى فكان يضم البطانة والحاشية والوزراء والأجناد وهؤلاء بايعوا الأمير أبا سالم ابن السلطان يوسف الذى كان مقيما داخل المنصورة فى ذلك الوقت (١١٠) .

واستطاع أبو ثابت بما لديه من الإقدام والشجاعة والجرأة أن يدير دفة الأحداث فى صالحه (١١١) . إذ بادر فور مبايعته إلى الاجتماع بأشياخ بنى مرين والعرب ورؤساء الناس للتشاور معهم فى أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرحل عنها إلى المغرب ؟ فكلهم أشار عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له « أدرك بلاد المغرب وسكنه فإن عثمان بن على بن أبى العلاء بسبتة وقد سمع بموت جدك وخرج قاصدا إلى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة أصيلة وأن الناس قد قنطوا فى هذه البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع عشرة سنة فسر إلى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جأش أهلها (١١٢) » . وكان ذلك الرأى دعوة للسلطان الجديد لكى يستأنف الجهود لتوطيد الدولة المرينية والقضاء على الأخطار التى تهددها .

بدأ أبو ثابت على الفور فى الاتصال بصاحبى تلمسان أبى زيان وأبى حمو ابنا يغمراسن واتفقا على معاهدة صلح تضمنت بنودها أن يرفع السلطان المرينى الحصار عن تلمسان ويرد جميع البلاد التى استولى عليها إلى بنى عبد الواد (١١٣) ، وإن يقوم بنو عبد الواد بمعاونة أبى ثابت فى القضاء على خصمه أبى سالم ، وفى حالة فشل أبى ثابت يقوم بنو عبد الواد بحمايته وضمه إليهم (١١٤) .

ويقضى البند الأخير من المعاهدة ألا يتعرض بنو عبد الواد لمدينة المنصورة « بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالإصلاح وأن من أراد الإقامة بها من أهلها فما لأحد عليه من سبيل » (١١٥) .

ولم يجرؤ أبو سالم على مواجهة أبى ثابت ففر هاربا من المنصورة إلى بلاد المغرب ولكن فرقة من جند السلطان أبى ثابت تمكنت من القبض عليه بندرومة وقتلته ، وقام السلطان أبو ثابت بحركة تصفية واسعة النطاق لجميع العناصر التى تحوم حولها شبهة التطلع للحكم أو

مناوأة السلطان ، ومن هؤلاء الأمير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه (١١٦) .

اتخذ السلطان أبو ثابت بعد ذلك عدة خطوات للانسحاب من المغرب الأوسط ، فبعث أوامره إلى جيوش جده وجنوده التى كانت متفرقة فى بلاد المغرب الأوسط ، يأمرها بالانسحاب من مواقعها وتسليم مافى أيديهم من المدن والنواحى إلى أهل البلاد (١١٧) . ثم أرسل إلى فاس جيشا بقيادة الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب « وأمره بالنظر فى أحوال فاس والمغرب وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الأموال على الخاصة والعامة (١١٨) » وسار هو إلى فاس فوصلها بعد ذلك من المحرم سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) (١١٩) . وعلى الرغم من أن السلطان أبا ثابت نفذ لبنى عبد الواد بنود معاهدة الصلح بالكامل . فإنهم بادروا إلى خرقها بتدميرهم لمدينة المنصورة ومحو آثارها من الوجود (١٢٠) .

وبعد أن استقر السلطان أبو ثابت بعاصمته فاس أرسل جيشا بقيادة الحسن بن عامر ابن عبد الحق لمحاربة عثمان بن أبى العلاء الذى استفحل أمره فى سبتة وما حولها . وفى نفس الوقت أرسل ابن عمه يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق إلى مراكش ، وعندما وصل هذا الأخير إلى مراكش أعلن خروجه ثائرا على السلطان ودعا لنفسه وقبض على والى مراكش وقتله ضربا بالسياط (١٢١) . وما أن وصلت هذه الأنباء إلى أبى ثابت حتى أرسل إلى مراكش جيشا من خمسة آلاف جندى بقيادة وزيره عيسى بن السعود الجشمى ويعقوب بن أصناك (١٢٢) . وقد نجح هذان القائدان فى إلحاق الهزيمة بيوسف بن محمد عند الضفة الشرقية لوادى أم الربيع . وفر يوسف إلى مراكش ومنها إلى أغمات ثم فر ثانية إلى جبل هسكورة مستجيرا بمخلوف بن هند الهسكورى . ولكن مخلوف بن هند رفض أن يجيره ، وقبض عليه مع ثمانية من كبار معاونيه فى الثورة ، وبعثهم إلى أبى ثابت الذى وصل إلى مراكش فى منتصف رجب سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) فقتلهم جميعا بعد أن مثل بهم بالسياط ، وأرسلت رأس يوسف بن محمد إلى فاس فعلقت على أسوارها (١٢٣) . وقبض أبو ثابت على كل من كانت له صلة بيوسف بن محمد ، ويذكر المؤرخون أنه قتل منهم بمراكش ستمائة (١٢٤) « وصلبهم على/ سورها من باب الرب أحد أبواب مراكش إلى برج دار الحرة عزونة وقتل فى أغمات منهم مثل ذلك » (١٢٥) . وتوجه أبو ثابت بعد ذلك إلى ثائر آخر يسمى بالسكسيوى وما أن وصل إلى تامزورت حتى أرسل إليه السكسيوى بطاعته ومعها بعض الهدايا ، فقبل السلطان طاعته وخدمته (١٢٦) . ومن تامزورت وجه أبو ثابت أيضا حملة تتألف من ثلاثة آلاف جندى ، يقودها يعقوب بن أصناك لتأديب قبائل زكنه القاطنين ببلاد حاحة من السوس ، ففروا أمام هذه الحملة إلى الرمال حتى انقطعت آثارهم (١٢٧) .
عاد أبو ثابت بعد ذلك إلى مراكش ، ومنها عاد إلى فاس ، وفى طريق العودة . قام بحملة

تأديبية واسعة شملت معظم القبائل العربية التى تثير الشغب ، وتعكر صفو الأمن فى البلاد ، ففى آنفى اعتقل ستين من شيوخ عرب جشم (١٢٨) وأودعهم سجن المدينه وضرب أعناق عشرين من فسادهم الذين كانت لهم يد فى قطع الطرق على مواطنى الدولة - وصلبهم على أسوار مدينه آنفى . وفى رباط الفتح قتل ثلاثين من زعماء العرب المتهمين بقطع الطرق وصلبت أجسادهم على أسوار المدينة ، ولقى عرب رياح منه أيضا ضربات قاسية حيث قتل وأسر منهم عددا كبيرا (١٢٩) .

وعاد إلى فاس فى منتصف ذى القعدة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) (١٣٠) وهناك فاجأه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان أمام عثمان بن أبى العلاء وأن عثمان قد استفحل أمره بجهات غمارة (١٣١) . وبات واضحا للسلطان أبى ثابت أمام هذه الأحداث التى تتطور بسرعة فى شمال دولته ، أن توطد نفوذه على دولته مرهون بالقضاء على حركة ابن أبى العلاء التى كادت كما يقول السلاوى « تلع عليه دار ملكه » (١٣٢) خاصة وأن ابن أبى العلاء كانت تدعمه جهات أجنبية تتمثل فى ابن الأحمر سلطان غرناطة (١٣٣) . كما انضم إلى عثمان كثير من ذوى الأطماع والرغبة فى السلطة وقد ذكر ابن خلدون منهم « يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان .. ومسعود بن الأمير أبى مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبى العلاء بمكانه من غمارة (١٣٤) » .

قرر أبو ثابت أن يخرج بنفسه لمواجهة هذه الأخطار فى منتصف ذى الحجة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) ووصل بقواته إلى قصر كتامة حيث أمضى بها ثلاثة أيام حتى استكمل استعداداته وتلاحقت به قبائل بنى مرين والعرب والرماة من سائر القبائل (١٣٥) . وتوجه بعد ذلك إلى جبال غمارة ، فانسحب عثمان بن أبى العلاء إلى نواحى سبتة ، وتقدم أبو ثابت إلى حصن علودان فاقتحمه بالقوة وهجم على بلد الدمنة على شاطىء البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية ، إذ تمسك أهل هذه البلدة بطاعة ابن أبى العلاء وعاونوه معاونة كبيرة فى الاستيلاء على قصر كتامة وأصيلا واشتركوا معه فى نهب كثير من أموال أهلها ، وارتحل أبو ثابت بعد ذلك إلى طنجة فدخلها فى سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) (١٣٦) .

تحصن ابن أبى العلاء داخل سبتة ، وبدأ السلطان أبو ثابت عملياته واستعداداته العسكرية للاستيلاء على المدينة ، فأمر « باختطاط بلدة تيطاوين لنزول العسكر والأخذ بمخنق سبتة » (١٣٧) وفى نفس الوقت أمر فرقا من جيشه بالإغارة على نواحى سبتة واكتساح أموالها لإضعاف القدرة الاقتصادية للمحاصرين داخل المدينة (١٣٨) . وحاول أبو ثابت أيضا أن يضعف من تأييد سلطان غرناطة لعثمان بن أبى العلاء حتى يبقى فى الميدان وحده فيسهل القضاء عليه ، فأرسل فى هذا الشأن كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبى الصبر إلى ابن الأحمر

يطلب منه التخلى عن مدينة سبتة ، وظل مقيما بقصبة طنجة منتظرا ما يأتى به الرسول (١٣٩) . ولكن الموت عاجله فجأة ، وتذكر بعض المصادر أنه مرض بطنجة أياما قلائل مات بعدها (١٤٠) . وذكر ابن أبى زرع أنه مات فجأة (١٤١) .

بينما تذكر بعض المصادر الأخرى أنه مات مسموما (١٤٢) وكان ذلك فى ثامن صفر سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) ودفن خارج طنجة وبعد أيام حمل جثمانه إلى مدفن آبائه بشالة (١٤٣) .

(ج) سياسة السلطان أبى الربيع سليمان لتوطيد دولة بنى مرين
(٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) - (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)

وهو سليمان بن عبد الله ، حفيد آخر للسلطان يوسف بن يعقوب (١٤٤) يكنى بأبى الربيع ، تولى أمر بنى مرين فى نفس يوم وفاة أخيه السلطان أبى ثابت ، الثامن من صفر سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) (١٤٥) وكان عمه على بن السلطان يعقوب بن عبد الحق قد دعا لنفسه وبايعه كثير من الناس (١٤٦) . ولكن أهل الحل والعقد والوزراء وكاتب أخيه عبد الله ابن أبى مدين شعيب بايعوا أبا الربيع سليمان ، الذى بادر إلى اعتقال عمه على وسجنه بطنجة حتى مات (١٤٧) .

ورأى أبو الربيع سليمان أن ينتقل من طنجه إلى فاس (١٤٨) . وربما كان ذلك ليعطى نفسه فرصة ليعبىء عناصر قوته حتى يتمكن من مواجهة عثمان بن أبى العلاء ، وقد يكون قرار رجوعه بالقوات المرينية من طنجة إلى فاس خطة عسكرية هدفها استدراج عثمان بن أبى العلاء ليخرج من سبتة فيسهل على القوات المرينية القضاء عليه . وسير الأحداث يؤكد كثيرا هذا الرأى الأخير دون أن تجزم به مصادر التاريخ صراحة .

فابن خلدون يذكر أن أبا الربيع بعد أن تمت مبايعته وزع العطاء على الناس ثم ارتحل نحو فاس ، وتبعه عثمان بن أبى العلاء فى جيش كثيف ، يروى ابن أبى زرع أنه كان يضم جمعا عظيما من رجاله وبنيه واخوانه ليهاجم السلطان أبا الربيع سليمان ليلا (١٤٩) . ووصلت أنباء تحركات عثمان ابن أبى العلاء إلى مسامع السلطان أبى الربيع فأصدر أوامره إلى جنوده بالسهر واليقظة والاستعداد طول الليل ، حتى التقى بعثمان بن أبى العلاء بساحة علودان (١٥٠) . « فكانت بينهما حروب شديدة فر فيها ابن أبى العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكره وقتل آخرون (١٥١) » . وفى نفس الوقت وصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الأندلس ، وقد نجح أبو يحيى فى سفارته إلى ابن الأحمر الأمر الذى جعل ابن أبى العلاء يرحل من فوره هو ومن معه إلى غرناطة (١٥٢) .

وفى أول ذى الحجة سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م) أرسل السلطان أبو الربيع قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسى إلى حصار سبتة ، وتمكن من فتح المدينة بالقوة « بأمر أشياخها وموافقة عامتها فإنهم كرهوا إمارة أهل الأندلس عليهم وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة » (١٥٣) . وبذلك عادت إلى الدولة المرينية تلك المنطقة الحساسة من أراضيها (١٥٤) . واتجهت سياسة السلطان أبى الربيع بعد ذلك إلى توطيد نفوذ الدولة

السياسى لدى الدول الأخرى ، فعقد اتفاقا لحسن الجوار بينه وبين موسى بن عثمان بن يغمراسن (١٥٥) . كما صالح ابن الأحمر (أبا الجيوش نصر) وتنازل له هذا الأخير عن الجزيرة الخضراء ورندة ونواحيها ، ووصلا فى دعم العلاقات بينه وبين ابن الأحمر إلى حد المصاهرة حيث تزوج من أخت السلطان ابن الأحمر (١٥٦) . وكانت هذه التنازلات من ابن الأحمر تحت وطأة سوء الأحوال فى بلاد الأندلس فقد استولى النصارى على جبل الفتح (جبل طارق) ، وهاجموا المرية والجزيرة الخضراء (١٥٧) . وقد استجاب السلطان أبو الربيع لنداء ابن الأحمر ولكن استجابته لم تكن إلا فى صورة امدادات بالأموال والخيول اللازمة للقتال (١٥٨) .

ولم يكتف أبو الربيع بذلك بل عمد إلى توطيد نفوذه وسلطانه على جميع أجهزة الدولة ، وتخلص من كل من رأى منه إساءة أو زيادة فى النفوذ ، أو رأى منه تطلعا إلى الرياسة أو السلطان . فقتل كاتبه الفقيه عبد الله بن أبى مدين لوشاية وصلت إليه عن طريق يهودى يسمى خليفة الأصغر ، وبعد أن تعرف السلطان أبو الربيع على كذب خليفة الأصغر ، أمر بقتله ، وذويه من اليهود القائمين على الخدمة فى البلاط المرينى (١٥٩) .

وحدث أيضا أن رسولا من رسل ابن الأحمر من المترفين قدم إلى العاصمة فاس وجاهر فيها بشرب الخمر (١٦٠) . وكان القائم بأحكام القضاء والإفتاء الشيخ أبو الحسن الصُغيِّر ، وكان متشددا فى إقامة الحدود حتى أنه اتخذ شماما يستنشق على الناس روائح الخمر (١٦١) . فلما اقتادوا إليه رسول ابن الأحمر هذا أقام عليه حد الخمر ، فسارع ذلك الرسول إلى الوزير رحو بن يعقوب الوطاسى وكشف عن ظهره ليريه أثر السياط ، فأمر ذلك الوزير بإحضار القاضى بعد إهانته والتنكيل به ، فاعتصم القاضى بالمسجد الجامع وثارت معه العامة (١٦٢) . فلما علم السلطان بتلك الأحداث ، أحضر أنصار الوزير الذين أساءوا للقاضى وضرب أعناقهم ، فما كان من الوزير إلا أن تآمر مع الحسن بن على بن أبى الطلاق محمد من بنى عسكر بن محمد – وهو شيخ من شيوخ بنى مرين – وقائد الروم (عنصالة) ، على مبايعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق وخلع طاعة السلطان ، وخرجوا إلى تازى حيث رابطوا هناك بمن انضم إليهم وراسلوا من هناك موسى بن عثمان بن يغمراسن ليساعدهم ، ولكنه أحجم عن مساعدتهم (١٦٣) .

خرج السلطان أبو الربيع بجيوشه لملاحقتهم فى تازى ، فلما يئسوا من مناصرة بنى عبد الواد لهم تفرق جمعهم فعبر عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب إلى الأندلس بعد أن سهل لهم أبو حمو صاحب تلمسان أمر الفرار ، أما من تبقى من اتباعهم فقد أعمل فيهم أبو الربيع القتل والسبى والأسر (١٦٤) . وفى أثناء هذه الجهود المبذولة لتوطيد سلطان الدولة مرض

السلطان ولم تمض عليه ليال حتى توفى فى آخر جمادى الأخيرة سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) ودفن بصحن الجامع الأعظم من تازى (١٦٥) . وترى بعض الروايات أنه مات مسموما (١٦٦) .

وقد ظهرت آثار الجهود التى بذلها ذلك السلطان وأسلافه السابقين فى مجال توطيد الدولة المرينية واضحة جلية فى عهده ، فوصلت الدولة إلى حالة عظيمة من النضج والازدهار والتقدم وصفها ابن خلدون بقوله « وأقام (أبو الربيع) وادعاً بحضرته . وكانت أيامه خير أيام هدنة وسكونا وترفا لأهل الدولة وفى أيامه تغالى الناس فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس فى البناء فغالوا الصروح واتخذوا القصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها بالزليج والنقوش وتنافسوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والترف والسلطان وادع بداره متملى أريكته » (١٦٧) .

(د) نشاط السلطان أبى سعيد عثمان لتوطيد دولة بنى مرين
(٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) – (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م)

أبو سعيد عثمان وإصلاحاته الداخلية :

ولد أبو سعيد فى سنة (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م) ، وأمه عربية حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبى عطية مهلهل بن يحيى ، ويكنى أبا سعيد ، ويلقب بالسعيد بفضل الله (١٦٨) ، تولى أمر بنى مرين بعد وفاة السلطان أبى الربيع رغم محاولة قام بها أحد المتطلعين إلى السلطان من أعضاء البيت المرينى وهو أبو سعيد الأصغر عثمان بن السلطان يوسف بن يعقوب ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل (١٦٩) . إذ اجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر السلطانى بعد هدأة من الليل وتفاوضوا فى أمرهم حتى وقع اختيارهم فى نهاية الأمر على أبى سعيد الأكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق . وقاموا على الفور باستدعائه ، وبايعوه فى نفس الليلة (١٧٠) .

واتخذ أبو سعيد على الفور جميع الإجراءات اللازمة لإتمام مبايعته من العامة والخاصة فى الدولة فأرسل كتبه إلى أقاليم الدولة وجهاتها باقتضاء البيعة له ، وأرسل فى نفس الوقت ابنه الأكبر أبا الحسن إلى فاس عاصمة الدولة لاقرار الأوضاع فيها لصالح السلطان الجديد ، فوصلها أبو الحسن فى أول رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) فاستولى على قصر الخلافة ، ووضع يده على أموال الدولة وذخائرها فى العاصمة (١٧١) .

ويبدو أن هذه الإجراءات السريعة كانت تتخذ على وجه السرعة ، حتى لايسطو على الحكم من لايستحقه ، خاصة إذا بويع السلطان الجديد خارج العاصمة .

وجرت مراسم البيعة العامة للسلطان أبى سعيد فى رباط تازى ، ففى صبيحة يوم الأربعاء أول رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) « ركب (أبو سعيد) من قصر رباط تازى إلى خارج المدينة فى زى عجيب ، واحتفال عظيم . فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مرين وكافة العرب والأندلس والأعزاز وقواد الروم ، ثم بايعه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه » (١٧٢) .

وقد تمتع أبو سعيد بصفات كثيرة دعمت موقفه لدى أهل الحل والعقد فى الدولة ولدى العامة أيضا ، فقد كان من أهل العلم والحلم والعفاف ، جوادا متواضعا ، متوقفا فى

سفك الدماء ، حازما فى الدين ، ذا شفقة على جميع المسلمين (١٧٣) . واجتمعت فيه أيضا صفات جسدية جعلته مقبولا من حيث هيئته ، وقد أشاد كثير من المؤرخين بهذه الصفات . بوجه خاص فهو أبيض اللون ، معتدل القد ، جميل الوجه والصورة ، حسن القبول بعيد ما بين المنكبين ، بعينيه حور ، لطيف الشمائل ، وقد جعلته هذه الصفات موضع القبول من جميع الإطراف (١٧٤) .

وصل أبو سعيد إلى عاصمته فاس فى العشرين من رجب سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) (١٧٥) . وقام فور وصوله بعدد من الإصلاحات الداخلية التى من شأنها أن تدعم وتوطد أركان الدولة المرينية ، وبدأ بحركة الإصلاح هذه بمراعاة التقاليد السابقة فى الدولة حين يتم انتخاب سلطان جديد لها ، ففرق الأموال على قبائل بنى مرين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والعلماء وأحسن إلى الخاصة والعامة من الناس (١٧٦) .

وحرص أبو سعيد على مباشرة أحوال الدولة وأمور الرعية بنفسه وقامت حركة الإصلاح فى عهده على أساس رفع المظالم عن الناس والتخفيف عنهم . فرفع عنهم ماكان مفروضا عليهم من المغارم ، وأفرج عن المسجونين إلا من كان مسجونا لأنه من أهل الفساد فى الأرض ، أو من أصحاب الدماء ، أو من سجن فى حق شرعى (١٧٧) . كما اتخذت الصدقات التى تخرجها الدولة فى عهده مفهوما أشبه كثيرا بما هو معروف فى أيامنا بنظام التأمين والمعاشات إذ أمر أبو سعيد بتوزيعها على « الضعفاء وأهل الستر من البيوتات » بصفة خاصة (١٧٨) . كما راعى إزالة المعوقات التى ترهق أهل مدينة فاس وتعوق نشاطهم ورواجهم الاقتصادى فرفع عن رباعهم ماكان مفروضا عليها من الوظائف المخزنية فى كل سنة (١٧٩) . وقد رفعت بعد ذلك تباعا عن سائر أنحاء الدولة (١٨٠) . ولم يقف أمر الإصلاح فى عهد أبى سعيد عند هذا الحد ، بل كان يقوم بجولات استطلاعية يتفقد فيها أقاليم الدولة ومدنها ويدرس احتياجاتها من الإصلاح ففى شهر ذى القعدة سنة (٧١٠ هـ / ١٣١١ م) ، خرج من فاس إلى رباط الفتح لدراسة أحوال الرعية هناك ، والنظر فى أحوال بلاد الأندلس عن كثب ، واتخذ بعد ذلك عدة قرارات من بينها إنشاء الأساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة ومدافعة الغزاة عنها (١٨١) . وفى سنة (٧١١ هـ / ١٣١١ م) أمر بتعيين أخيه الأمير يعيش بن يعقوب واليا من قبله على الجزيرة الخضراء ورندة ونواحيها من بلاد الأندلس (١٨٢) . وقد جعلت هذه الجهود الإصلاحية مؤرخا كابن الخطيب ، يصف هذا السلطان بأنه ممهد الدولة المرينية (١٨٣) .

المتاعب التى واجهت السلطان أبى سعيد عثمان :

تعرض السلطان أبو سعيد خلال فترة حكمه إلى كثير من المتاعب كان بعضها من

جانب بنى عبد الواد فى تلمسان ، وبعضها من جانب بعض الثائرين خاصة فى إقليم مراكش ، وأكثر هذه المتاعب كان من جانب ولى عهده أبى على الذى ثار عليه أكثر من مرة ، علاوة على ماكان يدور من مؤامرات انفصالية فى سبتة قادها بنو العزفى ، ومادار بالأندلس من أحداث متردية . وسنتعرض لهذه المتاعب كل منها على حدة .

١ – نقض بنى عبد الواد لقواعد الصلح مع بنى مرين :

كان على بنى عبد الواد بمقتضى الصلح المنعقد بين السلطان أبى الربيع وأبى حمو صاحب تلمسان أن يقوموا بتسليم الثائرين : عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسى ، ولكن الذى حدث من بنى عبد الواد كان غير ذلك إذ قام السلطان أبو حمو بحمايتهما ، وتسهيل الطريق لهما للفرار إلى الأندلس (١٨٤) وبعد وفاة السلطان أبى الربيع ، رأى السلطان أبو سعيد سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ضرورة القيام بحملة تأديبية ضد بنى عبد الواد (١٨٥) . وقاد هو بنفسه هذه الحملة التى تضمنت جيشا عظيما جعل أبو سعيد على جناحيه ابنيه أبا الحسن وأبا على وسار هو على رأس ساقة الجيش (مؤخرته) فاكتسح بلاد المغرب الأوسط وحاصر تلمسان ، وأحدث تخريبا شديدا فى نواحيها وعاد إلى تازى بعد أن لقن بنى عبد الواد درسا قاسيا (١٨٦) .

٢ – الاضطرابات فى إقليم مراكش :

كانت أول الاضطرابات التى حدثت فى عهده بهذا الإقليم من قبل عدى بن هند المسكورى (١٨٧) . ببلاد هسكورة حيث نقض طاعته للسلطان وأعلن العصيان . فخرج إليه أبو سعيد سنة (٧١٣ هـ / ١٣١٣ م) (١٨٨) ونزل على هذا الثائر بجيوشه وهو فى قلعته « فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف فى الحديد وقدمه بين يديه موثقا مغلولا إلى مدينة فاس فثقفه بها » (١٨٩) .

كما احتاجت مراكش نفسها إلى كثير من جهود السلطان أبى سعيد ، فانتقل إليها فى سنة (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) وكذلك فى سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) ومرة ثالثة فى سنة (٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) وكان فى كل مرة يتحرك إليها بنفسه ليسكن أحوالها ، ويضبط ثغورها ، ويتفقد أنحاءها ويشرف عليها بنفسه (١٩٠) .

٣ – حركات الأمير أبى على الانفصالية :

كان للسلطان أبى سعيد ولدان أكبرهما اسمه على ويكنى أبا الحسن وهو من أمة حبشية ، أما الصغير فهو عمر ، ويكنى أبا على ، وهو لمملوكة من سبى النصارى (١٩١) . « وكان هذا الأصغر آثرهما لديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حدبا وبه

مشغوفا » (١٩٢) . ولذلك جعله وليا لعهده من دون أخيه الأكبر أبى الحسن ، وأحاطه بأبهة الملك وعظمة السلطان ، فوضع له ألقاب الإمارة « وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه » ، « وعقد على وزارته لإبراهيم بن عيسى اليرنياني » (١٩٣) وبدأ نفوذ عمر يتزايد فى الدولة « وخاطبه الملوك من النواحى وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات واثبت فى الديوان ومحا وزاد فى العطاء ونقص » (١٩٤) . وكان لكثرة هذه الصلاحيات التى منحها السلطان أبو سعيد أثر كبير فى أفساد ولى عهده عمر ، وجعله يشعر بأنه فى مكانة من ولاية العهد يمكنه معها الاستغناء عن السلطان نفسه وخلع طاعته . وهذا ماحدث فى أعقاب عودة السلطان أبى سعيد من حملته على تلمسان سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ، فقد أقام السلطان بتازى وأرسل ولديه إلى فاس ، وهناك فى فاس راودت ولى العهد عمر فكرة السطو على منصب والده السلطان وخلعه (١٩٥) .

ولم يمض وقت طويل حتى أعلن الأمير عمر خلع طاعته لوالده السلطان ، ودعا الناس إلى مبايعته ، وتحرك السلطان أبو سعيد نحو فاس لقمع ثورة ولده الأمير عمر . ولكنه عندما التقى بالأمير عمر منى بهزيمة فادحة عند المقرمدة مابين فاس وتازى ، وأفلت السلطان أبو سعيد من المعركة بصعوبة بالغة بعد أن جرح فى يده ، وتابعه الأمير عمر حتى وصل إلى تازى ، وهناك سعت بعض الشخصيات فى عقد الصلح بين السلطان أبى سعيد وولده عمر ، ووجد السلطان أبو سعيد نفسه فى مأزق خطير الأمر الذى دعاه إلى قبول شروط الصلح ، التى تقضى بأن يتنازل السلطان أبو سعيد لولده عمر عن عرش الدولة المرينية ، وأن يكتفى أبو سعيد بما تحت يده فى تازى (١٩٦) .

عاد الأمير عمر إلى فاس ، وبعد ذلك بايعه الناس بالمدينة البيضاء فى الحادى والعشرين من جمادى الأولى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (١٩٧) ، ولكن الأحداث مضت به فى طريق آخر غير الذى أراده ، إذ مرض مرضا شديدا غاب فيه عن وعيه ، مما جعل وزيره أبا بكر بن النوار ، وكاتبه منديل بن محمد اللقانى وعدد من الخاصة يستغيثون بالسلطان أبى سعيد فى تازى ، الذى قدم على وجه السرعة وحاصر فاس الجديد (١٩٨) .

ولما أفاق الأمير عمر من غيبوبته ، ورأى ألا فائدة من المقاومة ، طلب من والده الصلح على أن يخرج من فاس الجديد ويأخذ من المال والذخيرة مالا يحق لأحد أن يعترض عليه ، وتم هذا الصلح فى سنة (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) (١٩٩) ويضيف السلاوى أن الصلح بين أبى سعيد والأمير عمر تم على أساس أن يعوض الأمير عمر لقاء تنازله عن الحكم ، بأن يكون له حكم إقليم سجلماسة (٢٠٠) . وعلى الرغم من أن ابن خلدون لم يشر صراحة إلى ذلك فالذى يفهم من روايته أن الأمير عمر ذهب إلى سجلماسة فى ذى القعدة سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٥ م) واستقل (٢٠١) بها « فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستلحق

واستركب وفرض العطاء » (٢٠٢) . وهذا يعنى بطبيعة الحال انفصال سجلماسة عن الدولة المرينية لأن هذا الأمير أصبح يشكل فيها حكومة مستقلة عن السلطة المركزية فى فاس . وفى الحقيقة أن الأمير عمر كان يعرف جيدا مكانته من قلب أبيه ، ولذلك كان يضرب على أوتار هذا القلب فى الوقت المناسب ليظفر بما يريد . ومما يؤكد أن وضع الأمير عمر فى سجلماسة كان باتفاق مع السلطان أبى سعيد أنه عندما فكر الأمير عمر فى تخطى حدود سجلماسة بالتوسع سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) واتجه للاستيلاء على درعة وتطلع للاستيلاء على مراكش (٢٠٣) . بدأ السلطان أبو سعيد فى مهاجمته ، بعد أن استولى فعلا على مراكش وقتل عاملها كندوز بن عثمان ، والتقى به السلطان أبو سعيد بوادى ملوية ، فهزم الأمير عمر وفر من أرض المعركة هاربا إلى سجلماسة (٢٠٤) . ولما تتبعه السلطان حتى سجلماسة ، عاود الأمير عمر طريقته فى ابتزاز عطف أبيه وصفحه عنه فعفا عنه ويتحدث ابن خلدون عن ذلك السلاح القوى الذى كان يدافع به الأمير عمر عن نفسه كلما ضاقت به الأحوال مع والده السلطان أبى سعيد بقوله : « وارتحل السلطان إلى سجلماسة فدافعه الأمير أبو على بالخضوع فى الصفح والرضا والعودة إلى السلم فأجابه السلطان لما كان شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب » (٢٠٥) وهذا التصرف من جانب السلطان أبى سعيد يعنى أنه أعطى ولده ما يشبه الحكم الذاتى لإقليم سجلماسة فقط ولم يرض عن أى مظهر لانفصال الإقليم عن الدولة الأم .

٤ - محاولات بنى العزفى الانفصالية فى سبتة :

عاد بنو العزفى من غرناطة إلى بلاد المغرب ثانية فى عهد السلطان أبى الربيع ، واستقروا فى فاس (٢٠٦) . ونظرا للعلاقات الطيبة التى جمعت بين أبى زكريا ويحيى بن أبى طالب العزفى والسلطان أبى سعيد قبل توليه الحكم قلد السلطان أبو سعيد أبا زكريا ويحيى العزفى على سبتة ، وبذا أعاد بنى العزفى إلى ماكانوا عليه (٢٠٧) ولكنهم مالبثوا أن أعيدوا مرة ثانية إلى فاس بأمر من الأمير عمر ، وظلت أحوالهم كذلك حتى انتهاء ثورة الأمير عمر وانحصار أمره فى سجلماسة ، عندئذ أعاد السلطان أبو سعيد بنى العزفى مرة ثانية إلى سبتة ، ولكنه فى هذه المرة أخذ محمد بن أبى زكريا ويحيى العزفى رهينة عنده حتى يلتزم بنو العزفى بالطاعة للسلطان أبى سعيد (٢٠٨) .

ولم يمض على ذلك سنتان حتى « انتقض أبو زكريا بن أبى طالب على السلطان أبى سعيد ورجع إلى حال سلفه من الاستبداد وإقامة الشورى بالبلد واستقدم من الأندلس عبد الحق بن عثمان الذى خرج على السلطان أبى الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسى فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق به كلمة بنى مرين بالمغرب ، ويهن بأسهم فتخف عليه

وطأتهم » (٢٠٩) . وبهذا اتضحت أهداف بنى العزفى الذين استغلوا حركة الأمير عمر بن السلطان أبى سعيد فى استعادة نفوذهم الكامل فى سبتة ، وتدخلوا بطريقة سافرة من جانبهم لتغيير نظام الحكم فى الدولة .

ولم يكن هناك بد من مواجهة خطر بنى العزفى ، فأرسل السلطان أبو سعيد جيشا إلى سبتة بقيادة وزيره إبراهيم بن عيسى اليربنانى ، وتمكن ذلك الجيش من حصار سبتة . وهنا اعتذر أبو زكريا يحيى ، وعلل تصرفاته هذه بأنها بسبب احتجاز السلطان لولده رهينة عنده ، وأنه إذا أعاد له السلطان ولده ، فإنه سوف يعود مرة أخرى إلى طاعة السلطان (٢١٠) .

وأرسل السلطان على الفور الرهينة إلى وزيره إبراهيم بن عيسى ، وتمكن أبو زكريا عن طريق الحيلة ، وبمساعدة عبد الحق بن عثمان من استعادة ولده وتفريق جيش السلطان أبو سعيد (٢١١) . ولم يمض وقت طويل حتى قرر أبو زكريا العودة إلى طاعة السلطان أبى سعيد ولم تشر المصادر إلى الأسباب التى أدت إلى اتخاذه هذا القرار وتراجعه عن مخططاته التى رسمها ضد بنى مرين الحاكمين فى فاس (٢١٢) . والأكثر من هذا أن أبا زكريا العزفى وضع شروطا على نفسه يلتزم بها أمام السلطان أبى سعيد منها ، أنه يقوم بنفسه بحمل جباية سبتة ومايقدمه من هدايا إلى السلطان (٢١٣) .

وفى سنة (٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م) بعد وفاة أبى زكريا العزفى ، أسند السلطان أبو سعيد ولاية سبتة إلى محمد بن أبى زكريا العزفى ولصغر سنه جعله تحت إشراف ابن عمه محمد بن على العزفى ، ولكن هذا الأخير تغلب على سبتة من دون واليها محمد بن أبى زكريا (٢١٤) . وقد دعت هذه التطورات الأخيرة السلطان أبا سعيد المرينى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) ، إلى أن يغير سياسة الدولة المرينية تماما تجاه سبتة باعتبارها ثغرا هاما من ثغور الدولة ، ومحطا للطامعين فى السلطة من أبناء البيت المرينى الحاكم ، وقربها من الأندلس التى يقيم فيها معظم هؤلاء الطامعين . واتضحت معالم السياسة الجديدة فى عدم تولية الحكم فى هذه المدينة لأسرة من الأسر . وبدأ تنفيذ هذه السياسة بإقصاء بنى العزفى تماما من حكم سبتة (٢١٥) . ومن بين معالم هذه السياسة الجديدة توزيع السلطة فى سبتة على أكثر من فرد ، وهذا من شأنه أن يقلل من فرصة الخروج والثورة على السلطة المركزية فى فاس ، « فعقد (السلطان أبو سعيد) لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتى على حاميتها وعقد (لأبى القاسم بن أبى مدين العثمانى) على جبايتها والنظر فى مبانيها وإخراج الأموال للنفقات فيها » (٢١٦) . وأتاحت هذه القواعد الجديدة التى أرساها السلطان أبو سعيد لحكم سبتة الفرصة لهدوء الأحوال فى هذا الثغر الهام من ثغور الدولة المرينية .

٥ - الأوضاع المتردية فى بلاد الأندلس :

يلاحظ أن المرينيين كانوا يفضلون معالجة مشكلاتهم الداخلية قبل أن ينظروا إلى أية أمور خارجية . وفى ضوء هذه الحقيقة الهامة لم يكن للمرينيين - فى عهد السلطان أبى سعيد - أثر عسكرى فعال فى الحروب الدائرة فى الميدان الأندلسى ، إذ أحجم أبو سعيد عن مشاركة بنى الأحمر فيما كانوا يواجهونه من أخطار (٢١٧) . ووضع لبنى الأحمر شرطا قاسيا بالنسبة لهم وهو ضرورة قيامهم بتسليم قائد (مشيخة الغزاة) فى بلاد الأندلس عثمان بن أبى العلاء (٢١٨) . ووقف هذا الشرط حائلا ضخما يعوق التعاون بين المرينين وبنى الأحمر . ومن الانصاف فى هذا الموضع أن يرفض بنو الأحمر شرط أبى سعيد ، فالنصارى الاسبان يحيطون ببنى الأحمر من كل جانب ، ودولتهم ماتزال بعد فى طور النمو ولاغنى لها - فى مثل هذه الظروف - عن هؤلاء القادة المغاربة المهرة الذين كانت لهم جهودهم الموفقة فى المضمار الحربى (٢١٩) .

ويبدو أن تشدد السلطان أبى سعيد مع بنى الأحمر على هذا النحو ، كان يخفى وراءه السبب الحقيقى وهو أن الوضع الداخلى فى الدولة المرينية لايسمح بأى تعاون بين الطرفين فولى العهد عمر بن أبى سعيد يقف متربصا بالسلطان ، وبنو العزفى فى سبته منذ سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) وحتى سنة (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) يحاولون الانفصال عن الدولة ويعاونون أحد أفراد البيت المرينى وهو عبد الحق بن عثمان للاستيلاء على السلطة فى الدولة (٢٢٠) . وقد نجح بنو الأحمر بمعاونة عثمان بن أبى العلاء فى صد هجوم كبير للنصارى على عاصمتهم غرناطة فى جمادى الأولى سنة (٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) ، وحققوا بفضلهم انتصارا عظيما مما أثبت وجهة نظرهم فى تمسكهم بحماية عثمان بن أبى العلاء (٢٢١) .

٦ - محاولات بنى عبد الواد للاخلال بميزان القوى فى بلاد المغرب :

درج بنو عبد الواد على التوسع شرقا على حساب بنى حفص ، وقد تمكنوا فى سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) من الحاق هزيمة كبرى بأبى يحيى بن أبى زكريا الحفصى ، واقتحموا عليه مدينة تونس عاصمة دولته ، ونصبوا على ملك الحفصيين أحد عملائهم وهو محمد بن أبى عمران (٢٢٢) . واستطاع أبو يحيى بن أبى زكريا الحفصى النجاة إلى بجاية ، ومن هناك أرسل وفدا يرأسه ولده الأمير أبو زكريا ومعه وزيره أبو محمد بن تافراكين للاستنجاد بالسلطان أبى سعيد على بنى عبد الواد (٢٢٣) . وقد أحدث وصول هذا الوفد أثرا كبيرا فى نفس السلطان أبى سعيد وولى عهده الأمير أبى الحسن ، وفى حفل الاستقبال الذى جرى للوفد الحفصى قال السلطان أبو سعيد لولى عهده أبى الحسن ، « يابنى لقد قصدك أكبر أقوامنا وموصلك ووالله لابذلن فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولاسيرن

بعساكرى إلى تلمسان فأنزلها مع أبيك » (٢٢٤) .

والذى لاشك فيه أن السلطان أبا سعيد كان يستشعر الخطر من هذه الأحداث ، ففى استيلاء بنى عبد الواد على تونس اخلال بميزان القوى فى بلاد المغرب ، إذ أن وجود الحفصيين فى إفريقية من شأنه أن يكبح جماح بنى عبد الواد ، ومن ثم كانت هذه الحادثة تمثل نقطة تحول خطيرة فى سياسة بنى مرين تجاه المغرب الأوسط وإفريقية إذ بدأ المرينيون يخططون سياستهم على أساس التوسع للقضاء على أى خطر قد يهدد دولتهم من اتجاه الشرق .

ولكن الأحداث لم تمنح المرينيين الفرصة فى ذلك الوقت ، فما أن خرج السلطان أبو سعيد ، وولى عهده أبو الحسن بالجيوش المرينية سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) ووصلوا إلى وادى ملوية حتى وصلتهم الأنباء باستعادة السلطان أبى يحيى الحفصى لتونس (٢٢٥) . فاستدعى السلطان أبو سعيد الأمير أبا زكريا ووزيره أبا محمد بن تافراكين ، وأمرهم بالعودة إلى تونس ، وأرسل معهما إبراهيم بن أبى حاتم العزفى ، والقاضى أبى عبد الله بن عبد الرازق ليقوما نيابة عنه بخطبة ابنه السلطان الحفصى أبى يحيى لولده الأمير الحسن (٢٢٦) . وقد نجح الرسولان فى مهمتهما ، ووصلت العروس سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) وخرج السلطان أبو سعيد بنفسه إلى تازى للقائها والاحتفاء بها (٢٢٧) . ولكنه اعتل وأصابه المرض ، ولما أحس الأمير أبو الحسن بدنو أجل والده قام بنقله إلى العاصمة فاس « وحمله فى فراشه على أكتاف الحاشية والخيول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا إلى داره ، وأدركته المنية فى طريقه فقضى رحمه الله عليه فوضعوه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمولراته فوورى لشهر ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين » (٢٢٨) . وذكرت عدة مصادر أن أبا سعيد توفى بعد أن أصيب بمرض النقرس فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) (٢٢٩) .

ثانيا : اتساع دولة بنى مرين
(٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) – (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

جرت سياسة بنى مرين – منذ تولى السلطان أبو الحسن مقاليد الأمور فى الدولة المرينية سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) على التوسع فى بلاد المغرب الأوسط ، وافريقية ، وكان ذلك التوسع رغبة منه فى تحقيق الوحدة المغربية التى كانت قائمة أيام المرابطين والموحدين ، ويبدو أن أمر الوحدة كان حلما يراود القوى الثلاث التى كانت موجودة فى بلاد المغرب فى ذلك الوقت وهى قوة المرينيين وبنى عبد الواد ، والحفصيين ومن ثم بدأت كل قوة تعمل لهذا الهدف بالتوسع على حساب القوى الأخرى ، ولكن المرينيين من ناحيتهم كانوا يشعرون بهذه الرغبة أكثر من غيرهم باعتبارهم ورثة الموحدين ، ومن منطلق أنهم هم الوحيدون من بين سائر القوى فى بلاد المغرب الذين حملوا العبء الأكبر فى سبيل القضاء على دولة الموحدين .

والتقل المرينيون إلى مرحلة التوسع هذه بفضل ماوصلت إليه دولتهم من القوة والاستقرار ، وما حققته من ألوان الازدهار والعظمة فى تلك الآونة حتى إن مؤرخا كالسلاوى يصف السلطان أبا الحسن الذى بدأ عهد التوسع بقوله : « وهو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس » (٢٣٠) .

وقد أمضى المرينيون قرابة الثلاثين عاما فى تنفيذ هذه السياسة التى استغرقت عهد اثنين من عظماء سلاطين بنى مرين وهما السلطان أبو الحسن على بن عثمان ، وأبو عنان فارس بن أبى الحسن . أما جهود المرينيين التى شهدها مسرح السياسة العسكرية فى المغرب الأوسط – قبل هذه الفترة – فلم تكن أكثر من عمليات تأديبية لبنى عبد الواد ، وكان أكثرها لتأمين الأراضى المرينية فى أثناء العمليات العسكرية التى قام بها المرينيون فى الميدان الأندلسى .

(أ) التوسع فى عهد السلطان أبى الحسن

من سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) إلى سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م)

يروى ابن الأحمر فى النفحة النسرينية ، أن السلطان أبا الحسن المرينى ولد فى صيف سنة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) (٢٣١) . ولكنه يعود فى روضة النسرين فيذكر أن مولده كان فى سنة (٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) (٢٣٢) .

والرواية الثانية بعيدة عن الصحة لأن ابن الأحمر نفسه فى مؤلفيه النفحة والروضة يقرر أن أبا الحسن مات فى سن الستين فى السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٥٢ هـ /١٣٥١ م)(٢٣٣) . وهذا يعنى أن الرواية الأولى هى الأقرب إلى الصحة من الثانية وذلك واضح من الفرق بين تاريخ الرواية الأولى وتاريخ الوفاة . وعرف أبو الحسن عند العامة بالسلطان الأكحل لأن أمه كانت حبشية وقد اكتسب منها اللون الاسمر (٢٣٤) . ويضاف إلى هذه الصفة مجموعة أخرى من الصفات الجسمية التى أكسبته كثيرا من قوة الشخصية ، إذ كان طويل القامة ، عظيم الهيكل ، ضخم العضدين ، حسن الوجه ، جميل العينين (٢٣٥) . وقد أفاض ابن مرزوق الذى ظل أعواما كثيرة يلازم السلطان أبا الحسن – فى مسنده فى الحديث عن صفات أبى الحسن النفسية ، فذكر أنه كان شديد التقوى ، كثير الخوف من الله ، إلى جانب اتصافه بالحلم وسعة الصدر (٢٣٦) . وهذه الصفة الأخيرة كانت محلا لاشادة الكثيرين حتى من اعدائه فقد قال عبد الله بن عثمان بن عمر بن يغمر اسن بن زيان : « أنسى حلم مولاى أبى الحسن كل حلم تقدمه مما حفظ عن الملوك وبرهان ذلك شأننا معه ملكه الله رقابنا وحكمه فينا ومكنه بسيوفه منا معشر بنى عبد الوادى ونحن ننازعهم ونقتل منهم وننازعهم منذ مائة سنة ثم أنه لم يسمعنا كلمة معتبة ولاتوبيخا على قضية وهذا هو الصفح الجميل ونحن الآن عنده أعز من كبار قبيلة » (٢٣٧) .

وفى الحقيقة كان تمسك أبى الحسن بقيمة إلى أبعد الحدود يمثل ظاهرة كبرى فى حياة هذا السلطان وبالتالى فى الحياة السياسة للدولة المرينية ، فبينما كان أعداؤه لايعرفون لهذه القيم معنى أو التزاما ، كان هو يتمسك بتقاليدها معهم ، حتى ضاعت عليه فرص كثيرة للقضاء على هؤلاء الأعداء ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الهامة بعض العلماء الذين حضروا كثيرا من مجالسه (٢٣٨) .

ويضاف إلى هذه الصفات أنه كان عالما مولعا بالأدب ، يحب العلم وأهله ، ويصاحب العلماء والمفكرين (٢٣٩) . وقد ساعده على ذلك جودة إدراكه وحسن فهمه وذكاء عقله

وحدة فراسته . (٢٤٠) وقد روى ابن مرزوق عن والده وعمه أن السلطان أبا الحسن كان منذ صغره حريصا على السماع والقراءة فى المساجد خاصة مسجد المقوسى بالعباد السفلى ، وقلما يلعب مع الصبيان ممن هم فى مثل سنه (٢٤١) . والأكثر من هذا أنه كان وهو فى هذا السن الصغيرة يذهب « لزيارة الصالحين فى العباد العلوى الأموات والأحياء ويسئل عن وظايف الأعمال (٢٤٢) » وذلك ليشبع نزعاته الدينية حتى لقد قال عنه الشيخ المتصوف الورع الزاهد أبو محمد عبد العزيز العزفى : « وهو والله آخر الملوك الفضلاء ويا أسفى على الناس أن فقدوه » (٢٤٣) .

مبايعة أبى الحسن :

وبعد وفاة السلطان أبى سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لإتمام مراسم تنصيب ولى العهد أبى الحسن سلطانا على الدولة المرينية (٢٤٤) . وأمر السلطان أبو الحسن بعد تمام هذه البيعة الخاصة بنقل معسكره من ناحية سبو إلى الزيتون من نواحى فاس ، وبعد أن انتهى من دفن أبيه خرج إلى معسكره بالزيتون ، حيث اجتمع إليه الناس على اختلاف طبقاتهم لمبايعته بمقره السلطانى من معسكر الزيتون . وتولى شئون أخذ البيعة العامة للسلطان أبى الحسن يومئذ الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ، الذى كان يتولى منصب رئيس الوزعة والمتصرفين ، وحاجب الباب السلطانى بالدولة (٢٤٥) . كان ذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذى العقدة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣١ م) (٢٤٦) .

التوسع المرينى فى المغرب الأوسط :

ساعدت العلاقات القوية التى توطد أمرها بين الدولة المرينية فى المغرب الأقصى ، ودولة بنى حفص فى إفريقية ، السلطان أبى الحسن على أتمام مشروعاته التوسعية التى كان يأمل فى تحقيقها فى المغرب الأوسط ، إذ أعطت المصاهرة التى تمت بين الحفصيين وبنى مرين كما يقول الزركشى حقا للمرينيين ينتقمون ويدافعون بمقتضاه عن أصهارهم الحفصيين فى إفريقية ، الذين كانوا يعانون كثيرا من مضايقات بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط (٢٤٧) . ومما ساعد أبا الحسن على المضى قدما فى سياسته التوسعية ، أن بنى عبد الواد رفضوا أى مظهر من مظاهر التعاون مع بنى مرين لخلق صيغة من التعايش السلمى وحسن الجوار بين القوى الثلاث فى بلاد المغرب ، ولو لفترة مؤقتة ، ويذكر ابن خلدون والسلاوى أن سفارة تمت بين السلطان أبى الحسن المرينى والسلطان أبى تاشفين العبد الوادى ، وجاءت الصيغة التى اقترحها السلطان أبو الحسن لهذا التعايش السلمى على هذا النحو « أن يتخلى (أبو تاشفين العبد الوادى) عن عمل الموحدين (بنو حفص) جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع إلى تخوم عمله منذ أول الأمر ولو عامئذ » (٢٤٨) . ولكن أبا تاشفين أساء الرد على

رسول أبى الحسن . والأكثر من ذلك أن بعض السفهاء من العبيد أفحشوا فى الرد على وفد أبى الحسن وقد عجل هذا الحادث ببدء سياسة التوسع المرينية فى المغرب الأوسط ، وأخذ السلطان أبو الحسن فى إعداد جيوشه للحرب ولكنه قبل أن يقوم بعملياته العسكرية فى المغرب الأوسط ، اتجه نحو سجلماسة اختبارا لأخيه الأمير عمر ، حتى يطمئن إلى أن الأمير عمر لن يقوم بأى تحرك للاستيلاء على الحكم فى أثناء عملية غزو المغرب الأوسط ، ولم ينتظر الأمير عمر حتى يدخل عليه السلطان أبو الحسن سجلماسة ، فأرسل الوفود لتقابل أخاه فى الطريق ، وتقدم إليه بيعته وتطلب إلى أبى الحسن اقرار أخيه الأمير عمر على ماكان عليه أيام أبيه من حكم سجلماسة وبلاد القبلة (٢٤٩) . فوافق أبو الحسن على ذلك « وعقد له على سجلماسة وما إليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما وشهد الملأمن القبيل وسائر زناتة والعرب » (٢٥٠) .

انطلق السلطان أبو الحسن نحو تلمسان ، ونزل بقواته عند تاسالت فى شعبان سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) .. إلى الشرق من تلمسان (٢٥١) .

وفى نفس الوقت كان الأسطول المرينى يتقدم نحو سواحل تلمسان لمعاونة القوات البرية (٢٥٢) . ونجح الأسطول المرينى فى حمل مدد من جنود الجيش المرينى من وهران بقيادة محمد البطوى إلى بجاية ، حيث اشتركت هذه القوات مع الجيش الحفصى فى الاستيلاء على تيكلات ، وكانت ثغرا هاما لبنى عبد الواد يحشدون فيها قواتهم لحصار بجاية ؛ وبفضل هذه المعاونة السريعة من الأسطول المرينى نجح الحفصيون فى اكتساح هذه المدينة وتخريبها ، وأبعدوا عن بجاية خطرا محققا (٢٥٣) .

ظل السلطان أبو الحسن متمركزا بقواته عند تاسالت منتظرا قدوم صهره السلطان أبو يحيى الحفصى ليشتركوا معا فى الاستيلاء على تلمسان (٢٥٤) . ولكنه فوجىء بخروج أخيه الأمير عمر عليه باتفاق سرى ، تم بينه وبين أبى تاشفين العبد الوادى ، ويقضى هذا الاتفاق بأن يقوم كل منهما بمعاونة الآخر ضد السلطان أبى الحسن (٢٥٥) . واتخذ السلطان أبو الحسن من الاستعدادات العسكرية مايكفل ضمان سلامة الدولة المرينية ضد هذا التحالف الخطير ، فترك فرقة قوية عند تاوريرت يقودها ابنه الأمير تاشفين ويعاونه فى قيادتها الوزير منديل بن حمامة بن تيربيعين ، وكان الهدف من ذلك حماية ظهر القوات الرئيسية – التى توجه بها السلطان أبو الحسن لحصار سجلماسة – من خطر أى هجوم مفاجىء يقوم به السلطان أبو تاشفين العبد الوادى ، لفك الحصار عن حليفه الأمير عمر فى سجلماسة .

ونجح السلطان أبو الحسن فى الإطاحة بهذا التحالف سريعا ، إذ منى السلطان أبو تاشفين العبد الوادى بهزيمة فادحة عند تاوريرت عاد على أثرها إلى بلاده . كما تمكن السلطان أبو الحسن من اقتحام سجلماسة بالقوة ، وقبض على أخيه الأمير عمر ، وعاد به إلى العاصمة فاس سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) (٢٥٦) . « واعتقل أخاه (الأمير عمر) فى إحدى حجر القصر إلى أن قتله لأشهر من اعتقاله خنقا بمحبسه » (٢٥٧) .

توقفت أعمال المرينيين العسكرية فى المغرب الأوسط ، وكان ذلك بسبب انشغال الجيوش المرينية فى الجبهة الأندلسية بالاستيلاء على جبل الفتح وانشاء تحصيناته الضخمة (٢٥٨) . ولم يستأنف السلطان أبو الحسن مشروعاته التوسعية فى شرق الدولة إلا منتصف سنة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) (٢٥٩) حيث خرج بجيوش ضخمة وسار بها يجر الشوك والمدر من أمم المغرب على حد تعبير ابن خلدون . وحاصر أبو الحسن بقواته الرئيسية مدينة تلمسان بينما انتشرت فرق الجيش المرينى الأخرى فى أنحاء المغرب الأوسط تستولى على مدنه وحصونه ولم تنته سنة (٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م) حتى سقطت وجدة وهدمت أسوارها ، وتغلب المرينيون على وهران وهنين ومليانه وتنس والجزائر ، كما قام يحيى بن سليمان العسكرى بالاستيلاء على شرق المغرب الأوسط حتى مدينة لمدية (٢٦٠) . ومضى السلطان أبو الحسن فى بسط النفوذ المرينى على مدن المغرب الأوسط وأقاليمه المفتوحة ، وفى نفس الوقت عمل على تدعيم قواته التى تحاصر تلمسان ، فاختط بغربى تلمسان البلد الجديد لتكون مقرا له ولقواته المحاربة وسماها المنصورة ، وكان فى ذلك إحياء لمعالم المنصورة التى شيدها عمه يوسف بن يعقوب ، وأدار على المنصورة سياجا من السور ونطاقا من الخندق ، وقد كان للمجانيق وآلات الحرب التى نصبت حول تلمسان أثر كبير فى دك المدينة وتخريب القصور والقباب الرفيعة التى تأنق أبو تاشفين فى تشييدها ، واستمر حصار أبى الحسن لتلمسان ثلاث سنين حتى سقطت واقتحمها أبو الحسن ودخلها بالقوة فى السابع والعشرين من رمضان سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٧ م) (٢٦١) . « ووقف صاحبها (أبو تاشفين فى ساحة قصره ، فقاتل هنالك مع خاصته حتى قتل/ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على وجملة من كبار أصحابه وأثخنته الجراح ووهن لها فقبض عليه ورفع إلى السلطان (أبى الحسن) فلقيه الأمير عبد الرحمان ابن السلطان أبى الحسن فأمر به فقتل واحتز رأسه » (٢٦٢) وانتهت بنهايته دولة بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط . وبلغ عدد القتلى طيلة فترة الحصار ثمانين ألفا حسب رواية الزركشى (٢٦٣) .

وعلى الفور شرع أبو الحسن فى اتخاذ خطوات إدارية استهدفت إدماج المغرب الأوسط بجميع سكانه فى الدولة المرينية ، وبدأ ذلك بإصدار عفو عام عن بنى عبد الواد ، وإثباتهم فى الديوان ، وفرض لهم العطاء ، وابقى كلا منهم فى مكانته التى كان عليها ولكن تحت السيادة

المرينية الجديدة (٢٦٤) . وأصبح فتح تلمسان يمثل انتصارا سياسيا عظيما لأبي الحسن ، إذ مكنه هذا الانتصار من « جمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصبا تحت لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم إلى ثغور عمله بالأندلس حامية ومرابطين اندرجوا فى جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين » (٢٦٥) .

توسع المرينيين فى حركة الجهاد فى الميدان الأندلسى :

كان لجهود السلطان أبى الحسن فى جمع كلمة قبائل زناتة القوية ، وتوحيد قوى المغربين الأوسط والأقصى أثر كبير فى استئناف حركة الجهاد فى الميدان الأندلسى بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الدولة المرينية ، إذ أصبح المرينيون يتمتعون بطاقات بشرية واقتصادية هائلة ، تساعدهم فى عملية الجهاد كما أنهم أصبحوا يعملون فى الميدان الأندلسى وهم فى مأمن بعد زوال خطر بنى عبد الواد من المغرب الأوسط .

والحقيقة الهامة التى لاينبغى إغفالها أن السلطان أبا الحسن كان مشغوفا بالجهاد فى الميدان الأندلسى واستئناف ماتصرم من أسبابه ، وكان فوق اضطرامه بعاطفة الجهاد ، يرى خطر أسبانيا النصرانية شاخصا أمام ناظريه يلوح داهما ليس على الأندلس فحسب ، بل وعلى المغرب أيضا ، لأن الأندلس أخذت تبدو منذ الحين وكأنها جناح المغرب ، وخطه الدفاعى الأول ، ذلك وكان يرى ضرورة تأمين هذا الخط والسهر على سلامته (٢٦٦) .

وكان السلطان أبو الحسن قبل ذلك قد استقبل فى بلاطه بفاس سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر – سلطان غرناطة ، وجرى فى الاجتماع الذى عقد بينهما استعراض لأوضاع المسلمين العسكرية المتردية فى بلاد الأندلس ، وكان من بين الموضوعات الرئيسية فى محادثاتهما ، موضوع جبل الفتح ، الذى كان سقوطه فى يد النصارى سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠ م) أعظم نكبة منيت بها الأندلس منذ سقوط قواعدها الكبرى ، وانتهت المحادثات إلى ضرورة التعاون الكامل بين الدولتين لاستعادة جبل الفتح (٢٦٧) .

عاد السلطان محمد بن إسماعيل وبصحبته حملة من خمسة آلاف جندى يقودها الأمير أبو مالك نجل أبى الحسن ، وتابع الأسطول المرينى العناية باحتياجات الحملة من المدد والمؤن ، حتى تمكنت – بمعاونة السلطان محمد بن إسماعيل بن الأحمر وجيوشه الأندلسية – من الاستيلاء على جبل الفتح سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) (٢٦٨) .

ويعد الاستيلاء على جبل الفتح عملا عسكريا رائعا نظرا لموقعه الاستراتيجى وأهميته العسكرية للمسلمين فى المغرب والأندلس ، ولذلك قرر أبو الحسن أن يقوم بتحصين سفح جبل الفتح ، ببناء سور ضخم يحيط بالجبل إحاطة تامة ، وقد كان إجراء هذه التحصينات الضخمة للجبل فى نظر البعض ضربا من المستحيل (٢٦٩) . ولكن أبا الحسن ، صمم على ذلك ، فأنفق أموالا طائلة حتى تم تحصين الجبل بكامله ، يقول السلاوى : « واهتم (أبو الحسن) ببنائه (جبل الفتح) وتحصينه وأنفق عليه أحمال المال فى بنائه وحصنه وسوّره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاربيه » (٢٧٠) .

وانشغل السلطان أبو الحسن بعد ذلك بالتوسع فى المغرب الأوسط ، وتثبيت أقدام المرينيين فيه ، وكانت الأحداث فى الأندلس قد تمخضت عن مقتل السلطان محمد بن إسماعيل ابن الأحمر فى سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) نتيجة لمؤامرة دبرها بنو العلاء (٢٧١) . واعتلى عرش بنى الأحمر السلطان يوسف الأول الذى حرص أشد الحرص على توطيد العلاقات مع المرينيين فأرسل – تحت الضغط الكبير الذى كان يعانيه من النصارى – يستنجد بالسلطان أبى الحسن . وصادفت هذه الدعوة استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية فى دولة بنى مرين ، ورغبة السلطان أبى الحسن فى الجهاد ، وتحقيق ماحققه المرابطون والموحدون قبل ذلك من انتصارات ونفوذ فى بلاد الأندلس (٢٧٢) .

أصدر السلطان أبو الحسن أوامره إلى ولده الأمير أبى مالك بالدخول إلى دار الحرب فى الميدان الأندلسى ، وأمر وزراءه بوضع كافة الامكانات اللازمة تحت تصرف أبى مالك ، الذى عبر على الفور بالكتائب المرينية ، واقتحم بها الثغور الأندلسية متوغلا فى الأراضى القشتالية ، حيث حقق انتصارات مبدئية ضخمة ، عاد على أثرها مثقلا بكميات كبيرة من السبى والغنائم ، رابط بها فى صدر الأراضى القشتالية (٢٧٣) .

وصلت الأنباء إلى الأمير أبى مالك بمتابعة النصارى له ، ورفض الاستجابة إلى نصائح قادة جيشه بالانسحاب وعبور الوادى الفاصل بين أراضى المسلمين ، ودار الحرب ، وصمم على البقاء فى موضعه ، وكان كما يقول ابن خلدون : « قرما ثبتا إلا أنه غير بصير بالحروب لمكان سنه فصبحهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبوهم فى إبايتهم وأدرك الأمير أبو مالك بالأرض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم » (٢٧٤) .

صمم السلطان أبو الحسن على العبور إلى الميدان الأندلسى ليتولى بنفسه قيادة العمليات العسكرية ضد نصارى أسبانيا ، وبدأ على الفور حركة تعبئة عامة شملت أنحاء الدولة المرينية

لتجهيز الجيش والأسطول فأمر وزراءه بالتوجه إلى السواحل الشمالية للإشراف بأنفسهم على تجهيز الأساطيل المرينية للحرب ، ولم يكتف بما عنده من قوة بحرية بل أرسل إلى مراسى الأندلس لتعد أساطيلها للقتال ، وكذلك بعث إلى حلفائه الحفصيين فى افريقية يطلب إليهم إرسال نجدة بحرية ، فأرسلوا إليه أسطولا من ست عشرة سفينة ، بقيادة زيد بن فرحون قائد أسطول بجاية وقد ضم هذا الأسطول الحفصى سفنا من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية ، وبلغ عدد السفن الحربية التى تجمعت نتيجة لهذا الاستنفار البحرى مائة سفينة تولى قيادتها محمد بن على العزفى صاحب سبتة (٢٧٥) .

وأهتم أبو الحسن أيضا باعداد جيوشه البرية ففتح « ديوان العطاء واعترض الجنود وازاح عللهم واستنفر أهل المغرب كافة » (٢٧٦) وانتقل هو إلى سبتة حيث جعلها مقرا مؤقتا لقيادة جيوشه ، ومن هناك أصدر أوامره إلى الأسطول المرينى بالهجوم على الأسطول الأسبانى الذى حشده النصارى فى بحر الزقاق عندما أحسوا باستعدادات أبى الحسن ، وكانت مهمة الأسطول الأسبانى تعويق عبور الجيوش المرينية إلى الأندلس (٢٧٧) . وتمكن الأسطول المرينى من سحق أسطول النصارى حيث نجح رجال الأسطول المرينى فى جذب سفن النصارى والالتحام بها وانقضوا عليهم « هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم الملند واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبتة » (٢٧٨) وبهذا الانتصار أصبح الطريق مفتوحا أمام عبور القوات البرية دون عائق أو خطر ، وقد بلغ حجم هذه القوات ستين ألفا من المتطوعة والمرتزقة (٢٧٩) .

وعبر السلطان أبو الحسن بعد ذلك ومعه خاصته وحشمه فى آخر سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م) (٢٨٠) . وفى الثالث من محرم سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) بدأ السلطان أبو الحسن فى توجيه ضرباته إلى طريف ، يعاونه فى ذلك السلطان أبو الحجاج يوسف بن الأحمر بما معه من قوات من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجال البدو (٢٨١) . وبينما القوات الإسلامية مشغولة بهذا العمل العسكرى ، كانت قوى النصارى تقوم بعمل بحرى خطير ضد القوات الإسلامية المحاربة حول طريف حيث تمكنت الأساطيل النصرانية من السيطرة على المضيق بين المغرب والأندلس وبذا تمكنت من قطع خطوط الإمدادات والتموين عن القوات المرينية المحاربة حول طريف (٢٨٢) . واستغل النصارى عامل الوقت استغلالا ممتازا فلم يشتبكوا مع المسلمين إلا بعد مضى ستة أشهر ، شحت خلالها أقوات المسلمين وأزودتهم وعلوفات ماشيتهم حتى اختلت الأحوال فى معسكراتهم (٢٨٣) . وبينما كانت الأمور تمضى على هذا النحو من التدهور فى الجبهة الإسلامية كانت جيوش البرتغال بقيادة صاحب لشبونة وغرب الأندلس تنضم إلى قوات قشتالة (٢٨٤) . التى كان يقودها الفونسو

الحادى عشر ملك قشتالة ، وفى جمادى الأولى سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) دارت رحى معركة كبرى بين الفريقين (٢٨٥) .

وقبل بدء المعركة استطاع النصارى أن يسربوا إلى طريف بعضا من قواتهم ، فدخلوها ليلا على حين غفلة من الحراس ، وقد استطاع الحراس قتل بعضهم ، ولكنهم أخفوا عن السلطان أبى الحسن أن عددا منهم قد اجتاز الحصار إلى داخل المدينة خوفا من بطشه (٢٨٦) .

وفى الصباح دارت المعركة بين الطرفين ، وفجأة خرجت قوات النصارى التى تسربت إلى طريف وأخذت تهاجم مؤخرة الجيوش الإسلامية ، وتمكنت من الوصول إلى معسكر السلطان أبى الحسن فأشعلت به النيران وقتلت حريم السلطان وحاشيته ، وكان لهذا الكمين أثره فى اختلال صفوف المسلمين وإلحاق الهزيمة بهم ، ونجا السلطان أبو الحسن إلى الجزيرة الخضراء ومنها إلى جبل الفتح ، حيث عبر من هناك إلى سبتة فى نفس الليلة (٢٨٧) . وكانت هذه المعركة محنة عظيمة للمسلمين فى المغرب والأندلس لاتقل فى قسوتها عن هزيمة العقاب (٢٨٨) .

وبدأت ردود الفعل العنيفة لهذه الهزيمة تتوالى على المغرب والأندلس ، حيث استأسد النصارى على المسلمين كما يقول ابن خلدون (٢٨٩) فاستولوا على قلعة بنى سعيد التى لاتبعد عن غرناطة إلا بمرحلة واحدة ، كما فشل الأسطول المرينى فى استعادة سيطرته على بحر الزقاق ، وتبع ذلك سقوط الجزيرة الخضراء فى يد القشتاليين ، بعد أن عجزت حاميتها المرينية عن الصمود للحصار الذى ضربه القشتاليون عليها . (٢٩٠) وسمح القشتاليون لأهلها بالعبور إلى بلاد المغرب سنة (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) حيث تلقاهم السلطان أبو الحسن بالمبرة والإكرام ، وخلع عليهم وأعطاهم ما عوضهم عما افتقدوه فى الجزيرة الخضراء (٢٩١) .

ومهما يكن من أمر ، فإن أهم النتائج التى تمخضت عنها هذه الأحداث هى عودة السلطان أبى الحسن إلى استكمال مشاريعه التوسعية فى أراضى الدولة الحفصية فى إفريقية ، وربما كان ذلك لصرف الأنظار عن الهزائم التى لحقت به فى الميدان الأندلسى .

التوسع المرينى فى إفريقية :

كان السلطان أبو الحسن – على الرغم من علاقة المصاهرة بينه وبين الحفصيين – يتحين الفرص للتوسع فى بلاد افريقية ، والقضاء على الحفصيين (٢٩٢) . الذين كانوا يمثلون البقية الباقية التى تحمل كثيرا من أفكار الموحدين ، وفى نفس الوقت كان الحفصيون القوة التى تحول دون وحدة بلاد المغرب كلها تحت الحكم المرينى . وكان أبو الحسن قد أرسل عددا من رجالات دولته لخطبة إحدى بنات السلطان أبى يحيى الحفصى عوضا عن فاطمة بنت

أبى يحيى الحفصى التى استشهدت فى موقعة طريف ، ووصل الوفد إلى البلاط الحفصى فى ذى الحجة سنة (٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٣) . ولكن ما لبث أخبار ذلك الوفد أن انقطعت ، وانطلقت الإشاعات فى تلمسان بأن السلطان أبا يحيى الحفصى قد رفض التصاهر مع أبى الحسن ثانية ، وقد وصلت هذه الشائعات إلى مسامع أبى الحسن الذى كان قريبا من تلمسان فى مدينة المنصورة ، فرحل على الفور إلى عاصمته فاس ، وأخذ فى إعداد جيوشه لغزو إفريقية ، وأعطى تفويضا لحفيده منصور ابن الأمير أبى مالك لإدارة شئون المغرب الأقصى فى أثناء غيابه وجعل إلى جانبه الحسن بن سليمان بن ترزيكن متوليا لأمر الشرطة والضواحى ، ولكن هذه الاستعدادات مالبثت أن توقفت ، بعد أن وصلت الأنباء إلى أبى الحسن بتمام المصاهرة الجديدة (٢٩٤) .

أوقف أبو الحسن تحركاته نحو إفريقية انتظار لبادرة جديدة ، ومبرر آخر للقيام بعملية التوسع ، ولم تكن أخبار تمام المصاهرة هى الأنباء الوحيدة التى وصلت إلى أبى الحسن ، وإنما وصل معها نبأ وفاة السلطان أبى يحيى أبى بكر الحفصى فى رجب سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٥) . وأحدثت وفاة أبى يحيى الحفصى رجة كبرى زلزلت كيان البيت الحفصى إذ وثب الأمير عمر بن أبى يحيى لأخذ الأمر لنفسه دون أخيه أبى العباس أحمد ولى العهد وتملك قصر السلطان وضبط أبوابه ، واستطاع بمعاونه الحاجب ابن تافراجين - تلك الشخصية التى لعبت أدوارا خطيرة فى سياسة إفريقية - أن يأخذ البيعة لنفسه (٢٩٦) . حيث سارع ابن تافراجين « واستدعى وجوه الموحدين وبعض وجوه البلد (تونس) وأخرج لهم الأمير عمر فبايعوه » (٢٩٧) .

بلغ الخبر إلى ولى العهد الأمير أبى العباس أحمد ، فجهز جيشا سار به إلى أخيه الأمير عمر الذى خرج هو الآخر بجيوشه لحرب أخيه أبى العباس ، وكان يصاحبه فى حملته الحاجب ابن تافراجين الذى لم يطمئن إلى نوايا الأمير عمر نحوه ، ففر هاربا إلى السلطان أبى الحسن المرينى (٢٩٨) .

وقد أحدث هروب ابن تافراجين خللا فى صفوف الأمير عمر فتراجع بقواته إلى باجة ، بينما واصل الأمير أبو العباس أحمد ولى العهد التقدم بجيوشه نحو تونس فدخلها وبويع بها فى التاسع من رمضان سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٢٩٩) ولم تمض أيام حتى وصل الأمير عمر بقواته من باجة « وأصبح على تونس يوم السبت سادس عشر شهر رمضان المعظم وفرق خيله ورجله على أبواب المدينة وكسرت الأقفال وفتحت الأبواب وقامت معه العامة فلم يجيء وقت الضحى إلا وقد استولى على المدينة وقتل أخاه الأمير أحمد ونصب رأسه على قناة وقطع أيدى أخويه خالد وعبد العزيز فمات عبد العزيز فى الحين وكمل على خالد وقتل

فى ذلك اليوم فى المدينة وفى الربض نيف وثمانون رجلا من العرب الواصلين صحبة الأمير أبى العباس أحمد بتونس » (٣٠٠) . وكانت نهاية هذه الحرب الأهلية بهذه المأساة المروعة ، بداية التدخل المرينى العسكرى فى إفريقية .

إذ أن وثيقة ولاية العهد لأبى العباس أحمد ، كان السلطان أبو الحسن قد وقع عليها بنفسه كضامن لسريانها فى حالة وفاة السلطان الحفصى (٣٠١) . ولعل السلطان الحفصى استهدف من ذلك إشعار أبنائه بقوة هذه الوثيقة وفاعليتها ، فلا يتصارعون على الخلافة من بعده . ولذلك كان للأحداث السابقة أثر كبير فى نفس السلطان أبى الحسن فيقول الزركشى « فتنغص السلطان (أبو الحسن) من ذلك ورأى أن الأمير عمر ارتكب مذاهب العقوق فى إخوته وخرق السياج الذى فرضه بخطه عليهم فأجمع أبو الحسن الحركة على إفريقية وقوى عزمه على ذلك قدوم الوزير ابن تافراجين » (٣٠٢) . ورغم أن هذه الرواية لم توضح دور ابن تافراجين فى تشجيع أبى الحسن على غزو إفريقية ، فإن ابن خلدون أشار إلى دور ذلك الوزير صراحة فقال : « ورغبه ابن تافراكين فى ملك الموحدين فرغب (أبو الحسن) » (٣٠٣) .

تحرك أبو الحسن بجيوشه نحو إفريقية فى صفر سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) (٣٠٤) . بعد أن أسند إلى ابنه الأمير أبى عنان إدارة شئون المغرب الأوسط وجبايته (٣٠٥) . وإذا كان السلطان أبو الحسن قد التمس فى خلافات البيت الحفصى مبررا كبيرا لاقتحام إفريقية ، فقد كان لهذه المبررات قوتها فى نظر الكثيرين من حكام الأقاليم فى الدولة الحفصية . فلم يكد السلطان أبو الحسن يدخل بقواته فى أراضى إفريقية حتى انهالت عليه وفود هؤلاء الحكام يبايعونه وينضمون إليه ويباركون تحركه نحو أفريقية ، فعند وهران « وافاه هنالك وفد قسطيلية وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكى أمير جربة ورديف أخيه عبد الملك فى امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر ... وأحمد بن عامر بن العابد رئيس نفطة ... فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران فى ملأ من وجوه بلادهم فآتوه بيعتهم وقضوا حق طاعته » (٣٠٦) كما حملت هذه الوفود معها بيعة محمد بن ثابت صاحب طرابلس (٣٠٧) . وبالقرب من بجاية وفد على أبى الحسن لمبايعته والانضمام إليه يوسف بن منصور بن مزنى حاكم بسكرة وبلاد الزاب (٣٠٨) . كما انضم إلى أبى الحسن وبايعه عدد كبير من أمراء الحفصيين منهم أبو عبد الله بن أبى زكريا أمير بجاية ، وكذلك أمير قسنطينة أبو زيد حفيد السلطان أبى يحيى الحفصى وسائر إخوته (٣٠٩) . وجرت سياسة السلطان أبى الحسن بالنسبة لهؤلاء الأمراء على تحويلهم إلى مجرد عمال أو موظفين فى الدولة ، وله حق نقل مقر عملهم إلى أى مكان آخر ، فنقل أبو عبد الله محمد بن أبى زكريا من عمله فى بجاية ، إلى ندرومة فى بلاد المغرب الأوسط ، وأبو زيد عامل قسنطينة وأخوته نقلهم أيضا إلى وجدة من عمالات المغرب الأوسط أيضا ،

وأحل محل هؤلاء جميعا حلفاؤه وعماله لتأمين الوجود المرينى فى إفريقية (٣١٠) . أما حكام الأقاليم الذين بايعوا أبا الحسن من غير الأمراء الحفصيين فقد أكرمهم « وعقد لهم على أمصارهم وصرفهم إلى أعمالهم » (٣١١) . وكانت هذه خطوة هامة نحو تحويل هذه الأقاليم من الإدارة الحفصية إلى الإدارة المرينية ، ومن ناحية ثانية حصرت نفوذ الأمير عمر فى منطقة العاصمة تونس .

وقد أدت القبائل العربية دورا كبيرا فى تأييد السلطان أبى الحسن ، فبايعه يعقوب بن على سيد الزواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة ، وقد ضمهم أبو الحسن إلى ساقة جيشه (٣١٢) . وانضم إليه أيضا قسم كبير من عرب الكعوب تحدوهم الآمال فى الانتقام من الأمير عمر الحفصى الذى قتل عددا كبيرا منهم وكان يترأسهم عمر بن حمزة ، وقد نقل هذا الشيخ أخبار تحركات الأمير عمر الحفصى إلى السلطان أبى الحسن ، فأخبره أن الأمير عمر خرج من تونس ومعه أولاد مهلهل من العرب متجها إلى ناحية قابس وأشار على السلطان بأن هذه أحسن فرصة للقضاء على الأمير عمر (٣١٣) . فأرسل السلطان أبو الحسن فى أثره حملة بقيادة حمو بن يحيى العسكرى يرافقه فيها عمر بن حمزة شيخ الكعوب (٣١٤) . وتمكنت هذه الحملة من أن تدرك « السلطان أبا حفص ومن معه بأرض الحامة من جهات قابس بموضع يسمى المباركة بقرب جبل السباع فصبحوهم فدافعوا عن أنفسهم الشيء ثم انفضوا فتقبض على الأمير عمر على مولاه ظافر وسيقا إلى الأمير حمو فاعتقلهما إلى الليل فذبحهما وبعث برأسيهما إلى السلطان أبى الحسن (٣١٥) » . كان ذلك فى السابع عشر من جمادى الأولى سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) (٣١٦) .

بمقتل الأمير عمر أصبح الطريق مفتوحا أمام السلطان أبى الحسن للاستيلاء على تونس ، فأرسل إليها حملة بقيادة صهره يحيى بن سليمان ، وصاحب هذه الحملة أحمد بن مكى أمير جربة ، وتمكنت هذه الحملة من احتلال تونس والاستيلاء عليها ، والتمهيد لمقدم السلطان أبى الحسن ، الذى تقدم هو الآخر نحو تونس ووصل إلى ظاهرها يوم الأربعاء الثامن لجمادى الآخرة سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، حيث تلقاه هناك وفد تونس الذى ضم شيوخ الشورى وأرباب الفتيا وأعلنوا طاعتهم لأبى الحسن (٣١٧) .

وفى يوم السبت بدأت مواكب السلطان أبى الحسن فى الدخول إلى تونس وسط مظاهر عظيمة من الفخامة والمهابة ، حيث صف السلطان « جنوده سماطين من معسكره بسيجوم إلى باب البلد يناهز ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين إلى مراكزهم فى جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطة وراكبه من على يمينه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الأمير أبو عبد الله محمد أخو مولانا

السلطان أبي يحيى ... وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ مائة وجاء والمواكب تجتمع عليه صفا صفا إلى أن وصل إلى البلد وقد ماجت الأرض بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه » (٣١٨) .

دخل السلطان أبو الحسن إلى قصر الخلافة الحفصية وأخذ فى تفقده وتفقد الرياض المتصلة به المسماة برياض الطابية ، وفى الأيام التالية قام بجولة زار فيها القيروان وسوسة والمهدية ورباط المنستير (٣١٩) . ثم عاد إلى تونس حيث بدأ فى توزيع قواته على ثغور إفريقية « وأقطع بنى مرين البلاد والضواحى وأمضى أقطاعات الموحدين للعرب واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح » (٣٢٠) . وشرع فى بناء مدينة فوق سيجوم أطلق عليها اسم المنصورة لتكون مقرا لجيوشه لأن تونس ضاقت بقواته (٣٢١) .

وبهذه الجهود استطاع أبو الحسن أن يكون أول سلطان مرينى يحقق وحدة بلاد المغرب تحت قيادة واحدة كما كانت أيام المرابطين والموحدين ، واتصلت ممالكه كما يقول ابن خلدون « ما بين مسراتة والسوس الأقصى من هذه العدوة وإلى رندة من عدوة الأندلس » (٣٢٢) . وبدأت هذه الانتصارات تحدث آثارها بين سائر القوى فى العالم الإسلامى كما يقول السلاوى « وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته » (٣٢٣) .

اضطراب النفوذ المرينى فى إفريقية :

الظاهرة الكبرى التى واجهها السلطان أبو الحسن فى إفريقية هى الأوضاع الاقتصادية الخطيرة للقبائل العربية ، فقد كان الخلفاء الحفصيون يتألفون هؤلاء الأعراب بإعطائهم الإقطاعات والأمصار الكثيرة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ترك الحفصيون لهم حرية التصرف فى بواديهم ، فضربوا الإتاوة على الأهالى دون أية معارضة من الحفصيين ، وكانوا يطلقون على هذه الإتاوة اسم الخفارة (٣٢٤) .

وقد أفزعت هذه التصرفات من جانب الأعراب السلطان أبا الحسن بعد أن انهالت عليه شكاوى المواطنين ، فاسترجع هذه الإقطاعات من العرب (٣٢٥) . وعوضهم عنها بأعطيات (مرتبات) فرضها لهم فى الديوان مثلهم فى ذلك مثل الجند ولم يكتف بذلك بل عمد إلى تخفيض جبياتهم ، حيث شعر أنها كثيرة عليهم ، ومنعهم من تحصيل أية أتاوة ، ونبه على الرعية بعدم إعطائهم شيئا منها (٣٢٦) .

وقد أدى تعارض مصالح القبائل العربية مع مصالح الدولة المرينية إلى ظهور العامل القبلى على مسرح الأحداث المرينية فى إفريقية . وبدأت هذه القبائل حركة مقاومة ضخمة

للترتيبات التى اتخذها أبو الحسن ضدهم ، فأخذت قواهم تتجمع لتضرب القوى المرينية فى مواضع كثيرة من إفريقية . وأغاروا على معسكرات بنى مرين ومسالحهم فى ثغور إفريقية (٣٢٧) . بل أنهم أغاروا فى « بعض الأيام فى ضواحى تونس فاستاقوا الظهر الذى كان للسلطان (أبى الحسن) فى مراعيها » (٣٢٨) .

وتطورت مقاومة القبائل العربية إلى محاولة لإحياء الخلافة الحفصية لكى يعملوا من خلالها على مقاومة المرينيين فى إفريقية فحاولوا الاتصال بعبد الواحد اللحيانى وهو من أولاد الملوك الحفصيين لتنصيبه خليفة على إفريقية ، لكن محاولاتهم فشلت إذ سارع عبد الواحد إلى إبلاغ السلطان أبى الحسن بهذه الاتصالات (٣٢٩) . وقد أدت هذه الحادثة إلى ردود فعل عنيفة لدى أبى الحسن ، ولدى القبائل العربية ، إذ بادر أبو الحسن إلى إعداد جيوشه لحرب القبائل العربية (٣٣٠) ، بينما اتجهت هذه القبائل إلى توحيد صفوفها رغم ماكان بين بعضها من محن وخلافات مثل ماكان بين أولاد أبى الليل وأولاد مهلهل (٣٣١) . واتفق الجميع على تشكيل حكومة جديدة لمقاومة المرينيين ، واختاروا لها حفيدا من بنى عبد المؤمن ، هو أحمد ابن عثمان بن أبى دبوس آخر الخلفاء الموحدين (٣٣٢) . وقد شجعهم على ذلك ظهور بوادر التململ من الحكم المرينى فى بعض أنحاء افريقية يقول السلاوى « وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سئموا ملكة بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التى كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولأن الصبغة الحفصية كانت قد رسخت فى نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها » (٣٣٣) .

استطاعت جيوش السلطان أبى الحسن أن تحرز انتصارات أولية ضد قوات القبائل العربية عند الموضع المعروف بالثنية بالقرب من القيروان ، وتتبعتها حتى القيروان ، ولكن قوات العرب ارتدت مستميته فى حرب أبى الحسن فى الثانى من المحرم سنة (٤٧٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٣٤) ، « فاختل مصاف السلطان (أبى الحسن) ونهبت محلته بكل مافيها وكان جيشها يزيد على ثلاثين ألف فارس ونجا السلطان بنفسه فى .شرذمة فتحصن بالقيروان » (٣٣٥) .

وقد اجتمعت عدة عوامل ساهمت مباشرة فى هذه الهزيمة ، التى كانت انتكاسة خطيرة تعد أكثر فداحة بالنسبة لبنى مرين من موقعة طريف (٣٣٦) . فقد قامت العناصر المشحونة بالعداء ضد بنى مرين — والتى كانت تمثل جزءاً كبيرا من جيش أبى الحسن — بدور كبير لالحاق الهزيمة بأبى الحسن ، وكان على رأس هذه العناصر بنو عبد الواد ، ومغراوة ، وبنى توجين وغيرهم ، فقد انسحبت هذه العناصر من أرض المعركة فور بدئها فأضعفت جبهة بنى مرين المحاربة ، علاوة على أن هذه العناصر هى التى حددت للقبائل العربية الوقت المناسب لبدء القتال (٣٣٧) .

والأكثر من هذا أن القبائل العربية استطاعت استمالة ابن تافراجين إلى جانبها ، فاحتالت على أبى الحسن ليخرجه إليهم ليأخذ بيعة القبائل العربية لأبى الحسن ، وما أن خرج من القيروان ، حتى انضم إلى العرب الذين بادروا بتعيينه حاجبا لسلطانهم أحمد بن أبى دبوس ، ودفعوه لحرب بنى مرين الذين احتموا بقصبة تونس (٣٣٨) .

وحاول أبو الحسن فى أثناء محاصرته داخل القيروان أن يعيد جسور التفاهم مع القبائل العربية ، فعقد عدة اجتماعات مع رؤسائهم – وقد كان فى إمكانه القبض عليهم والإطاحة بهم لولا تمسكه الشديد بمبادئه – وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن ميل أولاد مهلهل من هذه القبائل لأبى الحسن وحمايتهم له حتى خرج من القيروان ، وركب البحر إلى سوسة حيث استقر أخيرا فى تونس (٣٣٩) . وقد أفزع وصول أبى الحسن إلى تونس ابن تافراجين – الذى كان يتولى قيادة المقاومة ضد بنى مرين فى تونس – فركب البحر هاربا إلى الإسكندرية حيث أقام هناك ، وتفرق أصحابه حين علموا بفراره (٣٤٠) . وانتهى الأمر برجوع أولاد أبى الليل : إلى طاعة أبى الحسن وقاموا بالقبض على سلطانهم أحمد بن أبى دبوس وأسلموه لأبى الحسن إظهارا لطاعتهم ، فأودعه أبو الحسن السجن ، وصاهر بنى حمزة – من أبناء أبى الليل – فزوج ابنه أبى الفضل من ابنة كبيرهم عمر ، ولجأ أبو الحسن إلى هذا الأسلوب دعما لموقفه السياسى بين القبائل العربية وتخفيفا لضغطهم العسكرى عليه (٣٤١) .

وظل السلطان أبو الحسن طيلة سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) وحتى شوال من سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) وهو يحاول استعادة نفوذه فى إفريقية ولكنه عبثا حاول ذلك (٣٤٢) . والنظرة الكلية للأحداث تحمل الأمير أبا عنان كثيرا من مسئولية تدهور وضع المرينيين السياسى فى افريقية . فما أن وصلت فلول الجيش المرينى المنهزم عند القيروان إلى تلمسان حتى شاع خبر وفاة السلطان أبى الحسن ، وحينئذ عمد الأمير أبو عنان إلى استصدار وثيقة – وقع عليها عدد كبير من العائدين من موقعة القيروان – تشهد بوفاة أبى الحسن وبمقتضى هذه الوثيقة أصبح لأبى عنان الحق فى اعتلاء العرش المرينى ، وبويع سلطانا على بنى مرين أول سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٣٤٣) .

كان فى إمكان أبى عنان – بعد أن علم أن والده مازال باقيا على قيد الحياة – أن يجرد حملة لمعاونته ، لأن حملة كهذه قد تغير مجرى الأحداث كلية فى صالح بنى مرين . ولكن أبا عنان لجأ إلى أسلوب آخر ، وبعض المصادر تبرر هذا الأسلوب بأن أبا عنان خشى عقوبة والده له (٣٤٤) . وبعضها يقول : أن الأمر قد لبس عليه (٣٤٥) . ولكن هذه المبررات لاتكفى أبدا لإبراء ساحته من تحمل المسئولية التاريخية لتدهور الوضع المرينى فى إفريقية . فحين علم أن والده على قيد الحياة ، بعث لجميع عماله أن يصدوا أباه عند توجهه

إليهم (٣٤٦) . وبادر إلى إرسال الأمراء الحفصيين العاملين فى المغرب الأوسط إلى ولاياتهم بإفريقية ليخوضوا الحرب ضد أبى الحسن لاسترجاع ملك آبائهم فى إفريقية « فبعث أبو عنان صاحب بجاية وصاحب قسنطينة - (كلاهما من أمراء البيت الحفصى) - كلا لبلده ليعظم الأمر على أبيه ، وليكونوا حائلين بينه وبين بلاده وربط معهم فى ذلك ربوطا » (٣٤٧) .

واستغلت القبائل العربية هذا الجو الملائم ، فانضمت إلى الأمير أبى العباس الفضل الحفصى تعاونه على استرجاع ملك آبائه (٣٤٨) . ويقول الزركشى فى ذلك : « انتقض العرب على السلطان أبى الحسن واستقدموا السلطان أبا العباس الفضل من بونة لطلب حقه واسترجاع ملك آبائه ... واستدعوا أبا القاسم بن عبو صاحب الجريد من مكان عمله - توزر - فدخل فى طاعة السلطان الفضل وحمل أهل الجريد عليها وأتبعه فى ذلك بنو مكى » (٣٤٩) . كما دخل فى طاعة الفضل الحفصى قفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة (٣٥٠) .

شعر أبو الحسن إزاء هذه التطورات الخطيرة فى إفريقية ، أنه لافائدة من بقائه فيها ، حيث أصبح الخطر يحدق به من جميع الجهات ، وأصبح يرى ضياع الانتصارات التى أحرزها بعد جهود مضنية ، فبقايا بنى عبد الواد فى إفريقية يجتمعون بظاهر تونس ويبايعون عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر اسن بن زيان لإحياء دولة بنى عبد الواد ، وتمكن عثمان هذا من الاستيلاء على تلمسان آخر جمادى الآخرة سنة (٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) (٣٥١) . والمعارك تحتدم فى المغرب الأقصى بين ولده أبى عنان وحفيده منصور بن أبى مالك فى ربيع الآخر سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، واستعان أبو عنان على منصور بن أبى مالك ، بادريس بن عثمان ابن أبى العلاء (٣٥٢) . رأى أبو الحسن فى ذلك إحياء لأطماع بنى أبى العلاء فى السلطان . أمام كل مؤشرات الخطر هذه التى كانت تنذر بضياع الأمر من بنى مرين ، قرر أبو الحسن الرحيل إلى المغرب الأقصى لمواجهة كل هذه الأطماع .

عقد أبو الحسن لابنه أبى الفضل على تونس (٣٥٣) . وركب أساطيله فى البحر ، وتقدرها بعض الروايات بستمائة سفينة (٣٥٤) . وقد هاج البحر بهذه السفن ، وغرق من كان مع السلطان من الفقهاء والعلماء والكتاب والأشراف والخاصة ، وقذفت الأمواج بأبى الحسن إلى شاطىء الجزائر ، وكان أهلها مازالوا على طاعته (٣٥٥) . وهناك تمكن أبو الحسن من استجماع بعض قواته وأنصاره من عرب سويد ، واتجه بهم نحو تلمسان بهدف الحصول على أى انتصار يدعم موقفه فى المغرب الأوسط ، ولكنه منى بهزيمة فادحة ألحقها به أبو ثابت - أخو عثمان بن سلطان بنى عبد الواد الجديد (٣٥٦) - عندما التقى به عند شدبونة (٣٥٧) . وأفلت أبو الحسن من المعركة إلى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف حيث قطع المفاوز إلى سلجماسة . ولكنه لم يستقر بها ، لأن ولده أبا العنان تقدم بجيوشه نحو

سلجماسة ، فآثر أبو الحسن الذهاب إلى مراكش (٣٥٨) .

وفى مراكش انتعشت آماله قليلا عندما سارع إليه أهلها بالطاعة « ونزع إلى السلطان أبى الحسن صاحب ديوان الجباية أبو المجد بن محمد بن أبى مدين بما كان فى الخزانة من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل إليه علامته واستركب واستلحق وجبى الأموال وبث العطاء ودخل فى طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة » (٣٥٩) .

كان أبو عنان قد عاد من سجلماسة إلى فاس لتجهيز جيوشه لجولة جديدة مع والده أبى الحسن ، الذى كان يستعد هو الآخر للقاء أبى عنان « وانتهى كل واحد من الفريقين إلى وادى أم الربيع وتربص كل واحد بصاحبه عبور الوادى فعبر أبو الحسن وكان اللقاء بتامد غوست فى آخر صفر من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره » (٣٦٠) .

فر أبو الحسن إلى جبل هنتاتة — من جبال درن — حيث نزل فى حماية عبد العزيز بن محمد بن على الهنتاتى ، وتبعه أبو عنان محاصرا للجبل ، ورتب عليه المسالح والجنود (٣٦١) .

ولما طالت مدة الحصار طلب أبو الحسن من ولده أبى عنان « الإبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبى عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبى عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده » (٣٦٢) وهذه الرواية تعنى أن أبا الحسن لم يتنازل لولده عن العرش المرينى وأنما اكتفى بتعينه وليا للعهد وبقى هو سلطانا حتى وفاته .

لم يمض وقت طويل حتى مرض أبو الحسن « وافتصد لإخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة » (٣٦٣) . ويروى السلاوى أنه رأى نقشا على رخامة قبر أبى الحسن بشالة تذكر أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) (٣٦٤) . وقد يكون التاريخ الذى نقش على رخامة قبره هو التاريخ الحقيقى لوفاته والتاريخ الذى ذكره ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من المؤرخين هو تاريخ مواراته لقبره الجديد بشالة ، ومما يؤيد ذلك أن المدة بين التاريخ الأول والثانى تزيد على الشهر بأربعة أيام ، كما اتفق عدد من المؤرخين على التاريخ المنقوش على رخامة قبره كابن الأحمر وصاحب الحلل الموشية (٣٦٥) .

وتشير بعض المراجع الحديثة إلى أن أبا الحسن مات منتحرا فى جبل هنتاتة (٣٦٦) ، وهذه الرواية تتعارض مع التطورات الأخيرة التى حدثت بين أبى الحسن وولده أبى عنان ، وهذه التطورات تقلل كثيرا من قيمة هذا الرأى ، كما أن مصادر التاريخ لم يرد بها ما يؤيد هذه الرواية .

استعادة بنى مرين لنفوذهم فى المغرب الأوسط وإفريقية فى عهد السلطان أبى عنان المرينى
(٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) - (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

ولد هذا السلطان بالمدينة البيضاء (فاس الجديد) ، فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة (٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) من أم ولد رومية ، اسمها شمس الضحى (٣٦٧) ، وأبو عنان هذه كنيته ، أما لقبه فكان المتوكل على الله (٣٦٨) . وقد أفاض المؤرخون كثيرا فى الحديث عن صفاته ، ودواعى تأثيرها فى شخصيته ، أما صفاته الجسمية فقد خلعت عليه شخصية قوية لها قدر كبير من التأثير فيمن يتعامل معها . إذ كان طويلا يشرف الناس بطوله ، نحيف البدن عالى الأنف ، عظيم اللحية ، أبيض اللون تعلوه صفرة قوية ، أعين أدعج ، حسن الوجه ، جهورى الصوت ، فى كلامه عجلة وتوقف (٣٦٩) . وقد كانت بعض هذه الصفات مثارا لإعجاب بعض المؤرخين ممن عاصروه وشاهدوه ، فيقول ابن الأحمر عنه : « ولم تر عينى فى حياتى أعظم لحية منه ولا أحسن منها ولا أملح وجها » (٣٧٠) .

وجمع أبو عنان إلى جانب صفاته الجسدية خصالا معنوية جعلت منه ، شخصية قوية متألقة محبوبة بين قومه وعشيرته فكان فارسا شهما شجاعا بطلا مجربا يقوم فى الحروب مقام جنده عارفا بركض الخيل حسن الثقافة ، عارفا بالمنطق ، وأصول الدين ، فقيها يناظر العلماء ، له حظ وافر من علمى العربية والحساب ، كما كان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه ـ حافظا للحديث ملما برجاله متمتعا إلى جانب هذا كله بكثير من الملكات الأدبية فكان شاعرا ، فصيح القلم بليغا ، حسن التوقيع (٣٧١) .

كانت قضايا التوسع لاسترداد النفوذ المرينى فى المغرب الأوسط وإفريقية ، هى أكثر مايميز عهد أبى عنان المرينى ، وكانت المشكلات الداخلية التى صادفته ، لاتمثل فى نظره أكثر من أمور عادية ، لاتؤثر فى السياسة العامة للدولة ، ولذلك لم ينتظر أبو عنان كثيرا بل استأنف النشاط العسكرى المرينى ، فور دفنه لوالده ، واستقرار مقاليد أمور الدولة فى يديه . ولعل الدافع إلى السرعة فى بدء عمليات الاسترداد ، كان عدم إتاحة الفرصة للقوى التى قفزت واستعادت سلطانها - فى المغرب الأوسط وأفريقية - كى يستفحل شأنها .

استعادة نفوذ بنى مرين فى المغرب الأوسط :

كانت العلاقة بين أبى عنان وبنى عبد الواد - فى مرحلة الصراع بينه وبين والده أبى

الحسن – علاقة تأييد كاملة حيث كان بنو عبد الواد يمثلون فى نظر أبى عنان حائلا ضخما بينه وبين أبى الحسن ، لذا فقد سعى أبو عنان إلى تثبيت أقدام بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط أول الأمر ، ليقوموا بهذه المهمة ، ومما يؤكد هذا الاتجاه لدى أبى عنان مبادرته إلى إرسال من كان فى بلاده من فرسان بنى عبد الواد ، لمؤازرة أبى ثابت الزيانى ضد الناصر بن أبى الحسن فى منطقة وادى ورك (٣٧٢) . ويرى ابن خلدون أن بنى عبد الواد : « أوفدوا مشيختهم على الأمير أبى عنان صاحب المغرب وسلطان بنى مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشترطوا له عن أنفسهم دفاع السلطان (أبو الحسن) إليه » (٣٧٣) .

وبنو عبد الواد فى ذلك الوقت كانوا يشعرون بنوع من التبعية لأبى عنان ، ولكنهم مالبثوا أن سعوا إلى تطوير هذه العلاقة من طور الولاء والتبعية ، إلى طور الاستقلال السياسى ، فرفضوا مطلب أبى عنان عندما تشفع فى على بن راشد زعيم مغراوة (٣٧٤) . ورأوا أن ذلك نوع من التدخل المرينى فى شئونهم الداخلية ، وقد غضب أبو عنان ، لهذا المسلك من بنى عبد الواد ، فاتخذ من هذه الحادثة ذريعة للاستيلاء على المغرب الأوسط وتحطيم أطماعهم فى إعادة دولتهم إلى الوجود مرة ثانية .

وفى أوائل سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) بدأت الاستعدادات العسكرية تجرى فى فاس الجديد على قدم وساق ، فوزع أبو عنان العطاء على جنوده وأزاح عللهم ، وعسكر بهم فى ساحة البلد الجديد ، حيث جرت مراسم استعراض الجيوش التى ستشترك فى حملة استعادة المغرب الأوسط من بنى عبد الواد ، ولم تكن هذه الاستعدادات التى تجرى فى فاس بخافية عن أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزيانى وأخيه أبى ثابت اللذين أخذا فى الاستعداد لملاقاة أبى عنان ، فجمع قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ، والتقى الجمعان ببسيط أنكاد فى ربيع الثانى سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) (٣٧٥) . وعلى الرغم من أن بنى عبد الواد حاولوا مفاجأة أبى عنان بالهجوم على معسكره « وقت القائلة وعند ضرب الأبنية وسقاء الركاب » (٣٧٦) فإن أبا عنان استطاع أن يسحق هذه المحاولة ، ويلحق ببنى عبد الواد هزيمة فادحة ، وسقط سلطانهم أبو سعيد عثمان الزيانى أسيرا بينما تمكن أبو ثابت من الفرار ، وفى نفس الشهر دخل أبو عنان تلمسان وسط مظاهر القوة والغلبة ، وأحضر سلطان بنى عبد الواد الأسير « فقرعه ووبخه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله .. فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله » (٣٧٧) وبمقتله انتهت دولة بنى عبد الواد الثانية التى لم تدم غير سنوات قليلة .

أما أبو ثابت ، فقد تابعته حملة مرينية بقيادة الوزير فارس بن ميمون ، وألحقت هذه الحملة بأبى ثابت ومن معه من زناتة هزيمة فادحة بناحية شلف ، وفر أبو ثابت على أثرها إلى

شرق المغرب الأوسط (٣٧٨) . ولسوء حظه اعترضته قبائل زواوة ، وألقت القبض عليه وعلى أبى زيان ابن أخيه أبى سعيد ووزيرهم يحيى بن داود ، وقامت زواوة بتسليمهم إلى أمير بجاية ، أبى عبد الله محمد بن أبى زكريا الحفصى ، الذى بادر هو الآخر بالتقدم بهم إلى لمدية حيث سلمهم بدوره إلى السلطان أبى عنان (٣٧٩) . فأصدر أبو عنان أوامره بقتل أبى ثابت ووزيره يحيى بن داود بينما سجن أبا زيان بن أبى سعيد (٣٨٠) ، وبذلك استقرت الأوضاع للمرينيين فى المغرب الأوسط ثانية ، وبث السلطان أبو عنان عماله فى نواحيه بعد أن ثقف أطرافه وأحكم قبضته على أعماله (٣٨١) .

استعادة النفوذ المرينى فى إفريقية :

بدأ أبو عنان يمارس فى إفريقية نفس السياسة التى مارسها من قبل والده أبو الحسن – مع أمراء البيت الحفصى – تلك السياسة التى قامت على أساس اعتبار هؤلاء الأمراء مجرد عمال يحق للسلطان المرينى أن ينقلهم إلى أية ولاية من ولايات الدولة . وقد جرت هذه السياسة على المرينيين كثيرا من المتاعب والأهوال . فحين التقى السلطان أبو عنان بالأمير أبى عبد الله محمد بن أبى زكريا الحفصى عند لمدية ، وشكا إليه هذا الأمير من سوء ما يلقاه من رعيته من الامتناع عن دفع الجباية ، والسعى فى الفساد ، وكثرة الخلافات الحادة بين جنده وبطانته ، طلب أبو عنان إليه أن يتنازل عن بجاية ، على أن يعوض عنها بعمالة من عمالات المغرب الأقصى وهى مكناسة الزيتون (٣٨٢) . ووافق الأمير محمد على هذا الأمر كما يقول الزركشى : « على إياس وكره » (٣٨٣) . وقد كره أهل بجاية أنفسهم هذا التصرف من بنى مرين فلم يمض وقت طويل حتى ثاروا على عمر بن على الوطاسى عامل بنى مرين على المدينة ، وقتلوه بمحبسه من قصبة المدينة فى ذى الحجة سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٣ م) ولكن أهل بجاية مالبثوا أن راجعوا طاعة أبى عنان ، فأرسل إليهم أبو عنان حاجبه محمد بن أبى عمرو فى خمسة آلاف جندى ، وتمكن هذا الأخير من إقرار الأوضاع فى بجاية لصالح بنى مرين (٣٨٤) .

وفى شعبان سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) عقد أبو عنان رسما لمحمد بن أبى عمرو على بجاية ، وأمره بالتوجه إلى قسنطينة ، حيث لاح هناك خطر جديد تمثل فى تنصيب أهل قسنطينة لتاشفين بن السلطان أبى الحسن للأمر ، وكان هدفهم من ذلك صرف أبى عنان عن التطلع لإفريقية ، يقول ابن خلدون : « ونصب الموحدون (بنو حفص) تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله إياه فنصبوه للأمر لتفريق كلمة بنى مرين وجمعوا له الالة والفساطيط وقام بأمره ميمون بن على » (٣٨٥) .

وعاون أبو زيد الحفصى صاحب قسنطينة ، الأمير تاشفين فأمده بمن كان على دعوته من أحياء قومه من العرب وميمون بن على وشيعته من الزواودة ، ولكن هذا التجمع لم يصمد

أمام محمد بن أبى عمرو والى بجاية ، الذى شتت شملهم واكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى أذعن أهلها للطاعة ومكنوه من تاشفين بن أبى الحسن (٣٨٦) .

وفى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه هذه الأحداث فى إفريقية كان أبو عنان يواجه بعض المتاعب الداخلية متمثلة فى ثورة أخيه أبى الفضل بن أبى الحسن فى بلاد السوس ، وثورة عيسى بن الحسين بجبل الفتح (٣٨٧) . وقد أدت هذه الأحداث بطبيعة الحال إلى تأخر أبى عنان عن التقدم لاسترداد إفريقية ، واكتفى فى هذه المرحلة بامتداد نفوذه إلى بجاية وقسنطينة ، وبعض المناطق الأخرى التى أعلنت بيعتها له كالزاب (٣٨٨) وطرابلس (٣٨٩) . وولاء بعض القبائل العربية كالزواودة (٣٩٠) .

فما أن كانت سنة (٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) حتى أعلن السلطان أبو عنان التعبئة العامة فى أنحاء المغرب الأقصى استعدادا لعملياته العسكرية المقبلة فى افريقية ، ويذكر ابن خلدون والزركشى أن الذى أثار أبا عنان إلى اتخاذ هذه الخطوات ، أن أبا العباس الحفصى أمير قسنطينة فى ذلك الوقت هاجم موسى بن إبراهيم عند ميلة وقتل أولاده ، وموسى بن إبراهيم هذا كان عاملا للسلطان على جبال ضواحى قسنطينة (٣٩١) . ويبدو أن أبا عنان رأى فى ذلك الحادث اعتداء صارخا على السيادة المرينية والوجود المرينى فى إفريقية لابد أن يقابل بالحزم ، ويروى الزركشى وابن القنفذ ، أن من بين الأسباب التى أثارت أبا عنان المرينى أيضا ، رفض ابنة الخليفة الحفصى أبى يحيى أبى بكر خطبتها للسلطان أبى عنان وقالت : إن فيه قلقا يمنع عشرته (٣٩٢) .

ظلت حركة التعبئة العامة قائمة فى أنحاء البلاد حتى إذا جاء شهر ربيع الأول سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م) تحركت طلائع الجيوش المرينية بقيادة فارس بن ميمون — أحد وزراء أبى عنان (٣٩٣) — بينما سار أبو عنان خلفه بالقوات الرئيسية ،و قد أحدث تقدم القوات المرينية على هذا النحو المنظم ذعرا كبيرا بين أهالى قسنطينة ، فتخلوا عن سلطانهم الحفصى أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ، وانفضوا من حوله ، فلم يملك ذلك السلطان الحفصى إلا أن يطلب الأمان من أبى عنان ، الذى بادر إلى منحه الأمان على نفسه ، ولكنه فى نفس الوقت أرسله فى الأسطول إلى سبتة حيث تم اعتقاله هناك (٣٩٤) .

وقد أحدث استيلاء أبى عنان على قسنطينة على هذا النحو ردود فعل عظيمة فى إفريقية حيث بادر أمراء الأطراف ، كتوزر ونفطة وقابس وغيرها إلى إرسال بيعتهم إلى أبى عنان (٣٩٥) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أسرعت مجموعات القبائل الكبرى فى إفريقية إلى إعلان ولائها لأبى عنان كأولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم ، وأقيال بنى أبى الليل ، وقد دعته هذه القبائل إلى الإسراع فى الاستيلاء على تونس (٣٩٦) . فما كان من أبى عنان إلا

أن الحق هذه القبائل بحملتة البرية التى وجهها للاستيلاء على تونس بقيادة يحيى بن عبد الرحمن ابن تاشفين . وفى نفس الوقت اتجهت حملة بحرية بقيادة محمد بن يوسف المعروف بالأبكم لمعاونة القوات البرية ، ونجح المرينيون فى الاستيلاء على المدينة (٣٩٧) . فيقول ابن أبى دينار : « وخطب له (أبو عنان) بإفريقية ما عدا المهدية وسوسة وتوزر وبقى الأمر على هذا شهرين » (٣٩٨) .

وما أن وصل أبو عنان إلى تونس حتى شرع فى تنظيم الأوضاع بها ، وأصدر أوامره بمنع عرب رياح من تحصيل الأتاوة التى كانوا يضربونها على المواطنين ويسمونها الخفارة ، وطالب هؤلاء العرب بتقديم رهائنهم إليه دليلا على طاعتهم له (٣٩٩) . وكانت هذه هى القشة التى قسمت ظهر البعير كما يقولون ، حيث أعلنت هذه القبائل عصيانها ، والتفت حول أميرها يعقوب بن على ، وانطلقوا نحو الزاب ، والسلطان أبو عنان وراءهم بجيوشه يحاول القضاء على حركتهم ، ولكنهم لاذوا بالصحراء ، فما كان من أبى عنان إلا أن خرب حصونهم ، وقصور أميرهم يعقوب بن على ومنازله بالتل والصحراء (٤٠٠) . وأحدثت هذه المطارده آثارا نفسية سيئة فى نفس الجند المرينى المصاحب لأبى عنان ، وضاقوا ذرعا بالحرب ، وخافوا أن يصيبهم بإفريقية مأصابهم قبل ذلك مع أبى الحسن ، ونادوا بالرجوع إلى المغرب (٤٠١) . « وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب » (٤٠٢) . وبلغ السلطان أبو عنان من خلال هذه الأحداث أن الجند تآمروا فى قتله وتنصيب إدريس بن أبى عثمان بن أبى العلاء . فلما رأى أبو عنان قلة مامعه من الجنود انسحب راجعا إلى المغرب (٤٠٣) .

وصل أبو عنان إلى فاس فى أول ذى الحجة سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م) فقبض على وزيره فارس بن ميمون وأعدمه هو وعدد من مشيخة بنى مرين بينا ألقى بعدد آخر منهم فى السجن (٤٠٤) . وحاول أبو عنان تأمين مكاسبه فى إفريقية فأرسل حملة بقيادة وزيره سليمان ابن داود لأن أبا عنان كان يخشى على ضواحى قسنطينة من يعقوب بن على . ونجحت هذه الحملة فى الاحتفاظ بولاء بعض القبائل العربية لبنى مرين ، كأولاد محمد من الزواودة وأولاد سباع بن يحيى ، ولكنها مالبثت أن عادت إلى تلمسان تاركة الوضع فى إفريقية على ماكان عليه (٤٠٥) .

وهناك حقيقة هامة ينبغى الإشارة إليها وهى أن أهالى إفريقية كانوا يرفضون الحكم المرينى ، أو حتى مجرد الولاء أو التبعية له ، لأنهم كانوا فى ظل حكم الحفصيين يتمتعون بكثير من الحرية ، حيث لم يحكم الحفصيون قبضتهم كثيرا على رعاياهم . أما بنو مرين فكانوا يحاولون أن يطبقوا فى إفريقية نفس السياسة التى كانوا يتبعونها فى دولتهم بالمغرب الأقصى ،

تلك السياسة التى لم تجد قبولا لدى الكثيرين ، ويبدو أن تحقيق الوحدة بين الأقاليم المغربية بهذه الصورة كان أمرا عسيرا ، لاختلاف طبيعة النظم فى هذه الأقاليم ، باختلاف القوى السياسية التى حكمتها بعد انهيار الدولة الموحدية وأحدثت هذه القوى تغييرات جذرية فى نظمها ، وبالتالى فى طبائع شعوبها وأنماط حياتها ، فباتت هذه الشعوب ترفض الاستجابة أو التعاون مع أية نظم جديدة غير تلك التى درجوا عليها ، وكانت هذه الأمور واضحة بصورة أكبر لدى القبائل العربية فى إفريقية تلك القبائل التى منحها الحفصيون حرية كبيرة فى مناطقهم بل ومنحوهم الحق فى فرض الاتاوات دون أن يعترضوا على ذلك ، وكان تصادم النظم المرينية مع مصالح هذه القبائل ، ومصالح مواطنى افريقية ، مدعاة إلى مأساة مروعة ، تمثلت فى فشل المرينيين فى تحقيق الوحدة المغربية ، كما كانت أيام المرابطين والموحدين .

لم يمض كثير على عودة أبى عنان إلى فاس من إفريقية ، فقد مرض إثر أدائه لصلاة عيد الأضحى سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) ، ولزم فراشه (٤٠٦) ومضت الأحداث تتتابع مريبة فى قصر السلطان ، فالسلطان أصبح فى غيبوبة تامة ، ولايدرى عمن حوله شيئا ، وكان وزيره الحسن بن عمر الفودودى لايميل إلى ولى العهد الأمير أبى زيان ، لذا دعا أهل المجلس من أشياخ بنى مرين إلى استبعاد الأمير أبى زيان وتولية أخيه السعيد بن أبى عنان – الذى كان طفلا فى الخامسة (٤٠٧) – وقد صادفت هذه الدعوة هوى فى نفوسهم فقد « كانت نفرتهم من ولى العهد مستحكمة لما أبلوا من سوء خلته وشر ملكته فاتفقوا على تحويل الأمر عليه » (٤٠٨) . كما كان الحسن بن عمر يخشى ضياع مكانته فى الدولة . لذا بادر الجميع بالقبض على الأمير أبى زيان ووزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون حيث قتلوا جميعا ، وتمت بيعة السلطان الصغير السعيد بن أبى عنان ، واستقل الحسن بن عمر بالأمر يوم الأربعاء الرابع والعشرين لذى الحجة سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) (٤٠٩) . كل هذا وأبو عنان مازال يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ومضى يوم الأربعاء والخميس ، والناس يرتقبون دفن السلطان ، حتى أخذتهم الريبة فى الأمر ، فدخل الحسن بن عمر – كما تقول معظم المصادر – إلى مخدع السلطان أبى عنان ، وأتم الحلقة الأخيرة فى تآمره ، فاغتال أبا عنان ، بأن خنقه ، بكتم أنفاسه . كان ذلك فى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) (٤١٠) .

وكان لنبأ وفاة أبى عنان أثره البالغ فى سائر أنحاء المغرب ، ولاشك أن بنى عبد الواد ، وأهالى إفريقية قد تلقوا هذه الأنباء بارتياح كبير ، أملا منهم فى تحقيق مطامعهم [٤١١] . وأصبحت هذه الأحداث كلها تشكل نهاية عصر سلاطين بنى مرين الأقوياء ، وبداية مرحلة جديدة ، السمة الغالبة فيها على الدولة هى الضعف ، وتغلغل نفوذ الوزراء ، مما سيؤدى فى النهاية إلى سقوط الدولة .

هوامش الفصل الثانى

(١) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، ابن الأحمر ، روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣٤٤ (يذكر ابن القاضى فى نفس الصفحة أنه ولد فى ربيع الأول سنة ٦٣٨ هـ .) .

(٢) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٥ ، الزركلى : الأعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤١ .

(٣) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ .

(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٧٥ . (أفنا ، أغنا ، هكذا فى الأصل) .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ابن القاضى : جذوة الأقتباس ، ص ٣٤٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٦ ، وانظر أيضاً ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٣ ، (يذكر ابن خلدون أن أبا يعقوب ترك لابن الأحمر جميع الثغور الأندلسية عدا الجزيرة وطريف ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١) .

(٧) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٦ ، (بتقوا ، تعالا ، وردتا هكذا فى الأصل .) .

(٩) المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

(١٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(١١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٣٧ ، ص ٣٧٥ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٣٧٤ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ ، ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ، ص ٣٤٤ .

(١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .

(١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٥) (سبق الحديث عن هذه الثورة فى ص ٣٠) .

(١٦) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٢ .

(١٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ ، Julien, OP. Cit, P, 174

(١٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ .

(١٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٣٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٤٥ .

(٢٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ .

(٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ .

(٢٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٧ .

(٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ .

(٢٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .

(٢٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٣ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ . (ظل الأمير أبو عامر هذا يرتكب الأخطاء التى تثير حفيظة والده السلطان يوسف عليه ، فعندما أسند إليه والده مهمة تسكين بلاد الريف بعد الاستيلاء على حصن تازوطا ، وكان أولاد الأمير أبى يحيى بن عبد الحق قد فروا إلى تلمسان لغضب السلطان يوسف عليهم ، ولكنه عفا عنهم بعد ذلك عندما استعطفوه واسترضوه وأمرهم بالعودة إلى مواطنهم ، وهنا اعترض الأمير أبو عامر طريقهم ، وقتلهم جميعا ، وظن أنه بذلك يرضى أباه ولكن السلطان غضب عليه وتبرأ منه ، وظل هذا الأمير طريدا شريدا حتى مات فى جبال غمارة سنة (٦٩٨ هـ) ابن خلدون ، العبر ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .) .

(٣٠) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١١٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .

(٣١) المصدر السابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٥ . (سبق لبنى وطاس هؤلاء أن حاولوا الفتك بالأمير أبى يحيى بن عبد الحق حين لجأ إليهم فى حصن تازوطا مستجيرا بهم فى أثناء حركة السعيد الموحدى للقضاء على بنى مرين ، ولذلك تحول عنهم أبو يحيى ونزل على بنى يزناسن ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .) .

(٣٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨١ .

(٣٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٣٥) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ .

(٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

(٣٩) المصدر السابق : نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ (الذى لم يذكر تفاصيلات كالتى ذكرها السلاوى عن وفد الأندلس) .

(٤٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٢ .

(٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ، الزركلي : الأعلام ، جـ٩ ، ص ٣٤١ .

(٤٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٨ ، الزركلي : الاعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤١ .

(٤٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة . (وسبا ، رءوسهم ، هكذا في الأصل) .

(٤٤) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٧٩ .

(٤٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن الخطيب : الأحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ ، (القصر الكبير هى قصر كتامة التى ذكرها ابن الخطيب ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٧٨ .

(٤٧) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٣٣ .

(٤٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ .

(٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ .

(٥٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، الزركلي ، الأعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤١ .

(٥١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .

(٥٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ .

(٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون ، العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٠ ، الزركلي : الأعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤١ .

(٥٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ .

(٥٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥٦) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٠ .

(٥٧) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ابن خلدون : العبر ط بولاق جـ ٧ ، ص ٢١٦ . (والحصون هى حصن شكبيش ، وطلبيرة ونقله ، وبليس ، وقشتل ، والمسجير ، ابن أبي زرع . الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨١ .) .

(٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ٧ ، ص ٢١٦ .

(٥٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٠٩ .

(٦٠) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٤٢ .

(٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٠٩ .

(٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ .

(٦٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

(٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .
(٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركلي : الأعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤١ .
(٦٦) السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٧ .
(٦٧) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٤ .
(٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .
(٦٩) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ .
(٧٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٣ .
(٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .
(٧٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٢ .
(٧٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٨ ، السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .
(٧٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٨ .
(٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٧٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٥٢ .
(٧٨) ابن الخطيب : كناسة الدكان ، ت : د . محمد كمال شبانة ، دار الكاتب العربي ، ص ٢٢ .
(٧٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٣٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٣ .
(٨٠) المصدر السابق : ص ٢٢٩ ، السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٠ .
(٨١) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ .
(٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٩ ، Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223 .
(٨٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٨٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٩ .
(٨٥) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .
(٨٦) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .
(٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٠ ، السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٧ .
(٨٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ .
(٩٠) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ .
(٩١) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ .
(٩٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٩٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، ت : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتاب الحديثة – ١٩٦٦ م ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٢١ ، التنسى: نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٧ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ .

(٩٥) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، ٢٤ ، ابن الوردى ، تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٨ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٥٠ .

(٩٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ت د. محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٧١ ، القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، (ويذكر ابن حجر العسقلانى أن مقتله كان فى ذى القعدة سنة (٧٠٥ هـ) ثم عاد فى نفس الصفحة إلى ذكر التاريخ الصحيح نقلا عن الإحاطة وهو السابع من ذى القعدة سنة (٧٠٦ هـ) ، ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .) .

(٩٧) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ .

(٩٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٩٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٨ .

(١٠٠) السلاوى : الاستقصا جـ ٢ ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٧ .

(١٠١) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(١٠٣) ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٥٠ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٥١ ، ٥٢ . (وجها . هكذا فى الأصل) .

(١٠٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٢٢ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٣ .

(١٠٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ .

(١٠٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٧٥ .

(١١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٤ .

(١١١) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(١١٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ (هلذ ، هكذا فى الأصل) .

(١١٣) التنسى: نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٧ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(١١٤) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٤ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ .

(١١٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(١١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٤ ، ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٥٠ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، (أبو سالم هو عم للسلطان أبى ثابت ولم يقتل فى الصراع الذى دار بينهما أبو ثابت وأنما الذى قتل هو أبو سالم ، ابن الخطيب : كناسة الدكان ، ص ٢٢) .

(١١٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٠ .

(١١٨) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٥ .

(١١٩) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٠ .

(١٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٥ ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨١ .

(١٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٥ .

(١٢٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، (ذكر ابن أبى زرع أن وصول أبى ثابت إلى مراكش كان فى أول شعبان سنة (٧٠٧ هـ) .

(١٢٤) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(١٢٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٥ .

(١٢٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٦ .

(١٢٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٥ .

(١٢٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (عرب جشم وهم قبائل الخلط وسفيان وبنى جابر والعاصم ، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩١) .

(١٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٦ .

(١٣٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(١٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٦ ، (تغلب ابن أبى العلاء بعد احتلاله سبتة هو والرئيس أبو سعيد فرج ابن الأحمر واستولى عثمان بعد ذلك على بلاد غمارة وحصن علودان وأصيلا والعريش وقصر كتامة ، المصدر السابق ٢٣٦ ، ٢٣٧) .

(١٣٢) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(١٣٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٦ .

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(١٣٦) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٦ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٢ .

(١٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٧ ، (وهى تطوران الحالية) .

(١٣٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(١٣٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٢ .

(١٤٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٧ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ .

(١٤١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٢ .

(١٤٢) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ص ٢٧ .

(١٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٧ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، القسم الأول ص ٩٥ ، ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٥٠ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، (يذكر القلقشندى أن وفاة أبى ثابت كانت فى الثامن من صفر سنة (٧٠٧ هـ) مخالفا بذلك ما أجمعت عليه معظم المصادر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٧) .

(١٤٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٢ ، المقريزى : السلوك ، ت : محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ط ١٩٤٠ ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٩٥ ، (وليس أبو الربيع ابن للسلطان يوسف بن يعقوب كما ذكر القلقشندى ، القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٧) .

(١٤٥) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٩ ، ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ (ولم يذكر ابن الخطيب بالتحديد يوم مبايعته) .

(١٤٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٤٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ .

(١٤٨) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس ، ص ٣١٩ .

(١٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٧ .

(١٥٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٥١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ ، (آلاخرون هكذا فى الأصل) .

(١٥٢) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٧ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٢٢ .

(١٥٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ .

(١٥٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ٣ ، ص ٣٣٦ ، Julien, OP. Cit, P. 176-177

(١٥٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ ، ص ٢٤٠ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٤ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١١٦ .

(١٥٧) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٩ ، ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، ص ٦٢ .

(١٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٠ .

(١٥٩) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

(١٦٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٤٩ .

(١٦١) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، (وعن تعيين الشيخ أبى الحسن الصغير الظر ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٩ .) .

(١٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(١٦٣) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(١٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤١ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(١٦٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٤ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٩٥ ، (ويذكر صاحب الحلل الموشيه أن الوفاة كانت فى أول رجب سنة (٧١٠ هـ) ، ويوافقه فى ذلك ابن الخطيب ، أما ابن الأحمر فيرى أن الوفاة كانت فى الثانى من رجب ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٨ .) .

(١٦٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٨ .

(١٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٦٨) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن الاحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، ٣٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، (يذكر صاحب الحلل أنه ولد فى حياة جده سنة (٦٧٤ هـ) ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ .) .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(١٧٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(١٧١) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(١٧٢) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(١٧٣) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(١٧٤) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٥ .

(١٧٥) المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ .

(١٧٦) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٩٧ .

(١٧٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤ ، ٢٥ .

(١٧٨) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٧ .

(١٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق جـ ٧ ، ص ٢٤٢ ، (وحدد ابن خلدون هذه الوظائف المخزنية بأنها المغارم والمكوس وكانت هذه الضرائب كما يقول ابن مرزوق تخضع في تقديرها إلى رأى العمال ، وقد تولى أبو عمران التسولى شرح أضرار هذه الضرائب إلى السلطان أبي سعيد حتى رفعها ، انظر ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦) .

(١٨٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٦ .

(١٨١) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(١٨٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٨٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٦ .

(١٨٤) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(١٨٥) المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(١٨٦) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٩ .

(١٨٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (واسم الثائر عنده هو عدى بن همو المسكورى) .

(١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(١٨٩) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٩ .

(١٩٠) المصدر السابق ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٣ (كان لأبي سعيد ولد ثالث اسمه منصور يبدو أنه لم يتدخل في الأحداث ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠)

(١٩٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٣ .

(١٩٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٣ .

(١٩٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥١ .

(١٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٤ ، ٢٤٤ .

(١٩٧) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣١ .

(١٩٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٤ .

(١٩٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (لم يشر ابن أبى زرع إلى أحداث ثورة الأمير عمر من قريب أو بعيد ، وأنما أشار إشارة عابرة عن « عقد أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبى على عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وماوالا ذلك إلى الصحراء » ، وذكر أن ذلك كان من سنة (٧١٤ هـ) مخالفا لما ذكره ابن خلدون عن تاريخ الصلح ويبدو أن معاصرة ابن أبى زرع لعهد السلطان أبى سعيد منعته من الخوض فى أحداث الخلاف بينه وبين ولده عمر وأدت هذه المعاصرة إلى حجب كثير من أحداث هذه الفترة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٣٩) .

(٢٠٠) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٦٧ ، وابن القاضى ذكر أن الأمير عمر أقام بسجلماسة « قائما بنفسه غير مطيع لأبيه » ، انظر ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٨٤ .) .

(٢٠١) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣١ ، (ظل الأمير عمر سلطانا بفاس الجديد ستة أشهر فقط ، المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٨٤ .) .

(٢٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٤ ، وانظر ماكتبه فى ذلك ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٥٣٠ .

(٢٠٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٤ .

(٢٠٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٢٠٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .

(٢٠٦) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٠٧) المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦ ، (تكونت العلاقات الطيبة بين السلطان أبى سعيد وأبى زكريا يحيى بن أبى طالب خلال مجالس العلم التى كان يحاضر فيها الشيخ أبو الحسن الصغير بمسجد القرويين بفاس ، انظر ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٦) .

(٢٠٨) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٧ .

(٢١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٤٠٠ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٢١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٧ .

(٢١٣) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٢١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .

(٢١٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٥ ، ٦٦ .

(٢١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحات .

(٢١٧) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم ٥٤٩ معارف عامة) جـ ٣٠ ، القسم الثانى ، ص ٢٤٢ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، القسم الثالث ، ص ٩٥٣ .

(٢١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٩ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص٢٣ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(٢١٩) المصادر السابقة ، نفس الصفحات .

(٢٢٠) انظر فيما سبق ما يتعلق بمشيخه الغزاة فى الأندلس .

(٢٢١) النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط ، جـ ٣٠ ، القسم الثانى ، ص ٢٤٢ – ٢٤٧ ، المقريزى : السلوك جـ ٢ ، القسم الثالث ، ص ٩٥٣ – ٩٥٧ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٣ ، (وابن خلدون يجعل ذلك فى سنة (٧٦٨ هـ) ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٩ .) .

(٢٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .

(٢٢٣) نفس المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ٢٣ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٦٨ .

(٢٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥١ .

(٢٢٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٦٨ .

(٢٢٦) نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٢٢٧) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(٢٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ ، (ويتفق المقريزى والقلقشندى ، مع ابن خلدون فى تاريخ وفاة أبى سعيد فقالا إنها كانت فى ذى الحجة سنة (٧٣١ هـ) انظر ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، القسم الثانى ، ص ٣٤١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .) .

(٢٢٩) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٩ ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، ابن حجر الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، (لم يذكر ابن مرزوق سبب الوفاة .) .

(٢٣٠) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٢٣١) ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ .

(٢٣٢) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

(٢٣٣) المصدرين السابقين ، نفس الورقات .

(٢٣٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٢٣٥) ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ .

(٢٣٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨١ .

(٢٣٧) المصدر السابق ، نفس الورقة .

(٢٣٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢٣٩) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢٤٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣١ .

(٢٤١) المصدر السابق ، ورقة ٣٢ ، ٣٣ .

(٢٤٢) المصدر السابق ، ورقة ٣٣ ، (ويستدل هكذا فى الأصل) .

(٢٤٣) المصدر السابق ، ورقة ٦٤ .

(٢٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(٢٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٧ ، (ويروى ابن مرزوق أن البيعة العامة تمت فى الجامع الأعظم من فاس الجديد بعد دفن السلطان أبى سعيد هناك ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠) .

(٢٤٦) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤ ، المقريزى : السلوك ، القسم الثانى ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ .

(٢٤٧) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٦٨ .

(٢٤٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(٢٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٣ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(٢٥٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٣ .

(٢٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويختلف الزركشى مع ابن خلدون فى تاريخ هذه الحملة فيجعلها فى سنة (٧٣٨ هـ) .

(٢٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٣ .

(٢٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٨ .

(٢٥٤) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(٢٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٤ ، انظر ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ٢٣ ، التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٩ .

(٢٥٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٤ .

(٢٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويروى ابن الخطيب أن الأمير عمر قتل بالفصاد ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٥٣٠ .) .

(٢٥٨) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٢٥٩) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ .

(٢٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٠ ، (روى ابن خلدون أن يحيى بن سليمان العسكرى انتهى بحملاته فى شرق المغرب الأوسط إلى المرية ، وصححها السلاوى إلى المدية) .

(٢٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٧٢ ، ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤٢٤ ، ابن الأحمر ، روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، ٢٣ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧١ ، Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223 .

(٢٦٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، (ويصف ابن الأحمر أباتاشفين العبد الوادى بأنه كان فاسقا منغمسا فى اللذات ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة٢٣ .) .

(٢٦٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٣ ، عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٢٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٨ .

(٢٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (ويتحدث ابن مرزوق عما بذله أبو الحسن المرينى من أموال ومتاع لاسترضاء أهل تلمسان بعد فتحه للمغرب الأوسط فيقول : « وشهدت خروج أهل تلمسان إليه بعد عفوه عنهم وخروجهم تحت حكمه فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بجهازاتها ومهنداتها والكسى المناسبة والجهازات ، بين مدجج مذهب ومفضض ... وأعطى الضعفاء أهل تلمسان اثنى عشر ألف دينار من الذهب واثنى عشر ألف كساء من الطعام مطامير لاتحصى كثرة هذا شهدته وشهدت بعضه عدا ما وصل لكبار أهلها من الفقهاء والصلحاء والكتاب وذوى الوجاهة من الناس » . ابن مرزوق المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ٨٩ .) .

(٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

(٢٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ٥٣٦ ، (يقول ابن مرزوق عن هذا الجبل ، « هو باب عدوة الأندلس ومغلقها ومفتاحها على القوم وقفلها » ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٩ .) .

(٢٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٥ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٨٠ ، ٨١ ، مار يانور يباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، مجلة تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٥ ، (يرى البعض أن الموقف بعد استيلاء المسلمين على جبل الفتح انجلى عن عقد معاهدة صلح بين ملكى المغرب وقشتالة ، خاصة بعد أن فشلت عدة محاولات قشتالية لاسترداد ، الجبل ولكن ابن الخطيب وابن خلدون يذكران أن الاتفاق كان بين السلطان محمد بن الأحمر وملك قشتالة فقط ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٣٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ط أولى ، ص ١٣١ .) .

(٢٦٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٥٩ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٥١ .

(٢٧٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٢٧١) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ ، (انظر تفاصيل هذه المؤامرة فى اللمحة البدرية ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٨٣ .) .

(٢٧٢) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٣٢ .

(٢٧٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٠، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٥ .

(٢٧٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٠ ، (أفزعت هذه الحملة أسبانيا النصرانية وتوجست منها شرا كالذى لاقته قبل ذلك فى معارك جبل الفتح ولذلك صممت على مواجهة المرينيين فى قواها المتحدة ، فخرج أسطول قوى يجمع قوى أسبانيا وهى قشتالة وأراجون والبرتغال إلى مياه جبل طارق ، بقيادة الدون جوفرى تبوريو لمنع الإمدادات عن الجيش المرينى ، ونجح النصارى فى مفاجأة الجيش المرينى قبل الارتداد إلى أراضى المسلمين ، انظر : عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٣٢) .

(٢٧٥) المصدر السابق، ص ٢٦١ (وتذكر بعض المصادر أن عدد السفن بلغ مائة وأربعين سفينة ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ٩٢ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٧) .

(٢٧٦) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ ، ابن الخطيب اللمحة البدرية ، ص ٩٢ .

(٢٧٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٦ .

(٢٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ .

(٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، انظر ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ ، وانظر : ماريانو أريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .

(٢٨٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ ، (فى الوقت الذى كانت فيه قشتالة والبرتغال تتابع الحرب ظل ملك أراغون على هدنته التى كانت بينه وبين غرناطة فلم يشترك فى أعمال القتال بالبر فى طريف غير أنه أرسل بعض القوارب إلى قشتالة بروراً بالتزامه معها ، انظر ماريانو أريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .) .

(٢٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ .

(٢٨٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٦ .

(٢٨٥) ابن الخطيب :الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، (ذكر السلاوى يوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة سنة (٧٤١ هـ) تاريخا

لموقعة طريف ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٦ .) .

(٢٨٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٦٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٦ ، عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ط ثانية ١٩٦١ ، مؤسسة الخانجى ، ص ٨٥ ، (يشير المؤلف إلى أنه كان من بين الأسلاب التى ظفر بها النصارى علمان من أعلام الجيش المرينى ، علقا على جدران قاعة الثياب المقدسة بكتدرائية طليطلة ، المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦) .

(٢٨٨) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٨ .

(٢٨٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٢٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ ، عنان : الآثار : الأندلسية الباقية ، ص ٢٨٢ ، شارك أسطول أراغون فى حصار الجزيرة الخضراء الذى ضربه القشتاليون حولها ، انظر ، ماريانو أريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٦) .

(٢٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٣ ، (ذكر ابن مرزوق أن جملة الأموال التى أخرجها أبو الحسن لأهل الجزيرة ، بلغت خمسة وثلاثين ألف دينار ، من الذهب العين ، وأمدهم بخمسة آلاف من الكسى للعامة والفرسان ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٩) .

(٢٩٢) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٦ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ط ثالثة ، ص ١١٧ .

(٢٩٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٨ .

(٢٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ .

(٢٩٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٦٨ .

(٢٩٦) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٠ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ط : تونس ١٩٧٤ ، ص ٩٣ .

(٢٩٧) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٠ ، وقارن السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٥ .

(٢٩٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٦٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ .

(٢٩٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ .

(٣٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٠١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ٩٥ .

(٣٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٣٠٣) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ ، وقارن ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ .

(٣٠٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١١٧ .

(٣٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٣٠٦) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٣٠٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، أحمد النائب الأنصارى : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، ص ١٦٥ ، الزاوى : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى ، ط أولى ١٩٧٠ ، دار الفتح للطباعة - بيروت ، ص ١٢٥ .

(٣٠٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ .

(٣٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٣١٠) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧١ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، (خالف ابن خلدون ماذكره ابن القنفذ والزركشى فذكر أن أبا عبد الله محمد بن أبى زكريا نقل إلى عمل كومية بينما نقل أبو زيد وأخوته إلى ندرومة ، انظر ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .) .

(٣١١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٣١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣١٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ ، أحمد النائب الأنصارى : المنهل العذب ص ١٦٥ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ٩٧ .

(٣١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، وقارن ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ .

(٣١٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .

(٣١٦) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .

(٣١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ ، (يروى الزركشى أن دخول تونس كان فى الثامن لجمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ بينما ذلك هو تاريخ توقفه خارج المدينة أما دخوله المدينة فكان يوم السبت حسب رواية ابن خلدون ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٣١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٣١٩) المصدر السابق : ص ٢٧٠ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .

(٣٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٠ ، (ويضيف السلاوى تفسيرا فى شأن هذه الإقطاعات بأنها التى كانت للعرب من قبل الحفصيين ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .) .

(٣٢١) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، (سيجوم مكان السبخة المعروفة الآن باسم السيجومن قرب الملاسين من ضواحى تونس ، انظر هامش المصدر السابق ، ص ١٤٧ .) .

(٣٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٠ ، Toynbee, A., Op. Cit., P.336 .

(٣٢٣) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٤ .

(٣٢٥) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار افريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .

(٣٢٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٤ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٢٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٤ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٣٢٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٣ .

(٣٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٨ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ .

(٣٣٠) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(٣٣١) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٨ .

(٣٣٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، المكتب التجارى للطباعة ، والنشر – بيروت – ، ص ١٦١ ، محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ١٠١ .

(٣٣٣) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٠ ، (تمسكت بعض العناصر من العلماء فى تونس ببيعة أبى الحسن ، رغم ماحدث له فى القيروان ومن هؤلاء القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد السلام المنستيرى ، الذى رفض الدعاء فى خطبة الجمعة للخليفة أبى العباس بن أبى دبوس الذى نصبه الثوار بدلا من أبى الحسن فى تونس ، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٦١ ، ١٦٢) .

(٣٣٤) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ ، انظر ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ .

(٣٣٥) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ .

(٣٣٦) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ .

(٣٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٦ ، (وينفرد ابن القنفذ بالقول بأن عددا من أنصار أبى الحسن من بنى مرين قد خانوه وفروا من المعركة كغيرهم من بنى عبد الواد ، انظر ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٠) .

(٣٣٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٤ ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(٣٣٩) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٩ ، ٢١٠ (لم يقم بنو مهلهل بهذا العمل مع أبى الحسن إلا بعد أن حصلوا على مبلغ كبير من المال منه ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧) .

(٣٤٠) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٦

(٣٤١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ .

(٣٤٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٣٤٣) المصدر السابق ، ٨٥ .

(٣٤٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ .

(٣٤٥) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧١ .

(٣٤٦) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٧ .

(٣٤٧) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، مع خلاف في اللفظ .

(٣٤٨) محمد الهادي العامري : تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون ، ص ١٠٤ .

(٣٤٩) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣٥٠) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(٣٥١) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٩٤ .

(٣٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨١ .

(٣٥٣) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٨ .

(٣٥٤) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٤ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٨ .

(٣٥٥) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٩ .

(٣٥٦) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٤ ، ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ١٠٦ . (أرسل أبو عنان جيشا عاون بني عبد الواد ضد والده أبي الحسن ، ابن خلدون العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠) .

(٣٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٣٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ .

(٣٥٩) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٥ .

(٣٦٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٦١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ .

(٣٦٢) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ ، (مع خلاف في اللفظ) .

(٣٦٣) السلاوي : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٥ ، (واتفق مع السلاوي في هذا التاريخ ابن خلدون ، والزركشي ، والقلقشندي ، انظر ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨)

(٣٦٤) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٥ .

(٣٦٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٤) ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٩ ، ١٥٠) .

(٣٦٦) محمد الهادى العامرى : تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون ، ص ١٠٦ .

(٣٦٧) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ .

(٣٦٨) المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٨ .

(٣٦٩) المصدرين السابقين ، نفس الورقات ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٣٧٠) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٨ .

(٣٧١) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ ، ١٢ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٠١ ، (ومما قاله أبو عنان من الشعر :

وإذا تصدر للرياسة خامل   جرت الأمور على الطريق الأعوج

، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢١٥ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥) .

(٣٧٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٣ ، عبد الحميد حاجيات : أبوحمو موسى الزيانى حياته وآثاره ، المكتبة الوطنية - الجزائر ، ط ١٩٧٤ ، ص ٢٦ .

(٣٧٣) المصدر السابق ، ص ٢٨١ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

(٣٧٤) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣٧٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٨٩ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .

(٣٧٦) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات .

(٣٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .

(٣٧٨) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٨ .

(٣٧٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٩ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٦٢ .

(٣٨٠) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات ، (يذكر السلاوى والزركشى أن أبا عنان حمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما فى محفل من الناس بين سماطين ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٩٠ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤) .

(٣٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٩ ، التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٥٠ .

(٣٨٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩٠ .

(٣٨٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٤ .

(٣٨٤) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩١ .

(٣٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٢ .

(٣٨٦) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣٨٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٦ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩١ - ٩٤ .

(٣٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩١ .

(٣٨٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٥ .

(٣٩٠) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩١ .

(٣٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٦ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٢ .

(٣٩٢) المصدر السابق ، ض ١٧٤ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٢ ، طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، رسالة ماجستير كلية دار العلوم ١٩٧٥ ، ص ٢٩٩ .

(٣٩٣) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٢ .

(٣٩٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٦ ، ٩٧ ، وانظر ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ .

(٣٩٥) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩٩ ، (وكانت توزر فى يد يحيى بن يملول ، ونفطه فى يد على بن [illegible] ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٧ .

(٣٩٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٩٧) السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، (يروى ابن الخطيب أن استيلاء المرينيين على تونس كان فى رمضان سنة (٧٥٨ هـ) ، ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٣١) .

(٣٩٨) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ ، (ومن المعروف أن السلطان أبا عنان أسند إلى أحمد بن مكى ولاية طرابلس ، وظل ابن مكى حاكما عليها حتى سنة (٧٦٦ هـ) ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، الزاوى : ولاة طرابلس ، ص ١٢٧) .

(٣٩٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٧ .

(٤٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤٠١) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٨ ، ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ، ص ١٤٩ .

(٤٠٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٨ .

(٤٠٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤٠٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٨ .

(٤٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤٠٦) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ط ١٣١٦ هـ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٩ .

(٤٠٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤٠٩) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٩ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٤١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٩ ، السلاوى : الاستقصا : جـ ٢ ، ص ١٠١ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٦٦ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٣١٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٣٨ ، ابن الأحمر النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ١١ ، Julien, OP. Cit., P. 183 .

(وخالف التاريخ الذى ذكرته هذه المصادر ، صاحب الحلل الموشية وابن الخطيب ، فيذكر الأول أنها كانت فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٥٩ هـ) ، بينما يذكر الثانى أنها كانت فى الرابع عشر من ذى الحجة سنة ٧٥٩ هـ .

(٤١١) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٣٤ .

الفصل الثالث

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين

(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م)

عصر نفوذ الوزراء وسقوط دولة بنى مرين
(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م)

تفكك دولة بنى مرين :

شهدت الدولة المرينية فى أعقاب مقتل السلطان أبى عنان تحولا كبيرا فى نظامها السياسى ، وكانت أهم عناصر هذا التحول ، هى انتقال السلطة الفعلية فى الدولة من يد السلاطين إلى الوزراء . وكانت هذه الظاهرة تشكل خللا فى الجهاز الحاكم للدولة ، حيث كانت مقاليد السلطة كلها قبل ذلك فى قبضة السلطان المرينى وحده ، وكان الوزراء مجرد أدوات لتنفيذ أوامره ، وأصبح هذا التحول دلالة قوية واضحة على انتهاء عصر القوة فى الدولة المرينية وعلى أنها بدأت تخطو أولى خطواتها نحو الانهيار والسقوط .

وصاحب هذه التطورات الخطيرة فى جهاز الحكم فى الدولة المرينية ، عودة الدولة وتقلصها داخل حدودها السابقة فى المغرب الأقصى ، حيث حاصر الحفصيون قسنطينة واستردوا بجاية [١] ، .وتمكن أبو حمو موسى الزيانى فى ربيع الأول سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م)، من استعادة تلمسان بمعاونة بنى عامر بن زغبة ، وهم من عرب بنى هلال [٢] . وبطبيعة الحال كانت هذه الأحداث نهاية لسياسة المرينيين التوسعية ، وضياع كثير من التضحيات المادية والعسكرية التى بذلها المرينيون فى بلاد إفريقية والمغرب الأوسط ، وكانت هذه الخسائر المادية الفادحة التى خسرها المرينيون طيلة سنوات تنفيذهم لهذه السياسة من أهم أسباب ضعف دولتهم واندفاعها نحو الانحلال والتفكك . ومن خلال الضعف الذى منيت به الدولة ، مارس الوزراء سلطاتهم الواسعة ، وتحكموا فى مقادير الدولة ، حتى أصبحت الفترة الأخيرة من حياة الدولة المرينية تقترن سياسيا بهؤلاء الوزراء المستبدين بها أكثر من اقترانها بسلاطين الدولة الذين كانوا إما صغارا محجوبين بهؤلاء الوزراء ، أو كبارا ولكنهم فى أغلب الأحيان ضعاف مجردون من السلطة والنفوذ .

المرينيون تحت وزارة الحسن بن عمر الفودودى :

هو الوزير الحسن بن عمر الفودودى [٣] . وقد حجب هذا الوزير السلطان أبا بكر السعيد بن أبى عنان فى داره ، واستقل هو بأمر الدولة [٤] . وقد شعر هذا الوزير بعد استيلائه على السلطة فى الدولة المرينية أن مصدر الخطر عليه يكمن فى أبناء السلطان أبى عنان

الذين أوكل إليهم السلطان فى حياته حكم أقاليم الدولة (٥) . فهؤلاء من السهل أن يطالبوا بأحقيتهم فى العرش خاصة وأنهم أكبر سنا من السلطان الصغير أبى بكر السعيد (٦) ، لذلك اتخذ الحسن بن عمر الفودودى فورا إجراءات تم بمقتضاها القبض على عبد الرحمن بن أبى عنان – الذى كان فى جبل الكاى – واعتقله فى قصبة فاس ، واستدعى المعتصم الذى كان حاكما على سجلماسة ، والمعتمد الذي كان واليا على إقليم مراكش ، وقد رفض هذا الأخير الحضور ، واعتصم بجبل هنتاتة فى حماية وزيره عامر بن محمد ، وظل هناك حتى قام عامر بتسليمه إلى السلطان أبى سالم بعد ذلك (٧) .

وحاول الحسن بن عمر الفودودى إبعاد خطر منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق ، حيث ملأت الإشاعات أسماع الناس ، ومن بينهم الحسن ابن عمر ، بأن مُلْك المغرب صائر إلى منصور هذا ، وأصبحت هذه الإشاعات حديث السَّمَر والندمان فى كل مكان (٨) . وابن خلدون يذكر أن هذه الإشاعات أفزعت منصور ابن سليمان نفسه ، « فجاء إلى الوزير الحسن وشكا إليه ذلك فانتهره أن يختلج بفكره هذا الوسواس انتهارا خلا من وجه السياسة فانزجر واقتصر » (٩) . وحاول الحسن بن عمر التخلص منه ومن خطره فأرسله ضمن الحملة التى قادها مسعود بن رحو بن ماسى لاسترداد تلمسان والقضاء على بنى عبد الواد بالمغرب الأوسط – ولكن يؤتى الحذر من مأمنه – فقد نجح مسعود بن رحو فى دخول تلمسان بعد أن تركها له أبو حمو موسى الزيانى ، ولكن أبا حمو اتجه بقواته التى كان أكثرها من العرب من قبائل زغبة والمعقل نحو المغرب الأقصى ، فأفزع ذلك مسعود بن رحو فى تلمسان ، فوجه إليهم حملة بقيادة ابن عمه عامر بن عبو ابن ماسى ، وفشلت هذه الحملة فشلا ذريعا ، وهرب أصحابها ودخلوا وجدة عراة (١٠) . ولما بلغت هذه الأنباء بنى مرين بتلمسان « وكان فى قلوبهم مرض من استبداد الوزير عليهم وحجره لسلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة فلما بلغ الخبر وحاص الناس لها حيصة الحمر خلص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان بن السلطان أبى يعقوب فبايعوه » (١١) . ولم يكن مسعود بن رحو بن ماسى بأقل من بنى مرين بتلمسان رغبة فى مبايعة سلطان جديد غير سلطان فاس ، ويبدو أنه كان يريد من وراء ذلك القضاء على الحسن بن عمر الفودودى وأن يتسلق من ناحية أخرى إلى السلطة والحكم ، لذلك اختار لهذا الأمر ، منصور بن سليمان .

أحضر مسعود بن رحو بن ماسى منصور بن سليمان « فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الأبكم من بنى الأحمر وقائد جند النصارى (القهردور) وتسايل إليه الناس وتسامع الملأ من بنى مرين بالخبر فتهاووا إليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبى زيان لوجهه فركب

البحر وخلص إلى الأندلس واحتمل بنى مرين على كلمته وارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب » (١٢) .

وصل منصور بن سليمان بجحافله ومؤيديه إلى وادى سبو ، فترامت أخباره إلى الحسن ابن عمر الفودودى الذى بادر بالخروج لقتاله ، ومعه سلطانه الصغير السعيد بن أبى عنان ، فلما جاء الليل تسلل كثير من قواته وانضموا إلى منصور بن سليمان ، ولم يجد الحسن ابن عمر بدًا عن الانسحاب إلى البلد الجديد ليتحصن بها من منصور بن سليمان ، ولكن ساء حظ السلطانيين ، إذ ظهر فى ذلك الوقت الأمير أبو سالم المرينى بجبال غمارة يدعو إلى نفسه ، ويبدو أن الناس كانوا على حالة كبيرة من اليأس من السلطان المحجور عليه ووزيره الحسن بن عمر ، ومن السلطان الذى فرض عليهم بالقوة (منصور ابن سليمان) (١٣) . لذلك توجهت الأنظار إلى الأمير أبى سالم المرينى ليخلصهم من هذه الأوضاع المتردية ، ويقول السلاوى فى ذلك : « فانصرفت إليه (أبو سالم) وجوه أهل المغرب وبطل أمر السلطان أبى بكر السعيد ومنصور بن سليمان معا وذابا كما يذوب الملح » (١٤) .

وزارة ابن مرزوق الخطيب :

قفز الأمير أبو سالم إلى قمة الأحداث فى المغرب فجأة ، وكان هذا الأمير قد نفاه السلطان أبو عنان مع أخيه محمد إلى بلاط غرناطة سنة (٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) لابعادهما عن التطلع إلى العرش المرينى ، وقد حركت التطورات الجديدة – التى طرأت على الدولة المرينية فى أعقاب وفاة أخية السلطان أبى عنان – أطماعه (١٥) . ويذكر ابن خلدون أن بعضا من أهل المغرب استدعاه لتولى الأمر ، بل إن بعضهم وصل إليه والتقى به بمكانه من غرناطة لأجل هذا الغرض (١٦) . فطلب أبو سالم من سلطات غرناطة أن تأذن له بالرحيل إلى المغرب فرفضت طلبه ، الأمر الذى جعله يهرب كما يقول ابن الخطيب « من الحضرة (غرناطة) ليلا من بعض مجارى المياه راكبا للخطر .. ولحق بملك قشتالة ، وهو يومئذ باشبيلية » (١٧) .

ساعد ملك قشتالة أبا سالم ، فكلف إحدى سفن الأسطول القشتالى بنقله إلى ساحل المغرب ، ولم يتمكن أبو سالم من النزول بمراكش لأن عامر الهنتاتى كان يعانى من حصار سليمان بن داود (١٨) . تراجع أبو سالم عن مراكش ، ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة على طريق سبتة ، وقد مكنه نزوله فى هذا الموضع من الاستيلاء بسهولة على طنجة وسبتة وأصيلا وجبل الفتح ، لأنه وجد تأييدا قويا من قبائل المنطقة (١٩) . كما التقى بعدد من الشخصيات القوية التى عاونته معاونة صادقة ، ومن هذه الشخصيات السلطان

أبو العباس بن أبي حفص – صاحب قسنطينة الذى كان معتقلا فى سبتة – فقد وقف هذا السلطان مع أبى سالم بمن معه من عبيد وفرسان (٢٠) . كذلك انضم إليه الحسن بن يوسف الورتاجنى ، وأبو الحسن بن على بن السعود ، والشريف أبو القاسم التلمسانى ، وهؤلاء كانوا فى طريقهم إلى النفى بالأندلس ، إذ ارتاب فى شأنهم منصور بن سليمان وظن أنهم يداخلون الوزير الحسن بن عمر الفودودى ، وقد استفاد أبو سالم من هذه الشخصيات ، فاستوزر الحسن بن يوسف ، واستكتب لعلامته الحسن بن على بن مسعود (٢١) . وقد أضفت هذه الترتيبات على حركة أبى سالم كثيرا من مظاهر الجدية ، مما جعله ينجح فى مهمته ، فهزم الجيش الذى أرسله له منصور بن سليمان بقيادة أخويه عيسى وطلحة (٢٢) . وقد أسفرت هذه الانتصارات الأولية عن انفضاض الناس من حول منصور ابن سليمان وانضمامهم إلى أبى سالم ، ومن ناحية أخرى جرت مراسلات سرية بين الحسن ابن عمر الفودودى وأبى سالم ، تم بمقتضاها خلع السلطان السعيد بن أبى عنان وتسليمه وتسليم أمره إلى الأمير أبى سالم (٢٣) .

وفى يوم الجمعة منتصف شعبان سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٩ م) دخل أبو سالم إلى البلد الجديدة مقر الحكم المرينى – واستولى على العرش المرينى (٢٤) . وفى مقابل ذلك عقد للحسن بن عمر الفودودى على مراكش « تخففا منه وريبة بمكانته من الدولة » (٢٥) .

ومضت سنوات حكم أبى سالم ، وسط جو من الخوف والقلق والترقب لمنافسيه فى كل مكان ، ففى مطلع عهده سلك مسلكا منفرا أغضب عليه البيت المرينى كله حيث عمد إلى الأبناء المرشحين من بنى أبى الحسن المرينى ، فجمعهم فى سفينة واحدة متظاهرا بإرسالهم إلى الأندلس ، بينما كانت أوامره التى أرسلها إلى قائد السفينة مشددة بإغراقهم جميعا وقد تم ذلك بالفعل وكان السلطان أبو بكر السعيد بن أبى عنان ضمن هؤلاء الأبناء (٢٦) .

وتركزت جميع اهتمامات أبى سالم فى المحافظة على عرشه ، والاحتياط لذلك بشتى الوسائل ، فقد وجد أبو سالم فى الثورة التى ترتب عليها خلع السلطان الغنى بالله محمد ابن يوسف بن الأحمر ، فرصة لتأمين ملكه من أية محاولة تدبر فى غرناطة ضد عرشه ، خاصة وأن كثيرا من أبناء البيت المرينى المطالبين بالعرش يقيمون بها . فطلب أبو سالم إلى سلطان غرناطة الجديد تسهيل عبور السلطان المخلوع الغنى بالله ووزيره لسان الدين ابن الخطيب للإقامة فى الدولة المرينية (٢٧) . وقد أفصح المقرى عن أهداف أبى سالم التى كانت تكمن وراء هذه الضيافة ، فقال أن أبا سالم أرسل فى « استدعاء هذا السلطان المخلوع عن وادى آش ، يعده زبونا على أهل الأندلس ويكف به عادية القرابة المرشحين هنالك متى طمحوا إلى ملك المغرب » (٢٨) .

ولم يستطع أبو سالم رغم حرصه الشديد على عرشه ، أن يعيد للدولة المرينية هيبتها وقوتها ، ففي سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، كتب إلى منصور بن خلوف الياباقي ، عامل بني مرين على قسنطينة ، يطلب إليه تسليم المدينة إلى المولى أبي العباس الحفصي ، وذلك لقاء خدماته ومعاونته التي قدمها له حين نزوله ببلاد غمارة ، وبهذا فقد المرينيون نهائيا وجودهم في إفريقية (٢٩) . كما فشل أبو سالم في حملته التي وجهها إلى تلمسان سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، في الاحتفاظ بالمغرب الأوسط ضمن أملاك الدولة المرينية ، وانتهى به الأمر إلى مهادنة أبي حمو موسى الزياني سلطان بني عبد الواد ، وبذلك خرج المغرب الأوسط هو الآخر عن سلطة بني مرين (٣٠) .

ورغم أن البلاط المريني في عهد أبي سالم قد احتوى على عدد من مشاهير رجالات الحكم والإدارة كأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب وأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون – الذي تولى الكتابة لأبي سالم – وأبي القاسم النجاري – صاحب كتاب السياسة – (٣١) فإن الترتيبات الكثيرة التي اتخذها أبو سالم دائما لتأمين عرشه جعلته يرى « أن قد خلا له الجو ، فتواكل وآثر الحَجْبَة ، وأشرك الأيدي في ملكه فاستبيحت أموال الرعايا ، وضاقت الجبايات ، وكثرت الظلامات ، وأخذ الناس حرمان العطاء وانفتحت أبواب الارجاف » (٣٢) .

وإذا كان هذا هو أمر رعايا الدولة ، فقد كانت الأحوال أكثر سوءا في نفوس خاصة السلطان وحاشيته ، وأهل الحل والعقد في الدولة ، بسبب استبداد الوزير أبي عبد الله ابن مرزوق الخطيب ، إذ غلب ذلك الوزير على هوى السلطان أبي سالم ، وأصبح بيده زمام الأمور في الدولة ، وأصبح هؤلاء جميعا يتحينون الفرصة للفتك بأبي سالم (٣٣) . وهذه الحقائق تعني أن معظم سلاطين بني مرين في هذه المرحلة من تاريخ الدولة ، قد فقدوا ايجابيتهم في الحكم ، وقدرتهم على العطاء للدولة والمواطنين ، وأصبحت الدولة نهبا للطامعين والمغامرين .

فقد قرر أبو سالم نقل مقر الحكم من البلد الجديد ، إلى قصبة فاس القديمة ، حيث بنى في هذه القصبة إيوانا جديدا فخما لجلوسه (٣٤) . وكان قد قلد إلى عمر بن عبد الله أحد كبراء الدولة ووزرائها (٣٥) – الأمانة على القلعة –دار ملكه في البلد الجديد (٣٦) . « فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند غرسية بن أنطول واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة سنة اثنين وستين وخلصوا إلى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبي الحسن بمكانه من البلد الجديد فخلعوا عليه وألبسوه شارة

الملك » (٣٧) . وكانت هذه الثورة حسب رواية ابن الخطيب فى الإحاطة ، ليلة العشرين من ذى العقدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٣٨) .

أحس أبو سالم بالثورة التى دبرها عمر بن عبد الله فحاول استعادة زمام المبادرة فى يديه من الثوار ، ولكنه فشل ، وانفض الناس من حوله إلى البلد الجديد ، ولاذ هو بالفرار ، وأرسل عمر بن عبد الله فى أثره من يبحث عنه ، حتى عثروا عليه نائما فى بعض المجاشر بوادى ورغة ،فقبض عليه . ولما علم عمر بن عبد الله بأنباء القبض عليه أرسل شعيب ابن ميمون بن وردار ، وفتح الله بن عامر ، وأمرهما بقتله ، فآمرا أحد الجند من النصارى أن يتولى ذبحه ، وتم ذلك عند الموضع المعروف بخندق القصب أمام كدية العرائس ، بظاهر مدينة فاس ، وحملت رأسه فى مخلاة إلى عمر بن عبد الله (٣٩) . ويروى المقرى أن مقتله كان فى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م)(٤٠) .

وتشكل هذه الصورة المؤلمة التى أصبح تكرارها شيئا عاديا – أصدق تعبير عن مدى ما أصاب سلاطين المرينيين من ضعف وهوان ولا أدل على ذلك ، من اختيار سلطان ضعيف العقل ، قد ثبت للجميع اختلال عقله يقول ابن خلدون : « ونصب (عمر بن عبد الله) الموسوس تاشفين يموه به على الناس » (٤١) .

استبداد الوزير عمر بن عبد الله بدولة بنى مرين :

بويع السلطان تاشفين بن أبى الحسن فى ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) (٤٢) . ويبدو أن عمر بن عبد الله أجبر شيوخ بنى مرين على مبايعة هذا السلطان لأنهم بدأوا يتململون بعد ذلك أن يحكمهم سلطان لا عقل له (٤٣) . أما عمر بن عبد الله فقد مضى فى استبداده بأمر بنى مرين ، واستئصال أى مصدر للخطر عليه فقتل حليفه غريسة بن أنطول ، بعد أن تسربت إلى عمر بن عبد الله الأخبار بأن ابن أنطول ينوى الفتك به ، وإحلال الوزير سليمان بن داود مكانه من الوزارة (٤٤) ، وقد ساعد شيوخ بنى مرين عمر بن عبد الله فى التخلص من غريمه ابن أنطول ، وقد يكون ذلك رغبة منهم فى إضعاف مركز عمر بن عبد الله الذى كان كما يقول ابن خلدون والسلاوى « خلوا من العصبية » ولكن عمر بن عبد الله كان فى الوقت الذى دبر فيه للقضاء على ابن أنطول ، قد ضم إليه حليفا جديدا – لا يقل كفاءة عن أبن انطول وهو إبراهيم البطروجى قائد المركب السلطانى – وقد نجح هذا الأخير فى إثارة ابن أنطول – فى أثناء انعقاد المجلس السلطانى بتسليم سليمان بن دواد ، فرفض ابن أنطول ، « فأمر عمر بالقبض عليه فكشر فى وجوه الرجال واخترط سكينة للمدافعة فتواثب بنو مرين وقتلوه لحينه » (٤٦) .

أحدث قتل ابن أنطول ثورة عارمة بين العامة ، الذين وجدوا فى الحادث فرصة للانتقام من جند النصارى ، الذين أصبحوا فى نظرهم متآمرين على سلامة الدولة ،فقتلوا جند النصارى حيث وجدوهم ، وزحفوا إلى حيث يقطنون فى حى الملاح إلى جوار فاس ، فنهبوا كثيرا من أموالهم وامتعتهم واستطاع المرينيون السيطرة على الأمور بصعوبة بالغة (٤٧) .
وحاول عمر بن عبد الله من جانبه إعادة الأمور فى الدولة إلى حالتها الطبيعية ، ولكن شيوخ بنى مرين أصروا على موقفهم من ضرورة أستدعاء أحد ذوى الكفاءة من أبناء البيت المرينى ليتولى الحكم بدلا من ذلك السلطان المعتوه ، وظن شيوخ بنى مرين أن السبب فى استبداد عمر بن عبد الله هو جنون السلطان المتربع على العرش المرينى ، لذلك أصروا على موقفهم ، بل أرسلوا فعلا إلى تلمسان يطلبون من الأمير عبد الحليم — ابن أخى السلطان أبى الحسن (الأمير أبى على) — الحضور لمبايعته سلطانا على بنى مرين رغم أنف عمر بن عبد الله ، الذى مضى يدعم موقفه فى مواجهة شيوخ بنى مرين ، فحاول الاتصال بعامر بن محمد الهنتاتى ، للتحالف معه والاتفاق على اقتسام ملك المغرب فيما بينهما ، وأرسل إليه عمر ، الأمير أبا الفضل بن السلطان أبى سالم ، ليتقدم به عامر بن محمد نحو فاس ، فى حالة إذا ما حاصر شيوخ بنى مرين عمر بن عبد الله فى البلد الجديد ، وكانوا قد تجمعوا فعلا وعسكروا بقواتهم بباب الفتوح من مدينة فاس ، بعد أن منعهم عمر بن عبد الله من الدخول اليه وتحصن بالبلد الجديد (٤٨) .

وفى تلمسان التقى الأمير عبد الحليم بن أبى على بمحمد بن السبيع بن موسى بن إبراهيم — وهو من رجال عمر بن عبد الله الخارجين عليه — الذى دعا هو الآخر الأمير عبد الحليم ، للاستيلاء على العرش المرينى ، وصادفت هذه الدعوة هوى فى نفس أبى حمو — سلطان بنى عبد الواد — فجهز الأمير عبد الحليم بما يحتاجه من السلاح والعدد واستوزر له محمد ابن السبيع (٤٩) .

رحل الأمير عبد الحليم من تلمسان ، وعند تازى التقى بوفد مشيخة بنى مرين ، الذين كانوا فى طريقهم إليه لدعوته إليهم « ورجعوا معه وتلقته جماعة بنى مرين بسبوا ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع محرم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادوا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام » (٥٠) . ولكن عمر بن عبد الله خرج إليهم فلم يصمدوا أمامه وتفرق المرينيون إلى مواطنهم ، بينما فر الأمير عبد الحليم إلى تازى (٥١) .

اقتنع عمر بن عبد الله بعد هذه الأحداث بضرورة اختيار سلطان جديد غير تاشفين الموسوس بن أبى الحسن ، لأن خطر الأمير عبد الحليم مازال جاسما بتازى ، كما أن ظهور أمير

آخر من أمراء بنى مرين ، ومطالبته بالعرش ، أمر محتمل وسيجعل بالطبع شيوخ بنى مرين يلتفون حوله من جديد ، وهو أمر لا يمكن التكهن بنتائجه ، لذا فكر عمر بن عبد الله فى اختيار سلطان جديد ، ووقعت أنظاره على الأمير أبى زيان محمد بن يعقوب ابن أبى الحسن المرينى . وكان هذا الأمير قد فر من رُندة فى مطلع عهد عمه السلطان أبى سالم ، خوفا من بطشه به ، واستقر به المقام فى بلاط أشبيلية (٥٢) .

ورغم وجود عدد كبير من أبناء البيت المرينى من ذوى الكفاءة لتولى منصب السلطان فقد اختار عمر بن عبد الله الأمير أبا زيان محمد ، وأغلب الظن أن عمر بن عبد الله كان يعرف شخصيته هذا الأمير معرفة جيدة ، وهى شخصية تتناسب مع أطماع عمر بن عبد الله فى الاستبداد والسلطة ، فقد وصف السلاوى أبا زيان ، بأنه كان فاضلا ساكنا منقادا مشتغلا بخاصة نفسه قليل الكلام (٥٣) . ومن ناحية أخرى فإن اختياره لشخصية بعيدة عما يجرى فى بلاد المغرب من أحداثه وتقلباته السياسية ، تسهل له عملية الاستبداد بالأمور ، وعلى هذا أرسل عمر بن عبد الله تباعا إلى الأمير أبى زيان محمد عددا من الشخصيات لاستدعائه ، فأرسل عتيقا الخصى ، ثم تلاه بعثمان بن الياسمين ، ثم تلاهما بالرئيس الأبكم (محمد الغنى بالله المخلوع) وفى مقابل قيام الرئيس الأبكم بهذه المهمة ، تنازل له عمر بن عبد الله عن رُندة — التى كانت ضمن أملاك المرينيين فى بلاد الأندلس — ووقع على وثيقة التنازل عنها شيوخ بنى مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء (٥٤) . ونجح الرئيس الأبكم فى مهمته لدى بلاط قشتالة ، ووصل الأمير أبو زيان إلى المغرب وبالتحديد الذى ذكره ابن خلدون والسلاوى وصل إلى كدية العرائس خارج فارس فى منتصف صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) ، « وتلقاه الوزير (عمر بن عبد الله) يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه فاضطربه بمعسكره ، وتلوم السلطان ثلاثا ثم دخل فى الرابع إلى قصر واقتعد أريكته » (٥٥) ، وكان عمر بن عبد الله قد بادر بخلع أبى عمر تاشفين الموسوس فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) (٥٦) . بعد أن مكث ثلاثة أشهر ويومين سلطانا صوريا على بنى مرين (٥٧) .

بدأ عمر بن عبد الله فى إحكام قبضته على الدولة ، طلبا للنفوذ والمال والثروة ، فاستقدم صهره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساى ، وعامر بن محمد الهنتاتى — كبير جبل درن والبلاد المراكشية — فأسند إلى الأول الوزارة ، وتحالف مع الثانى على اقتسام موارد المغرب من لحم وأدم ، رغبة فى الثراء والثروة ، وجعل إمارة مراكش لأبى الفضل بن أبى سالم مرضاة لعامر بن محمد الهنتاتى (٥٨) ، ويبدو أن عمر بن عبد الله حرص على هذا التحالف ، لتأمين نفسه ، لأنه لم تكن له عصبية يحتمى بها أمام أية ظروف طارئة . كل هذا كان يتم والسلطان أبو زيان محمد يقيم فى قصره كما يقول القلقشندى والوزير عمر بن عبد الله :

« مستبد عليه لا يكل أمرا ولا نهيا وحجره من كل وجه » (٥٩) .

اتجه عمر بن عبد الله بعد ذلك إلى القضاء على خطر الأمير عبد الحليم بن أبى على الذى تحرك نحو سجلماسة هو وأخوه عبد المؤمن ، ليتخذ منها قاعدة للانطلاق نحو فاس من جديد ، وقد اختار سجلماسة لأنها كانت مقرا لحكم والده الأمير أبى على أيام ثورته على أبيه السلطان أبى سعيد ، وهى فى نظره كانت تحوى كثيرا من الأتباع والأنصار (٦٠) . وكان ذلك بطبيعة الحال يؤرق عمر بن عبد الله ، خاصة وأن يحيى بن رحو – من مشيخة بنى مرين – ما زال يدعو عبد الحليم للتحرك نحو فاس والاستيلاء على العرش (٦١) .

جهز عمر بن عبد الله جيشا خرج به من فاس لحرب الأمير عبد الحليم فى سجلماسة ، والتقى به عند تاغزوطت – التى تقع على حافة تلول المغرب المؤدية إلى صحراء سجلماسة – وتدخل رجالات العرب فى الصلح بين الفريقين ، ونجحوا فى عقده على أساس أن يترك عمر بن عبد الله للأمير عبد الحليم حكم سجلماسة (٦٢) . ويحتمل أن يكون ذلك فى مقابل كف الأمير عبد الحليم عن التطلع لملك فاس .

وهكذا أدت سياسة عمر بن عبد الله الرامية إلى المحافظة على بقائه فى السلطة مستبدا بالأمور إلى تقسيم الدولة إلى ثلاثة أقسام منفصلة تماما ، ويصور السلاوى أحوال مراكش تحت نفوذ محمد بن عامر الهنتاتى بقوله : « فاستقل عامر بن محمد بأمر الناحية الغربية من مراكش وجبال المصامدة وما إليها من الأعمال واستبد بها ونصب أبا الفضل بن السلطان أبى سالم صورة واستوزر له وتمكن سلطانه وعلا ذكره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف إليه النازعون من بنى مرين على الدولة وجوه مضرهم ولجؤا إليه فأجارهم على السلطان واجتمع إليه منهم ملأ واتسع الخرق على الراقع واضطربت الأحوال بالمغرب (٦٣) .

وفى تلك الأثناء نشب صراع فى سجلماسة بين الأمير عبد الحليم – تناصره قبائل الأحلاف – وأخيه عبد المؤمن – يناصره أولاد حسين وكلاهما من عرب المعقل – وانتهى الأمر بانتصار أولاد حسين ، وفر عبد الحليم إلى مالى ، واتخذ طريقه منها إلى الحج ، وأصبح عبد المؤمن أميرا على سجلماسة (٦٤) . وقد دعت هذا التطورات عرب الأحلاف إلى دعوة عمر بن عبد الله للاستيلاء على سجلماسة ، فأرسل جيشا بقيادة مسعود بن ماسى فاستولى على سجلماسة ، بينما هرب عبد المؤمن إلى مراكش ، فاعتقله هناك عامر بن محمد الهنتاتى (٦٥) .

دلت الأحداث على أنه أصبح لدى كل وزير من وزراء الدولة المرينية أمير من أمراء البيت المرينى ، يعده للثورة به على عمر بن عبد الله ، والتسلق إلى الحكم والسلطة . فعامر ابن محمد كان لديه أبو الفضل بن أبى سالم وعبد المؤمن بن أبى على . ومسعود بن ماسى

استدعى عبد الرحمن بن على بن يفلوسن ، لأخذ البيعة له وتنصيبه سلطانا على بنى مرين . ولكن ظلت اليد العليا فى تلك المنافسة لعمر بن عبد الله ، حيث انتهى الصراع بينه وبين مسعود بن ماسى وسلطانه عبد الرحمن بن على بفشلهما ورحيلهما معا للجهاد فى بلاد الأندلس (٦٦) . وظل عامر بن محمد الهنتاتى على حاله من القوة فى الجهات الغربية من مراكش (٦٧) .

ووسط هذا الصراع كان السلطان أبو زيان محمد يعانى من استبداد الوزير عمر ابن عبد الله به « حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه إلى أن حدث نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به فنمى القول وأرسل به إلى الوزير بعض الحرم كانت عينا له » (٦٨) .

فأسرع الوزير على الفور واقتحم خلوة السلطان أبى زيان فوجده يعاقر الخمر مع ندمائه ، فطردهم عنه « وتناوله (عمر بن عبد الله) غطاً حتى فاض وألقوه فى بئر فى روض الغزلان » (٦٩) ويقول ابن الخطيب : « وباشر (عمر بن عبد الله) اغتياله ، وأوعز إلى خدامه بخنقه وطرحه بحاله فى بعض سوالى قصره متبعا ببعض أوانى الخمر ، يوهم بذلك قاتله ، ترديه سكرا ، وهويه طفوحاً » (٧٠) .

كان ذلك فى محرم أول سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، حسب رواية ابن خلدون والقلقشندى (٧١) . وفى يوم الأحد الثانى والعشرين لذى حجة سنة (٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) ، حسب رواية ابن الأحمر فى النفحة وروضة النسرين ، وابن القاضى فى جذوة الاقتباس (٧٢) . ووفقا لرواية ابن خلدون تكون مدة بقاء أبى زيان فى الحكم ست سنوات (٧٣) . وتبدو الرواية الثانية لابن الأحمر وابن القاضى أقرب إلى الصحة من الأولى التى ذكرها ابن خلدون والقلقشندى ، لأن صاحب الحلل الموشية أيد الرواية الثانية صراحة فذكر أن مدة حكم أبى زيان كانت خمسة أعوام (٧٤) . ويؤيدها أيضا ما ذكره السلاوى من أن السلطان أبا فارس عبد العزيز الذى خلف أبا زيان محمد تولى سلطنة بنى مرين يوم الأحد الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) (١٧٥) . ويؤكد صحة الرواية الثانية أيضا أن أبا زيان ولد سنة (٧٣٩ هـ) ، وتوفى وعنده ثمان وعشرون سنة (٧٦) . وعلى هذا يكون تاريخ وفاته الصحيح هو سنة (٧٦٧ هـ) وليس (٧٦٨ هـ) .

مقتل عمر بن عبد الله واسترداد هيبة الدولة المرينية :

لم يكن أمام الوزير عمر بن عبد الله وقت طويل ليختار سلطانا من نفس الطراز الذى

كان عليه السلطان أبو زيان محمد ، إذ استدعى عمر بن عبد الله عبد العزيز بن السلطان أبي الحسن – وكان عمر بن عبد الله قد حدد إقامته في بعض الدور من قصبة فاس تحت رقابة وحراسة مشددة – وأجلسه على سرير الملك (٧٧) . « وفتحت الأبواب لبني مرين وسائر الخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته فتم أمره وثبت ملكه وذلك في يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة.(٧٨) .

وبدأ عمر بن عبد الله يحكم استبداده بالسلطان عبد العزيز الذي يبدو من صفاته – التي تمتع من خلالها بشخصية قوية – أنه كان يرفض مثل هذا المسلك من الوزير عمر ابن عبد الله ، فعبد العزيز كما يصفه المؤرخون رجل طويل القامة ، نحيف الجسم ، رحب الوجه ، عف متمسك بالدين ، محب للخير ، لم يشرب الخمر قط (٧٩) ، وسلطان يحمل مثل هذه القيم والصفات احتمال ثورته على استبداد الوزير به كبير ، وقد أشار القلقشندي إلى ذلك فقال : « استبد (عمر بن عبد الله) عليه (السلطان عبد العزيز) كما كان مستبدا على من قبله فحجره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس أن يسألوه في شيء من أمورهم ، فثقل ذلك عليه (السلطان عبد العزيز) غاية الثقل » (٨٠) .

وفي أثناء هذا كله كانت تدور في القصر المريني همسات تقول بأن الوزير عمر ابن عبد الله ، يريد الزواج من ابنة السلطان أبي عنان ، وأنهم قالوا له إذا أردت ذلك فعليك أن تنصب أخاها الأمير سلطانا على بني مرين (٨١) . وهنا علم السلطان عبد العزيز أنه مقتول لا محالة كسابقه ، وأحس السلطان عبد العزيز بتآمر الوزير عليه ، عندما أمره الوزير بالانتقال من قصره إلى القصبة . عند ذلك قرر السلطان عبد العزيز الفتك بعمر ابن عبد الله ، ودون أن يشعر أعد للوزير جماعة من الخصيان كمنت له بزوايا القصر ، واستدعى عمر بن عبد الله ووبخه ، وانقض عليه الخصيان وفتكوا به ، وتتبع السلطان عبد العزيز أتباع الوزير بالاعتقال والقتل حتى قضى عليهم (٨٢) . وقامت سياسة السلطان عبد العزيز بعد ذلك على أساس الإشراف الكامل بنفسه على جميع شئون الدولة . « وقبض أيدي الخاصة والبطانة عن التصرف في شيء من سلطانه إلا بإذنه وعن أمره » (٨٣) . ولذلك عندما أحس السلطان عبد العزيز بعد ذلك بتطلع الوزير يحيى بن ميمون بن مصمود – الذي خلف عمر بن عبد الله في الوزارة – إلى الاستبداد بالسلطة في الدولة اعتقله وقتله هو وأعوانه من أقارب السلطان والجند (٨٤) .

جعل السلطان عبد العزيز أهم أهدافه – بعد أن استقرت الأوضاع لصالحه تماما في فاس – أن يستعيد وحدة دولته التي مزقتها الصراعات وقذفت بها المطامع والأهواء ، فقرر على الفور القضاء على الوزير عامر بن محمد الهنتاتي ، وسلطانه أبي الفضل بن أبي سالم

– الذى يهدد به فاس دائما – (٨٥) وفى نفس الوقت كان عامر بن محمد قد توجس خيفة من أن يقتله أبو الفضل مثلما قتل السلطان عبد العزيز وزيره عمر بن عبد الله فتمارض عامر ابن محمد ، وصعد إلى الجبل ليعتصم فيه بين قومه من أبى الفضل ، وتأكدت مخاوف عامر ابن محمد ، فما لبث أبو الفضل أن اغتال عبد المؤمن بن أبى على وقضى بذلك على منافس خطير كان يهدده به عامر بن محمد (٨٦) .

أدت هذه الحوادث بمراكش إلى أن يتقدم عامر بن محمد إلى السلطان عبد العزيز ببيعته له ، ومعها دعوة للقضاء على أبى الفضل والاستيلاء على مراكش . ولقيت هذه الدعوة ارتياحا من السلطان عبد العزيز وخرج من فاس سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ م) وكان لخروج السلطان عبد العزيز أثر كبير فى أتباع أبى الفضل ، إذ انفض كثير منهم من حوله ، الأمر الذى أدى إلى هزيمته عند تادلا ، ففر للاحتماء بقبائل صناكة الذين ما لبثوا أن أسلموه – تحت إغراء مبالغ كبيرة من المال قدمها لهم أشياع السلطان عبد العزيز من قبائل بنى جابر – وأمر السلطان عبد العزيز بقتل أبى الفضل فى رمضان سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٨ م) . ويبدو أن الحوادث المتتالية على الدولة المرينية قد خلقت فى نفس السلطان عبد العزيز كثيرا من الشكوك ، لذلك أراد أن يختبر مدى طاعة عامر بن محمد الهنتاتى له ، فأرسل فى استدعائه ، فرفض عامر بن محمد دعوته(٨٧) .

تأكدت للسلطان عبد العزيز مخاوفه . لذلك ترك على بن محمد بن أجانا واليا على مراكش ، وأمره بمتابعة عامر وتضييق الخناق عليه ، ولكن هذا الوالى منى بهزيمة فادحة أمام عامر بن محمد ، وقد دعت هذه الهزيمة السلطان عبد العزيز إلى التحرك بنفسه لقتال عامر بن محمد ، وتمكن بعد مضى عام كامل من الحصار الشديد لقلاع عامر بن محمد بجبال درن من اقتحام هذه القلاع ، والقبض على عامر بعد أن حاول الفرار من ظهر الجبل إلى صحراء السوس(٨٨) « وانطلقت الأيدى على معاقل عامر ودياره فانتهب من الأموال والسلاح والذخيرة والزروع والأقوات مالا عين رأت ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة إحدى وسبعين لحول من يوم حصاره »(٨٩) . وبعد عودة السلطان عبد العزيز إلى فاس وقضائه منسك عيد الفطر ، أحضر عامر بن محمد ، ومعه سلطانه تاشفين – من بنى عبد الحق وكان قد أعده فى مواجهة سلطان فاس عبد العزيز – وبعد محاكمة سريعة جرت أمام السلطان ، جلد عامر وضرب بالعصى حتى مات ، أما الثانى فطعن بالرماح وانتهى أمره(٩٠) .

وكما حرص السلطان عبد العزيز المرينى على استعادة وحدة الأراضى المرينية باستيلائه على إقليم مراكش ، اهتم كثيرا بإنعاش الوضع الدولى للمرينيين ، كقوة مؤثرة فى الشمال الأفريقى وبلاد الأندلس ، ففى الأندلس استطاع أن يكسب صداقة مملكة أراغون من خلال

معاهدتى صلح وصداقة ، تولى عقدهما سلطان غرناطة الغنى بالله - بتفويض من السلطان عبد العزيز - بين فاس وغرناطة وأراجون ، وعقدت المعاهدة الأولى فى رجب سنة (٧٦٨ هـ / مارس ١٣٦٧ م)(٩١) . وبمقتضاه يتعهد كل من الفريقين بأن « يمتنع رعاياه عن الإضرار بالفريق الآخر فى البر والبحر فى السر أو الجهر ، وأن يكون لرعايا كل فريق حق التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر ، والمرور فى البر والبحر دون اعتراض أو مغارم غير عادية ، وأن تطلق أراجون حرية الهجرة للمدجنين وأن يمتنع كل فريق عن معاونة أعداء الفريق الآخر »(٩٢) . أما المعاهدة الأخرى فكانت فى سنة (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) وكانت أيضا بين (بيدرو الرابع) ملك أراجون وسلطان المغرب عبد العزيز المرينى ، وسلطان غرناطة الغنى بالله(٩٣) .

وقد مكنت هاتان المعاهدتان مع أراجون من خلق مجالات كبيرة للتعاون العسكرى بين المرينيين وبنى الأحمر ضد قشتالة التى كانت فى ذلك الوقت تعانى من الخلافات والاضطرابات الداخلية بين أبناء الأسرة الحاكمة(٩٤) . لذا اتفق السلطان عبد العزيز المرينى مع سلطان بنى الأحمر الغنى بالله على أن يقوم سلطان غرناطة بتجهيز حملة برية لاستعادة الجزيرة الخضراء ، على أن يتولى المرينيون عمليات الحصار البحرى للجزيرة الخضراء ، وإمداد الحملة البرية بالعطاء والأموال اللازمة . وأظهرت هذه الحملة تجاوبا كبيرا حيث استفاد كل من الجانبين بعناصر القوة لديه إفادة تامة جعلت النصر حليفا للمسلمين فى النهاية وتحقق لهم الاستيلاء على الجزيرة الخضراء التى كانت فى يد النصارى منذ عهد السلطان أبى الحسن(٩٥) . وخرج النصارى من الجزيرة فى الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة (٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) (٩٦) .

وفى الشمال الأفريقى تطلع السلطان عبد العزيز إلى استعادة أمجاد بنى مرين فى المنطقة كما فعل من كان قبله من سلاطين بنى مرين فى عصر القوة ، وانتهز عبد العزيز المرينى فرصة اعتداء أبى حمو بن يوسف الزيانى على بعض رؤساء قبائل عرب سويد بقبضه عليهم (٩٧) . ويروى ابن خلدون سببا آخر من أسباب هذه الحرب ، فعرب المعقل ، الذين كانوا يعيشون فى المغرب الأقصى ، كان بعضهم يتسلل إلى المغرب الأوسط وينضم إلى أبى حمو ، فطلب السلطان عبد العزيز إلى أبى حمو وقف هذه العمليات ، لأن فى ذلك إخلال بميزان القوى فى المغرب الأوسط ، فرفض أبو حمو مطلب السلطان عبد العزيز (٩٨) . لذا أعلن السلطان المرينى التعبئة العامة فى أنحاء الدولة ، وبعد عيد الأضحى سنة (٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) خرج بجيوشه متجها نحو تلمسان (٩٩) .ولم يحتمل أبو حمو الزيانى لقاءه ، لتفرق العرب من بنى معقل من حوله إلى السلطان عبد العزيز فانسحب أبو حمو من تلمسان وفر هاربا إلى القفار واحتلها السلطان عبد العزيز يوم عاشوراء سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) . وجهز

فرقة من جيشه أسند قيادتها إلى وزيره أبى بكر بن غازى بن الكاس لمتابعة الزحف وراء أبى حمو ، واستطاعت هذه الفرقة الاستيلاء على أموال أبى حمو ، وأموال أنصاره من العرب ، ونجحت أيضا فى تمهيد المغرب الأوسط ، مما أتاح للسلطان عبد العزيز تعيين الولاة والعمال على بلاده ونواحيه (١٠٠) .

ولكن العمر لم يمتد بالسلطان عبد العزيز ليحقق للمرينيين انتصارات أكثر من ذلك اذ عاوده مرض النحول ، الذى كان أصابه فى صغره ، واشتدت عليه الأوجاع والآلام ، وكتمها من الناس ، خوفا من تشتت جيشه من حوله ، وأمر السلطان عبد العزيز جيشه بالتجمع خارج تلمسان للرحيل إلى المغرب (١٠١) . ولكن القدر لم يمهله حتى يعود إلى فاس ، فمات فى ليلة الخميس الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، بعد أن أمضى فى الحكم ست سنين وأربعة أشهر (١٠٢) . وخالف فى تاريخ وفاته كل من الزركشى وصاحب الحلل الموشية الذى يروى أنه توفى فى ربيع الأول سنة (٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م) وأن مدة حكمه خمسة أعوام فقط (١٠٣) . أما الزركشى فيروى أنه توفى فى ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثانى سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) (١٠٤) . ولكن الرواية الأولى هى الأقرب إلى الصحة لإجماع معظم المؤرخين عليها بما فيهم ابن خلدون (١٠٥) .

الوزير أبو بكر بن غازى وتدخل بنى الأحمر فى شئون بنى مرين

عـادت الدولة المرينية إلى ما كانت عليه من قبل عهد سلطانها المتوفى عبد العزيز المرينى ، فلم يكد وزيره أبو بكر بن غازى يستمع إلى أنباء وفاة السلطان ، حتى حمل محمد السعيد بن عبد العزيز على كتفه – الذى كان طفلا صغيرا فى سن الخامسة (١٠٦) . أو الرابعة (١٠٧) . وبعض الروايات تذكر أنه لم يكن قد استكمل بعد السنتين (١٠٨) – وخرج به على بنى مرين « فازدحموا عليه (محمد السعيد) باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة » (١٠٩) حتى إذا عاد السعيد إلى فاس جلس للبيعة العامة بقصره حيث توافت عليه وفود الأمصار ببيعتها كالعادة ، واستبد الوزير أبو بكر بن غازى بالسلطان الصغير وحجبه بقصره وحجره عن التصرف فى شىء من سلطانه ولم يكن فى سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب إبراما ونقضا (١١٠) .

والحقيقة أن وزراء الدولة المرينية فى ذلك الوقت وجدوا فى مبدأ التوريث فرصة كبيرة لدعم استبدادهم بالدولة ، وتقوية أوتاد نفوذهم فيها ، ويتحمل أهل الحل والعقد من شيوخ بنى مرين كثيرا من مسئولية تدهور الأوضاع فى الدولة المرينية ، وترديها إلى هذا الحد ، إذ هم لم يواجهوا بقوة وحزم المستبدين من الوزراء ، عندما كانت تسول لهم أطماعهم دفع صبى صغير ليكون سلطانا ، بعد أن كانت الدولة تحت قبضة سلطان قوى . وفى ضوء هذه الحقيقة أقبلت الدولة المرينية بعد وفاة السلطان عبد العزيز على انتكاسة خطيرة ، رغم أن هذا السلطان يذكرنا بسلاطين بنى مرين فى عصر القوة ، ولكن هيهات ، فالسلطان قوى ، والدولة ضعيفة قد نخرتها عوامل الضعف والتفكك ، فكان الانتعاش الذى استرجعته الدولة فى عهده كصحوة الموت التى تأتى على الميت فيظن أنه سيعيش كثيرا بينما هو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة .

واتخذ تاريخ بلاد المغرب والأندلس فى تلك الفترة من ضعف الدولة المرينية شكلا جديدا ، حيث أصبح بنو الأحمر يمسكون بكل خيوط المعترك السياسى فى المنطقة ويوجهون سياستها وفق إرادتهم ، وكان العامل المؤثر والحاسم فى هذا التحول هو ضعف المرينيين ، ويبدو أن إقامة محمد الغنى بالله (سلطان بنى الأحمر المخلوع) – فى البلاط المرينى مدة خلعه قد أطلعته على كثير من نواحى الضعف والقصور فى الإدارة المرينية ، وتحسس من خلال المعلومات التى عرفها عن النظام المرينى فى ذلك الوقت ، كل الأعصاب الحساسة التى يمكنه الضغط عليها فى الوقت المناسب ، فينطلق بالمرينيين إلى الوجهة التى يريدها . ولم يكن الغنى بالله (ابن الأحمر) خلال عهد السلطان عبد العزيز يجرؤ على التدخل فى شئون الدولة

المرينية ، فابن الخطيب الذى وفد إلى بنى مرين لاجئا سياسيا سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) (١١١) منحه السلطان عبد العزيز حق اللجوء السياسى ، ورفض تسليمه إلى غرناطة ، رغم إلحاح سلطانها الغنى بالله على ضرورة تسليمه (١١٢) .

ويمكن القول بأن وجود ابن الخطيب لاجئا سياسيا فى بلاط بنى مرين مهد للتدخل السافر من جانب بنى الأحمر فى شئون بنى مرين - بعد وفاة السلطان عبد العزيز - خاصة وأن الغنى بالله سلطان بنى الأحمر أدرك خطورة وجود مثل هذه الشخصية السياسية الفذة فى البلاط المرينى ، وبصفة خاصة عندما ترامت إلى أسماعه أن ابن الخطيب « يغرى السلطان عبد العزيز بتملك أرض الأندلس وقطع دعوة بنى الأحمر منها » (١١٣) . ويقول المقرى : « فرغب (ابن الخطيب) السلطان (عبد العزيز) فى ملك الأندلس ، وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب » (١١٤) ومن ثم جعل الغنى بالله أكبر همه القبض على ابن الخطيب بأى ثمن ، وبشتى الوسائل . فطلب من الوزير أبى بكر بن غازى تسليم ابن الخطيب ، فرفض أبو بكر طلب الغنى بالله (ابن الأحمر) ، « واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله وقد رهب سطوته » (١١٥) . وكانت الطامة الكبرى على بنى مرين ، فالغنى بالله يعلم أن المرينيين تحت استبداد الوزير أبى بكر بن غازى ضعاف لا حول لهم ولا قوة ، لذا بد فى تحويل الموقف فى المغرب الأقصى إلى الوجهة التى يريدها .

عمل الغنى بالله (ابن الأحمر) أولا على تأييد استقلال بنى عبد الواد - أعداء بنى مرين بتلمسان - وكانوا قد استردوا نفوذهم فى المغرب الأوسط ومحوا منه كل أثر لبنى مرين بعد وفاة السلطان عبد العزيز (١١٦) . ثم بادر الغنى بالله إلى إلغاء منصب شيخ الغزاة من مملكة غرناطة الذى كان يشغله دائما أحد أمراء البيت المرينى من بنى عبد الحق ، وتولى هو وأولاده قيادة الجنود الغزاة أو المتطوعين المغاربة فى غرناطة (١١٧) . وشرع بعد ذلك فى التدخل السافر فى شئون بنى مرين ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ليطالب بالعرش المرينى ، ورصد الغنى بالله له كل الإمكانيات والمساعدات اللازمة ، والأكثر من ذلك أنه ، نهض بجنوده لمنازلة جبل الفتح - الذى كان فى ذلك الوقت تابعا لبنى مرين - وحشد جيوشه على السواحل الأندلسية الجنوبية مظهرا أنه ينوى العبور إلى المغرب ، ولكنه لم يكن فى حقيقة الأمر يهدف إلى ذلك ، وإنما كان يريد أن يكون هناك قريبا من الأحداث ، ليشرف بنفسه على توجيهها كلما اقتضت الضرورة ذلك (١١٨) .

انتقل عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من الأندلس ، ونزل بمرسى عساسة من ناحية بطوية (١١٩) . وأحس الوزير أبو بكر بن غازى أنه أمام خطر مزدوج ، لذا بادر إلى تعيين ابن عمه محمد بن عثمان على سبتة لسد ثغورها وحمايتها من خطر استيلاء الغنى بالله عليها (١٢٠) . ونهض أبو بكر بن غازى لملاقاة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن فى بطوية ،

فقاتله أياما ، ولكنه عاد ثانية إلى تازا ومنها إلى فاس لفشله فى مقاومة الأمير عبد الرحمن (١٢١) . وفى تلك الأثناء تمكن الغنى بالله من مراسلة محمد بن عثمان – والى سبتة – وعاتبه فى شأن ابن عمه ومسلكه السيىء مع رسل ابن الأحمر فى شأن ابن الخطيب ، واستطاع الغنى بالله أن يقنع محمد بن عثمان بضرورة أن يتولى أمر بنى مرين سلطان قوى ، وأنه من العبث أن يترك المرينيون أنفسهم تحت فوضى ولاية صبى لا تصح ولايته شرعا ، واتفق الاثنان على مبايعة الأمير أبى العباس أحمد بن أبى سالم ، واتخاذ الإجراءات التى تكفل مناصرته حتى يصل إلى العرش المرينى (١٢٢) . ويروى ذلك المقرى فيقول : « وداخله (ابن الأحمر) فى البيعة لابن السلطان أبى سالم من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا ولا يتركهم فوضى وهملا تحت ولاية الصبى الذى لم يبلغ ، ولا تصح ولايته شرعا » (١٢٣) .

وقد وضع الغنى بالله شروطا يلتزم بها محمد بن عثمان فى حالة نجاح الخطة التى اتفقا عليها ، وهى :

١ – تسليم جبل طارق لابن الأحمر .

٢ – تسليم جميع أبناء الملوك من بنى مرين ليكونوا تحت حوطته .

٣ – تسليم لسان الدين بن الخطيب (١٢٤) .

وفى مقابل هذه الشروط الثلاثة ، وعد الغنى بالله محمد بن عثمان منصب الوزارة للسلطان المرينى الجديد (١٢٥) . وعلى الفور بدأ محمد بن عثمان تنفيذ الاتفاق ، فاتجه إلى طنجة حيث معتقل الأمراء المرينيين ، وأخرج منه الأمير أبا العباس أحمد بن سالم ، وبايعه وحمل الناس على طاعته ، كما أرسل إلى الأندلس كل الأمراء المرينيين المعتقلين ، وأصبحوا فى كفالة ابن الأحمر . وكانت مبايعة أبى العباس أحمد فى طنجة فى ربيع الآخر سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٢٦) . وبعد هذه البيعة بعث محمد بن عثمان ، إلى الغنى بالله بتنازل أبى العباس عن جبل الفتح لبنى الأحمر ، فانتقل الغنى بالله من مالقة إلى الجبل واستولى عليه ، وهذه التطورات تعنى بطبيعة الحال إنهاء الوجود المرينى فى بلاد الأندلس بصفة نهائية (١٢٧) . كما أن تسليم الأمراء المناهضين للغنى بالله يعنى بالضرورة سيطرته الكاملة على بنى مرين دون معارضة .

بدأت المعونات المالية والعسكرية تتدفق على المغرب ، فوصل إلى محمد بن عثمان – والى سبتة – مدد من رجال الأندلس من الناشبة بلغ عددهم ستمائة فى رواية المقرى (١٢٨) . وسبعمائة فى رواية ابن خلدون (١٢٩) . كما وصله عدد آخر من الجنود

الغزاة (١٣٠) . وأصبح المغرب تحت رحمة الأميرين المرشحين لاعتلاء العرش المريني أبي العباس أحمد وعبد الرحمن بن أبي يفلوسن (١٣١) . ويبدو أن نزاعا نشب بين هذين الأميرين ، حول أحقية كل منهما في العرش ، مما اضطر الغنى بالله إلى التدخل لفض النزاع (١٣٢) . فبعث « رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابنة عمه السلطان أحمد ، ومظاهرته ، واجتماعهما على ملك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا » (١٣٣) .

وتضافرت جهود الأميرين – بعد هذا الاتفاق – على الانتهاء من أمر الوزير أبي بكر بن غازي ، وسلطانه الصغير . وبعد معارك جانبية خاضها الأمير أبو العباس عند زرهون . وكدية العرائس – بظاهر فاس في ذي القعدة سنة (٧٧٥ هـ / ١٣٧٤ م) – والأمير عبد الرحمن عند الزيتون خارج فاس ، تمكن الأميران من حصر الوزير أبي بكر وسلطانه داخل البلد الجديد ، وضربا حول المدينة سياجا من البناء لإحكام الحصار حولها ، وأنزلا بالمدينة ألوانا مختلفة من القتال والإرهاب (١٣٤) .

حتى إذا كان أول سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) داخل محمد بن عثمان ابن عم الوزير أبا بكر في النزول عن البلد الجديد ومبايعة السلطان أبي العباس أحمد ، ووافق الوزير تحت شدة الحصار وقلة ما معه من الأموال (١٣٥) . وفي نفس الوقت الذي اقترب في انفراج الأزمة اشترط الأمير عبد الرحمن استبدل سجلماسة بمراكش وأعمالها ، فوافق الأمير أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على مضض وكره (١٣٦) . وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس ، وبايعه بعد أن خلع السلطان محمد السعيد بن عبد العزيز في السادس من محرم سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٣٧) .

وفي اليوم التالي ، السابع من محرم سنة (٧٦٦ هـ / ١٣٧٤ م) ، دخل أبو العباس أحمد إلى البلد الجديد ، ورحل الأمير عبد الرحمن إلى مراكش واستولى عليها (١٣٨) . وبويع أبو العباس أحمد بن أبي سالم البيعة العامةبالمدينة البيضاء في صباح الأحد السادس من محرم سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٣٩) .

إلى هذا الحد وصلت مؤشرات الصراع بين أبناء البيت المريني ، وأصبح ذلك الصراع المبني على حب الزعامة ، والوصول إلى العرش ، من العوامل الرئيسية في ضعف الدولة المرينية ، وتدهور أحوالها . واستطاع بنو الأحمر تعميق هذا الصراع إلى درجة كبيرة بهدف الوصول إلى التحكم والسيطرة على مقدرات هذه الدولة ، فهم تارة يقفون من الصراع الداخلي موقف المتفرج ، وتارة أخرى يتدخلون بكل قوتهم ، حتى يكون المنتصر في حلبة هذا الصراع ، حليفا لهم يسهل لهم بعد ذلك قيادته وتوجيهه . ولا أدل على ذلك من أن

أصبح السلطان « الغنى بالله محمد الخامس هو الحاكم الحقيقى للمغرب يولى ويعزل من يراه من أمراء بنى مرين وكان طبيعيا أن تكون نتيجة هذا التدخل هى القبض على غريمه لسان الدين بن الخطيب وقتله وحرقه بعد امتحانه وتعذيبه ومصادرة أمواله وضياعه بالمغرب سنة ٧٧٦ هـ » (١٤٠) . ويصف ابن خلدون مدى ما وصل إليه نفوذ الغنى بالله (ابن الأحمر) فى الدولة المرينية وصفا دقيقا فيقول : « واستحكمت المودة بينه (محمد بن عثمان) وبين ابن الأحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا إليه المرجع فى نقضهم وإبرامهم لمكان الأبناء المرشحين من إيالته » (١٤١) . ويضيف السلاوى على كلام ابن خلدون ما يؤكد هذا الوضع السياسى الجديد للدولة فيقول : « فصار له (ابن الأحمر) بذلك تحكم فى الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس وذلك بما كان لابن الأحمر من أعانة السلطان أبى العباس على ملك المغرب حتى تم له وبما كان تحت يده من أبناء الملوك المرشحين للأمر فكان أبو العباس وحاشيته يصانعونه لأجل ذلك » (١٤٢) .

وأصبحت شخصية محمد بن عثمان هى صورة الاستبداد الجديدة بالسلطان أبى العباس أحمد ، فهو صاحب الفضل عليه هو الآخر ، وهو الذى جاء به ، وناضل معه من أجل الوصول إلى العرش ، وعلى هذا لم يكن غريبا أن يستبد بأبى العباس أحمد (١٤٣) . وصارت الدولة المرينية فى ظل هذه الأوضاع الجديدة قسمان يحكم أحدهما سلطان شرعى فى فاس وهو أبو العباس أحمد بن أبى سالم ، والآخر يحكمه سلطان لا سند له من الشرعية ، وهو عبد الرحمن بن أبى يفلوسن وتشير بعض المصادر إلى أن كل قسم من الأقسام أصبح دولة قائمة بذاتها ومنفصلة تماما عن الأخرى فى جميع شئونها السياسية والمالية والإدارية ، فيقول السلاوى : « واقتسمت مملكة المغرب يومئذ بنصفين وكان الحد بين الدولتين ثغر أزمور فكانت فى إيالة صاحب فاس وما وراءها إلى مراكش فى إيالة صاحب مراكش » (١٤٤) . ومن الطبيعى ألا تستقر الأوضاع بين القسمين ، فاعتراهما فترات من السلم وأخرى من الحرب إلا أن أحدا من الطرفين لم يجرؤ على تغير هذا الوضع السياسى لصالحه بصفة نهائية ، لأنه مما يجدر ملاحظته أن بنى الأحمر كانوا يضمنون من ناحيتهم بقاء الوضع على حالته لكل من الطرفين ، لأنهم أصحاب فكرة تقسيم الدولة ، ومن جانب آخر فإن بنى الأحمر كانوا يريدون بقاء هذا الوضع السياسى لبنى مرين على هذه الحالة ، دون تغيير تحقيقا لمطامعهم فى السيطرة على المرينيين .

وفى أواخر سنة (٧٨١ هـ / ١٣٨٠ م) بدأ التوتر فى التصاعد بين القسمين (١٤٥) . إذ حرص عبد الرحمن بن أبى يفلوسن على ضم بعض الأجزاء التابعة لسلطان فاس ، كعمالة صنهاجة ودكالة إليه ، الأمر الذى دعا إلى الحرب بين الطرفين ، وقد انتهت هذه الحرب ، باستيلاء السلطان أبى العباس أحمد على مراكش ، وقتله عبد الرحمن

بن أبى يفلوسن ، فى آخر جمادى الآخرة سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) (١٤٦) .

وكانت هذه الخطوة من أبى العباس أحمد خطيرة للغاية ، فقد وضعته فى مأزق أطاح بعرشه ، فأبو حمو الزيانى فى تلمسان كان حليفا لعبد الرحمن بن أبى يفلوسن ، وحين رأى أبو حمو حليفه عبد الرحمن محاصرا فى مراكش ، قام تساعده بعض القبائل العربية من أولاد حسين عرب المعقل ، بمهاجمة الحدود المرينية عند مكناسة ، وتازا ، للضغط على أبى العباس لفك الحصار عن مراكش ، لكن أبا العباس مضى فى سياسته ، واستولى على مراكش (١٤٧) . ويبدو أن أبا العباس ، بهذه التصرفات كان يريد الإفلات من قبضة السيطرة التى يفرضها بنو الأحمر على الدولة المرينية ، فقام بعد ذلك بتوجيه ضربة تأديبية لسلطان تلمسان أبى حمو الزيانى ، فجهز جيشا احتل به تلمسان (١٤٨) . على الرغم من تحذيرات الغنى بالله بن الأحمر للسلطان أبى العباس ومطالبته له بمسالمة أبى حمو ، ولكن أبا العباس لم يتأخر فى تنفيذ مخططه ولم يستجب لرغبة الغنى بالله بن الأحمر ، فهاجم أبا حمو الزيانى واستولى على عاصمة ملكه (١٤٩) .

أحس الغنى بالله بن الأحمر بخطورة الموقف ، وأنه أضحى يفقد حلفاءه الواحد تلو الآخر ، ورأى أن هذه الأعمال من أبى العباس ، تمرد صارخ على الوضع السياسى الذى رسمه بنو الأحمر لبلاد المغرب ، لذا قرر إعادة الدولة المرينية إلى ما كانت عليه من صراع داخلى ، ليفوت على السلطان أبى العباس كل منجزاته العسكرية التى حققها ، للافلات من نفوذ بنى الأحمر ، وتحقيق السيادة المرينية ، دون تبعية لبنى الأحمر . وكانت آخر التقارير التى وردت للغنى بالله ابن الأحمر من المغرب الأقصى تفيد بأن دار الملك فى فاس خالية من المدافعين عنها (١٥٠) . « فانتهز الفرصة ابن الأحمر وجهز موسى بن السلطان أبى العنان من الأسباط ، المقيمين عنده واستوزر له مسعود بن رحو بن ماسى من طبقات الوزراء من بنى مرين » (١٥١) .

نزل موسى بن أبى عنان إلى سبتة ، فاستولى عليها فى أول صفر سنة (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) ، وسلمها للغنى بالله بن الأحمر . واتجه موسى بعد ذلك إلى فاس ، فلم يجد صعوبة كبيرة فى الاستيلاء عليها هى الأخرى ، فدخلها فى العاشر من ربيع الأول (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) وقبض على محمد بن الحسن نائب الوزير محمد ابن عثمان على دار الملك (البلد الجديد) (١٥٢) .

وصلت أنباء الأنقلاب إلى أبى العباس أحمد فى تلمسان ، فعاد مسرعا إلى المغرب الأقصى ، وتوقف فى تازا أربعة أيام ، ثم تقدم بعد ذلك إلى الموضع المعروف بالركن (١٥٣) . وهو يبعد عن فاس بمسيرة نصف يوم (١٥٤) . وتذكر معظم المصادر أن

أبا العباس خلع فى موضع الركن هذا [155] . فقد تعرض عند هذا الموضع لثورة أخرى من جانب جنده ورؤساء جيشه ، حين أحسوا بضعف موقفه ، لأن ابن خلدون يقول : « ويوم أصبح (أبو العباس أحمد) من الركن أرجفوا به ثم انتفضوا عليه طوائف قاصدين فاس ورجع هو إلى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار فى خيامه وخزائنه [156] . وكان أبو العباس بعودته إلى تازا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، ففى تازا قبض عليه وسيق إلى السلطان موسى بن أبى عنان ، الذى قيده ، وأرسله مصفدا إلى الغنى بالله (ابن الأحمر) فى الأندلس [157] . أما محمد بن عثمان – وزير أبى العباس أحمد – فقد هام على وجهه يريد من يجيره من السلطان موسى بن أبى عنان وظل كذلك حتى قبض عليه ، وسيق إلى فاس حيث صودرت أمواله ، وقتل ذبحا بمحبسه [158] .

وخلا الجو للسلطان موسى بن أبى عنان ، وبايعه الناس يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) [159] . ولم يختلف عهده عن عهد سابقيه ، فقد استبد به وزيره مسعود بن ماساى ، وكان ذلك الاستبداد أمرا يضايق السلطان موسى ابن أبى عنان كثيرا ، لذلك فكر موسى فى اغتيال مسعود ، وتحدث فى ذلك مع بعض خاصته وحاشيته ، وكان من بينهم العباس بن عمر بن عثمان الوسنافى ، الذى أسرع بإخبار مسعود ابن رحو ، لأن مسعود كان زوجا لأم العباس [160] . فضاق مسعود ذرعا بالسلطان موسى ابن أبى عنان ، وقرر الخروج بنفسه لقتال الأمير الحسن بن الناصر بن أبى على – وكان الحسن قد نزل على أهل الصفيحة من جبل غمارة فأكرموه وقاموا بدعوته لطلب العرش المرينى من السلطان موسى بن أبى عنان [161] . ويبدو أن مسعودا قرر الخروج لهذه الحرب ليتقى غدر السلطان به ، وفى نفس الوقت لم يترك أمر السلطان هكذا ، فقد دبر قتله مع أخيه يعيش بن رحو الذى استخلفه مسعود على دار الملك فى أثناء غيابه فى حرب الحسن ابن الناصر – وقد نجح يعيش فى أداء مهمته بسرعة ، فلم يكد مسعود بن رحو يصل إلى القصر الكبير حتى جاءته الأخبار ، بوفاة موسى بن أبى عنان [162] . ويذكر ابن خلدون أن موسى بن أبى عنان « طرقه المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه » [163] . وقد أكدت مصادر أخرى وفاة موسى بن أبى عنان مسموما إلا أنها لم تذكر ذلك بالتفصيل الذى أورده ابن خلدون ، ومن هذه المصادر ، روضة النسرين ، لابن الأحمر ، وجلوة الاقتباس لابن القاضى [164] ، يقول ابن الأحمر : « ومات (موسى بن أبى عنان) بالسم يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان عام ثمانية وثمانين وسبع مائة » [165] ، والذى يجعل رواية ابن الأحمر ذات بال ، أنه ممن عاصر هذا السلطان ، وروايته لابد وأن تؤخذ بعين الاعتبار [166] .

لم ينتظر يعيش بن رحو حتى يعود أخوه مسعود من حملته ، وإنما بايع فى نفس اليوم – الذى توفى فيه السلطان موسى بن أبى عنان – أبا زيان محمد بن أبى العباس ، ولقبه بالمنتصر بالله ، وكانت سنه يوم بويع خمس سنين (١٦٧) . وكان مسعود بن رحو بن ماسى قد أرسل ابنه يحيى إلى الغنى بالله يسأله إعادة السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم إلى ملكه ، بدلا من السلطان موسى بن أبى عنان ، فأخرج ابن الأحمر أبا العباس إلى جبل الفتح ، ليدعه يعبر إلى العدوة المغربية ، ولكن مسعود بن ماسى ، عاد وراجع نفسه ، وطلب من ابن الأحمر سلطانا آخر غير أبى العباس ، ووقع اختياره فى هذه المرة على أبى زيان محمد ابن أبى الفضل بن أبى الحسن لأنه رأى أن شخصيته على حد تعبير ابن خلدون والسلاوى : « أليق بالاستبداد والحجر » (١٦٨) .

أعاد ابن الأحمر أبا العباس إلى مكانه الذى حددت فيه إقامته بالحمراء فى غرناطة ، وأرسل إلى المغرب أبا زيان محمد بن أبى الفضل ، ولم يبايع مسعود بن رحو السلطان الجديد إلا بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق ، بأن يترك لوزيره مسعود الاستبداد بشئون الدولة (١٦٩) .

ولم يمض وقت طويل حتى تغيرت الأوضاع بالمغرب رأسا على عقب ، وذلك حين شعر ابن الأحمر أن مسعود بن رحو لم يعد هو الرجل الذى يمثل بنى الأحمر فى البلاط المرينى ، وجاء هذا التحول حين طلب مسعود بن رحو من الغنى بالله إعادة سبتة إلى بنى مرين ، وتذكر المصادر أن مسعودا لم يكن جادا فى هذا المطلب ، وإنما طلبه على سبيل الملاطفة مع ابن الأحمر ، ولكن ابن الأحمر لم يحتمل هذه الملاطفة ، واستشاط غضبا على مسعود بن رحو ، وقرر ابن الأحمر إبعاد مسعود بن رحو من موقعه فى الدولة المرينية ، لأنه أصبح يمثل خطرا كبيرا على مصالح بنى الأحمر فى العدوة المغربية (١٧٠) .

جهز مسعود بن رحو بن ماسى حملة قادها لاسترداد سبتة من ابن الأحمر ، وفى نفس الوقت أرسل يطلب محمد بن إسماعيل بن الأحمر – ابن عم الغنى بالله – الذى كان لاجئا سياسيا فى قشتالة ، ليؤلب به على الغنى بالله (١٧١) . ولم يفلح مسعود بن ماسى فى الاستيلاء على سبتة لأن الغنى بالله كان قد أطلق أبا العباس أحمد من معتقله بالحمراء ، ومكنه من الاستيلاء على سبتة وإقامة دعوته بها (١٧٢) . وفشلت كل المحاولات التى بذلها مسعود بن رحو لوقف تقدم السلطان أبى العباس نحو فاس ، التى تقهقر إليها مسعود وتحصن بها ، فحاصره أبو العباس بها ثلاثة أشهر ، قبل بعدها مسعود بن رحو تسليم العاصمة على شرط أن يبقى وزيرا لأبى العباس أحمد ، وأن يعاد السلطان أبو زيان محمد مرة ثانية إلى الأندلس ، ووافق أبو العباس على ما اشترطه مسعود بن رحو وبادر مسعود فخلع سلطانه أبا زيان محمد ، وخرج إلى أبى العباس فبايعه ، وتقدم أمامه حتى دخل دار ملكه

فى يوم الخميس خامس رمضان سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ، وبويع البيعة العامة فى يوم السبت السابع من رمضان سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) (١٧٤) .

وما لبث أبو العباس أن قبض على مسعود بن ماسى ، وانتقم منه انتقاما مريرا لما ارتكبه من جرائم فى حق بنى مرين ، فى أثناء حصار فاس ، يقول السلاوى : « ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه واعتد عليه بما كان يفعله فى دور بنى مرين النازعين عنه إليه (أبى العباس أحمد) فإنه كان متى هرب منهم أحد عمد إلى بيوته فنهبها فأمر السلطان أبو العباس بعقابه فى أطلالها فكان يؤتى به إلى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا إلى أن برح به العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية » (١٧٤) .

واستطاع أبو العباس أحمد خلال مدة حكمه الثانية ، أن يتخلص من استبداد الوزراء به ، وأن يجمع فى يده سلطات الحكم فى دولته ، وأصبحت للوزراء فى عهده مهام يلتزمون بها دون استبداد بأمر من أمور الدولة ، ولكن مع هذا ، لم يستطع أبو العباس الإفلات من الدوران فى ملك بنى الأحمر ، فقد تنازل فى مطلع فترة حكمه الثانية عن سبتة للغنى بالله ، الذى ضمها لأملاك بنى الأحمر فى الأندلس (١٧٥) .

ولكن أبا العباس بعد ذلك كان يحاول الاستقلال بسلطانه على دولته دون أى توجيه من ابن الأحمر فقد تعرضت دولة بنى عبد الواد فى سنة (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م) ، إلى خلاف حاد بين أبى حمو الزيانى وولى عهده أبى تاشفين ، وقد أدى هذا الخلاف إلى حرب أهلية وصراع مؤلم بينهما (١٧٦) . ولجأ أبو تاشفين آخر الأمر إلى السلطان أبى العباس أحمد مستنجدا به ، ورأى أبو العباس أن هذه فرصة عظيمة للتدخل فى المغرب الأوسط ، خاصة وأن بنى عبد الواد خلفاء لبنى الأحمر ، ودولتهم مصدر خطر ، وتهديد لبنى مرين فى المغرب الأقصى ، لذلك بادر أبو حمو – عندما علم بما يدور من استعدادات مرينية للهجوم عليه – بالاتصال بالغنى بالله (ابن الأحمر) ودعاه إلى التدخل لوقف الحملة المرينية ، « فجلا ابن الأحمر فى ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس فى أن يجيز إليه أبا تاشفين فتعلل عليه فى ذلك بأنه استجار بابنه أبى فارس واستذم به » (١٧٧) . وتمكن محمد بن يوسف بن علال وزير أبى العباس من إقناع ابن الأحمر بضرورة هذه الحملة ، حتى نجح فى ذلك ، يقول ابن خلدون : « ولم يزل الوزير ابن علال يفتل لسلطانه ولابن الأحمر فى الذروة والغارب حتى تم أمره » (١٧٨) . وقد حققت هذه الحملة لأبى العباس مكسبا ماديا ومعنويا ضخما ، فقد تخلص من غريمه أبى حمو الزيانى – الذى قتلته الحملة آخر سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) – وبسطت النفوذ المرينى على المغرب الأوسط ، حيث أقام أبو تاشفين بعد استيلائه على تلمسان ، الدعوة للسلطان أبى العباس

أحمد ، وخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ، كما وردت إلى الخزانة المرينية ، مبالغ كبيرة دفعها بنو عبد الواد ضريبة سنوية لقاء ما قدموه لسلطانهم أبى تاشفين من خدمات (١٧٩) .

وقد تنفس أبو العباس أحمد الصعداء بوفاة الغنى بالله (ابن الأحمر) سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م) (١٨٠) . فقد كانت وفاته سببا فى تحقيق شيء من المرونة والانفراج فى النهج السياسى لسلاطين بنى مرين ، إذ أصبح للسلطان المرينى شيء من الحرية فى اتخاذ قراراته ، دون تأثر بحكام غرناطة ، أو التقيد بوجهة نظرهم ، بل أن رواية للسلاوى تذكر أن سلطان فاس أبا العباس أحمد دبر مؤامرة ناجحة أودت بحياة أبى الحجاج يوسف (الثانى) خليفة الغنى بالله فقد أهدى أبو العباس إلى أبى الحجاج يوسف بعض الكسى الرفيعة ، وكانت إحدى هذه الكسى مسمومة فلما لبسها أبو الحجاج ، تسلل السم إلى جسم أبى الحجاج عن طريق عرقه فمات على الفور (١٨١) ، وهذه الرواية تعنى أن المرينيين عكسوا الوضع وبدأوا يتدخلون من جانبهم فى شئون بنى الأحمر ، ويؤيد ذلك أن أربعة من أبناء السلطان أبى العباس أحمد تولوا سلطنة الدولة المرينية تباعا ، دون تدخل من جانب بنى الأحمر ، باستثناء آخرهم وهو عبد الله بن أبى العباس أحمد (المعروف بسيدى عبوا) ، فقد عاونه ابن الأحمر على الثورة على أخيه السلطان أبى سعيد عثمان بن أحمد ، والاستيلاء على العرش المرينى (١٨٢) .

لم تمض سنوات قليلة حتى توفى السلطان أبو العباس أحمد إثر مرضه وهو مقيم بتازا ، يشارف من هناك أخبار حملة أرسلها بقيادة ولده أبى فارس ، ووزيره صالح بن أبى حمو ، لاستعادة النفوذ المرينى بالمغرب الأوسط ، الذى تعرض لبعض المخاطر ، بعد وفاة أبى تاشفين سلطان بنى عبد الواد سنة (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م) (١٨٣) . وكانت وفاة السلطان أبى العباس فى محرم سنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م) (١٨٤) . عن تسع وثلاثين سنة ، وبعد أن حكم الدولة المرينية للمرة الثانية مدة ست سنين وأربعة أشهر (١٨٥) . وتذكر بعض الروايات أنها سبع سنين (١٨٦) . وقام رجال الدولة باستدعاء ولده الأمير أبى فارس عبد العزيز من المغرب الأوسط وبايعوه بتازا ، وحمل جثمان والده أبى العباس إلى فاس حيث دفن هناك بالقلعة (١٨٧) .

واستطاع أبو العباس خلال فترة حكمه الثانية أن يحرر الدولة المرينية من سطوة نفوذ الوزراء واستبدادهم ، ولكن الضعف الشديد الذى كانت تعانى منه الدولة ، لم يعط لخلفائه من أبنائه السلاطين الفرصة للاحتفاظ بسيطرتهم الكاملة على الدولة ، فظهرت طبقة أخرى غير الوزراء ، سيطرت على مقادير الدولة ، وهى طبقة الحجاب . إلا أنه يلاحظ أن هذه الطبقة الجديدة لم تمارس دورها فى الحياة السياسية للدولة المرينية بصورة فعالة إلا بعد سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) فى عهد السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد (١٨٨) .

أما الفترة التى أعقبت وفاة السلطان أبى العباس أحمد وحتى سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) فقد تقلد سلطانا على بنى مرين اثنان من أبنائه وهم أبو فارس عبد العزيز ، وكان سلطانا طيبا رقيق القلب كثير الشفقة ، لا يحب سفك الدماء ، وكانت له اهتماماته التى تشغله ، كركوب الخيل ، والحضور فى مجالس تفسير القرآن والحديث ، وقرض الشعر وسماعه (١٨٩) .وقد كان ابن الأحمر صاحب روضة النسرين ، من أصدقائه الذين لم يفارقوه ، وقد مدحه ببعض الأشعار (١٩٠) .وتولى الوزارة لهذا السلطان صالح بن حموا ، ويحيى بن علال بن محمد بن مصمود الهكسورى (١٩١) . وقد توفى هذا السلطان فى يوم السبت الثامن من صفر سنة (٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م) ودفن مع أبيه فى القلعة الرفيعة التى تطل على مدينة فاس (١٩٢) .

وجاء بعد أبى فارس عبد العزيز ، أخوه السلطان أبو عامر عبد الله بن أبى العباس أحمد ، والأخبار عن هذا السلطان وردت فى المصادر مقتضبة جدا ، لا تتعدى ذكر بعض صفاته الجسدية (١٩٣) . ووزيرا هذا السلطان هما نفسهما وزيرا أخيه السلطان السابق عبد العزيز بن أبى العباس أحمد ، « وكان التصرف والنقض والإبرام فى هذه المدة كلها للوزراء » (١٩٤) ، ولم يمتد العمر بهذا السلطان حيث توفى بعد سنة وخمسة أشهر من توليه ، فى يوم الثلاثاء الثلاثين لجمادى الآخرة سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ، وهو فى العشرين من عمره (١٩٥) .

نهاية دولة بنى مرين :

كانت الدولة المرينية فى المغرب الأقصى فى أواخر القرن الثامن الهجرى . وأوائل القرن التاسع – أواخر القرن الرابع عشر الميلادى تعانى اقتصاديا مما تعانى منه سائر بلاد المغرب . فقد شهدت هذه البلاد عددا من الكوارث والأوبئة التى أطاحت بكثير من عناصر قوتها الاقتصادية ، وأدت إلى ضعف عام شمل دول بلاد المغرب ومن بينها الدولة المرينية ، وكانت أخطر هذه الكوارث ، وباء الطاعون الذى تفشى فى الشرق والغرب فى منتصف القرن الثامن الهجرى ، وشمل بلاد المغرب بكاملها (١٩٦) . وقد تحدث السلاوى عن هذا الوباء العظيم بما نقله عن المؤرخ ابن خلدون فيقول : « نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها ، وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشى والاضمحلال أحوالها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل » (١٩٧) . كما عانت الدولة المرينية من هذا الوباء الخطير

فى سنة (٨٤٦ هـ / ١٤٤٢ م) ، فأهلك عددا كبيرا من كبار العلماء والأعيان ، وكان أهل فاس يطلقون عليه (وباء عزونة) (١٩٨) .

ولم تكن الأوبئة هى كل ما أثر على الحياة الاقتصادية فى بلاد المغرب بصفة عامة والدولة المرينية بصفة خاصة فكانت هنالك المجاعات ، التى يسببها النقص الشديد فى المواد الغذائية ، نتيجة لفقر مصادرها ، وخاصة ما يعتمد من هذه المصادر على الطبيعة كالنقص فى مياه الأمطار ، ومن هذه المجاعات الشديدة التى أضعفت الدولة المرينية وشمل أثرها سائر دول المغرب الأخرى المجاعة العظيمة التى حدثت فى الربع الأخير من القرن الثامن الهجرى ، وبالتحديد فى سنة (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) (١٩٩) . وأبو العباس بن الخطيب القسنطينى - المعروف بابن القنفذ - كان شاهد عيان لهذه المجاعة ، وكان مقيما بالمغرب الأقصى ، ويريد الرحيل إلى بلده قسنطينة يقول : « وفى هذه السنة (٧٧٦ هـ) كانت المجاعة العظيمة وعم الخراب المغرب ... وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع بحيث أن كل من نقدم عليه يتعجب من وصولنا سالمين ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى أن منهم من يسمعنا ضرب الأكف خلفنا تحسرا علينا » (٢٠٠) .

ومما لاشك فيه أن آثار التدهور الاقتصادى الذى ساد بلاد المغرب ، انعكست على الحياة السياسية فى الدولة المرينية ، إذ واكبت فترة التدهور الاقتصادى هذه مرحلة اضمحلال الدولة المرينية وسقوطها ، وبدأت آثار التدهور الاقتصادى تظهر واضحة المعالم ، وتترك بصماتها على طابع الحياة السياسية فى الدولة المرينية ، منذ النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى ، وهى الفترة التى صاحبت نهاية المرينيين فى بلاد المغرب .

وبدأت هذه الفترة بتولى السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد ، وهو ثالث الأخوة الأشقاء الذين تولوا الحكم بعد وفاة السلطان أبى العباس أحمد (٢٠١) . وقد بويع أبو سعيد يوم الثلاثاء الثلاثين من جمادى الآخرة سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٨ م) ، وكان صغيرا لا يتعدى السادسة عشرة من عمره ، وهى سن لم يستطع فيها أن يهتم بأمور الدولة ، وإنما اعتكف على لهوه وملذاته (٢٠٢) . « وكان النقض والإبرام وسائر التصرفات فى دولته للوزراء والحجاب » (٢٠٣) . ولكن الحجاب صار لهم نفوذ أقوى من نفوذ الوزراء . وأول حجاب هذا السلطان هو الفقيه أبو العباس أحمد أبى على القبائلى ، الذى كان متصدرا على كبار رجال الدولة ، وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغا عظيما ، حتى إنه أصبح بيده جميع الخطط والوظائف السلطانية ، كما كانت بيد هذا الحاجب مفاتيح أبواب القصر السلطانى ، هو الذى يشرف بنفسه على فتحها وغلقها . وتلك مهمة من أخطر المهام فى الدولة ، فهى صمام الأمن والأمان للسلطان الجالس على العرش (٢٠٤) . وكان جمع هذه

المهام الخطيرة كلها فى يد الحاجب ، سبيلا إلى العديد من المؤامرات التى دارت فى قصور سلاطين بنى مرين ، وانشغل السلاطين ، بهذه المؤامرات عن تدبير شئون الرعية والبلاد ، وقد قتل أبو العباس القبائلى نتيجة مؤامرة من هذه المؤمرات (٢٠٥) . ومن الذين تولوا منصب الحجابة فى عهد السلطان أبى سعيد عثمان ، فارح بن مهدى ، وأبو محمد عبد الله الطريقى (٢٠٦) .

وقد بلغ ضعف السلطان أبى سعيد عثمان حدا ، أصبح عاجزا معه عن الدفاع عن حدود دولته ، أمام الحفصيين فقد منح أبو سعيد عثمان بعض العناصر الثائرة على السلطان أبى فارس الحفصى من أعراب إفريقية من سليم ، حق اللجوء السياسى إلى الدولة المرينية ، بل ضمهم إلى جيش مرينى لحرب أبى فارس الحفصى ، وجعل قيادتهم إلى أبى عبد الله محمد ابن أبى زكريا الحفصى صاحب بونة – وكان ثائرا على أبى فارس الحفصى – وقد رأى أبو فارس أن هذه الخطوة من أبى سعيد عثمان عمل عدائى يجب الرد عليه (٢٠٧) . فبادر إلى لقاء أبى عبد الله ومن معه من بنى مرين وأعراب سليم فهزمهم ، وقتل أبا عبد الله وأرسل رأسه فعلقت سرا على باب المحروق بفاس نكاية فى السلطان أبى سعيد عثمان (٢٠٨) . وتقدم أبو فارس الحفصى بعد ذلك واستولى على تلمسان ، ثم توجه بعد ذلك لتأديب أبى سعيد عثمان ، ولم يكن فى استطاعة أبى سعيد أن يواجه أبا فارس ، فأرسل إليه يستعطفه (٢٠٩) . ويقول له : « إن البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ما تأمروننا به نمتثل ، فقبل السلطان أبو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة كافاه عليها بأكثر منها وقفل راجعا إلى حضرة تونس غانما منصورا ولحقته بيعة فاس » (٢١٠) ، وهذه البيعة الأخيرة تعنى أن المرينيين أصبحوا من الناحية السياسية تابعين لبنى حفص فى تونس ، وذلك ينبىء عن مدى ما أصاب المرينيين من ضعف . ويختلف المؤرخون فى تاريخ هذا التحرك الحفصى ، فالسلاوى يذكر أنه كان فى سنة (٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) (٢١١) . بينما الزركشى يورخ للتحرك الحفصى نحو فاس سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) (٢١٢) . ويبدو أن التاريخ الذى ذكره السلاوى هو الأقرب إلى الصحة لأن معظم المصادر تذكر أن وفاة أبى سعيد عثمان كانت فى سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) (٢١٣) . وكما فقد المرينيون حريتهم السياسية ، وأصبحوا تابعين لبنى حفص فى تونس ، بدأوا يفقدون أجزاء من أراضيهم ، ففى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، واستولى خوان الأول ملك البرتغال على سبتة ، وضمها إلى أملاكه فى بلاد الأندلس (٢١٤) .

تولى السلطان أبو سعيد عثمان سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) ، وخلفه أخوه عبد الله المعروف (بسيدى عبو) ويروى السلاوى أن الذى تولى بعد أبى سعيد هو ابنه عبد الحق (٢١٥) . ولكنه فى نفس الوقت يروى نقلا عن المؤرخ الأسبانى منويل ، ما يفيد

أن الذى تولى الحكم هو عبد الله بن أبى عباس أخو السلطان المتوفى (أبو سعيد) (٢١٦) .

والأحداث كما نقلها السلاوى عن منويل تقول بأن أهل جبل طارق كانوا قد سئموا من حكم بنى الأحمر لهم ، ورأوا أن السلطان أبا سعيد فى فاس أقدر على حمايتهم من مسيحى أسبانيا « فبعثوا إليه (أبى سعيد) يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول فى طاعته إن هو أمدهم بما يدفعون به فى نحر ابن الأحمر (يوسف الثالث) فأعجب أبا سعيد ذلك وللحين بعث إليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيد عبو ومعه طائفة من الجيش إمدادا لهم وكان قصد أبى سعيد ببعث أخيه عبد الله للحصول على إحدى الفائدتين إما فتح جبل طارق إن كان الظهور له أو الاستراحة منه إن كان عليه لأنه كان يشوش عليه » (٢١٧) . ولم يستطع أبو سعيد أن يحقق هذا الهدف أو ذاك لأن قائد حامية جبل طارق الغرناطى تمكن من إلحاق الهزيمة بعبد الله ، وأسره وأرسله إلى غرناطة ، وهناك أحسن ابن الأحمر استقباله ، ومن غرناطة ، حاول أبو سعيد قتل أخيه عبد الله فدس إليه جاسوسا لسمه ، ولكن الجاسوس فشل فى مهمته . واتفق السلطان يوسف الثالث ابن الأحمر مع الأمير عبد الله ، على أن يقوم بالاستيلاء على العرش المرينى ، فى مقابل أن يمده ابن الأحمر بالجنود والأموال اللازمة لإتمام هذا العمل انتقاما من أبى سعيد (٢١٨) .

وما أن نزل عبد الله بساحل المغرب الأقصى ، حتى انضمت اليه أعداد وافرة من القبائل التى كانت تستثقل حكم أبى سعيد عثمان ، ونهض أبو سعيد لمقاومة أخيه عبد الله ، فهزم أمامه وعاد فى فلول جيشه إلى فاس ، فوجد أهل المدينة فى انتظاره فقبضوا عليه وسجنوه ، وأعلنوا طاعتهم لأخيه عبد الله ، وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها واستولى عليه ، وأمر بإبقاء أخيه فى السجن ، فظل به إلى أن مات (٢١٩) .

هذا ما نقله السلاوى عن مانويل من أخبار السلطان عبد الله بن أبى العباس ، ويبدو أن هذه الأخبار صحيحة ، رغم تردد السلاوى فى الجزم بصحتها تماما حيث قال : « ويبعد أن يكون هذا الخبر الذى ساقه منويل لا أصل له » (٢٢٠) . ومما يؤيد وجهة النظر بصحة وجود هذا السلطان فى هذه الفترة ما رواه ابن الأحمر – وهو أحد المعاصرين للأحداث – حين تحدث عن أبناء السلطان أبى العباس أحمد المذكور فقال : « أولاده (أبو العباس) الذكور المولى السلطان عبد العزيز والمولى السلطان عبد الله والمولى السلطان عثمان والمولى السلطان المنتصر بالله وعبد الرحمن وأبو العيش وأبو على ومحمد » (٢٢١) . ووفقا لرواية السلاوى يكون ثلاثة فقط من بين أبناء السلطان أبى العباس أحمد هم الذين تولوا سلطنة الدولة المرينية ، وواضح من رواية ابن الأحمر أن عددهم كان أربعة ، وأن الذى جاء بعد أبى سعيد عثمان هو السلطان المنتصر بالله (عبد الله) وليس عبد الحق (٢٢٢)

وتمضى رواية مانويل فتذكر أن الأمور لم تلبث أن تبدلت فى فاس فثارت العامة على السلطان عبد الله « واعتورته رماحهم حتى فاظ ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من إخوته وبعد قتال شديد ولم ينتصف أحد منهما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على أن يولوا عبد الحق بن أبى سعيد » (٢٢٣) .

وهذا السلطان هو آخر سلاطين بنى مرين ، وأطولهم مدة، « وفى أيامه ضعف أمر بنى مرين جدا وتداعى إلى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة أبيه من قبله » (٢٢٤) . وفى عهد هذا السلطان طرأ على منصب الوزير شىء من التعديل ، فأصبحت مهام الوزير هى نفس مهام الحاجب ، وأصبح يطلق على الحاجب اسم الوزير وعلى الوزير اسم الحاجب (٢٢٥) . وقد تولى منصب الوزارة بهذا المعنى ، مجموعة من أبناء البيت الوطاسى ، ومنهم يحيى بن زيان الوطاس ، وكان لهذا الوزير الفضل الكبير فى القضاء على تمرد الشاوية الذين استشرى داؤهم فى الدولة ، وقد قتل هذا الوزير سنة (٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ، غدرا بيد بعض الأعراب (٢٢٦) ، وتولى الوزارة بعده على بن يوسف الوطاس ، ويحيى بن يحيى بن زيان الوطاس ، وكان تولى هذا الأخير للوزارة بداية لشر مستطير على الدولة المرينية « وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ فى تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة وزاد ونقص فى الجند ونقض جل ما أبرمه قبله الوزراء وعامل الرعية بالعسف ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضى فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى ابن علال المصمودى وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولى كان المصمودى من الدين وتحرى المعدلة بمكان » (٢٢٧) .

فزع السلطان عبد الحق من هذه التصرفات التى يقوم بها يحيى بن يحيى الوطاس ، خاصة وأن بنى وطاس هؤلاء فرع من بنى مرين طامع فى الحكم ، غير أنهم ليسوا من بنى عبد الحق (٢٢٨) . ومما ضاعف من مخاوف السلطان عبد الحق أن بنى وطاس . كانوا يؤيدون يحيى بن يحيى الوطاس فى خطواته ، وشعر السلطان عبد الحق أن بنى وطاس كادوا يغلبونه على أمره ، لذا بادر بالقبض عليهم ونكبتهم (٢٢٩) . فقبض على كل من تدور حوله شبهة من بنى وطاس ، ومنهم « الوزير يحيى وعلى أخويه أبى بكر وأبى شامة وعلى عمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن على بن يوسف وأتى الذبح عليهم جميعا » (٢٣٠) .

وظل منصب الوزارة شاغرا لا يتولاه أحد لخوف السلطان من نفوذ الوزراء واستبدادهم وفى نفس الوقت وصلت إلى السلطان عبد الحق معلومات « أن العامة وكثيرا من الخاصة قد نقموا عليه إيقاعه بالوطاسيين وأن أذنهم صاغية إلى محمد الشيخ صاحب أصيلا » (٢٣١) .

واضطرم حقد السلطان على رعيته ، فسولت له نفسه تعيين اثنين من اليهود هما هارون وشاويل فى منصب الوزارة تأديبا لرعيته وتشفيا منهم (٢٣٢) . وأثار هذا التصرف كافة طوائف الشعب ، لأنه تصرف يمس عواطفه الدينية ، وفقد السلطان عبد الحق تأييد شعبه خاصه وعامه ، ومما أزكى حقد الشعب على السلطان أن الوزيرين اليهوديين شرعا فى « أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الأموال ، واعتز اليهود بالمدينة وتحكموا فى الأشراف والفقهاء فمن دونهم وكان اليهودى هارون قد ولى على شرطته رجلا يقال له الحسين لا يألوا جهدا فى العنف واستلاب الأموال واستمر الحال على ذلك والناس فى شدة » (٢٣٣) . وفى عهد هذين الوزيرين ، وصلت الدولة المرينية إلى درجة كبيرة من الضعف والانحلال ، فلم يستطع السلطان عبد الحق الذى فقد تأييد شعبه ، الدفاع عن طنجة التى هاجمها ألوف من جند الأسبان واستولوا عليها سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٣٤) .

واقتربت نهاية السلطان ومعه نهاية الدولة ، ففى أحد الأيام قبض الوزير اليهودى عى امرأة شريفة من البليدة – من أحياء فاس – « فألحى عليها بالضرب ولما ألهبتها السياط جعلت تتوسل برسول الله ﷺ فحمى اليهودى وكاد يتميز غيظا من سماع ذكر الرسول ﷺ وأمر بالإبلاغ فى عقابها » (٢٣٥) . وانتشر الخبر فى المدينة ، فأسرع كبار الرجال بها إلى الاجتماع عند خطيب مسجد القرويين الفقيه أبى فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلى ، – وكانت له صلابة شديدة فى الحق – (٢٣٦) . وقال المجتمعون له « ألا ترى ما نحن فيه من الذل والصغار وتحكم اليهود فى المسلمين والعبث بهم ، حتى بلغ حالهم إلى ما سمعت » (٢٣٧) .

اتفق الفقيه أبو فارس الورياكلى مع المجتمعين على الفتك باليهود وخلع السلطان عبد الحق ، والبيعة للشريف أبى عبد الله الحفيد – وهو محمد بن على بن عمران الإدريسى من أهل البيت – (٢٣٨) . فوافقوا على ذلك واستدعوا الشريف وبايعوه فى السابع عشر من رمضان سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٣٩) . وتولى أهل القلقليين – من أحياء فاس– أمر إتمام البيعة للسلطان الجديد ، أما الفقيه الورياكلى فقد قاد الثورة بنفسه ضد السلطان عبد الحق ، فخرج بالثائرين إلى فاس الجديد ، هاجموا حارة اليهود وقتلوا من بها من اليهود وأخذوا أموالهم (٢٤٠) .

علم السلطان عبد الحق بأنباء الثورة – وكان فى ذلك الوقت خارج فاس يؤدب بعض قبائل الهبط – (٢٤١) . فعاد مسرعا إلى فاس . « واضطرب عليه أمر الجند ففسدت نياتهم وتنكرت وجوههم وصاروا فى كل منزلة تنفض عنه طائفة منهم فأيقن عبد الحق بالنكبة وعاين أسباب المنية ولما قرب من فاس استشار هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له

لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وإنما يكون قدومنا على مكناسة الزيتون لأنها بلدنا وبها قوادنا وشيعتنا وحينئذ يظهر لنا ما يكون فما استتم اليهودى كلامه حتى انتظمه بالرمح رجل من بنى مرين يقال له تبان وعبد الحق ينظر وقال أو ما زلنا فى تحكم اليهود واتباع رأيهم والعمل بإشارتهم ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخر صريعا لليدين والفم ثم قالوا للسلطان عبد الحق تقدم أمامنا إلى فاس فليس لك اليوم اختيار فى نفسك » (٢٤٢) .

وساروا به إلى فاس حتى إذا وصلوا إلى عين القوادس - خارج فاس الجديد - خرج أهل فاس ومعهم سلطانهم الجديد أبى عبد الله الحفيد ، فأركب السلطان عبد الحق على بغل وانتزع منه خاتم الملك ، وأدخله البلد الجديد فى يوم مشهود حضرته جموع غفيرة من أهل البلاد (٢٤٣) . » وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أخذه ثم حنب إلى مصرعه فضربت عنقه صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة » (٢٤٤) ، ويذكر الكتانى فى سلوة الأنفاس أن مقتله كان فى الثامن والعشرين من رمضان سنة (٨٦٩ هـ / ١٤٦٥ م) (٢٤٥) . وبهذه النهاية المؤلمة آنطوت أخر صفحة من صفحات الدولة المرينية المشرقة ، بعد أن عاشت فى بلاد المغرب بعطائها السياسى والحضارى الغزير زهاء مائتى عام .

هوامش الفصل الثالث

(١) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ .

(٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٩ ، أبو حمو موسى بن يوسف : واسطة السلوك فى سياسة الملوك ، ط تونس ١٢٧٦ ، ص ١٣ ، ١٤ ، يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٢ ، ص ٢٧ - ٢٩ .

Abdallah Laroui, OP. Cit, P. 223

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٩ ، محمد بن عبد السلام بن عبود : تاريخ المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٠ .

(٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٢ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

(١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ مع خلاف فى اللفظ .

(١٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣ .

(١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، وانظر الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .

(١٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ ، (ويذكر صاحب الحلل الموشية أن مدة السلطان أبى بكر السعيد كانت سبعة أشهر وعشرين يوما ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠) .

(١٥) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

(١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٤ .

(١٧) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ ، وعن اتصاله ببلاط قشتالة وهروبه انظر ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .

(١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

(٢٠) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ .

(٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ .

(٢٣) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط ، ص ٣٠٧ ، ابن خلدون العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٢٤) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ ، الكتاني : سلوة الأنفاس جـ٣ ، ص ١٦٨ .

(٢٥) السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ ، (وقد كان الحسن بن عمر يشعر بذلك ، فما كاد يستقر في مراكش حتى ساورته الشكوك ، فخرج على أبي سالم وهرب إلى تادلا ، واعتصم هناك في حمى قبائل بني جابر ، فأرسل إليه أبو سالم جيشا بقيادة وزيره الحسن بن يوسف الذى تمكن من القبض على الحسن بن عمر وساقه إلى أبي سالم ، فأمر بسحبه على وجهه ، ونتف لحيته وضربه بالعصى ، وأخيرا نفذ فيه حكم الإعدام طعنا بالرماح ، وعلقت جثته على السور عند باب المحروق ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، أليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة : د . السيد محمود عبد العزيز سالم ، الألف كتاب ، رقم ٨٩ ، ص ٧٦ ، ٧٧) .

(٢٦) السلاوي : الاستقصاء ، جـ ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٨٥ .

(٢٨) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٩٩ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٠٧ .

(٢٩) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ ، الزركشي تاريخ الدولتين ، ص ١٠٠ .

(٣٠) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ١٩٩ ، (يرجع فشل حملة أبي سالم على تلمسان إلى اتباع أبي حمو لنظام دفاعي جديد ضد بني مرين ، فحين يهاجمه المرينيون في تلمسان ، فإنه يخلي لهم المدينة ، ويتجه بقواته إلى المغرب الأقصى ليهاجم أملاك المرينيين مباشرة ويخربها الأمر الذى يدفع المرينيين إلى العودة مرغمين من حيث أتوا ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١١ ، يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٢ ، ص ٧٥ - ٧٩ ، الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤) .

(٣١) السلاوي : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ .

(٣٢) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(٣٣) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ط القاهرة ١٣٥١ هـ ، ص ٣٠٨ ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣١٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ ،

(ويذكر السلاوى أن أبا سالم نقل مقر حكمه بعد أن خوفه بعض منجميه من البقاء فى البلد الجديد ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٢) .

(٣٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (كان والده عبد الله بن على وزيرا للسلطان أبى عنان ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣) .

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٩ .

(٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٣ .

(٣٨) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٨٣ .

(٣٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ ١ ، ص ٤٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٩ .

(٤٠) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢٣ ، (ويروى أن مقتله كان فى الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٦٢ هـ) ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠) .

(٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٣ .

(٤٢) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ١٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤٣) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، الزركلى : الأعلام ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

(٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٤ ، (كان عمر بن عبد الله قد قبض على مسعود بن رحو بن ماسى وسليمان بن داود وزيرى أبى سالم ، واعتقل مسعود بداره هو ، بينما ترك سليمان معتقلا بدار حليفه غريسة بن أنطول ، وكان سليمان بن ونصار – أحد أنصار أبى سالم – صديقا لابن أنطول وذات يوم وهو يعاقره الخمر اتفقا على الفتك بعمر بن عبد الله وإحلال سليمان داود مكانه فى الوزارة ، السلاوى : جـ ٢ ، ص ١٢٤) .

(٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٤ ، (وأن كان ابن خلدون ذكر لفظ العصابة بدلا من العصبية) .

(٤٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤٧) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٤٨) المصدر السابق ، نفس الصفحات ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٤٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٦ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٥١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

(٥٢) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠١ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١ .

(٥٣) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٦١ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

(٥٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٧ ، ص ٤ ، ٤١ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٠٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٦١ .

(٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، (ذكر المقرى أن وصوله كان فى الثانى والعشرين من صفر ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٨) .

(٥٦) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٦ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٣ ، ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ، ص ١٠٧ ، (خالف هذه الرواية ابن الخطيب حيث ذكر أن تاشفين الموسوس استمر سلطانا حتى الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٦٣ هـ) ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة جـ ٢ ، ص ٤٠) .

(٥٧) المصادر السابقة ، نفس الصفحات ، (ذكر صاحب الحلل الموشية أن مدته كانت ثلاثة أشهر فقط ، بينما يرى ابن خلدون أنه ظل فى الحكم عاما كاملا ، مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٧) .

(٥٨) المصدر السابق ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٥٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٦٠) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٨ .

(٦١) المصدر السابق ، ٣١٩ .

(٦٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٩ .

(٦٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٦٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٠ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ، ويذكر ابن حجر بلاد التكرور بدلا من مالى التى ذكرها ابن خلدون ويبدو أن مدلول الاسمين كان واحدا فى ذلك الوقت .

(٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٠ .

(٦٦) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢١٠ ، (تولى عبد الرحمن مشيخة الغزاة فى بلاد الأندلس بأمر من الغنى بالله بن الأحمر ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، وقارن المقرى : نفح الطيب : جـ ٦ ، ص ١٢ .

(٧٠) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، (وروى القلقشندى أخبار هذه الحادثة بإيجاز شديد فقال : « فدخل على السلطان من غير إذن على ما كان اعتاده منه ، وألقاه فى بئر وأظهر للناس أنه سقط عن ظهر فرسه وهو ثمل فى تلك البئر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ » .

(٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٧٢) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، (رواية ابن القاضى نقلها السلاوى فى الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٩) .

(٧٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ .

(٧٤) مجهول الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥٠ .

(٧٥) السلاوى : الاستقصاء ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن القاضى - جذوة الاقتباس ، ص ٢٦٨ .

(٧٦) ابن الأحمر : النفحة النسرينية ، واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٧ .

(٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، (يكنى أبا فارس أمه مولدة أندلسية اسمها مريم ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٤٨) .

(٧٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ .

(٧٩) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ١٤ ، وانظر وصف ابن الخطيب والسلاوى وابن القاضى لعبد العزيز ، ابن الخطيب الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٦٨ .

(٨٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٣ ، (لم تشر المصادر أو المراجع إلى شخصية هذا الأمير أو اسمه) .

(٨٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ ٥ ، ص ٦١ ، القلقشندى صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٤ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٨٥) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

(٨٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٨٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ص ٣٢٦ .

(٩١) ماريانو ارييباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٩٢) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٨ .

(٩٣) ماريانو ارييباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٧ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٤٢ - ٤٨ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٩٥) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ١٢٦ .

(٩٦) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٩٧) يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٩٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٨ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ١٢٧ .

(٩٩) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٥ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(١٠١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٦ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

(١٠٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية مخطوط ، ورقة ٤٨ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس : ص ٢٦٨ . القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠١ .

(١٠٣) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥١ .

(١٠٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٨ .

(١٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٦ ، (وانفرد المقرى فى نفح الطيب بالقول بأن السلطان عبد العزيز مات مطعونا ، ولكنه لم يجزم بذلك لأنه قال بعد ذكر هذا الخبر « وقيل غير ذلك » المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٢ .) .

(١٠٦) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٥١ .

(١٠٧) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤٩ .

(١٠٨) ابن القاضى : جلوة الأقتباس ، ص ١٣٠ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٤٩ ، (يكنى هذا السلطان بأبى زيان و يلقب بالسعيد بالله ، المصدر السابق ، نفس الورقة .) .

(١٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٦ .

(١١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١١١) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ .

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٢١١ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ ، أحمد مختار العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٢ .

(١١٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(١١٤) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ .

(١١٥) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ مع خلاف فى اللفظ .

(١١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، د. العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢، ص ٦٣ .

(١١٧) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، د. العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٣ ، عنان : نهاية الأندلس ،

ص ١٤٢ ، د. أحمد مختار العبادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد السابع والثامن ، ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ، ص ٤٨ .

(١١٨) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ ، د. أحمد مختار العبادى : حياة الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول مايو ، ١٩٦٢ ، ص ٦٤ .

(١١٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٧٨ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٥ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، (وبطوية : حصن من حصون ورباطات مدينة سفاقس ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٩، ٢٠) .

(١٢٠) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ .

(١٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ .

(١٢٢) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر ، ص ٧١ .

(١٢٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٢٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول بن الأحمر ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٢٥) د. العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٤ .

(١٢٦) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥١ ، (وأم هذا السلطان عربية قحطانية وهى زهرة بنت أبى العباس خضر بن محمد القباق ، المصدر السابق ، ورقة ٥٠) .

(١٢٧) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ١ ، ص ٩٩ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٢٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٣٩ .

(١٣٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .

(١٣١) المصدر السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ .

(١٣٢) د. العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .

(١٣٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٧ ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٧ .

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ . ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(١٣٥) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤٠

(١٣٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، وانظر القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠١ .

(١٣٧) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٣١ ، (كانت دولة السلطان محمد السعيد سنة وثمانية أشهر وأربعة أيام ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٠) .

(١٣٨) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٢٢٩ ، (يروى : الزركشى أنه دخلها فى سنة ٧٧٥ هـ خلافا لما أجمعت عليه معظم المصادر ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٨) .

(١٣٩) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .

(١٤٠) د. العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٥ .

(١٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ .

(١٤٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(١٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ .

(١٤٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(١٤٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ .

(١٤٦) المصدر السابق ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(١٤٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٧ ، ص ١٣٥ .

(١٤٨) المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(١٤٩) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ١٤٣ .

(١٥٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(١٥١) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ .

(١٥٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠١ .

(١٥٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(١٥٤) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ورقة ٥١ .

(١٥٥) المصدر السابق ، نفس الورقة ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٥٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .

(١٥٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٠ .

(١٥٧) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(١٥٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(١٥٩) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ ، (ومن الصفات التى ذكرها ابن الأحمر لهذا السلطان أنه كان « أدم اللون شديد الأدمة إلى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية » وانظر أيضا ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥) .

(١٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٢ .

(١٦١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(١٦٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٢ .

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

(١٦٤) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٣٠ ، (وقد نقل السلاوى كلام ابن القاضى انظر السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(١٦٥) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .

(١٦٦) (ألف ابن الأحمر كتابه النفحة النسرينية واللمحة المرينية وأهداه إلى إبراهيم بن عبد الله أحد وزراء السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم انظر ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٣ .

(١٦٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٣١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين : مخطوط ، ورقة ١٦ .

(١٦٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٣ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .

(١٦٩) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ، (عزل محمد بن أبى العباس يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ٧٨٨ هـ وهو نفس اليوم الذى بويع فيه أبو زيان محمد بن أبى الفضل ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٣١ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٢) .

(١٧٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(١٧١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٤ .

(١٧٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(١٧٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ ، وانظر القلقشندى : صبح الأعشى : جـ ٥ ، ص ٢٠٢ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٥٦ ، (وقد أنهى ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف بن الأحمر مؤلفه النفحة النسرينية عند عهد هذا السلطان يقول ابن الأحمر : « رفعت هذا الكتاب باسمه (أبى العباس) طرزته والله يديم ملكه فى سمو وصعود) .

(١٧٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ .

(١٧٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٥٥ .

(١٧٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٦١ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(١٧٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٦٢ .

(١٧٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (خرجت هذه الحملة بقيادة الأمير أبى فارس ابن أبى العباس ، والوزير ابن علال ، والتقت بأبى حمو عند موضع الغيران ، وقد قتل أبو حمو طعنا بالرماح فى هذا الموضع بعد أن كبابه جواده ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(١٧٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ .

(١٨٠) عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٩ .

(١٨١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٥٠ ، (وقد نقل السلاوى هذه الرواية عن أحد المؤرخين الأسبان وهو منويل باولوا الشتيلى ، عن كتاب أرخ فيه لأخبار المغرب الأقصى ، ونقل عنان هذه الرواية عن السلاوى وعن Condé فى مؤلفه) : Condé

Historia de la Dominación de los Arabes en Espana; V. III. P. 171.

(١٨٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .

(١٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٦٣ .

(١٨٤) المصدر السابق : نفس الصفحة ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٢ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ ١ ، ص ٩٩ .

(١٨٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤١ .

(١٨٦) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٦ .

(١٨٧) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٦ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤١ ، (أطلق الكتانى والسلاوى على القلعة اسم « القلة » ، وقد يكون حرف العين قد سقط من الكلمة فى الطباعة ، وقد وصفها الكتانى فقال : « وقد اشتملت (القلة) على قباب لبنى مرين لكونها دفن بها جماعة من ملوكهم » ، المصادر السابقة ، نفس الصفحات) .

(١٨٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(١٨٩) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٧ .

(١٩٠) المصدر السابق ، نفس الورقة .

(١٩١) المصدر السابق ، نفس الورقة ، وانظر السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(١٩٢) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، وانظر السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٦٩ .

(١٩٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ابن القاضى : جذوة الأقتباس ، ص ٢٣٤ .

(١٩٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(١٩٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٧ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ص ١٦٧ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٣٤ .

(١٩٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(١٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٩٨) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(١٩٩) المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٢٠٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٠١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢٠٢) ابن القاضى : جذوة الأقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٧ .

(٢٠٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢٠٤) المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٦١ .

(٢٠٥) المصدر السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢٠٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ورقة ١٧ ، ١٨ .

(٢٠٧) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢٠٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٠٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .

(٢١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، (ودأب السلطان عبد الحق بعد ذلك على مهاداة السلطان الحفصى ، انظر الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٠) .

(٢١١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢١٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .

(٢١٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٨٩ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ت : زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥١ ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

(٢١٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، (ويذكر ماريانو ارىباس بالار أن وفاة أبى سعيد عثمان كانت فى سنة ١٤٢١ م وهى تقابل سنة « ٨٢٥ - ٨٢٦هـ » ، انظر ماريانو ارىباس بالار : بنو مرين فى الأتفاقيات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٨) .

(٢١٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٢١٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٥٣ .

(٢١٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٥٤ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٢١) ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٥ .

(٢٢٢) المصدر السابق ، ورقة ١٥ .

(٢٢٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، (فاظ هكذا فى الأصل) .

(٢٢٤) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٢٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (والشاوية تفرعوا من ولد حسان بن أبى سعيد الصبيحى ، وهم بطن من بطون قبائل سويد وسويد هى إحدى قبائل بنى مالك بن زغبة الهلاليين ، وحسان هذا كان المتولى لرعاية إبل السلطان يعقوب بن عبد الحق ورواحله وسائر ماشيته ، وارتفعت مكانة حسان عند السلطان يعقوب ، وأصبح بنوه وعقبه يتوارثون هذه المهمة التى أطلق عليها « خطة الشاوية » وعلى القائمين عليها من بنى حسان الشاوية ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦) .

(٢٢٧) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢٢٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٦٥ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٠) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢٣٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٥) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢٣٦) ابن القاضى : درة الحجال فى أسماء الرجال ، ت : محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث بالقاهرة ، ط أولى ١٩٧٠ ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٢٣٧) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢٣٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، ابن القاضى : درة الحجال ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٢٣٩) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ .

(٢٤٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، (وقد أشار البكرى إلى أن فاس كانت من أكثر بلاد المغرب على الإطلاق احتواء لليهود وأنهم كانوا يخرجون منها إلى سائر بلاد المغرب ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١١٥) .

(٢٤١) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٢٤٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٢٤٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٣١ . (ويقول ابن القاضى هو « السلطان عبد الحق » الذى ثارت عليه عامة فاس بمشورة الفقيه الخطيب أبى فارس عبد العزيز الورياغلى ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٧٤) .

(٢٤٤) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، (ويروى الزركشى أن الشريف أبا عبد الله الحفيد بويع « على رضا من الناس واستقل بالخلافة وعادت الخلافة فى فاس إدريسية » وهذا لانتماء الحفيد إلى الأدارسة ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ١٥٦) .

(٢٤٥) الكتانى سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ ، زامباور : معجم الأنساب ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

الفصل الرابع

العلاقات الخارجية لبنى مرين

العلاقات الخارجية لبنى مرين

أصبح للدولة المرينية – منذ قيامها فى بلاد المغرب الأقصى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) – شخصيتها الدولية المستقلة ، ومن خلال هذه الشخصية تعاملت مع سائر الدول الأخرى سواء تلك التى تربطها بها حدود مباشرة ، أو تلك التى تبعد عنها ، وقد كان لهذه العلاقات أثرها الكبير فى دعم الدولة المرينية سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا ، وكانت قوة التأثير والتأثر فى هذه النواحى تتوقف على مدى طبيعة هذه العلاقات من حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث ميلها إلى الصداقة أو العداء ويتضح من هذه العلاقات أنها كانت علاقات واسعة شملت معظم العالم الإسلامى شرقه وغربه ، إذ حرص المرينيون على إظهار شخصيتهم الدولية ، ففى المشرق كانت للمرينيين علاقات وطيدة مع مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية ، وفى المغرب كانت لهم علاقة أكثر بالحفصيين وبنى عبد الواد ، وبلاد السودان الغربى ، وبلاد الأندلس وما فيها من قوى إسلامية تتمثل فى بنى الأحمر ، وقوى مسيحية معادية تتمثل فى القشتاليين والأراغونيين .

أولا : علاقة المرينيين بمصر والمشرق العربى :

تطلع سلاطين بنى مرين إلى مصر والمشرق العربى ، باعتبار أن المغرب امتداد طبيعى لهذه البقاع من العالم الإسلامى ، وكانت مصر ، محطا لأنظار السلاطين من بنى مرين ، لأنها الواجهة التى تطل منها بلاد المغرب على جهات المشرق العربى ، من أجل ذلك سعى هؤلاء السلاطين المرينيون إلى توطيد علاقاتهم بمصر وما يليها من أجزاء المشرق العربى فى الشام والعراق والجزيرة العربية . وكان نماء العلاقات وازدهارها بين المرينيين والمشرق العربى ومصر ، مرتبطا أشد الارتباط بقوافل الحج المرينية ، التى كانت هى الأخرى مرتبطة بحالة الأمن واستقرار الأوضاع السياسية فى بلاد المغرب . وكان هذا السبب الأخير ، مبررا لتأخر قيام هذه العلاقات بصفة رسمية حتى سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ففى هذه السنة كان السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المرينى قد استولى على المغرب الأوسط ، مهد بنى عبد الواد الذين كانوا يعوقون تقدم القوافل المرينية نحو مصر والمشرق العربى [1] .

وقد خرجت أول قافلة تحمل الحجاج المرينيين إلى مكة والأراضى الحجازية سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ، وقد بالغ السلطان أبو يعقوب يوسف فى الاحتفال بهذه القافلة ، إظهارا لمكانة الدولة المرينية فى بلاد المغرب ، فأمر « باستنساخ مصحف رائق الصنعة كتبه

ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع فى جرمه وعمل غشاءه من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة وسط المعلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا واستكثر من الأصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف » (٢) . وأخرج السلطان أبو يعقوب يوسف مع القافلة فرقة تزيد على الخمسمائة من فرسان زنانة لحمايتها من الأخطار ، وعين محمد بن رغبوش – وهو من أعلام أهل المغرب – قاضيا يدبر أمر القافلة (٣) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل « بخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة » (٤) . وحمل هذه الرسالة أحد مماليك مصر العاملين فى البلاط المرينى وهو أيْدُغدى الشهرزورى ، وكان بدرجة وزير (٥) . ويذكر ابن الوردى أن الرسالة والهدية وصلت إلى مصر سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) (٦) . وتعتبر هذه الرسالة أول صفحة فى تاريخ العلاقات المرينية المصرية .

وفى ربيع الأول سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) خرجت قافلة مرينية ثانية متجهة إلى الأراضى الحجازية ، وتولى أبو زيد الغفارى دلالة القافلة (٧) . وقد كان لهاتين القافلتين أثرهما السياسى الكبير فى بلاد الحجاز خاصة لدى الشرفاء القائمين على الحكم بها ، الذين أحسوا بقوة المرينيين وسطوتهم فى بلاد المغرب ، فاتخذوا منهم ملاذا لهم عندما اختلفوا سياسيا مع سلطان مصر المملوكى . ففى شهر ربيع الثانى سنة (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) عاد مع قافلة الحج الأولى – التى حملت مصحف السلطان أبى يعقوب يوسف – الشريف لبيدة بن أبى نمى ، لأن سلطان الترك كما يقول ابن خلدون قبض على أخويه حميضة ورميثه بعد وفاة أبيهم أبى نمى صاحب مكة سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) ، وقد بالغ السلطان أبو يعقوب يوسف فى تكريمه ، وأرسل معه من تلمسان مايشبه بعثة الشرف لتتجول به فى مدن الدولة وأقاليمها للاطلاع على شتى معالمها وقصورها ، وأصدر السلطان أوامره إلى عمال الأقاليم بتكريمه والاحتفاء به ، وظل مقيما بالبلاط المرينى حتى عاد إلى المشرق سنة (٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م) (٨) .

وكان لهذه العلاقات الطيبة التى بادر بها المرينيون نحو المشرق أثرها السريع ففى نفس السنة التى غادر فيها الشريف لبيدة بلاد المغرب ، أرسل الشرفاء من أهل مكة ببيعتهم إلى السلطان أبى يعقوب يوسف ، وذلك عندما ساءت العلاقات بينهم وبين صاحب مصر ، الذى قبض على إخوانهم ، وقد وصلت هذه البيعة مع أبى زيد الغفارى دليل قافلة الحجيج الثانية (٩) ، ومع البيعة أرسلوا ثوبا من كسوة الكعبة للسلطان يوسف بن يعقوب « شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه فى الجمع والأعياد يستبطنه بين ثيابه تبركاً به » (١٠) .

ولم تؤثر هذه البيعة على جو العلاقات بين مصر والمرينيين ، فقد رد السلطان الناصر محمد قلاوون على هدية السلطان يوسف بن يعقوب المرينى بهدية عظيمة حشد فيها ، « من طرف بلاده (مصر) من الثياب والحيوان مايستغرب جنسه وشكله من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الأمير اليليلى » (١١) .

وقد وصلت هذه الهدية إلى المنصورة (بالمغرب الأوسط) فى جمادى الآخرة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) ، وقد احتفل السلطان أبى يعقوب يوسف بوصول الوفد احتفالا عظيما ، وأرسله إلى بلاد المغرب الأقصى لتفقد معالم الدولة وآثارها (١٢) . وفى أثناء ذلك توفى السلطان أبى يعقوب يوسف ، فقام خليفته السلطان أبو ثابت بمتابعة إكرام الوفد ، المصرى ، وقدم لأعضائه عند عودتهم هدايا كثيرة ، دعما للعلاقات بين الدولة المرينية ومصر ، وتحرك الوفد عائدا إلى مصر فى ذى الحجة سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م) ، وفى الطريق وعند بلاد بنى حسن سطا الأعراب على القافلة المصرية وسلبوا ونهبوا ما معها (١٣) . وقد كان هذا الحادث سببا فى توتر العلاقات وفتورها بين المرينيين ومصر ، « فلم يعاودوا (المصريون) بعدها إلى المغرب سفرا ولاالتفتوا إليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب » (١٤) . وقد أشارت أصابع الاتهام إلى بنى عبد الواد أعداء بنى مرين ، بتدبير هذا الحادث ، لتعكير صفو العلاقات بين مصر والمرينيين (١٥) .

وقد أرسل السلطان الناصر محمد قلاوون رسالة يعاتب السلطان المرينى على ماأصاب القافلة المصرية فى بلاد المغرب ، ومع الرسالة هدية ، استصغرها السلطان المرينى ، وكانت عبارة عن كوبين من دهن البلسان ، وخمسة مماليك من الترك رماة بخمسة أقواس من قسى الغز المؤنقة الصنعة ، فاستدعى السلطان المرينى القاضى محمد بن هدية ، وأملى عليه خطابا شديد اللهجة إلى سلطان مصر (١٦) . قال السلطان المرينى للقاضى « اكتب الآن إلى الملك الناصر كما أقول لك ولا تحرف كلمة عن موضعها إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب وقل له أما عتابك عن شأن الرسل وما أصابهم فى طريقهم فقد حضروا عندى ... وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب فكان جوابهم إنا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ فى أعراب فلاتنا وأما الهدية فترد عليك أما دهن البلسان فنحن قوم بادية لانعرف إلا الزيت وحسبنا به دهنا وأما المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم إشبيلية وصرفناهم إليك لتستفتح بهم بغداد والسلام » (١٧) . ويظهر من الرسالة أن مرسلها هو السلطان أبو ثابت المرينى ، فالوفد رحل فى عهده من بلاد المغرب إلى مصر ، وواضح أن الحوار الذى فى الرسالة كان بينهم وبين السلطان ابى ثابت . وابن خلدون يروى شائعات ظهرت فى ذلك الوقت ، رواها له شيخه ، ومضمونها أن الذى أمر بنهب القافلة المصرية هو

السلطان أبو ثابت نفسه ، يقول ابن خلدون « قال لى شيخنا (محمد بن إبراهيم الأبلى) وكان الناس إذ ذاك لايشكون أن انتهابهم كان باذن منه (أبو ثابت) وكان هذا الكتب دليلا على مافى نفسه » (١٨) وقد يكون ذلك الرأى صحيحا لأنه يبدو أن العبارة التى رددها الوفد المصرى للسلطان أبى ثابت – أنا قادمون من عند ملك المغرب – كانت قاسية عليه . ويبدو أن هذه الرسالة تركت آثارا سيئة على جو العلاقات المرينية المصرية ، فقد أدت إلى قطيعة ، استمرت حتى عهد السلطان أبى الحسن المرينى . ففى عهده استأنفت العلاقات مرة ثانية ، بل وصلت فى عهده إلى عصرها الذهبى (١٩) .

——— كان استيلاء السلطان أبى الحسن المرينى على المغرب الأوسط انتصارا سياسيا كبيرا ، أعاد إلى الأذهان ما كان للمرينيين من مكانة عظيمة فى أنحاء العالم الإسلامى وبخاصة مصر والمشرق العربى ، وهذا هو السر فى تصميم المرينيين طول فترة حكمهم فى المغرب الأقصى ، على بسط نفوذهم على المغرب الأوسط ، فالاستيلاء عليه يضمن انفتاح الدولة المرينية على بقية أجزاء العالم الإسلامى . لذا سارع أبو الحسن فور استيلائه على المغرب الأوسط بارسال سفارة إلى السلطان الناصر محمد قلاوون ، يخبره فيها بالفتح وزوال العقبات التى كانت تعترض طريق الحجيج المرينيين ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار ، وقد لقيت هذه السفارة ترحيبا من السلطان الناصر الذى رد بكتاب يقرر فيه المودة والصداقة بين الدولتين (٢٠) . وتضمن هذا الرد عزاء السلطان محمد قلاوون فى والده السلطان أبى الحسن ، وكان أبو الحسن قد أرسل مع أحد الحجاج المرينيين من رجال بلاطه وهو عثمان بن جرار رسالة إلى السلطان الناصر محمد قلاوون ، يخبره فيها بعزم والدته على الحج ، وقد قام عثمان بن جرار بهذه المهمة سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) (٢١) .

قرر السلطان أبو الحسن المرينى أن يقوم بنفسه ، بكتابة نسخة من المصحف الكريم بخط يده – وكان حاذقا بفن الخط – ليوقفها بالحرم المكى الشريف (٢٢) . ولما أتم نسخها بيده « جمع الوراقين لتنميقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها وصنع لها وعاء مؤلفا من الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجوهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها » (٢٣) .

وخرجت قافلة الحج المرينية التى تحمل هذا المصحف من تلمسان سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) ، وأوفد معها السلطان أبو الحسن كبار رجال دولته ، وخواص مجلسه مثل عريف بن يحيى أمير زغبة – من عرب بن هلال – وعطية بن مهلهل كبير

الخولة ، وكاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين ، وعريف الوزعة ببابه وصاحب دولته عبو ابن قاسم المزوار (٢٤) .

وأرسل أبو الحسن مع هذا الوفد هدية ضخمة ، كانت حديث المجالس فى المغرب والمشرق ، وقد وقف ابن خلدون بنفسه على برنامج هذه الهدية بخط أبى الفضل بن محمد بن أبى مدين فقد كان فيها « خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائه حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزر معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوّنا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب إلى اللمط ومن خرثى المغرب وما عونه وما يستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت » (٢٥) .

وكان ضمن القافلة الحرة مريم ، وهى حظية من حظايا والد السلطان أبى الحسن ، وكان أبو الحسن يجعلها بمنزلة والدته ، وقد نص ابن مرزوق على أنها كانت أما لأخت أبى الحسن (٢٦) وقد وصل الركب إلى مصر فى الثانى عشر من رمضان سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م) (٢٧) . ونزل من الاصطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال لحمل هدايا السلطان أبى الحسن المرافقة لركب الحج المرينى . وقد أمر الناصر محمد قلاوون المهمندار باستقبال الركب المرينى ، فأنزلهم المهمندار بالقرافة بالقرب من مسجد الفتح ، وكان يوم طلوع الهدية المرينية يوما مشهودا ، حيث فرق السلطان الناصر الهدية على الأمراء بأسرهم كل على قدر مرتبته حتى نفذت كلها ، عدا الجوهرة واللؤلؤ ، اختص به الناصر نفسه ، وقد قدرت قيمة الهدية المرينية بما يزيد على مائة ألف ألف دينار (٢٨) .

وقد احتفى الناصر بالركب احتفاء أكد علاقات الود بين مصر والمرينيين ، فنقلت الحرة مريم ومن معها بعد ذلك إلى الميدان ، وأجريت عليهم الرواتب « من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة فى كل يوم بكره ماعمهم وفضل عنهم فكان مرتبهم فى كل يوم عدة وثلاثين رأسا من الغنم ونصف أردب أرز وقنطار حب رمان وربع قنطار سكرا وثمانى فانوسيات شمع وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم » (٢٩) . ولما حان وقت سفر الحرة إلى الأراضى الحجازية أمر الناصر النشو بتجهيزها اللائق بها فقام بتجهيز كل ماتحتاج إليه فى سفرها من أصناف الحلوى والدقيق والسكر وغيرها ، كما أمر السلطان الناصر جمال الدين متولى الجيزة أن يرحل بها فى ركب لها بمفردها قدام المحمل ، ويمتثل كل ما تأمره به ، وكتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها ورعايتها (٣٠) .

ولما عاد ركب الحجاج المرينيين من الأراضى الحجازية ، جهز معهم الناصر هدية للسلطان أبى الحسن المرينى اشتملت على ثياب صنعت فى الإسكندرية بديعة النسج مرقومة بالذهب ، وفساطيط غريبة الشكل والصنعة ، وخيمة مصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب مبطنة من الداخل بالحزير العراق ، وصوان مربع الشكل مصنوع من الحرير ، وعشرة جياد بسروج ولجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة ومرصعة باللألىء (٣١) .

ثم كتب السلطان أبو الحسن نسخة أخرى من المصحف ، بنفس الطريقة التى كتب بها نسخة الحرم المكى ، ووقفها على الحرم المدنى فى المدينة المنورة ، وبعث بها مع عدد من رجال دولته سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) (٣٢) . وظلت العلاقات الودية قائمة بين أبى الحسن والملك الناصر حتى توفى هذا الأخير سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) (٣٣) . وقد شهد الناصر ملكا طويلا ، عاصر فيه خمسة من ملوك بنى مرين ابتداء من أبى يعقوب يوسف إلى أبى الحسن ، ونظرا للفتن الداخلية التى نشأت بين أبناء الناصر بعد وفاته ، فقد ضعف بسببها أمن طريق الحج ، لذا توقف بعث الحجيج المغربى إلى البقاع المقدسة بضع سنوات (٣٤) . وما أن استقرت مقاليد الأمور فى يد الصالح أبى الفداء إسماعيل سنة (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) ، وأمن طريق الحج ، حتى أرسل السلطان أبو الحسن كاتبه وصاحب ديوان الخراج فى دولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبى مدين يحمل رسالة ، لتقديم العزاء فى الملك الناصر ، وكان بصحبته الحرة مريم أخت السلطان أبى الحسن لأداء فريضة الحج ،وقد وصل أبو الفضل والحرة مريم إلى مصر فى منتصف شعبان سنة (٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) . واستطاع هذا الوزير أن يقوم بمهمته فى مصر على خير وجه ، وأن يظهر فى أدائها أبهة سلطانه أبى الحسن ، بما أنفق على المستضعفين من الحجاج فى طريقه ، وماقدمه من تحف إلى رجال الدولة المملوكية ، وما أظهره من تعفف عما فى أيديهم (٣٥) .

وقد رد الصالح أبو الفداء إسماعيل على رسالة السلطان أبى الحسن برسالة أخرى حملها الوزير أبو الفضل بعد عودته من أداء فريضة الحج إلى بلاد المغرب ، وهى مؤرخة بتاريخ السادس من رمضان سنة (٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) وقد دبج هذه الرسالة الأديب المصرى المعروف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٣٦) .

ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن المرينى بعد استيلائه على إفريقية شرع فى كتابة نسخة ثالثة من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس ، ثم يعود فيقرر أن السلطان لم يكمل هذه النسخة ، وأنه توفى قبل الفراغ منها (٣٧) ولكن ابن الوردى فى تتمة المختصر يؤكد ، أن المصحف الثالث قد أرسل فعلا إلى بيت المقدس قبل سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، وأن أبا الحسن اشترى أملاكا بعشرة آلاف دينار ووقفها على

خزنة وقراء هذا المصحف ، وقد وقف ابن الوردى بنفسه على نسخة توقيع بسماحة الحكومة المصرية لهذه الأوقاف من كافة الضرائب التى تفرض على أمثالها ، وهذا التوقيع من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة المصرى (٣٨) . وقد أكد وجود هذا المصحف ببيت المقدس خلال القرن الحادى عشر الهجرى الشيخ أبو العباس المقرى ، فقد رآه بنفسه ومدح ربعته بأنها فى غاية الدقة والصنعة (٣٩) .

وقد شهدت العلاقات المرينية المصرية فى أواخر عهد السلطان أبى الحسن فتورا ملحوظا ، فحين فر الوزير الحفصى ابن تافراجين ، الذين كان يمثل المقاومة ضد الوجود المرينى فى إفريقية – إلى مصر ، أرسل السلطان أبو الحسن إلى السلطان المملوكى فى مصر حسن بن الناصر قلاوون يرجوه القبض على ابن تافراجين وتسليمه إليه ، وقد قوبلت هذه الرسالة بالرفض من جانب السلطات المصرية ، لأن ابن تافراجين كان فى حماية بعض الأمراء المماليك الأقوياء فى ذلك الوقت (٤٠) .

ولم يقتصر دور قوافل الحج على دعم العلاقات الدينية والسياسية بين المرينيين من ناحية ومصر والمشرق العربى من ناحية أخرى ، وإنما اتسع دورها لأكثر من ذلك ، فالذى لاشك فيه أنه من خلال هذه القوافل تدعمت أيضا العلاقات الاقتصادية بين المرينيين وهذه البلاد ، فقد حملت قوافل الحج فى عودتها منتجات هذه البلاد إلى الأسواق المرينية ، كما كانت وسيلة مضمونة لتصدير السلع المغربية إلى مصر وبلاد المشرق فى مواعيد محددة من كل عام يضاف إلى ذلك ما أحدثته هذه القوافل من تنشيط للصناعات المغربية المختلفة التى حملتها هذه القوافل كهدايا من البلاط المرينى لهذه البلاد . كما أن خيول المغرب المنتقاه ، كان لها حظ كبير فى التجارة المرينية فقد كان حرص سلاطين مصر على اقتناء هذه الخيول ، يدفعهم إلى الارسال فى طلبها من المرينيين ، كما حدث فى أيام السلطان برقوق الذى بعث برسائله وهداياه إلى سلطان فاس أبى العباس بن أبى سالم لشراء كثير من خيول المغرب المنتقاة (٤١) .

أما العلاقات الثقافية ، فقد كان لها نفس الحظ من النشاط ، حيث كان بعض علماء الدولة المرينية ، يشعرون أن عليهم أن يغذوا أنفسهم بعلم المشرق ، فى سبيل ذلك رحلوا إلى بلاد المشرق العربى ومصر فقابلوا هناك العلماء فى الشام والعراق والجزيرة العربية ، ومن هؤلاء عبد الله المرينى الذى رحل إلى الإسكندرية ، وأقام بها ، وانضم إلى أقرانه من العلماء من أمثال ابن رواج والسبط وأبى العباس القرطبى وابن عبد السلام وأبى محمد بن برطلة ، وأصبح عبد الله المرينى مثلهم مصدرا من مصادر الحديث (٤٢) . ومن الذين قرءوا على هذا الشيخ المرينى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر الزواوى ، الذى كان قاضيا لدمشق والمتوفى بها فى جمادى الأولى سنة (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) (٤٣) . ومن

العلماء المرينيين الذين زاروا مصر وتعلقت نفسهم بها المقرى (الجد) كبير علماء المغرب الذى وصف القاهرة أيام زيارته لها بأبلغ الأوصاف فقال : « فانتقلت إلى القاهرة أول ذى القعدة فرأيت حضرة الدنيا ، وبستان العلم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر ، وأيوان الإسلام ، وكرسى الملك ، تلوح القصور والأواوين فى أوجه ، وتزهو الخوانق والمدارس بآفاقه وتضىء البدور الكواكب من علمائه » (٤٤) . وقد سئل المقرى عن القاهرة فى زمانه ؟ فقال : « من لم يرها لم يعرف عز الإسلام » (٤٥) . وقد أجاب أبو القاسم البرجى سفير أبى عنان المرينى إلى مصر سنة (٧٥٥ هـ / ١٣٤٥ م) عن نفس السؤال بمحضر من السلطان أبى عنان المرينى بقوله : « أقول فى العبارة عنها على سبيل الاختصار : أن الذى يتخيله الإنسان فإن مايراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال على كل محسوس إلا القاهرة فأنها أوسع من كل مايتخيل فيها » (٤٦) .

ومن العلماء المرينيين الذين نهلوا من فيض علماء مصر أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب ، فقد بلغ عدد العلماء الذين تتلمذ وقرأ عليهم هذا العالم المرينى فى مصر أكثر من أربعين عالما ذكرهم المقرى فى نفح الطيب ، عاش أغلبهم فى القاهرة ، وبعضهم كان فى الاسكندرية كأحمد المرادى بن العشاب ، وأبى القاسم بن على بن البراء والناصر بن المنير ، وبمدينة بلبيس أسد الدين يوسف بن داود الأيوبى ، وهو من أبناء الملوك . ولم يترك ابن مرزوق أحدا فى مصر إلا وتعلم منه أو قرأ عليه ، حتى أنه قابل الشيخة المسندة ، فاطمة بنت محمد الفيومى البكرى التى يذكر المقرى نقلا عن الاحاطة أنها كانت : ست الفقهاء (٤٧) .

كما رحل إلى العاصمة المرينية فاس بعض علماء المشرق من أمثال محمد الهادى بن أبى القاسم بن نفيس الشريف ، وهو جد الشرفاء العراقيين بفاس ، وكان عالما أديبا ذا منزلة كبيرة عند الخاصة والعامة من ملوك زمانه ، وقد خرج السلطان أبو سعيد عثمان المرينى للقاء هذا العالم العراقى الجليل بنفسه ، ورحب به وأكرمه وأجزل صلته (٤٨) . كما توافد على ولده السلطان أبى الحسن المرينى كثير من القصاد « من بلاد الحجاز واليمن والعراق .. فأوسع لهم العطاء الجزيل ، وأولاهم من فضله بالجميل » (٤٩) . ومن بين هؤلاء الوافدين ، أولاد أبى عميرة الحسنيين أهل مكة ، وأولاد جماز المدنيين الحسنيين ، وعدد كبير من شرفاء الحلة وشرفاء العراق ، وفقهاء مكة من أمثال أبى عبد الله بن عبد المعاق وأولاده ، ومن فقهاء المدينة أيضا وفد إلى فاس فقيه المدينة أبو الحسن بن فرحون ، ومعه خلق كثير لايحصون من كثرتهم (٥٠) . وأصبحت الدولة المرينية محطا لأنظار المشرق الإسلامى حيث تتابعت عليها الوفود تنهل من خير أبى الحسن وفضله فوفد عليه « من الشام ومصر والعراق وبلاد العجم طوايف فلا ينصرف عنه منصرف إلا وقد نال منه فوق مأمله » (٥١) .

ويبدو أن الفترة المتبقية من تاريخ الدولة المرينية لم تشهد من العلاقات بين المرينيين ومصر والمشرق العربى ، مثلما شهدته الدولة المرينية فى الفترة السابقة ، ولا أدل على ذلك من أن المصادر قد لزمت الصمت عن الحديث فى شأن هذه العلاقات ، ولم يقطع هذا الصمت سوى رسالة حفظها القلقشندى متبادلة بين السلطان عثمان بن أبى العباسى المرينى ، والسلطان فرج بن أبى سعيد برقوق فى شعبان سنة (٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م) (٥٢) . وفيها يتحدث السلطان المرينى عن أهداف الرسالة فيقول : « وكتابنا هذا يقرر لكم من ودادنا ماشاع وذاع ويؤكد من اخلاصنا إليكم ماتتحدث به السمار » (٥٣) . وفى نهاية الرسالة تعرض السلطان المرينى ما كان قد عزم عليه من تقديم المساعدات العسكرية لمصر ضد أعدائها التتار وفى هذا الشأن يقول : « عزمنا على أن نمدكم من عسكرنا المظفرة بما يضيق عنه الفضا ، ونجهز لجهتكم من أساطيلنا المنصورة مايحمد فى امداد المناصرة ويرتضى » (٥٤) .

وتعنى هذه الرسالة أن بنى مرين وقفوا من سلطنة المماليك فى مصر موقف المترقب عندما دهم خطر التتار المشرق العربى أيام تيمور لنك سنة (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) (٥٥) . ويبدو أن السلطان المرينى عثمان بن أبى العباس كان يتابع موقف الجبهة المصرية أمام التتار أولا بأول ويدل على ذلك تلك الرسالة التى بعث بها السلطان فرج بن برقوق إلى فاس يشرح فيها للسلطان المرينى الأسباب التى ذعته إلى الانسحاب من دمشق والعودة إلى مصر ، مبررا ذلك بوجود مؤامرة للاستيلاء على الحكم فى مصر فى أثناء غيابه فى دمشق لاقامة سلطان جديد (٥٦) .

ثانيا : علاقة المرينيين بالدولة الحفصية (٥٦) :

كانت علاقة المرينيين ببنى حفص علاقة تتحكم فيها ظروف تطور الدولة المرينية ومن ثم مرت هذه العلاقات بمراحل لكل منها أهداف سعى المرينيون إلى تحقيقها ، سواء فى بلاد المغرب الأقصى ، أو فى إفريقية نفسها ، وقد مرت هذه المراحل : على النحو التالى .

١ - مرحلة تبعية المرينيين الاسمية لبنى حفص :

وفى هذه المرحلة أعلن المرينيون تبعيتهم لبنى حفص ، وكان الغرض من إعلان هذه التبعية والالتزام بها ، اضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم إلى تصفية الموحدين (٥٨) ، وعن هذه الحقيقة الهامة تحدث ابن خلدون فقال : « وكانت لهم (الحفصيون) أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبا زكريا ويبعثون له بيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش » (٥٩) .

وقد ذهب المرينيون في تبعيتهم الاسمية هذه أبعد الحدود حتى لا يقاومهم الحفصيون ويقدمون لهم العون والمساعدة ضد الموحدين ، ومن ناحية أخرى لارضاء العامة في بلاد المغرب الأقصى وجذبهم إلى صفوفهم ، وفي سبيل ذلك كان المرينيون « يتحفونهم (الحفصيون) بالمال والهدايا في سبيل المدد على صاحب مراكش » (٦٠) . وقد تمت في هذا المجال سفارات متبادلة بين المرينيين وبني حفص ، كان لها أثرها في تقريب وجهات النظر بين الطرفين وإظهار المودة والتقارب بينهما في الأهداف . ومن هذه السفارات المتبادلة ، السفارة التي أرسلها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) ، وقد قام بها عامر ابن إدريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكناني إلى البلاط الحفصي ، وقد رد المستنصر الحفصي على هذه السفارة سنة (٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م) فأوفد على الأمير يعقوب بن عبد الحق كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاني في وفد من مشيخة الموحدين ومعهم هدية عظيمة للأمير المريني (٦١) .

وظل المرينيون خاضعين لهذه التبعية حتى بعد فتحهم لمراكش واسقاطهم لدولة الموحدين ، فالزركشي يروى أنه في سنة « ثمان وستين وستمائة قرئت بيعة صاحب المغرب الأقصى الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر » (٦٢) . وهذه الخطوة تمثل بعد نظر من أبي يوسف إذ أن الناس مازالوا قريبي العهد بمبادىء الموحدين ، والمرينيون مازالوا في حاجة إلى ابعاد الحفصيين عن الدخول في صراع معهم ، لأنهم ورثة هذه المبادىء الموحدية والمدافعين عنها .

وقد حرص المرينيون على إظهار أن تبعيتهم لبني حفص لم تكن تتعدى مجرد التبعية الاسمية ، وقد بدأ ذلك منذ عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب ، فعندما حاصر تلمسان خرج عليه راشد بن محمد ، فتابعته جنود السلطان حتى دخل إلى الأراضي الحفصية في إفريقية ، وهنا وقف الحفصيون في وجه القوة المرينية ، التي تتابع راشد ، وفي هذه الآونة كان هناك ثائر آخر على الحفصيين لاذ بالفرار إلى بلاط المرينيين سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) وهو عثمان ابن سباع بن دريد ، اتخذ من تعكر صفو الأحوال بين المرينيين والحفصيين سبيلا إلى دعوة بني مرين إلى احتلال بجاية التي كانت ضمن أملاك الحفصيين ، واستجاب السلطان يوسف إلى هذه الدعوة ، وكانت استجابته هذه بمثابة إعلان . بنهاية تبعية المرينيين الاسمية لبني حفص . وأصدر السلطان يوسف بن يعقوب أوامره إلى أخيه الأمير أبي يحيى بالتوجه للاستيلاء على بجاية . ونجح الأمير أبو يحيى في مهمته ، ودخل بجاية وسيطر عليها ، وخرب روض السلطان الحفصي بها المسمى بالبديع وكان من آنق الرياض واحفلها . وتوقف أبو يحيى عند هذا الحد وعاد أدراجه من حيث أتى (٦٣) .

وقد انعكس أثر هذه الأحداث على سلوك الحفصيين بعد ذلك إذ حرصوا على تحسين علاقاتهم بالمرينيين ففى سنة (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) أوفد سلطان تونس الحفصى الملقب بأبى عصيدة بن يحيى الواثق على السلطان المرينى يوسف بن يعقوب « محمد بن أكازير عاقدا أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقررا سوابق السلف » (٦٤) وتعددت سفارات الحفصيين بعد ذلك وقد أجملها ابن خلدون بقوله : « وناغاه (السلطان يوسف بن يعقوب) الأمير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك ، وبر السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن أكازير سنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يزريكن فى وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامى وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عثيمن ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان فى تكرمتهم ماشاء ووصلهم إلى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونمقت فملأ قلوبهم جلالا وعظمة ثم بعثهم إلى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز إلى عمال المغرب بالاستبلاغ فى تكرمتهم وإتحافهم » (٦٥) .

وقد أدى التحسن فى العلاقات على هذا النحو إلى توطيدها مما دعى السلطان يوسف ابن يعقوب إلى الاستعانة بالأسطول الحفصى لإحكام الحصار حول تلمسان ، وقد لقى أفراد الأسطول الحفصى مبرة كبيرة من عامل وهران المرينى بناء على الأوامر التي صدرت إليه من السلطان المرينى فى هذا الشأن (٦٦) .

٢ – مرحلة السيطرة المرينية على الحفصيين :

وهذه المرحلة بدأت بمقدمات ظهرت أولا طبيعية عندما طلب السلطان أبو يحيى بن أبى زكريا الحفصى معاونة السلطان أبى سعيد عثمان المرينى ، لدفع خطر بنى عبد الواد الذين اقتحموا تونس ونصبوا على ملك الحفصيين محمد بن عمران أحد عملائهم (٦٧) . ولكن الحفصيين نجحوا فى استعادة عاصمتهم تونس قبل وصول المدد المرينى ، وقد وجد السلطان أبو سعيد المرينى فى هذا التقارب بين الدولتين فرصة لتقوية العلاقات بينهما ، فأرسل فى خطبة ابنة السلطان الحفصى أبى يحيى لولده الأمير أبى الحسن (٦٨) . ورغم أن أحدا من المؤرخين لم يفصح عن نوايا المرينيين الحقيقية فى ذلك الوقت من وراء هذه المصاهرة ، إلا أنها كانت على كل حال إضعافا لموقف بنى زيان فى المغرب الأوسط ، بل أنها أودت بعرشهم فى النهاية لأن الضربات التى وجهها أبو الحسن المرينى إلى المغرب الأوسط كان من أسبابها الانتقام لأصهاره الحفصيين ، وتأمين بلادهم من خطر بنى عبد الواد (٦٩) – وقد شعر أبو الحسن بأهمية ارتباطه بمصاهرة الحفصيين فى افريقية ، ولذلك كان أصراره على مصاهرتهم مرة ثانية ، بعد

أن فقد زوجته الحفصية الأولى فاطمة بنت أبى يحيى الحفصى فى موقعة طريف (٧٠) . ورغم تردد الحفصيين فى قبول مصاهرة أبى الحسن مرة ثانية ، إلا أنهم اضطروا إلى قبولها ويبدوا أن ذلك كان رغماً عنهم ، وساقها السلطان الحفصى إلى أبى الحسن كما يقول القلقشندى سوق الأمة (٧١) .

وقد ربطت علاقة المصاهرة بين الدولتين المرينية والحفصية برباط قوى ومتين ودليل ذلك أن السلطان أبا يحيى الحفصى جعل السلطان أبا الحسن المرينى فى منزلة الوصى على العرش الحفصى عند وفاته ، فحين كتب السلطان الحفصى وثيقة ولاية العهد لابنه أبى العباس أحمد ، جعل صهره أبا الحسن الضامن لالتزام سائر الأمراء الحفصيين بتنفيذ الوثيقة (٧٢) ، وكان خلاف الأمراء الحفصيين بعد وفاة أبى يحيى الحفصى ومقتل الأمير أبى العباس أحمد - ولى العهد الشرعى بيد أخيه الأمير أبى حفص عمر فى رمضان سنة (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) (٧٣) - سبيلا إلى تدخل أبى الحسن فى إفريقية ومبررا لتنفيذ كل مشروعات التوسع المرينية التى كانت علاقة المصاهرة هذه تحول دون إتمامها .

وإذا كانت عمليات التوسع المرينية فى إفريقية من الأسباب التى أودت بحكم أبى الحسن المرينى ، فأنها حولت العلاقات المرينية الحفصية من علاقات يسودها جو الود والإخاء إلى علاقات عدائية ، يقف فيها كل طرف من الطرفين للآخر موقف المتربص ، رغم ترحيب كثير من أمراء البيت الحفصى أول الأمر بحركة أبى الحسن نحو إفريقية . وقد تم الاحتلال المرينى لمعظم بلاد إفريقية على فترتين الأولى كانت من سنة (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) إلى سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) خلال عهد السلطان أبى الحسن ، والثانية من سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) إلى سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) خلال عهد السلطان أبى عنان . وقد استوفى البحث دراسة هاتين الفترتين فى الفصل الثانى (٧٤) . وبوفاة أبى عنان وانتقال الدولة المرينية إلى عصر نفوذ الوزراء دخلت العلاقات المرينية الحفصية مرحلة جديدة من العلاقات تختلف عما كان فى المرحلتين السابقتين .

٣ - مرحلة العلاقات الودية بين المرينيين والحفصيين :

أثرت الأحداث التى شغلت المرينيين بعد وفاة السلطان أبى عنان - سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) - على جو العلاقات بين المرينيين والحفصيين ، إذ أخذت تسير فى اتجاه جديد يقوم على الود المتبادل بين الدولتين ، وساعد على ذلك ما كان قائما من خلافات حادة بين أبناء البيت المرينى وصراع للوصول إلى العرش ففى سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) أطلق منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الحق المرينى سراح أبى العباس الحفصى صاحب قسنطينة - وكانت قسنطينة هى آخر ماتبقى للمرينيين فى إفريقية (٧٥) .

وقد صادف خروج أبي العباس الحفصي من سجنه بسبتة ، نزول الأمير أبي سالم بن أبي الحسن في جبل الصفيحة على طريق سبتة لطلب العرش المريني ، بعد وفاة أخيه أبي عنان (٧٦) . وقد التقى الأميران ، وطلب أبو سالم من أبي العباس الإقامة معه ، لمعاونته في مهمته ، وفي مقابل ماقدمه أبو العباس الحفصي للأمير أبي سالم من مساعدات حتى اعتلى عرش الدولة المرينية ، وجه أبو سالم - باعتباره سلطان بني مرين الجديد - الأمير أبا العباس الحفصي إلى قسنطينة ومعه كتاب لمنصور ابن الحاج خلوف عامل قسنطينة المريني ، وتضمن هذا الكتاب أمرا له بأن يتنازل عن المدينة ويسلمها لأبي العباس الحفصي (٧٧) . وبهذا استعاد الحفصيون آخر ماكان في أيدى المرينيين من أملاكهم في افريقية ، وبدأوا مع المرينيين صفحة جديدة من العلاقات الودية .

ويبدوا أن العلاقات الودية استمرت بين المرينيين والحفصيين طيلة فترة حكم السلطان الحفصي أبي العباس أحمد الذى توفي في شعبان سنة (٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م) ، إذ لايوجد في المصادر ما يشير إلى تعكر صفو هذه العلاقات (٧٨) . حتى إذا كانت سنة (٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م) وصل إلى البلاط المريني ثائر حفصي وهو أبو عبد الله محمد ، يطلب معاونة السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز ضد السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز وقد استجاب السلطان المريني إلى نداء ذلك الثائر ، وأرسل معه حملة من جند بني مرين (٧٩) . ولكن هذه القوات المرينية مالبثت أن عادت إلى المغرب الأقصى ، بأمر من الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد ، وذلك بعد أن وصل هذا الأمير إلى مسافة قريبة من مدينة بجاية ، وانضم إليه عندها عرب افريقية ، ورأى كثرتهم فأغراه ذلك بالاستغناء عن القوة المرينية (٨٠) . وقد أوقعت هذه التطورات العلاقات المرينية الحفصية في جو من التوتر ، فبعد أن نجح السلطان أبو فارس عبد العزيز في القضاء على الثائر عليه أبي عبد الله محمد ، قطع رأسه وبعث بها سرا مع رجل « من رجال الطريق يقال له المحمصي إلى مدينة فاس فعلقه ليلا بباب المحروق بها ، فأصبح أهل فاس يتواورونه » (٨١) .

ويشير ابن القنفذ إلى تحسين العلاقات ثانية بين الطرفين ففي سنة (٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) وصل إلى البلاط الحفصي بعض الرسل يحملون هدية من السلطان المريني أبي سعيد عثمان المريني (٨٢) . ورغم ذلك فان السلطان الحفصي أبا فارس عبد العزيز قام بحركته التى استولى فيها على تلمسان والمغرب الأوسط سنة (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م) (٨٣) . حرص على التوجه بقواته نحو فاس لاخضاعها هي الأخرى لمناطق نفوذه ، وما أن اقترب من فاس ، ولم يبق بينه وبينها إلا مسيرة يومين حتى وجه إليه « صاحب فاس (أبو سعيد عثمان) إن البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ماتآمروننا به نمتثله . فقبل السلطان أبو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة » (٨٤) . ويروى

الزركشي أيضا أن السلطان أبا فارس الحفصي لحقته بعد أن عاد إلى تونس بيعة صاحب فاس (٨٥) . ويعزى هذا الولاء المريني للسلطان الحفصي إلى ماكان يعانيه المرينيون من ضعف شديد فى هذه الفترة من تاريخ دولتهم .

وظلت علاقة الولاء تحكم جو العلاقات بين الدولتين حتى نهاية حكم المرينيين فى بلاد المغرب ، فيروى الزركشي أنه فى سنة (٨٦٤ هـ / ١٤٥٩ م) أرسل السلطان عبد الحق المرينى – آخر سلاطين بنى مرين – هدية عظيمة إلى السلطان الحفصي ، وكان الرسول المرينى الذى يحمل هذه الهدية بصحبة الفقيه أحمد البنزرتى ، وقد أنزل الحفصيون هذا الرسول فى دار عظيمة ، وأجريت له الأرزاق إلى أن أدخل بهديته على السلطان الحفصى (٨٦) .

مما لاشك فيه أن العلاقات الاقتصادية بين بنى مرين والحفصيين كانت تتأثر إلى حد كبير بالأوضاع السياسية بين المرينيين وبنى عبد الواد ، فهذه العلاقات كانت تنشط فى تلك الفترات التى كان يسود فيها السلم بين بنى عبد الواد والمرينيين ، أو فى الفترات التى كان المرينيون يحتلون فيها المغرب الأوسط ، ففى هذه الفترات يصبح الطريق مأمونا أمام القوافل التجارية ، وكانت قوافل الحج المتجهة إلى مصر والمشرق العربى تقوم بدور رئيسى فى هذا النشاط الاقتصادى بين إفريقية الحفصية والمغرب الأقصى فى العهد المرينى ولذلك حرص المرينيون دائما على تثبيت أقدامهم فى المغرب الأوسط .

ولم تتأثر العلاقات الثقافية بين المرينيين والحفصيين كثيرا بالأوضاع السياسية ، وقد زادت إلى حد كبير فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، ولا أدل على ذلك من أن أبا الحسن عندما رحل من إفريقية أثر فشله هناك ، اصطحب معه فى سفنه التى أقلع بها من إفريقية نحوا من أربعمائة عالم منهم السطى وابن الصباغ (٨٧) ، وكان تنقل العلماء بين إفريقية والمغرب الأقصى يتم فى سهولة ويسر دون أن يعترض حركتهم فى سبيل العلم معترض ، فابن مرزوق الخطيب بعد أن ضاقت به الأحوال فى الدولة المرينية رحل إلى تونس فى رمضان سنة (٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م) فلقى فى هذه المدينة المبرة والكرامة ويذكر المقرى أن ابن مرزوق قال : « ووليت خطابة جامع ملكها وتدريس أم المدارس فيها وهى المعروفة بمدرسة الشماعين كل ذلك تحت رعاية وعناية وملازمة لمجلس ملكها إلى أن توفى سنة إحدى وسبعين ثم مع ولده وابن أخيه » (٨٨) .

ثالثا : علاقة المرينيين ببنى عبد الواد (٨٩) :

كانت العلاقة بين المرينيين وبنى عبد الواد فى المغرب الأوسط عدائية ، لم تشهد طيلة قيام المرينيين فى بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدا من السلام بين الدولتين ، وفى أغلب الأحوال كان ذلك السلام مفروضا على بنى عبد الواد ، فإذا ما واتتهم الفرصة لنقضه سارعوا

إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء . وقد مرت هذه العلاقات بينهما فى المراحل التالية :

أولا : مرحلة الصراع قبل قيام الدولة المرينية :

عداء بنى مرين وبنى عبد الواد عداء قديم له جذوره الضاربة فى أعماق التاريخ ، فبنو عبد الواد بطن من بطون بنى يادين الخمسة ، وبنو يادين هؤلاء كانوا فى صراع دائم مع بنى مرين ، وكانت الغلبة دائما لبنى يادين لكثرة عددهم ، حتى اضطر المرينيون إلى الإقامة بصفة دائمة فى مجالات القفر فى المغرب الأوسط متنقلين بها (٩٠) . وبعد زوال دولة المرابطين ، وانتقال زمام الأمور إلى الموحدين ، أصبح بنو عبد الواد من أخلص أتباع الموحدين فى المغرب الأوسط ، ولم يرض المرينيون أول الأمر بأن يكونوا أتباعاً للموحدين كبنى عبد الواد ، بل أظهروا عدم الرضا بهم ، وكان ذلك عندما خرج المخضب - شيخ بنى مرين - لاعتراض قافلة الموحدين التى كانت تحمل أموال لمتونة التى غنمها عبد المؤمن بن على بعد استيلائه على وهران ، وكان عبد المؤمن قد وجه هذه القافلة إلى تينمال لتكون فى مأمن حيث كانت داره هناك . ولما علم عبد المؤمن بن على بخروج المخضب للاستيلاء على الأموال ، استنفر أنصاره من زناتة وعلى رأسهم بنى عبد الواد لحرب بنى مرين ، وكان لقاء بنى عبد الواد ومن معهم ببنى مرين عند فحص حسبون ، وهناك ألحقوا بالمرينيين هزيمة فادحة وقتلوا المخضب وبعثوا برأسه إلى عبد المؤمن بن علِى ، وكان ذلك فى سنة (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) (٩١) . ولاشك أن المرينيين كانوا يشعرون بالمرارة مما يلقونه من بنى عبد الواد أبناء عمومتهم ، وتصاعدت موجة العداء بين الطرفين إلى درجة أن ا لمرينيين رحلوا من المغرب الأوسط فى سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) ، فى أعقاب حرب دارت بين بنى مرين وبنى عبد الواد بسبب امرأة كما يقول صاحب الذخيرة السنية ، واستقر المرينيون بعد رحيلهم هناك عند مدخل المغرب الأقصى ، وبالتحديد عند الجبل المطل على وادى ملوية ، والذى يفصل بلاد المغرب عن بلاد الصحراء وظلوا هناك حتى دخلوا المغرب سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) (٩٢) .

هذه الأحداث كان لها أثرها فى تأصيل العداء بين المرينيين وبنى عبد الواد ، وقد استغل الموحدون هذا العداء فى أثناء الصراع الذى دار بينهم وبين بنى مرين ، والذى استمر منذ دخول بنى مرين إلى المغرب الأقصى فى سنة (٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) وحتى سقوط دولة الموحدين سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) .

وكانت أول صور التحالف بين الموحدين وبنى عبد الواد ، عندما تحالف يغمراسن بن زيان مع السعيد الموحدى وبنى عسكر ، ولكن الأمير أبا يحيى المرينى نجح فى

فض هذا التحالف سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) (٩٣) . وعاود بنو عبد الواد تحالفهم مع الموحدين ضد بنى مرين عندما استنجد المرتضى الموحدى بيغمراسن بن زيان ، لتدعيم موقف الثوار الذين ثاروا ضد بنى مرين فى فاس ، فخف يغمراسن إلى مواجهة رباط تازى ، لشغل الأمير أبى يحيى عما يدور فى فاس .

ولكن الأمير أبا يحيى تدارك الموقف ولاحق يغمراسن حتى ألحق به هزيمة فادحة عند أيسلى (٩٤) . وتحالف يغمراسن بن زيان أيضا مع آخر سلاطين الموحدين أبى دبوس ، وحملت رسالته إلى أبى دبوس كل ماتكنه نفسه من عداء صارخ لبنى مرين فقال له : « إياك أن تطمع بنو مرين فيما لديك فأنا أكفيك شرهم وأنا وأنت يد واحدة فى حربهم » (٩٥) . وقام يغمراسن بتنفيذ وعده لأبى دبوس ، فشن غارات كثيفة على أطراف المغرب الأقصى وخاصة إقليم ملوية ، ليخفف من قسوة الحصار الذى ضربه الأمير يعقوب بن عبد الحق حول أبى دبوس فى مراكش (٩٦) . وقد دفع هذا بيعقوب بن عبد الحق إلى توجيه ضربة انتقامية إلى يغمراسن بن زيان ، فهزمه يعقوب بن عبد الحق وقتل ابنه أبا حفص عمر عندما التقى المرينيون ببنى عبد الواد عند وادى تلاغ (٩٧) . وعلا نجم بنى مرين بانتصارهم على أعدائهم الموحدين وخصومهم بنى عبد الواد (٩٨) .

ثانيا : حملات المرينيين التأديبية لبنى عبد الواد :

وفى مطلع هذه المرحلة سنة (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) ، مد المرينيون ايديهم إلى بنى عبد الواد ، يطلبون الصلح معهم ، ليتفرغوا للعمل ضد النصارى فى الميدان الأندلسى ، ولكن يغمراسن رفض الصلح وأصر على موقفه العدائى من بنى مرين (٩٩) . وأمام هذا الوضع اضطر أبو يوسف إلى تلقين خصمه العنيد يغمراسن بن زيان درسا قاسيا ، فقاد حملة هزمه بها عند أيسيل ، وحاصر عاصمته تلمسان والحق بنواحيها أضرارا بالغة (١٠٠) . ورغم هذه الأحداث فقد أصر السلطان أبو يوسف يعقوب على التصالح مع بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط قبل عبوره الأول إلى الأندلس ، فأرسل السلطان أبو يوسف حفيده تاشفين بن عبد الواحد فى وفد من بنى مرين « لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم (يغمراسن) موصله وموصل قومه وبادر إلى الإجابة والألفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام » (١٠١) .

لم يدم هذا الصلح طويلا ، فما لبثت أن استيقظت كوامن العداء فى نفس يغمراسن بن زيان ضد بنى مرين ، حين دعاه ابن الأحمر سلطان غرناطه ، إلى التحالف معه ضد أبى يوسف ، وجرى الاتفاق بينهما على أن يقوم يغمراسن بشن الغارات على الحدود الشرقية

للدولة المرينية ، لصرف أبى يوسف عن العبور لثالث مرة إلى الأندلس (١٠٢) . وكان نقض هذا الصلح سببا فى قيام أبى يوسف بحملة تأديبية لبنى عبد الواد هزم فيها يغمراسن بن زيان عند موضع يعرف بالملعب بالقرب من تلمسان سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) (١٠٣) .

والذى يلفت النظر فى هذه المرحلة أن المرينيين كانوا لا يوجهون حملاتهم إلى المغرب الأوسط ، إلا عندما يستفزهم بنو عبد الواد ، بالاعتداء على الحدود المرينية ، أو بالتحالف مع أعداء المرينيين فى بلاد الأندلس ، أو عند ايوائهم للخارجين عليهم ، ففى سنة (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) جرد السلطان أبو يعقوب يوسف حملة لتأديب بنى عبد الواد لايوائهم محمد بن عطوا الثائر فى مراكش على السلطان أبى يوسف – ورفضهم تسليمه إلى السلطات المرينية وقد حاصرت هذه الحملة تلمسان ستة عشر يوما وألحقت بنواحيها اضرارا بالغة (١٠٤) .

ووصلت الحملات التأديبية لبنى عبد الواد إلى ذروتها فى سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) ، عندما حاصر السلطان أبو يعقوب يوسف تلمسان ، طيلة سبع سنوات كاملة ذاق فيها بنو عبد الواد مرارة الحصار (١٠٥) . وتدخل القدر فى إنقاذهم بمقتل السلطان أبى يعقوب يوسف . وانسحاب المرينيين من المغرب الأوسط على أثر اتفاق تم بين بنى عبد الواد وسلطان بنى مرين الجديد أبى ثابت (١٠٦) .

وكانت آخر الحملات التأديبية التى لقنها المرينيون لبنى عبد الواد ، تلك التى قام بها السلطان أبو سعيد المرينى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (١٠٧) .

وكان سببها نقض بنى عبد الواد لاتفاقهم الذى أبرموه مع السلطان أبى الربيع ، والذى بمقتضاه ، يقوم بنو عبد الواد بتسلم الثائرين عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاس ، إلى بنى مرين ، وقام سلطان بنى عبد الواد أبو حمو بتسهيل فرارهما إلى الأندلس (١٠٨) .

ثالثا : مرحلة التبعية للمرينيين :

فشل السلطان أبو الحسن المرينى – الذى خلف والده السلطان أبا سعيد المرينى سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) – فى الاتفاق مع بنى عبد الواد على صيغة للتعايش السلمى وحسن الجوار بين القوى الثلاث فى بلاد المغرب ، المرينيون والحفصيون وبنو عبد الواد ، وجاءت هذه الجهود لأبى الحسن بعد قيام بنى عبد الواد باحتلال أجزاء من ممتلكات الحفصيين أصهار أبى الحسن ، وعاد بنو عبد الواد إلى أسلوبهم القديم فى التعامل مع بنى مرين فأساء أبو تاشفين سلطان بنى عبد الواد الرد على رسل أبى الحسن الذين وفدوا عليه لعرض

هذه الصيغة ، ولاحقهم جماعة من سفهاء العبيد فى البلاط العبد الوادى بنفس الردود السيئة . وقد فجرت هذه الأحداث تطلعات أبى الحسن ورغباته فى التوسع فى المغرب الأوسط لأن توسعه سيؤمن ظهره فى أثناء قيامه بالجهاد فى الميدان الأندلسى لذا رأى أن يتخلص نهائيا من بنى عبد الواد (١٠٩) .

وفى سنة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) ، قام السلطان أبو الحسن بغزو شامل للمغرب الأوسط ، وتمكن من اقتحام تلمسان ، وقتل أبى تاشفين سلطان بنى عبد الواد (١١٠) . وتلاشت دولتهم ، وأصبح المغرب الأوسط إقليما من أقاليم الدولة المرينية ، تجرى عليه نفس القواعد الإدارية المعمول بها فى سائر أرجاء الدولة المرينية ، وحرص السلطان أبو الحسن فى غمرة هذه الأحداث على تقوية علاقته ببنى عبد الواد ، وأهالى المغرب الأوسط لإشعارهم بمكانتهم من الإدارة الجديدة ، وتمثل ذلك فى معاملته لأهل تلمسان ، فشملهم بعطفه ، وأبقاهم فى مناصبهم وامتيازاتهم ، وكفل أبناء أبى تاشفين الصغار ، وأنزلهم فى قصوره ، واستعمل منهم فى جيشه من توسم فيه الكفاءة والشجاعة منهم (١١١) ، ويتحدث ابن مرزوق عما بذله أبو الحسن من أموال ومتاع لاسترضاء أهل تلمسان بعد الفتح فيقول : « وشهدت خروج أهل تلمسان إليه (أبى الحسن) بعد عفوه عنهم وخروجهم تحت حكمه فأعطاهم ألف فرس من عتاق الخيل بجهازاتها ومهنداتها والكسى المناسبة والجهازات مابين مدجج ومذهب ومفضض ومنيل بالذهب والفضة ومسطح وهو القليل والكسى منها هو بالتفاصيل المكتب وغير المكتب ومنها بالقباطى المختلفة ومنها بالخز الرفيع وبغالى المال والمهندات منها الذهبى ومنها الفضى على حسب المناسب والمناصب وأعطى الضعفاء أهل تلمسان اثنى عشر ألف دينار من الذهب واثنى عشر ألف كساء ومن الطعام مطامير لاتحصى كثرة هذا شهدته وشهدت بعضه عدا ما وصل لكبار أهلها من الفقهاء والصلحاء والكتاب وذوى الوجاهة من الناس » (١١٢) .

ورغم هذا ظل بنو عبد الواد يضمرون العداء لبنى مرين ، وخاصة هؤلاء الذين ضمهم أبو الحسن المرينى إلى جيشه العامل فى إفريقية ، واستطاع هذا النفر من بنى عبد الواد توجيه ضربتهم إلى أبى الحسن فى الوقت المناسب بانسحابهم من أرض المعركة التى دارت بين أبى الحسن والقبائل العربية بالقرب من القيروان سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (١١٣) . وفى نفس السنة تمكنت هذه الجماعات من بنى عبد الواد من إحياء دولة بنى عبد الواد من جديد ، باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان (١١٤) . وقد استفاد بنو عبد الواد فى تدعيم موقفهم فى المغرب الأوسط باستغلال الصراع بين أبى الحسن وولده أبى عنان ، وقد سمح لهم أبو عنان بالاستفادة من هذا الصراع إلى أقصى حد ممكن من خلال اتفاق تم بينه وبينهم (١١٥) . ولكن أبا عنان بعد وفاة أبى

الحسن واستقرار وضعه فى المغرب الأقصى استعاد ، المغرب الأوسط مرة ثانية إلى النفوذ المرينى سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) (١١٦) . وسارت الأمور على هذه الحالة من التبعية الكاملة لبنى مرين حتى وفاة السلطان أبى عنان المرينى سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) وظل بنو عبد الواد خلال عصر نفوذ الوزراء - الذى اعقب وفاة أبى عنان وحتى سقوط الدولة المرينية - على عدائهم لبنى مرين ، وخلال هذه الحقبة من تاريخ الدولة المرينية اضطر المرينيون أمام عداء بنى عبد الواد إلى معاودة احتلال المغرب الأوسط مرتين الأولى خلال عهد السلطان عبد العزيز المرينى سنة (٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م) (١١٧) . والثانية فى عهد السلطان أبى العباس أحمد سنة (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) (١١٨) .

ومما يلفت النظر أن المرينيين خلال فترات الاحتلال السابقة ، اعتبروا المغرب الأوسط جزءا من الدولة المرينية ، ولا أدل على ذلك من أن تلمسان والمنصورة أصبحتا طيلة إحدى عشرة سنة مقرا للحكومة المرينية يمارس منها أبو الحسن تسيير دفة الأمور فى المغربين الأوسط والأقصى (١١٩) . وقد كانت هذه السنوات ، سنوات خير وبركة على المغرب الأوسط ، الذى نال من المرينيين عناية كبيرة ، فأنشأوا المدارس والمساجد والقصور كقصر النصر بالمنصورة ، ومسجدها الأعظم بمئذنته الضخمة ، وقد شيدهما أبو الحسن المرينى (١٢٠) . كما شيد أبو الحسن أيضا مدرسة بقرية العباد خارج تلمسان ، وحذا حذوه ابنه أبو عنان فابتنى مدرسة أخرى إلى جوار ضريح الوالى الصالح أبى عبد الله الشوذى الإشبيلى الملقب بالحَلوى ، بناها السلطان أبو عنان المرينى سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) (١٢١) . واهتم المرينيون كثيرا بمجالس العلم ونشر التعليم ، ومجالس أبى الحسن مشهورة بتلمسان والتى ضمت كثيرا من العلماء والأدباء (١٢٢) . وأغرت كثيرا من طلبة العلم بالرحيل إلى فاس بعد ذلك لتلقى العلم على أئمتها وعلمائها ، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد السلوى الذى أصبح رائدا علميا فى بلاد المغرب الأوسط ، حيث أسس له أبو تاشفين بن أبى حمو الزيانى مدرسة يدرس بها ماحصله من علوم فى فاس (١٢٣) . كما اهتم المرينيون باعادة تعمير مدينة المنصورة التى سبق أنشاؤها قبل ذلك بالقرب من تلمسان فى عهد السلطان أبى يعقوب يوسف (١٢٤) .

رابعا : علاقة المرينيين بالسودان الغربى :

ارتبطت الدولة المرينية ببلاد السوادن الغربى بأوثق الروابط وامتن العلاقات الودية ، وكانت امبراطورية مالى الكبرى تمثل أكبر الوحدات السياسية القائمة فى بلاد السودان الغربى أيام بنى مرين (١٢٥) . وتقع مالى بين بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسى غربا وجبال البربر شمالا (١٢٦) . وقد حدد ابن خلدون المسافة التى تفصل بين هذه الإمبراطورية ، وبين آخر حدود الدولة المرينية المتاخمة للصحراء بمائة مرحلة (١٢٧) .

وقد ارتبطت الدولة المرينية بدولة مالى الكبرى عن طريق الطرق والمسالك التى تربط بلاد المغرب الأقصى ببلاد السودان الغربى ، وهذه الطرق تخرج من بلاد السوس الأقصى إلى مصب نهر السنغال ، أو من جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوبا (١٢٨) ، وهناك طريق آخر ، وهو الطريق الصحراوى الذى سلكه الرحالة ابن بطوطة ، والذى يبدأ من سجلماسة ، ويمر بينغازى ، وتاسر هلا ثم ايوالاتن وهى أول عمالات السودان (١٢٩) .

وبلاد السودان تتجه جغرافيا نحو المغرب لصعوبة اتصالها بأية منطقة أخرى مجاورة ، وقد عبر عن هذه الحقيقة أحد الجغرافيين القدامى فيما نقله الدكتور صلاح الدين المنجد ، قال : « وليس لها (بلاد السودان) اتصال بشىء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب ، لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم » (١٣٠) . ومن هذه العلاقة الطبيعية الوطيدة بين بلاد السودان الغربى ، وبلاد المغرب نبعت العلاقات القوية ، بين الدولة المرينية ودولة مالى فى بلاد السودان الغربى ، ووصلت هذه العلاقات إلى درجة كبيرة من الازدهار والنمو لم تصل إليها من قبل فى العهود السابقة ، حيث أعطى انتشار الإسلام فى بلاد السودان الغربى — وبخاصة دولة مالى — مركزا ثابتا إزاء الدولة المرينية وتجارتها (١٣١) .

وجاءت أول إشارة للعلاقات السياسية بين بنى مرين ومالى خلال عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، حين أرسل إليه سلطان مالى منسا موسى سفارة ترأسها فرافقيس — أحد رجال البلاط المالى —.ومعه أحد المترجمين من الملثمين من صنهاجة ، وكان هدف هذه السفارة التهنئة بانتصار السلطان أبى الحسن ، واستيلائه على المغرب الأوسط (١٣٢) ، وفى الحقيقة أن منسا موسى كان أول من اخترق الستار الحديدى للحاجز اللونى الذى كثيرا ما أبعد أهل بلاد السودان الغربى عن العالم المتمدين (١٣٣) .

وقد بالغ السلطان أبو الحسن فى استقبال الوفد المالى والاحتفاء به ، ورد على هذه السفارة ، بسفارة كبيرة ظهرت فيها أبهة الملك المرينى ، حيث حملت هذه السفارة ، هدايا كثيرة إلى سلطان مالى ، تضمنت طرفا عظيمة ، « من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره وأسناها وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبى مدين ومولاه عنبر الخصى » (١٣٤) .

وقد وصلت هذه السفارة المرينية إلى مالى فى عهد منسا سليمان ابن منسا موسى ، الذى كان قد توفى منذ قليل (١٣٥) . وقد أحسن منسا سليمان إلى أعضاء الوفد المرينى وبالغ فى إكرامهم وضيافتهم ، وحتى إذا عادوا إلى بلاد المغرب أرسل منسا سليمان معهم إلى المغرب وفدا من كبار رجال مالى (١٣٦) « يعظمون سلطانه (أبا الحسن المرينى) ويوجبون

حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتنائه فى مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه » (١٣٧) .

وقد أحدثت وفاة السلطان أبى الحسن دوياً هائلا فى بلاط مالى ، حيث أعلن بها مايشبه الحداد الرسمى لوفاته ، وجلس منسا سليمان بنفسه لتقبل العزاء ووزع الطعام على القادمين لتقديم العزاء للسلطان ، وابن بطوطه الذى زار مالى فى ذلك الوقت يصف ذلك الموقف فيروى : « أنه (منسا سليمان) صنع طعاما برسم عزاء مولانا أبى الحسن رضى الله عنه واستدعى الأمراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم فأتوا بالربعات ، وختم القرآن ودعوا لمولانا أبى الحسن رحمه الله ودعوا لمنسا سليمان » (١٣٨) .

وابن بطوطة قام بزيارة مالى بناء على رغبة من السلطان أبى عنان المرينى ، ويرى البعض أن الهدف الحقيقى وراء رحلة ابن بطوطة إلى مالى ، هو القيام بدراسة عملية للطرق التجارية التى تربط الدولة المرينية بمالى ، والوقوف على الحجم الحقيقى لتجارة الذهب المتبادلة بين ولايات النيجر (مالى) وبين مصر ، وذلك للعمل على تحويل ما يستطاع تحويله منها إلى البلاد المرينية (١٣٩) . ومن ثم كانت معلومات ابن بطوطة عن التجارة وأحوالها فى هذه المناطق وفيرة وغزيره . وقد وقف ابن بطوطة على كثير من عناصر رخاء المنطقة وازدهارها فى مجالات الزراعة والتجارة (١٤٠) . وأوضح مدى التسهيلات التى يلقاها التجار المغاربة فى مالى ، ومدى ما ينعمون به من أمن واطمئنان على أموالهم ، وهذه القاعدة الأمنية الهامة أثرت كثيرا فى ازدياد النشاط التجارى بين البلاد المرينية ومالى ، ويتحدث ابن بطوطة عن ذلك بقوله : « فمن أفعالهم (أهل مالى) الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لايسامح أحدا فى شىء منه ومنها شمول الأمن فى بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقة » (١٤١) .

استمرت العلاقات الودية بين مالى وبنى مرين ، وكان تبادل الهدايا بين البلاطين شيئا يحظى باهتمام سلاطين الدولتين ، فكان منسا سليمان قبل وفاة السلطان أبى الحسن ، قد جهز هدية نفيسة لتوجيهها إلى أبى الحسن ، وصلت الهدية بالفعل إلى والات ، ولكنها اختزنت هناك نظرا لوفاة مرسلها منسا سليمان (١٤٢) . وظلت على هذه الحال حتى تولى ملك مالى منسا زاطة ، فأمر بارسال الهدية على الفور إلى السلطان أبى سالم المرينى ، وضم إلى الهدية « حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى فاس فى صفر سنة اثنين وستين » (١٤٣) . وكان يوم وصول الهدية يوما مشهودا حيث جلس السلطان ببرج الذهب لاستعراض الهدية ، وازدحم الناس لمشاهدتها ،

وأنشد الشعراء قصائدهم فى المدح والتهنئة ، « وحضر الوفد بين يدى السلطان (أبو سالم) وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية ... واستقر ذلك الوفد فى ايالة السلطان وتحت جرايته » (١٤٤) .

وصاحب هذه العلاقات السياسية الودية انتقال بعض المؤثرات والتنظيمات الإدارية المرينية إلى دولة مالى ، فكان بهذه الدولة ، الوزراء والقضاة والكتاب والدواوين ، والجيش ، الذى وصل عدد الجند فيه إلى مائة ألف كان منهم نحو عشرة آلاف من الخيالة الفرسان ، وباقيهم من الرجالة لا خيل لهم (١٤٥) .

أما العلاقات التجارية بين المرينيين ومالى فلابد وأنها سبقت العلاقات الدبلوماسية بأمد بعيد ، والمعروف أنها بدأت على المستوى الرسمى بين الدولتين فى عهد منسا موسى . وفى الحقيقة أن منسا موسى جعل لمالى إلى جانب مركزها السياسى فى شمال أفريقيا ، مركزا اقتصاديا مرموقا فى سائر أرجاء العالم ، فحين أخذ منسا موسى طريقه إلى أداء فريضة الحج عن طريق القاهرة ، أخذ معه كميات ضخمة من الذهب ، مما أثر على سعره بالهبوط فى أسواق القاهرة (١٤٦) . ورحلة الحج هذه التى قام بها منسا موسى هى التى حددت منطقة السودان الغربى على أوائل الخرائط التى رسمت لأفريقيا فى أوربا ، وقد ظهرت مالى وإمبراطوريتها فى هذه الخرائط على أنها سيدة الزنوج ، علاوة على ذلك فمالى أصبحت جزءا من العالم الإسلامى ترتبط به بأوثق الروابط وأمتن الصلات ، وبخاصة بلاد المغرب (١٤٧) . وقد دعت قوة الاقتصاد ، وضخامة حجم التجارة فى مالى هذه الروابط والعلاقات ، وبطبيعة الحال كانت التجارة من أهم العناصر التى تربط الدولة المرينية بدولة مالى ، حيث كانت القوافل القادمة من المغرب الأقصى تزور مالى بصفة منتظمة (١٤٨) . ويعتبر الملح أهم السلع التى حملتها هذه القوافل المرينية ، إذ يتعامل به أهل مالى تماما كقطع العملة ، يقول ابن بطوطة : « وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعا ويتبايعون به » (١٤٩) . ويباع حمل الجمل من الملح فى أيوالاتن – أول عمالات مالى – بعشرة مثاقيل ، وفى العاصمة مالى نفسها يتراوح ثمنه بين عشرين مثقالا وأربعين مثقالا (١٥٠) . وأصبحت فاس فى عهد بنى مرين قاعدة تجارية هامه تحفل بشتى المنتجات التى تتجهز بها القوافل التجارية المتجهة صوب بلاد السودان (١٥١) . وإلى جانب فاس كانت هناك سجلماسة ودرعة ، فمنها إلى الجنوب يهبط طريق التجارة إلى مالى (١٥٢) . وأشهر عروض المغرب التى كانت تحملها هذه القوافل المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية ، وأوانى الزجاج والفخار والخزف ذى البريق المعدنى ، والملح ، وكانت هذه القوافل تعود محملة بالذهب والعاج وجلود الحيوانات (١٥٣) . وقد تحدث ابن بطوطة عن شيوع هذه العروض المغربية ، واحتفاء أهل مالى بها كثيرا ، لارتفاع أسعارها ، واحتفاظها

بقيمتها فى سائر جهات مالى (١٥٤) . وأشهر مدن مالى التى كانت تستقبل القوافل المرينية « هى تنبكنو التى امتازت بموقع وسيط للمسافرين بطريق البر أو النهر ، واشتهرت فى ذلك الحين بتجارة التمر والملح وعروض المغرب والحنطة وجوز الكولة وتبر الذهب ... وسرعان ما أصبحت (تنبكتو) أهم أسواق السودان الغربى ولاسيما بعد انتقال سوق الذهب إليهما كما اجتذبت التجار من درعة وسوس وسجلماسة وفاس فى المغرب الأقصى » (١٥٥) .

ومارس التجار المغاربة لونا من التجارة ، وهى التجارة الصامتة ، حيث كانت الصفقات التجارية تتم بينهم وبين تجار السودان بطريقة غريبة ، فإذا جاء التجار المغاربة ، فإن أحدا من تجار السودان لايظهر لهم ، وإنما يضع المغاربة مامعهم من الملح وغيره ، ويختفون عن الأنظار ، فيأتى التجار من السودانيين فيضعون ثمن هذه الأشياء قطعا من الذهب ويختفون ، فيظهر المغاربة ، وينظرون فى كميات الذهب هذه ، فإن كانت كافية ، أخذوا الذهب وتركوا الملح وغيره وعادوا بقوافلهم ، فإذا لم يعجبهم الثمن تركوا الذهب والملح وعاودوا الاختفاء ، ويظل الأمر هكذا حتى يدفع التجار السودانيون الثمن المناسب (٧١) .

علاوة على هذه الألوان من التجارة المحلية المتبادلة بين المرينيين فى بلاد المغرب الأقصى ، وبين سكان مالى ، فقد كانت بلاد المغرب الأقصى صلة الوصل التى نفذت عن طريقها المحاصيل الأفريقية الرعوية أو الاستوائية إلى منطقة البحر المتوسط ، ومنها كانت تحمل إلى أوربا ، كما كانت سلع البحر المتوسط هى الأخرى تحمل جنوبا إلى قلب بلاد السودان عن طريق المغرب الأقصى وطن المرينيين (١٥٧) .

أما العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب الأقصى – مهد الدولة المرينية – وبين بلاد السودان الغربى ، فهى علاقة قديمة تمتد جذورها إلى قرون عديدة قبل قيام المرينيين بأعباء الحكم فى المغرب الأقصى ، وقد حمل التجار العبء الأكبر فى إيصال المؤثرات الثقافية الأولى لهذه البقاع ، وسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار وساروا معهم أو وراءهم ينشرون الإسلام ، ومعه يبثون العلم العربى والثقافة العربية الإسلامية ، حتى إن منسا موسى نفسه أصبح يجيد اللغة العربية ويلم بكثير من ألوان الثقافة العربية الإسلامية (١٥٨) . الأمر الذى جعله يفتح بلاده للاجئين من مسلمى الأندلس وعلمائهم الفارين تحت ضغط حركة الاضطهاد المسيحى حتى لقد قيل فى هذا الصدد : « ان فقد أسبانيا الإسلامية كان كسبا لأفريقية الشمالية وأفريقية السوداء » (١٥٩) .

وكانت المدن فى مالى مراكز ثقافية تذخر بالفن والثقافة الإسلامية ، إلى جانب كونها مراكز تجارية ففى هذه المدن تجمع الفقهاء والخطباء والمفسرون للقرآن الكريم من المغاربة ، وكان منهم القضاة والمدرسون ، وقد نال هؤلاء مكانة عظيمة فى بلاط سلطان مالى فلم تخلو

مجالسه السلطانية منهم ، وكانت آراؤهم محل تقدير هؤلاء السلاطين واحترامهم (١٦٠) . وقد بلغ من قوة التأثير الثقافى المغربى المرينى أن أصبح المذهب السنى المالكى هو المذهب السائد فى دولة مالى ، وذلك على غرار ما كان عليه أهل المغرب الأقصى فى عهد المرينيين ، وبطبيعة الحال كان ذلك التوافق فى المذهب من عوامل قوة العلاقات بين المرينيين وأهل مالى ، وكان يطلق على المالكية هناك فى مالى اسم (تورى) (١٦١) .

وقد انعكس ذلك على تصرفات سلاطين مالى ، فنجد سلطانا كمنسا سليمان يبنى « المساجد والجوامع والمنارات ، وأقام بها الجمع والجماعات والأذان ، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه وتفقه فى الدين (١٦٢) . وكان لذلك كله الأثر الكبير فى مناهج التعليم فى مالى ، حيث التزم أهلها من المسلمين رجالا ونساء وأطفالا ، الحرص الشديد على تعلم الفقه ، وحفظ القرآن الكريم (١٦٣) . وقد رأى ابن بطوطة – سفير السلطان أبى عنان المرينى – ذلك بنفسه خلال سفارته فى مالى ، فقد لفت نظره « مواظبتهم (أهل مالى) للصلوات والتزامهم لها فى الجماعات وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلى لكثرة الزحام ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد ... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضى يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن » (١٦٤) .

وبجانب اهتمام أهل مالى بالقرآن الكريم والفقه والعبادات الإسلامية ، كان اهتمامهم بلغة القرآن ، اللغة العربية ، التى اكتسبت مسحة من التقديس لدى مسلمى غربى أفريقيا ، فكتبت بها جميع الوثائق الرسمية لإمبراطورية مالى ، كما كانت اللغة العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية ، ولغة التجاره ، أى أنها كانت اللغة السائده (١٦٥) . أما الكتابة فى مالى ، فقد كانت تعتمد على الخط العربى ، وقد شاع ذلك فى الرسائل التى صدرت من البلاط المالى ، كتلك التى أرسلها منسا موسى إلى السلطان الناصر قلاوون فى مصر (١٦٦) . إلى جانب هذا كله ظهر التأثير المغربى الوافد من بلاد المغرب ، فى زى أهالى مالى ، وغدا هذا الزى المغربى يربط مظهرهم العام ربطا وثيقا بالمغاربة المسلمين فى الشمال ويذكر القلقشندى فى هذا الشأن أن « لباسهم عمائم بحتك مثل المغرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم فى نهاية الرقة واللطف تسمى الكميصا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج (١٦٧) .

خامسا : علاقة المرينيين ببنى الاحمر فى الأندلس (١٦٨) :

يمكن وصف العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر بأنها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب ، ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بنى الأحمر كثيرا فى نوايا بنى مرين وتطلعاتهم فى بلاد الأندلس ، ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل ، أو العداء والنفرة فى بعض الأحيان .

كان المرينيون يؤمنون بحتمية قيامهم بدور إيجابى فى الميدان الأندلسى ضد نصارى اسبانيا ، ولذلك لم تكد تمضى سبعة أشهر على انتهاء المرينيين من استكمال تأسيس دولتهم الجديدة باستيلائهم على سجلماسة فى صفر سنة (٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) (١٦٩) . حتى استجابوا للنداء الذى وجهه لهم السلطان محمد الفقيه ابن الأحمر لمعاونته فى صد زحف النصارى نحو ممتلكات المسلمين الباقية فى الأندلس (١٧٠) ، والحقيقة أن بنى الأحمر لم يجدوا أمامهم من القوى الإسلامية غير بنى مرين لتعاونهم ، ولذلك لم يحرصوا على إيجاد علاقات وثيقة بينهم وبين سائر العالم الإسلامى لانشغال سائر الأمراء المسلمين من ناحيتهم بتوطيد سلطتهم فى دولهم ، ودفع خطر المغول ، الذى كان يتهددهم ، ولذلك انحصرت أنظارهم تجاه سلاطين بنى مرين ، لقرب دولتهم منهم ، ومن ناحية أخرى لشعورهم بمكانة المرينيين العسكرية بين سائر القوى الأخرى الموجودة فى بلاد المغرب (١٧١) . وقد كشفت الأحداث للمرينيين عندما نزلوا إلى الميدان الأندلسى أن الخلافات الشخصية بين سلطان بنى الأحمر وبنى أشقيلولة – حكام مالقة ووادى آش وقمارش – ستؤدى إلى إضعاف فاعلية الجهاد المرينى فى الميدان الأندلسى ، واتضح ذلك خلال مجلس الحرب الذى ضم السلطان أبا يوسف يعقوب المرينى والسلطان محمد الفقيه وأبا محمد بن أشقيلولة ، وقد أدت هذه الخلافات إلى حدوث وحشة كبيرة كما يقول ابن الخطيب بين السلطان أبى يوسف وابن الأحمر ، انسحب ابن الأحمر على أثرها عائدا إلى غرناطة (١٧٢) . وأدت بطبيعة الحال إلى أن يخوض أبو يوسف يعقوب المرينى معاركه الأولى فى الميدان الأندلسى معتمدا على قواته التى عبرت معه من بلاد المغرب ، وعلى بنى أشقيلولة الذين أعلنوا بيعتهم له ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه (١٧٣) . وما من شك فى أن هذه الأحداث خلقت جوا من الشكوك فى نفس ابن الأحمر تجاه الوجود المرينى فى بلاد الأندلس مما أدى إلى تجمد العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر خلال العبور الأول للسلطان أبى يوسف يعقوب المرينى ، إذ ترك ابن الأحمر السلطان أبا يوسف يعمل وحده ضد النصارى .

وخلال العبور الثانى سنة (٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ، حاول السلطان أبو يوسف يعقوب إعادة جسور التفاهم بينه وبين ابن الأحمر ، لمهاجمة قرطبة ، وقد أسفر هذا التقارب

عن قهر الجيوش النصرانية وتراجعها لتتحصن بمدينة قرطبة وطلبها للصلح مع المسلمين (١٧٤) . ولبثت أبو يوسف حسن نواياه ترك لابن الأحمر إبرام معاهدة الصلح مع النصارى ، بل الأكثر من ذلك تنازل له عند عودته عن جميع ماحصلت عليه الجيوش المرينية من غنائم الحرب عند قرطبة (١٧٥) . ولكن شكوك ابن الأحمر كانت أقوى من أن تزيلها مثل هذه الأشياء ، فما لبث أن توفى أبو محمد عبد الله بن أشقيلولة ، وتنازل ولده محمد لأبى يوسف عن مالقة والغربية (١٧٦) . وقد أدى ذلك إلى تفجير الموقف بين أبى يوسف وابن الأحمر مرة ثانية ، ووصل العداء بينهما إلى الذروة ، فسعى ابن الأحمر إلى التحالف مع أعداء أبى يوسف فى الأندلس والمغرب ، فتحالف مع القشتاليين ، ويغمراسن بن زيان ، وأغرى عامل مالقة بالخروج على طاعة أبى يوسف (١٧٧) . ولكن أبا يوسف نجح فى إفشال مخططات ابن الأحمر ، واضطره إلى التراجع عن سياسته العدائية مع بنى مرين ، بعد أن رأى القشتالين ، ينفذون بأساطيلهم إلى الزقاق ، لتطويق المسلمين فى الأندلس فعاون ابن الأحمر الأسطول المرينى الذى كان يقوده الأمير يوسف بن يعقوب ، فأدى هذا التعاون إلى تحطيم الأسطول القشتالى ودخول المرينيين إلى الجزيرة الخضراء بالقوة (١٧٨) .

وأسفر التقارب الذى حدث بين أبى يوسف وابن الأحمر خلال عبور أبى يوسف الثالث إلى الأندلس عن تلاحم القوى بين المرينيين وبنى الأحمر ، خلال العبور الرابع لأبى يوسف يعقوب المرينى . حيث نجح المرينيون وبنو الأحمر فى قذف النصارى الأسبان خلف نهر الوادى الكبير وراء الخط الذى يمتد من قرطبة إلى اشبيلية وشريش كما انجلت معارك العبور الرابع عن صلح بين المسلمين والنصارى أقره كل من سلطان المغرب والأندلس وملك الأسبان (١٧٩) . ومن خلال جو التفاهم الذى ساد بين المرينيين وبنى الأحمر ، أسند السلطان ابن الأحمر قيادة الغزاة والمجاهدين المتطوعين من المغاربة فى الميدان الأندلسى إلى موسى ابن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، فكان أول من تولى هذا المنصب من ذوى القرابة لبنى مرين ، وقد لعب شيوخ الغزاة من بنى مرين دورا هاما فى تاريخ العلاقات بين بنى مرين وبنى الأحمر (١٨٠) . وكانت العاصمة غرناطة هى مقر القيادة العامة لهذه القوة المغربية وعن هذه القيادة تتفرع عدة قيادات فرعية فى مالقة ووادى آش ورندة (١٨١) .

بعد وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) حاول سلطان بنى مرين الجديد يوسف بن يعقوب ، دفع حركة الجهاد المرينى فى بلاد الأندلس إلى آفاق جديدة ، وذلك بإزالة مافى نفس سلطان غرناطة من شكوك حول الوجود المرينى فى بلاد الأندلس ، فاجتمع به عند مربالة ، واتفق الطرفان على أن يحتفظ المرينيون بمناطق محدودة من بلاد الأندلس وهى الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادى آش وأحوازها أما ماعدا ذلك فيتنازل عنه المرينيون لبنى الأحمر (١٨٢) . ورأى أبو يعقوب يوسف ضرورة نقل بنى

أشقيلولة من الأندلس إلى المغرب ، للقضاء على مشكلة كبرى طلما أظلم الجو بسببها بين بنى الأحمر وبنى مرين ، فأمر أبا الحسن ابن أبى إسحق ابن أشقيلولة بتسليم وادى آش إلى ابن الأحمر وعوضه عنها بعمالة القصر الكبير فى المغرب الأقصى له ولبنيه من بعده (١٨٣) . ورغم هذه التنازلات الكبيرة من جانب أبى يعقوب يوسف المرينى لابن الأحمر - والتى استهدف بها تقوية العلاقات مع بنى الأحمر ، حتى لايفكر القشتاليون فى مهاجمة المسلمين فى بلاد الأندلس فى غفلة من سوء العلاقات بينهما - فقد استجاب ابن الأحمر لما ردده سانشو ملك قشتالة عن خطورة تحالف ابن الأحمر مع بنى مرين . وقد أدى التحالف الجديد بين ابن الأحمر وسانشو ضد بنى مرين إلى ضياع طريف ، وستة من الحصون التى كان يملكها ابن الأحمر ، إذ رفض سانشو أن يسلم طريف إلى ابن الأحمر بعد استيلائه عليها (١٨٤) .

وقد أدرك محمد الفقيه سلطان غرناطة ، خطأ سياسته تجاه بنى مرين فعاد يطلب ودهم . فلم يتردد المرينيون فى عقد الصلح معه ، واستمرت العلاقات ودية بين المرينيين وبنى الأحمر حتى وفاة السلطان محمد الفقيه سنة (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) (١٨٥) . ورغم أن العلاقات مضت ودية فى مطلع عهد خليفته أبى عبد الله المخلوع ، إلا أنه عدل عن ذلك إلى التحالف مع هراندة ملك قشتالة (١٨٦) . بل مضى فى عدائه لبنى مرين إلى أبعد من ذلك ، حيث ألقى إلى سبتة بأحد أفراد الأسرة المرينية الطامعين فى الملك ، وهو عثمان بن أبى العلاء المرينى ، واستطاع هذا القائد بمعاونة أبى سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة من الاستيلاء على سبتة (١٨٧) . وقد أحدث هذا العمل من جانب ابن الأحمر شرخا كبيرا فى العلاقات المرينية . وطالت مدة بقاء عثمان بن أبى العلاء فى سبتة بسبب وفاة السلطان أبى يعقوب يوسف فجأة سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) ، وبعده السلطان أبى ثابت المرينى فجاة هو الآخر قبل أن يخوض مع عثمان بن أبى العلاء المعركة الفاصلة سنة (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) . وتمكن السلطان أبو الربيع سليمان المرينى من إلحاق الهزيمة بعثمان بن أبى العلاء عند علودان (١٨٨) . وفى صفر سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) تمكن القائد تاشفين بن يعقوب الوطاسى من اقتحام سبتة وإعادتها إلى حظيرة الدولة المرينية .

وشهدت الفترة التى تلت هذه الأحداث فتورا فى العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر واستمر هذا الفتور حتى اعتلاء السلطان أبى الحسن المرينى للعرش سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) حيث اقتصر العون المرينى للميدان الأندلسى على بعض الأموال والخيول فى عهد السلطان أبى الربيع (١٩٠) . بينما تجمدت العلاقات تماما بين المرينيين وبنى الأحمر فى عهد أبى سعيد عثمان المرينى ، الذى أصر على ضرورة تسليم قائد (مشيخة الغزاة) عثمان بن أبى العلاء ، الذى تسبب فى كثير من المتاعب - للأسرة المرينية الحاكمة . وكان رفض بنى الأحمر لتسليمه مبررا قويا لموقف أبى سعيد من بنى الأحمر (١٩١) .

تغير الموقف المرينى تماما فى عهد السلطان أبى الحسن ، إذ صادفت دعوة بنى الأحمر لبنى مرين لمعاونتهم فى تخفيف ضغط النصارى عنهم – رغبة قوية فى نفس أبى الحسن للجهاد فى الميدان الأندلسى ، وقد أسفرت جهود أبى الحسن فى بلاد الأندلس عن انتصارات أولية ساحقة باستيلاء المسلمين على جبل الفتح فى ذى الحجة سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) (١٩٢) . ولكن أبا الحسن منى بهزيمة فادحة عند طريف سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) (١٩٣) وقد صرفت نتائج هذه المعركة القاسية أنظار المرينيين عن القيام بأى جهد عسكرى بعد ذلك فى الميدان الأندلسى ، وساعد على ذلك أن الأوضاع الداخلية للمرينيين لم تساعدهم على القيام بأى دور إيجابى فى ذلك الميدان .

واقتصرت العلاقات فى عهد السلطان أبى عنان على العلاقات الدبلوماسية ، والتى انحصرت فى تبادل الرسائل والسفارات بين المرينيين وبنى الأحمر ، وقد كتب أكثر هذه الرسائل ، الكاتب والوزير الأندلسى المشهور لسان الدين بن الخطيب ، وقد كان يكتب هذه الرسائل على لسان سلطانه (١٩٤) . وألف كتابا سماه كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ضمنه أكثر هذه الرسائل ، والمتصفح لها يجد أنها كانت فى كثير من الأحيان تتصل بتقديم شكر سلطان بنى الأحمر على هدايا أو مساعدات أرسلها له السلطان أبو عنان المرينى ، أو رسائل رافقت هدايا سلطان بنى الأحمر إلى أبى عنان (١٩٥) . وبعض هذه الرسائل كان للتهنئة بفتح تلمسان وبجاية أو الانتصار على بعض الثائرين على أبى عنان (١٩٦) . وبعضها كان لشرح الأحوال الداخلية فى دولة قشتالة ونشوب الحرب الأهلية فيها بين أبناء البيت الحاكم ، أو لتحديد طبيعة العلاقة القائمة بين غرناطة وقشتالة (١٩٧) . ومن هذه الرسائل ماكان للشفاعة لدى أبى عنان للعفو عن بعض الشخصيات المغربية (١٩٨) . ورغم كثرة هذه الرسائل المتبادلة ، فليس بينها سوى رسالة واحدة تتضمن دعوة إلى السلطان أبى عنان المرينى لتحديد حجم الإمدادات البحرية التى يستطيع أن يقدمها للتعاون مع أسطول بنى الأحمر لحماية السواحل الأندلسية ، ويبدو من أسلوب هذه الرسالة أن أبا عنان لم يكن متحمسا لمثل هذا التعاون ولذلك يوجه السلطان يوسف الأول بن الأحمر حديثه إلى أبى عنان بقوله : « وقد كانت عادة والدكم – أزلفه الله إليه وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه – أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد ، وتعيين موضعه من سواحل البلاد . ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل فى سبيل الجهاد » (١٩٩) .

كما تبادل البلاطان السفارات ومن ذلك السفارة التى قام بها الوزير لسان الدين بن الخطيب سنة (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م) ، سفيرا عن سلطانه الغنى بالله (ابن الأحمر) إلى السلطان أبى عنان (٢٠٠) . وقد أشار المؤرخون إلى نجاح ابن الخطيب فى هذه السفارة نجاحا منقطع النظير ، ففى الجلسة التى استقبل فيها أبو عنان سفير الغنى بالله ابن الخطيب . نشد

ذلك السفير الحاذق قصيدة مدح فيها أبا عنان بقوله :

خليفة الله ساعد القدر	علاك مالاح فى الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك فى النائبات بدر دجا	لنا وفى المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس	لو لاك ما أوطنوا . ولا عمروا
ومن به مذ وصلت حبلهم	ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الأمر أنه وطن	فى غير علياك ماله وطر
وقد أهمتهم نفوسهم	فوجهونى إليك وانتظروا

واهتز أبو عنان لهذه الأبيات ، وما كان منه إلا أن أعلن استجابته لجميع المطالب التى جاء من أجلها وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم » (٢٠١) وكان فى مقدمة هذه المطالب العون الحربى لمقاومة أطماع القشتاليين (٢٠٢) . ومن السفراء الذين وفدوا إلى البلاط المرينى فى مهمة السفارة إلى أبى عنان الشيخ الخليلى وقد دارت بينه وبين أبى عنان محاورة أدبية لطيفة ذكرها صاحب نفح الطيب (٢٠٣) . ومن السفراء المغاربة الذين قاموا بالسفارة إلى بلاط بنى الأحمر الشيخ محمد بن محمد بن أبى بكر القرشى المقرى ، الذى أرسله أبو عنان فى سفارة إلى غرناطة سنة (٢٥٧ هـ / ١٣٥٦ م) (٢٠٤) .

وبعد وفاة السلطان أبى عنان ، قويت العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ، وخاصة فى عهد السلطان أبى سالم المرينى ، الذى أعطى السلطان محمد الغنى بالله ابن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب مايشبه حق اللجوء السياسى للدولة المرينية ، وذلك بعد أن تعرض سلطان غرناطة لانقلاب أطاح به فى رمضان سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) (٢٠٥) . وكان الغنى بالله قد هرب من غرناطة إثر الانقلاب إلى مدينة وادى آش ، ولما لم يستطع السيطرة على الأمور فى المدينة ، استدعاه السلطان أبو سالم المرينى ، فوصل إلى فاس فى محرم سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، وفى يوم وصوله « ركب السلطان (أبو سالم) إلى تلقيه ونزل إليه عندما سلم عليه وبالغ فى الحفاية به » (٢٠٦) . وفى نفس الوقت أرسل أبو سالم إلى السلطان إسماعيل بن الأحمر الثائر بغرناطة بشفاعته لاطلاق سراح لسان الدين بن الخطيب ، وارساله إلى المغرب ، وقد لقى السلطان اللاجىء ووزيره ابن الخطيب فى البلاط المرينى كل رعاية وتكريم ، « ففرشت له (ابن الأحمر) القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث إليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من المعلوجى وبطانته من الصنائع واحتفظ عليه رسم سلطانه فى الركب والرجل ولم يفقد من القاب ملكه إلا الاداة أدبا مع السلطان (٢٠٧) .

أما ابن الخطيب فقد عاش فى رغد من العيش فى ظل مامنحه السلطان أبو سالم المرينى من الجراية والإقطاع ، وقد أمضى ابن الخطيب فترة هذا اللجوء السياسى فى التنقل بين عمالات الدولة المرينية ، وقد نبه السلطان أبو سالم على عماله باتحاف ابن الخطيب كلما حل بهم ، فتبارى العمال فيما بينهم فى الاحتفاء به (٢٠٨) . وظل ابن الخطيب وسلطانه الغنى بالله يتمتعون فى ظل البلاط المرينى بهذه الامتيازات حتى بعد مقتل السلطان أبى سالم المرينى ، فالسلطان أبو زيان محمد بن يعقوب – الذى تولى أمر بنى مرين فى صفر سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) – أصدر مرسوما يهيىء لابن الخطيب حياة كريمة كالتى يحياها كبار رجال الدولة المرينية ، ومما جاء فى هذا المرسوم تحديد راتب شهرى لابن الخطيب بلغ خمسمائة دينار عشرية فى كل شهر ، وألا يدفع شيئا من الضرائب أو المغارم على كل ما يجلب إلى محل إقامة ابن الخطيب من الأقوات وغيرها ، أو ما يستفيده خدامه خارج المدينة وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك (٢٠٩) .

وفى الحقيقة أن اهتمام سلاطين بنى مرين بالوزير الأندلسى ابن الخطيب ، كان نابعا من مسلك ذلك الوزير السياسى تجاه المرينيين ، فقد رسم هذا الوزير سياسة خارجية ثانية لبنى الأحمر قوامها الارتباط بعجلة فاس ، ومحاولة إرضاء سلاطين بنى مرين فى كل مايطلبونه من ساسة غرناطة (٩١) ومن أمثلة جهود ابن الخطيب لإرضاء سلاطين فاس إغراء ابن الخطيب للسلطان محمد الخامس ابن الأحمر للقبض على عبد الرحمن بن أبى يغمراسن شيخ الغزاة فى الأندلس ، بتهمة التآمر ضد سلطان فاس ، وقبض أيضا على مسعود بن ماساى ، وزير السلطان عبد العزيز المرينى لنفس الغرض ، كما أن جميع المعاهدات التى كان يعقدها ابن الخطيب مع قشتالة وأراغون كان يعقدها باسم سلطانى فاس وغرناطة ، وذلك لأنه كان يهدف إلى توحيد السياسة الخارجية لكلا البلدين (٢١١) . وقد حرص ابن الخطيب على الاستمرار فى هذه السياسة حتى بعد عودته إلى منصب الوزارة فى دولة بنى الأحمر ، بعد استرجاع السلطان محمد الغنى بالله لعرشه فى غرناطة سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) (٢١٢) . وقد أدت هذه السياسة إلى نيل خصومه السياسيين منه بالدس والسعى به عند سلطانه الغنى بالله ، الأمر الذى دفع ابن الخطيب إلى الفرار للمغرب واللجوء ثانية إلى بنى مرين ، ولكنه فى هذه المرة صمم على الإقامة الدائمة فى المغرب الأقصى (٢١٣) .

هيأ البلاط المرينى لابن الخطيب الراحة التامة ، ويروى المقرى ذلك بقوله : « فقدم (ابن الخطيب) عليه (السلطان عبد العزيز المرينى) سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله من مجلسه بمحل من الأمن والغبطة ومن دولته بمكان التنويه والعزة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى ابن أبى مرين

سفيرا إلى صاحب الأندلس فى طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة » (٢١٤) .

وقد أغرى ابتعاد ابن الخطيب عن ميدان السياسة الأندلسية على هذا النحو خصومه السياسيين فى بلاط غرناطة إلى اتهام ابن الخطيب بالزندقة ، وأرسلوا إلى السلطان عبد العزيز المرينى ، يطلبون إليه إمضاء حكم الله فى ابن الخطيب (٢١٥) . ولكن السلطان عبد العزيز رد عليهم بقوله : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ، وأما أنا فلايخلص إليه بذلك أحد ماكان فى جوارى . ثم وفر الجراية والأقطاع له ولبنيه ولمن جاء من أهل الأندلس فى جملته » (٢١٦) .

وبعد وفاة السلطان عبد العزيز المرينى سار ابن الخطيب فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى القائم بأمر الدولة المرينية ، وسلطانها الصغير أبى زيان محمد السعيد ، فألف كتابا يناسب الوضع السياسى الجديد للدولة المرينية وهو المعروف باسم « أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ومايجر ذلك من شجون الكلام » (٢١٧) نزل ابن الخطيب بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأنق فى بناء المساكن ، وغرس الحدائق ، وقد حفظ له الوزير أبو بكر بن غازى كافة الامتيازات التى منحها له السلطان عبد العزيز المرينى (٢١٨) . وأصر هذا الوزير على حماية لسان الدين ابن الخطيب ، ورفض تسليمه للغنى بالله ابن الأحمر – الذى طالب بتسليم ابن الخطيب ثانية بعد وفاة السلطان عبد العزيز – وأساء أبو بكر بن غازى فى الرد على رسل ابن الأحمر (٢١٩) . وكان لذلك أثره فى مجريات الأحداث لفترة طويلة حيث دخلت العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر فى طور جديد ، مؤداه استغلال الغنى بالله ابن الأحمر لضعف بنى مرين خلال عصر نفوذ الوزراء ، للتدخل فى شئونهم الداخلية ، وكان ذلك عن طريق استغلال الأبناء المرشحين لتولى الحكم المرينى ، والموجودين تحت اشرافه ورعايته فى بلاط بن الأحمر فى الأندلس . وكان سلطان غرناطة يمارس هذه السياسة مع بنى مرين ، لاجبار سلاطينهم على السير فى فلك سياسة بنى الأحمر ، وفى حالة تذمر سلاطين بنى مرين من ذلك التدخل ، فان الغنى بالله بن الأحمر كان يدفع إلى المغرب بشخصية أخرى من أبناء البيت المرينى ، ويساندها بالمال والرجال والسلاح ، حتى تنجح هذه الشخصية فى الاستيلاء على زمام الأمور فى الدولة المرينية ، وبلغ من حرص سلاطين بنى الأحمر على هذه الشخصيات المرينية ، أنهم خلال المعاهدات التى كانوا يعقدونها مع الأراغونيين فى اسبانيا ، كانوا يحرصون على أن تتضمن نصوص هذه المعاهدات حرية بنى الأحمر فى التصرف فى الأراضى المغربية التى تؤول إليهم وكذلك الأشخاص ، ونص إحدى هذه المعاهدات يقول : « وإن اتفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة أو ناس من أهلها فيكون حكمهم فى ذلك كحكم سائر بلادنا الأندلسية » (١٠١) . وتأتى أهمية هذا النص فى

المعاهدات ، حتى لايطالب الأراغونيين بنى الأحمر بأى من هذه الشخصيات المرينية الهامة فى يوم من الأيام . وقد بدأت هذه المرحلة من العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر بعد وفاة السلطان عبد العزيز المرينى فى سنة (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ، وانتهت بوفاة السلطان محمد الغنى بالله ابن الأحمر سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) . وهذه المرحلة من العلاقات ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحياة السياسة للمرينيين ، ولذلك كان الفصل الثالث من هذا البحث شاملا لأحداث هذه المرحلة (١٢٠) .

وبعد انقضاء هذه المرحلة لم تشر المصادر الا إلى حادثتين ، عكرتا صفو العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ، خلال الفترة المتبقية من حياة الدولة المرينية ، والحادثتان تمثلان تدخلا من المرينيين فى شئون بنى الأحمر ، فالأولى منهما تتحدث عن مؤامرة دبرها السلطان أبو العباس أحمد المرينى لاغتيال أبى الحجاج يوسف الثانى سلطان غرناطة ، والثانية تحكى تآمر أهل جبل الفتح مع السلطان أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد ، ودعم هذا السلطان لثورتهم ضد بنى الأحمر بقوات مرينية يقودها الأمير عبد الله بن أبى العباس أحمد . وقد منى هذا الأخير بهزيمة فادحة ، واقتيد أسيرا إلى غرناطة ، وهناك استطاع بنو الأحمر التأثير عليه بالتوجه إلى المغرب للاستيلاء على عرش بنى مرين ، وقدموا له مايلزم لذلك من الأموال والجنود ، وقد نجح فى مهمته وسجن أخاه السلطان أبا سعيد حتى مات فى سجنه (٢٢٢) .

ومن الضرورى فى نهاية الحديث عن هذا الشوط من العلاقات بين المرينيين وبنى الأحمر ، الاشارة إلى أن المرينيين لم يحرزوا فى الميدان الأندلسى انتصارا حاسما كالذى أحرزه من قبل المرابطون فى الزلاقة أو الموحدون فى الارك ، وكان ذلك لافتقار المرينيين لتلك الامكانات التى كانت متوفرة للمرابطين والموحدين ، فقد عمل المرابطون والموحدون فى الميدان الأندلسى من خلال وحدة البلاد المغربية كلها تحت سيطرتهم ، وقد أعطى ذلك لهاتين القوتين امكانات بشرية واقتصادية هائلة ، جعلت لها تلك الوقفة الممتازة فى بلاد الأندلس . أما المرينيون فقد عملوا فى الميدان الأندلسى فى معظم الأحوال من خلال حدود دولتهم المحدودة فى المغرب الأقصى ، وطبيعى أن تكون امكانات المغرب الأقصى وحده أقل بكثير من امكانات بلاد المغرب بأكملها ، وقد حاول المرينيون التوسع لتحقيق الوحدة المغربية حتى يتمكنوا من العمل فى الميدان الأندلسى بنفس الدرجة من القوة والمجهود الذى قام به سابقوهم من المرابطين والموحدين ، ولكن هذه الجهود نفسها استغرقت كثيرا من طاقة المرنيين ، ولم تدم انتصاراتهم فى ميدان تحقيق الوحدة المغربية طويلا بحيث يتم لهم الاستفادة منها فى الميدان الأندلسى ، إذ سرعان ما تحطمت هذه الوحدة المغربية بعد قليل وعاد المرينيون إلى حدودهم القديمة داخل المغرب الأقصى .

ورغم هذا فجهد المرينيين لاينكر فى الحفاظ على بقاء الإسلام والمسلمين فى بلاد الأندلس لأقصى مدة ممكنة ، إذ كان مجرد وجود المرينيين فى العدوة المغربية أمرا يجعل نصارى أسبانيا يفكرون كثيرا قبل القيام بأى عمل عسكرى ضد المسلمين فى الأندلس ، ولو استمرت « الدولة المرينية على قوتها ، أو خلفتها مباشرة دولة قوية لتغيرت مجريات الأمور فى الأندلس » (٢٢٣) .

أما العلاقات الاقتصادية بين المرينيين وبنى الأحمر ، فلم يكن لها ذلك الازدهار والنشاط الذى كان فى أيام المرابطين والموحدين ، فطبيعى أن يقل حجم التعامل بين بلاد الأندلس والمغرب الأقصى مهد المرينيين بسبب ضياع أجزاء كبيرة من الأندلس ، كانت مدنها تتعامل فى مجال التجارة الخارجية مع بلاد المغرب الأقصى ، كإشبيلية التى كانت تصدر إلى المغرب الأقصى ، أنواعا ممتازة من التين والعنب والزيتون والقطن ، وقرطبة التى كانت تصدر معدن الزئبق ، وبلنسية التى اشتهرت بالمنسوجات التى كانت تصدرها إلى بلاد المغرب (٢٢٤) .

ومما لاشك فيه أن المرينيين أسهموا فى حركة التجارة الخارجية بينهم وبين ما تبقى للمسلمين من جهات فى بلاد الأندلس ، خاصة وأنهم كانوا يملكون أجزاء من هذه الجهات فى الجزء الجنوبى القريب من سواحلهم فى رندة وطريف والجزيرة الخضراء . وكانت سبتة وهى ميناء الاتصال الأصلى ببلاد الأندلس فى العهد المرينى محطا لقوافل العصير والحرير والكتان ، ولعل التجار المغاربة اتخذوا من هذه السلع سوقا رائجة لتصديرها إلى جهات الأندلس . (٢٢٥) كما كان المغرب الأقصى حلقة الوصل بين بلاد السودان الغربى والأندلس ، حيث حمل التجار المغاربة الذهب والصمغ إلى أسواق الأندلس ، لينتقل منها مع غيره من السلع إلى أوربا ودول حوض البحر المتوسط (٢٢٦) .

كذلك ازدهرت العلاقات الثقافية بين المرينيين فى المغرب ، وبنى الأحمر فى الأندلس ، ومما تجدر ملاحظته هنا أن العلماء والأدباء فى المغرب والأندلس لم تكن أمامهم تلك الحواجز السياسية التى تمنع تدفقهم من الأندلس إلى المغرب أو من المغرب إلى الأندلس فى العهد المرينى ، فالأديب أو العالم يتنقل هنا وهناك دون عائق أو حائل يحول بينه وبين البيئة التى يشعر أن حياته وملكاته ستنمو بها أكثر وتزداد اخصابا ، والأمثلة كثيرة ومتعددة نذكر منها ، الاديب الشاعر العالم الأندلسى الذى عاش مدة طويلة فى بلاط بنى مرين ، ابن الحاج الغرناطى ، الذى بلغ درجة عظيمة فى جودة الخط والأدب ، ورواية الحديث ، وقد عمل ضمن كتاب الانشاء سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) ، فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، وكذلك فى عهد خليفته أبى عنان (٢٢٧) . وكاتب شاعر آخر هو أبو القاسم رضوان

النجارى ، وهو من مالقة ، تولى وظيفة الانشاء بباب السلطان أبى عنان ، ودبج كثيرا من القصائد فى غرض الوصف (٢٢٨) . ومنهم أيضا الكاتب الأديب محمد بن أبى القاسم محمد ابن أحمد بن جزى الكلبى ، وهو غرناطى الأصل ، كان كاتبا للسلطان أبى الحجاج يوسف ، وارتحل من غرناطة إلى فاس حيث عاش بها فى تلك البيئة الجديدة ، وكلفه السلطان أبو عنان المرينى بكتابة رحلة ابن بطوطة ، ورصد أحداثها بأسلوبه ، فجاءت كتابته لهذه الرحلة نموذجا فنيا رائعا لأدب الرحلات فى تلك الفترة (٢٢٩) .

ومن علماء الأندلس الذين حصلوا علومهم من فاس عاصمة بنى مرين ونقلوا ما حصلوه من علوم ومعارف إلى غرناطة ، أبو العباس أحمد بن قاسم بن البقّال ، وأبو عبد الله بن البيوت المقرى ، والزاهد أبو الحسن بن أبى المولى وغيرهم ، وهؤلاء جميعا نهلوا العلم فى فاس على يد نخبة من علمائها (٢٣٠) .

وكانت الزيارات التى يقوم بها سفراء سلاطين غرناطة إلى البلاط المرينى ، تمثل فى حقيقة الأمر صلة تأثير وتأثر قوية متبادلة فى مجال العلاقات الثقافية والحياة الفكرية فى كل من الأندلس والمغرب الأقصى ، فهؤلاء السفراء كان معظمهم أدباء وعلماء ، وكان وجودهم فى البلاط المرينى ولو لوقت معين فرصة كبيرة للاحتكاك الثقافى بين العدوتين ، فابن الخطيب عندما جاء سفيرا عن سلطان غرناطة الغنى بالله بن الأحمر إلى السلطان أبى عنان المرينى ، تبادل الرسائل النثرية والقصائد الشعرية مع زملائه وأصدقائه من الأدباء والشعراء المرينيين ، ومن ذلك مادار بينه وبين الخطيب أبى عبد الله محمد بن مرزوق الذى بعث إلى ابن الخطيب رسالة من الشعر والنثر يقول فى مطلعها (٢٣١) :

يا قادما وافى بكل نجاح ... أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرى ملك الملوك فلذبها ... تنل المنى وتفز بكل سماح

فراجعه ابن الخطيب برسالة فيها الشعر والنثر أيضا مطلعها (٢٣٢) :

راحت تذكرنى كئوس الراح ... والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنها ... دل النسيم على انبلاج صباح

والتقى ابن الخطيب مع ابن خلدون أيضا ، وكان اللقاء بين الرجلين العظيمين حادثا هاما فى حياة كل منهما ، فمن خلال العلاقة الطيبة التى قامت بينهما تبادل الطرفان طائفة من الرسائل الشخصية والسياسية تعتبر من أبدع ما انتجته القرائح من نماذج النثر والترسل فى هذا العصر (٢٣٣) .

وكما يكون تأثير السفراء الأندلسيين فى العلماء والأدباء ، يكون التأثير الثقافى المغربى واضحا فى هؤلاء السفراء ، حتى فى أدق الأمور المتعلقة بعلوم اللغة والأدب ، فأبو إسحاق الشاطبى فى كتبه « الإشارات والإفادات » يقول : « أفادنى صاحبنا الكاتب أبو عبد الله ابن زمرك إثر إيابه إلى وطنه من رحلة العُدْوَة فى علم البيان فوائد أذكر منها الآن ثلاثا : الفقه فى اللغة وهو النظر فى مواقع الألفاظ وأين استعملتها العرب ... والثانية تحرى الألفاظ البعيدة عن طرفى الغرابة والابتذال ... والثالثة اجتناب كل صيغة تخرج الذهن عن أصل المعنى أو تشوش عليه ... وأخبرنى أن كتاب المغرب يحافظون فى شعرهم وكتابتهم على طريقة العرب ، ويذمون ماعداها من طريقة المولدين » (٢٣٤) . وهذا النص يعنى أن كبار الكتاب الأندلسيين عندما كانوا يغدون لزيارة الدولة المرينية ، كانوا يعقدون صلات ثقافية مع علماء المغرب وأدبائه ، وينقلون منهم إلى الأندلس ما أطلع عليه علماء المرينيين من علوم العرب المختلفة لتأصيلها فى بلاد الأندلس .

وقد أفسح حق اللجوء السياسى الذى منحه سلاطين المرينيين وسلاطين بنى الأحمر لعلماء الدولتين مجالا كبيرا لازدهار العلاقات الثقافية بين الدولتين ، فابن الخطيب الذى أقام لاجئا سياسيا فى الدولة المرينية أفاد الحركة الأدبية والعلمية فى ذلك الوقت ، فأثرى رصيد الدولة المرينية فى عالم الأدب والفكر والتاريخ وسجل للمرينيين سبقا فى هذه المضامير إذ أتاح له المرينيون جميع حقوق المواطنة فى دولتهم ، وعلى هذا فكل انتاجه فى أثناء فترة لجوئه لدى المرينيين ، هو انتاج مرينى متأثر بالبيئة المرينية الجديدة التى عاش فيها . وقد انتج ابن الخطيب بين ربوع الدولة المرينية كمية كبيرة من الشعر والنثر ، وعددا ليس بالقليل من الكتب والمؤلفات التى اشتهر بها ابن الخطيب وهى (٢٣٥) .

١ - كتاب اللمحة البدرية فى الدولة النصرية .

٢ - كتاب نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب .

٣ - كتاب معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار .

٤ - كتاب الحلل المرقومة فى اللمع المنظومة .

٥ - كتاب رقم الحلل فى نظم الدول .

٦ - كتاب كناسة الدكان بعد انتقال السكان .

ولقد عرف أبناء لسان الدين ابن الخطيب مكانة أبيهم عند المرينيين فعاشوا فى ظل البلاط المرينى ، ويذكر المقرى منهم : على بن لسان الدين ابن الخطيب الذى صاحب السلطان المستنصر بالله أحمد بن أبى سالم ومن شعره فى هذا السلطان (٢٣٦) :

لا أوحش الله ربعا أنت زائرة		يابهجة الملك والدنيا مع الدين
ياأحمد الحمد أبقاك الإله لنا		فخر الملوك وسلطان السلاطين

وقد لقى الخطيب أبو عبد الله محمد بن مرزوق فى دولة بنى الأحمر مالقيه ابن الخطيب فى دولة بنى مرين ، فلجأ إلى سلطان غرناطة ، الذى اجتذبه إلى غرناطة ، وهناك قلده الخطبة بمسجده فى السادس من صفر سنة (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) وإلى جانب ذلك أسند إليه مهمة الإقراء والتدريس بالمدرسة فى حضرته غرناطة ، ولم يحدد المقرى اسم هذه المدرسة (٢٣٧) .

وكانت فاس وغيرها من مدن الدولة المرينية ملاذا خصبا لطلبة العلم الأندلسيين ومن أمثال هؤلاء الطلبة الذين رحلوا إلى فاس ، ابن عباد الرندى ، الذى ولد برندة ، ثم رحل إلى فاس وتلمسان ، فقرأ بهما الفقه والأصول والعربية ، وفى مدينة سلا صاحب الشيخ أحمد بن عاشر ، ثم رحل إلى فاس ، حيث تولى الخطابة بجامع القرويين خمس عشرة سنة حتى وفاته سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) (٢٣٨) . ومن مؤلفاته : الرسائل الكبرى ، والصغرى ، وشرح الحكم ونظمها فى ثمانمائة بيت من الرجز (٢٣٩) .

سادسا : علاقة المرينيين بنصارى أسبانيا :

كانت العلاقات بين المرينيين ونصارى أسبانيا علاقات عدائية ، وهذه العلاقات العدائية نابعة من أن المرينيين وبنى الأحمر تزعما حركة المقاومة ضد حركة الاسترداد المسيحى بعد سقوط دولة الموحدين . وكان فى أسبانيا فى ذلك الوقت قوتان تمثلان المعسكر النصرانى ، وهما دولتا قشتالة — التى توحدت سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) (٢٤٠) . — ودولة أراغون التى قامت سنة (٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) (٢٤١) . وكانت دولة قشتالة أكثر إيجابية من أراغون فى عدائها للمسلمين فى الأندلس من دولة أراغون (٢٤٢) ، ورغم ذلك العداء الطاحن الذى استنفذ كثيرا من طاقة المرينيين العسكرية ، فإن المرينيين استفادوا كثيرا ، خصوصا من الغنائم التى دعمت ثروة دولتهم (٢٤٣) . علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة فى الشمال الأفريقى وفى سائر العالم الإسلامى .

وكثيرا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيين ونصارى أسبانيا فترات من السلم ، حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين ، وفى كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفا ثالثا فى هذه المعاهدات . ومن خلال نصوص بعض هذه المعاهدات نلمح وجود علاقات اقتصادية بين مسيحى أسبانيا وتجار المسلمين ، إذ كانت هذه المعاهدات تنص صراحة على أن يكون لرعايا كل فريق حق التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر ، والمرور فى البر أو البحر دون أى

اعتراض أو مغارم غير عادية على هؤلاء التجار (٢٤٤) . ومن الطبيعي ألا يؤثر « النزاع الذى نشب بين العرب وأهالى أسبانيا المسيحيين على التبادل الثقافى بين أصحاب الديانتين العالميتين الكبيرتين أو فى الصلة الحضارية القائمة بينهما » (٢٤٥) . وقد دعمت هذه الصلات الثقافية – خاصة خلال فترات السلم الكثيرة التى كانت تحافظ على الانضباط فى أثنائها – معاهدات واتفاقيات راسخة القواعد .

وقد حاول السلطان أبو يوسف يعقوب المرينى استغلال الخلافات بين أراغون وقشتالة لتكوين محور ضد قشتالة يضم المرينيين وبنى الأحمر وأراغون ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل (٢٤٦) . وكان خوف بنى الأحمر من تزايد النفوذ المرينى فى بلاد الأندلس مدعاة إلى تحالفهم مع مسيحى أسبانيا الأمر الذى أضعف موقف المرينيين فى بلاد الأندلس ، فمحمد الثانى سلطان غرناطة تحالف مع « سانشو » ملك قشتالة « وبيدرو الثالث » ملك أراغون ضد بنى مرين (٢٤٧) . وحدث هذا أيضا فى سنة (٦٩١ هـ / ١٢٩١ م) حين تحالف نفس السلطان مع « سانشو الرابع » ملك قشتالة ، « وخايمى الثانى » ملك أراغون ، ضد أبى يعقوب يوسف المرينى ونتج عن هذا التحالف ضياع مدينة طريف من المسلمين (٢٤٨) .

وفى بعض الأحيان دفع موقف بنى الأحمر العدائى من بنى مرين إلى التقارب بين المرينيين والأراغونيين فعندما ثارت سبتة على أبى يعقوب يوسف المرينى بتحريض من بنى الأحمر ، وجه أبو يعقوب طلبا إلى « خايمى الثانى » ملك أراغون لتقديم بعض القوارب المسلحة ، لمعاونة القوات البرية المرينية فى سبتة من البحر . ولم يستجب « خايمى الثانى » لنداء أبى يعقوب ، لأنه كان قد عقد صلحا مع « فرناندو الرابع » وكان هذا الصلح شاملا لمحمد الثالث سلطان غرناطة (٢٤٩) . وقد تمكن « خايمى الثانى » ملك أراغون بعد ذلك من مساعدة السلطان أبى الربيع سليمان المرينى ، بتقديم عون بحرى مكن المرينيين من الاستيلاء على سبته سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) (٢٥٠) .

وقد كثرت معاهدات الصلح بين المرينيين ونصارى أسبانيا منذ عهد السلطان أبى الحسن ، ففى سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) بعد استيلاء المرينيين على جبل طارق ، عقدت معاهدة صلح بين فاس وقشتالة وغرناطة ، مدتها أربع سنوات ، وقد فوض يوسف الأول للسلطان أبى الحسن أمر إبرام هذه المعاهدة ، وقد انضمت أراغون إلى هذه المعاهدة فيما بعد ذلك (٢٥١) . وبعد موقعة طريف التى هزم فيها المرينيون وبنو الأحمر ، أصبح المرينيون وبنو الأحمر فى موقف تفاوضى ضعيف ، فحين حاول أبو الحسن وسلطان غرناطة الدخول فى المفاوضات مع قشتالة رفضت هذه الأخيرة مقترحات المسلمين ، ولم يعقد الصلح بين فاس وغرناطة وقشتالة وأراغون إلا بعد استيلاء قشتالة على الجزيرة الخضراء فى سنة

(٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) ، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات [٢٥٢] . وتولى عقدها عن بنى مرين السلطان يوسف الأول سلطان غرناطة ، الذى فوض قائده ابن كماشة بمقتضى وثيقة وجهها إلى هذا القائد [٢٥٣] . وفى سنة (٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ، ابرمت معاهدة مدتها أربعة عشر شهرا بين بنى مرين وأراغون ، وجاء أبو عنان المرينى بعد ذلك فأكد التزامه ببنود هذه المعاهدة [٢٥٤] . وجدد المعاهدة المعقودة بين المرينيين ، وبين « بيدور الرابع » ملك قشتالة لمدة خمس سنين أخرى وكان ذلك فى سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م) [٢٥٥] . وكان خروج أى طرف على نصوص المعاهدة مدعاة إلى احتجاج الطرف المتضرر من نقض المعاهدة ، ففى سنة (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ، احتج « بيدور الرابع » لدى أبى عنان المرينى لعدم وفاء محمد الخامس سلطان غرناطة بنصوص الاتفاقية المبرمة بينهم [٢٥٦] .

وفى سنة (٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) ، أبرمت معاهدة صلح بين غرناطة وأراغون ، وشملت هذه المعاهدة المرينيين أيضا ، إذ فوض السلطان المرينى أبو فارس عبد العزيز السلطان محمد الخامس - سلطان غرناطة لابرامها . كما أبرمت معاهدة أخرى مماثلة لها بين فاس وغرناطة وقشتالة [٢٥٧] .

وكانت آخر المعاهدات التى أبرمت بين المرينيين وبنى الأحمر وأراغون وقشتالة ، تلك التى عقدت سنة (٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) ، وقد جرى تجديدها والعمل بها سنة (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) وسنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) [٢٥٨] .

وكانت للجزر الواقعة فى غرب البحر المتوسط مكانتها أيضا فى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية مع المرينيين ، ومن أمثلة المعاهدات التى عقدت مع هذه الجزر ، المعاهدة التى عقدها السلطان أبو الحسن المرينى فى تلمسان بينه وبين « جاك الثانى » ملك جزيرة ميورقة ، والتى أبرمت فى أبريل سنة (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م) [٢٥٩] .

وأخيرا يجب الإشارة إلى أن بعض الشخصيات من أبناء البيت المرينى لجأت إلى بلاط قشتالة لأنها كانت تشعر أن بقاءها فى المغرب الأقصى أو فى غرناطة محفوف بالمخاطر ، ومن هذه الشخصيات الأمير أبو سالم المرينى ، الذى لجأ إلى بلاط قشتالة ، وقد عاونه ملك قشتالة ، حيث حملته إحدى القطع البحرية القشتالية وأنزلته بساحل المغرب ليطلب عرش بنى مرين [٢٦٠] . ومن هذه الشخصيات أيضا الأمير أبو زيان محمد بن عبد الرحمن بن أبى الحسن المرينى ، وقد استدعاه الوزير المستبد عمر بن عبد الله وأقامه على العرش المرينى سنة (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) [٢٦١] .

هوامش الفصل الرابع

(١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٦ ، (اشار صاحب الذخيرة السنية إلى أن السيدة أم اليمن بنت محلى وهى زوجة الأمير عبد الحق المرينى والد أمراء بنى مرين الأربعة الذين أسسوا دولة بنى مرين ، وآخرهم يعقوب بن عبد الحق – توفيت بمصر فى ربيع الآخر سنة (٦٥٣ هـ) فى أثناء حجتها الثانية ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧١ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠) .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٦ ، وقارن : المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ٢٢٦ .

(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، (وكان صاحب مصر فى ذلك الوقت السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (٧٠٩ هـ – ٧٤١ هـ) .

(٥) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ٩ ، (وكان أيْدُغدى قد فر من مصر لاجئا سياسيا عند بنى مرين فى الأيام الظاهرية كما يقول المقريزى ، وقدم على أبى يعقوب يوسف بهدية فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٦) ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٦ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(١١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ ، ص ١٤٢ .

(١٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٧ ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٢ .

(١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٧٧ ، ٢٢٨ .

(١٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٨ ، (وكان هذا الكتب ، وردت هكذا فى الأصل) .

(١٩) محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبو الحسن المرينى ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ١٩٥٦ ، ص ١٠٩ .

(٢٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٤ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦١ ، (نص الرسائل المتبادلة بين أبى الحسن والناصر محمد ابن قلاوون فى صبح الأعشى ، جـ ٧ ، ص ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، جـ ٨ ، ٨٧ - ٩٩ ، جـ ٨ ، ص ٩٩ - ١٠٣) .

(٢١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٩ ، (وكانت وفاة والدة أبى الحسن فى سنة (٧٣٦ هـ) ، المصدر السابق ورقة ٣٠) .

(٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٤ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٢ ، (نقل القلقشندى خلال الرسائل المتبادلة بين البلاط المرينى والبلاط المصرى أن هذا المصحف أرسل إلى المدينة المنورة وليس إلى الحرم المكى كما روى ابن خلدون ، انظر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٧ ، ص ٣٩٤ ، جـ ٨ ، ص ١٠٢ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١١٤) .

(٢٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .

(٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٥ .

(٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٥ ، (انظر قسم الملاحق ، عن تفاصيل هذه الهديه كما ذكر السلاوى .

(٢٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٠ ، (والحرة مريم ليست ابنة للسلطان أبى الحسن كما قال المقريزى ، أما والدة أبى الحسن فهى العنبر كما روى ذلك ابن الأحمر ، انظر المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٠) .

(٢٧) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٧ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٤٠٢ ، (ولايخفى مافى هذا التقدير لقيمة الهدية من مبالغة) .

(٢٩) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الثانى ، ص ٤٤٨ .

(٣٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

(٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، جـ ٩ ، ص ١٣٩ ، د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٣٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٥ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٤ .

(٣٤) محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١٣١ .

(٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٨ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالمشرق فى أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، ص ١٣١ ،

١٣٢ ، والرسالة موجودة بالنفح .

(المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٨٦ – ٣٩٤) . وهناك رسالة أخرى نقلها المقريزى قال فيها : « وفى نصف شعبان قدمت الحرة ، أخت صاحب المغرب فى جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن ، يتضمن السلام وأن يدعو لها الخطباء فى يوم الجمعة فى خطبتهم ومشايخ الصلاح ، وأهل الخير بالنصر على عدوهم وأن يكتب لأهل الحرمين بذلك » ، وواضح أن الرسالة حملتها أخت السلطان نفسها وهى غير الرسالة التى حملها أبو الفضل ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، القسم الثالث ، ص ٦٧٠) .

(٣٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٧٢ – ٧٤ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٣٩٤ – ٣٩٨ .

(٣٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ .

(٣٨) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ ، (نص التوقيع انظره بقسم الملاحق) .

(٣٩) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٤٠٠ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٠ ، ومابعدها .

(٤٠) السلاوى : الاستقصاء ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، محمد المنونى : علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى ، تطوان ، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد الأول ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٤١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ ، د. على محمد عمر : دولة الظاهر برقوق وأسرته فى مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، ١٩٧٧ ، ص ٦٨ ، (حمل رسالة السلطان برقوق يوسف بن على بن غانم الذى كان يحج فى سنة (٧٩٣ هـ) المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٤٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، القسم الأول ، ١٧٩ ، (ولد ابن سومر الزواوى سنة (٦٢٩ هـ) وقدم إلى الاسكندرية وهو شاب وتفقه بها حتى برع فى مذهب مالك وأكثر من سماع الحديث ، المصدر السابق ، نفس الصحفة) .

(٤٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ .

(٤٥) المصدر السابق ، جـ ٥ ، نفس الصفحة .

(٤٦) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٤٧) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ابن فرحون : الديباج المذهب . ط القاهرة ١٣٥١ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٤٨) الكتانى : سلوة الانفاس ، جـ ٣ ، ص ١٧ ، (يروى الكتانى أن قدوم ابن نفيس الشريف على فاس من العراق كان باشارة رآها من النبى ﷺ فى منامه ، ويروى الكتانى أيضا أن خروج السلطان أبى سعيد لاستقباله لابن نفيس كان بناء على رؤيا رأى فيها النبى ﷺ وهو يأمره بالخروج لتلقى هذا العالم الجليل ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .

(٤٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .

(٥٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٦ ، ٢٧ .

(٥١) المصدر السابق ، ورقة ٢٧ .

(٥٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١٠٣ ، ١٠٦ .

(٥٣) المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٠٥ .

(٥٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥٥) د. على محمد عمر : دولة الظاهر برقوق وأسرته فى مصر ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٥٦) المرجع السابق ، نفس الصفحات ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٧ ، ص ٤٠٧ — ٤١١ ، (انظر هذه الرسالة فى قسم الملاحق) .

(٥٧) (ينتسب الحفصيون إلى الشيخ أبى حفص يحيى بن عمرو الهنتاتى من هنتاتة أعظم قبائل مصمودة ، ويعتبر هذا الشيخ من مؤسسى دولة الموحدين ، بما كان له من سابقة فى الجهاد مع الموحدين ، وقد نال أبناؤه من بعده مكانة عظيمة فى الدولة الموحدية ، وتقلبوا فى مناصب الإمارة فى المغرب والأندلس .

ويعتبر أبو زكريا يحيى بن أبى حفص المؤسس الحقيقى لدولة الحفصيين بتونس فى رجب سنة (٦٢٥ هـ) بعد أن عزل أخاه أبا محمد عبد الله عبو ، واستقل بإمارة بإفريقية ، وفى سنة (٦٢٧ هـ) اقتصر على الدعاء للمهدى والخلفاء الراشدين . حتى إذا كانت سنة (٦٣٤ هـ) استقل بإفريقية استقلالاً تاما وعقد لنفسه عليها بيعة عامة .

ومن الأسباب التى دفعت أبا زكريا يحيى إلى الاستقلال بإفريقية عن الدولة الموحدية ، مارآه من ضعف الموحدين ، وما ارتكبه المأمون الموحدى من قتل للموحدين فى مراكش ، ومن طعن فى عصمة المهدى وتغيير لرسوم الدعوة الموحدية ، وقد حكم الحفصيون فى إفريقية زهاء ثلاثة قرون ونصف ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٢١ — ٢٣ ، ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٠٥) .

(٥٨) د. حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٠٠ .

(٥٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٤ .

(٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٤ .

(٦١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٦٢) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٣٩ .

(٦٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٦٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٥ .

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٦٨) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٧٨ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٦٨ ، (انظر فى ذلك الفصل الثانى .

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٧١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٧ ، ص ٣٨٦ ، (ويذكر الزركشى أن صداق عزونة بنت

السلطان أبي يحيى كان خمسة عشر ألف دينار ذهبا ومئتين من الخدم ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٧٩) .

(٧٢) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٨ .

(٧٣) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣١ .

(٧٤) انظر الفصل الثاني .

(٧٥) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، ص ٢٣٧ .

(٧٦) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ ، الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٤ .

(٧٨) المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، (بويع لأبي العباس أحمد بتونس في ربيع الثاني سنة (٨٧٢ هـ) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٠٦) .

(٧٩) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٣ ، (يروى السلاوى أنه من الاتفاق الغريب أن سلطان فاس والمغرب في ذلك الوقت كان اسمه عبد العزيز بن أحمد وسلطان تونس وإفريقية كان اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايتهما في سنة واحدة ، انظر السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤١) .

(٨٠) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٨١) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٨٢) ابن القنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٩٩ .

(٨٣) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ .

(٨٤) المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

(٨٥) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ١٢٦ ، حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ، ص ١٢٠ .

(٨٦) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٨٧) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٩ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٨٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٤٠٨ ، (عن أحوال ابن مرزوق قبل رحيله إلى تونس انظر ابن فرحون : الديباج المذهب ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨٩) (تُنسب هذه الدولة إلى بني عبد الواد وهم بطن من بطون زناتة ، وهؤلاء كانوا يحيون حياة التنقل والترحال يرتادون صحراء المغرب الأوسط ، وقد قاوم بنو عبد الواد الموحدين أول الأمر ، ولكنهم أصبحوا بعد ذلك من أخلص حلفائهم ومعاونيهم في المغرب الأوسط ، واستقروا نتيجة للإقطاعات التي منحها لهم الموحدون في نواحي تلمسان ، وبمرور الوقت ، استفحل شأن بني عبد الواد ، وساعد على ذلك الضعف الذي مني به الموحدون ، حتى إذا جاءت سنة (٦٣٣ هـ) ، تولى يغمر اسن بن زيان أمر بني عبد الواد ، وكان شخصية قوية شديدة المراس ، فأعلن استقلال بني عبد الواد في المغرب الأوسط عن الدولة الموحدية ، واقتصر في تبعيته لهم على الدعاء للخليفة الموحدى في الخطبة . وخاض يغمراسن بن زيان – الذي

استمر في حكم بني عبد الواد قرابة الستين عاما – حروبا ومعارك كثيرة ضد الموحدين والمرينيين والحفصيين حتى توفى سنة (٦٨١ هـ) ، التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، يحيى ابن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ابن الوردى : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ١١ – ١٤) .

(٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٦٧ ، (وبطون بنى يادين الخمسة هى : بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال وبنو راشد ، (المصدر السابق ، نفس الصفحة) ، ويذكر يحيى بن خلدون أن بنى مرين يلتقون مع بنى عبد الواد عند الجد (شجيح) ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ١ ، ص ٩٥) .

(٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٦٧ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٩٣) المصدر السابق ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٧٥ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقه ٢١ .

(٩٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٢٧ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٠ .

(٩٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقه ٢١ .

(٩٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٩٩ ، ١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١١ .

(١٠١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٢ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(١٠٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، جـ ٢ ، ص ٧٨ .

(١٠٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٥ .

(١٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ .

(١٠٦) انظر الفصل الثانى .

(١٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(١٠٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(١١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .

(١١١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٨ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٦١ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(١١٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٨٨ ، ٨٩ .

(١١٣) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٧٠ .

(١١٤) الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٥ .

(١١٥) انظر هذه الأحداث فى الفصل الخاص بالتوسع المرينى .

(١١٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٨٩ .

(١١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٢ ، يحيى بن خلدون : بغية الرواد ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(١١٨) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ .

(١١٩) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٤ ، عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٦٣ .

(١٢٠) عبد الحميد حاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(١٢١) عبد الحميد جاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(١٢٢) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائرى، ص ١٩٦ ، (من علماء المغرب الأوسط الذين حضروا مجالس أبى الحسن ، أبو عبد الله محمد بن على بن النجار التلمسانى ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدرى الآبلى ، وابنى الإمام ، عبد الحميد جاجيات : أبو حمو موسى الزيانى ، ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣) .

(١٢٣) محمد الفاضل ابن عاشور : أعلام الفكر الإسلامى فى تاريخ المغرب العربى ، مكتبة النجاح ، تونس ، ص ٨٠ .

(١٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ٢٢ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧٤ .

(١٢٥) (ذكر الدكتور عبد الرحمن زكى نقلا عن العمرى أن مالى اشتملت على أربعة عشر إقليما : « وهى : غانة وزاجون وتورونكا وتكرور وسنغانة وبالبوخو وزرقطبالة ومترد ودامور وزافة وكبارة وبزغورى وكوكو . يضاف إليهما بعض الأقاليم الصحراوية » . وابن الوردى يروى أن ملك مالى كان « تحت يده أربعة عشر ملكا » . وبعد الملك سانديانا - الذى تولى حكم مالى سنة ١٢٣٠ م ، واعتنق الإسلام « المؤسس الحقيقى لهذه الدولة القوية الغنية ، حيث استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة امبراطورية عظيمة هى إمبراطورية مالى (بفتح الميم وتشديد اللام) ، وقد اتسعت مالى وبلغت أوج عظمتها وقوتها وثرائها فى عهد ملكها منسا موسى (١٣٠٧ م - ١٣٣٢ هـ) الذى نجح فى ضم معظم بلدان السودان الغربى إليه ، د. عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، مطبعة يوسف ، ص ٢٩ ، ابن

الوردى : تاريخ ابن الوردى ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ ، د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٧ ، ص ٥٩ - ٦١ ، رولاند أوليفر وجون فيج : موجز تاريخ افريقية ، ترجمة : دولت أحمد صادق ، ط : يونية ١٩٦٥ ، ص ٩٨) .

(١٢٦) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، ص ٥٩ ، (انظر الخريطة رقم ١) وتشكل امبراطورية مالى الكبرى الآن الدول المعروفة باسم تشاد والنيجر ومالى والسنغال ، انظر ، الأطلس العربى ، طبع إدارة المساحة العسكرية القاهرة ، ١٩٧٢ ، ط خامسة ، ص ١٠ ، ١١) .

(١٢٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ .

(١٢٨) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، ص ١٣ ، ١٤ ، نفس المؤلف : مسالك الإسلام إلى القارة الافريقية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، مايو ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، د. العدوى : التاريخ الإسلامى افاقه السياسية وأبعاده الحضارية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١٩٧٦ ، ص ٣٨٧ .

(١٢٩) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط ثانية ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩١ ، انظر : المقريزى : الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة التأليف ، القاهرة ، ١٨٩٥ ، ص ٢٢ .

(١٣٠) د. صلاح الدين المنجد : مملكة مالى عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ٢١ ، محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية بالمغرب قيامها وتطورها ، رسالة ماجستير ، بكلية دار العلوم ١٩٧٥ م ، ص ٢٦٨ .

(١٣١) رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ٩٨ .

(١٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ .

(١٣٣) د. زاهر رياض : الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ ، ص ١٢١ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، الالف كتاب رقم ٣٨٤ ، ص ١١٠ .

(١٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ ، وتحدث ابن مرزوق أيضا عن هدايا أبى الحسن إلى سلطان مالى فقال : « سمعت غير واحد من أصحابنا يقول أنها تزيد فى الذخائر » ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠٨ .

(١٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، (ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن الذى تولى حكم مالى بعد منسا موسى هو ابنه منسامغا أو مغان الذى ذكر ابن خلدون أن اسمه منسا سليمان ، وهو بطبيعة الحال غير منسا سليمان شقيق منسا موسى لأن هذا الأخير تولى عرش مالى سنة (١٣٥٢ م - ١٣٥٩ م) ، والمعروف أن منسا موسى توفى سنة (١٣٣٢ هـ) انظر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٦ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٩٣ ، د. عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٣٨) .

(١٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

(١٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٣٨) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ .

(١٣٩) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٩٦ ، Roland Oliver, the Down of African History, London, P.40, 41 .

(١٤٠). رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ .

(١٤١) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(١٤٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(١٤٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ .

(١٤٤) المصدر السابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(١٤٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، ص ١١٩ .

(١٤٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٦ ، رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ ، (قدر القلقشندى كميات الذهب بمائة حمل) .

(١٤٧) رولاند أوليفر : موجز تاريخ افريقية ، ص ١٠١ ، (من أوائل المصادر التى أشارت إلى مالى وملكها (خريطة العالم التى رسمها الجلينو دولسرت الميورق وهى مؤرخة فى سنة ١٣٣٩ م ، بعد سبع سنوات فقط من وفاة منسا موسى فقد وضع الجلينو فى وسط الصحراء الغربية عرشا عليه تمثال كساه بالثياب الملكية وعلى رأسه تاج وذكر أنه ملك مالى ، الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، ص ٢٢١ .

(١٤٨) د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، ص ٦٢ .

(١٤٩) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ .

(١٥٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٥١) مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ١٨١ .

(١٥٢) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا المغربية ، ص ١١٠ .

(١٥٣) د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٥٧٣ ، شارل أندريه جوليان : تاريخ أفريقيا ، ترجمة : طلعت عوض أباظة ، ص ٨٣ .

(١٥٤) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٣ ، Fage. J. D., Africa Discovens her past, London, (1970), P.63 .

(١٥٥) د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(١٥٦) د. صلاح الدين المنجد : مملكة مالى عند الجغرافيين المسلمين ، ص ٦٩ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ١٤٠ ، د. محمد عيسى الحريرى : الدولة الرستمية ، بالمغرب قيامها وتطورها ، ص ٢٧٠ .

(١٥٧) د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ، دار النهضة العربية ، الجزء الأول ، ط ثانية ، ١٩٦٣ ، ص ٢١١ .

(١٥٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٥ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ٣٢ .

(١٥٩) المرجع السابق ص ٧٢ .
(وكان لهؤلاء الأندلسيين الفضل فى إدخال فن البناء بالأجر فى السودان الغربى) ويرجع الفضل فى ذلك إلى أبى إسحاق الساحلى – من أهل غرناطة – فقد بنى مسجدا عظيما فى جوا ، ومسجدا آخر فى تنبكتو بذخيرة كمركز ثقافى وتجارى ، كما بنى قصرا عظيما لمنس موسى ، د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى ، ص ٦٢) .

(١٦٠) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جـ ٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ .

(١٦١) المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ١٩٣ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ١٤٧ ، د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(١٦٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٧ .

(١٦٣) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٢ ، ٢٠٠ ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، (وقد كان أهل مالى قبل ذلك مجوسا أو عبدة للأصنام التى كانوا يسمونها الدكاكير ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٧٢) .

(١٦٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٨ ، د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ١٥٣ .

(١٦٦) د. إبراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية ، ص ١٥٣ ، د. حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية ، جـ ١ ، ص ٢١٥ ، (يذكر الدكتور عبد الرحمن زكى نقلا عن القلقشندى أن سلطان مالى « لا يكتب شيئا فى الغالب ، بل يكل كل أمر إلى صاحب وظيفته من هؤلاء فيفعله وكتاباتهم بالخط العربى على طريقة المغاربة » ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٨ ، د. عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ١١٩ .

(١٦٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ، Roland Oliver, Op. Cit., P.41 .

(١٦٨) (تأسست دولة بنى الأحمر فى بلاد الأندلس نتيجة لجهود كبيرة قام بها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجى الأنصارى ، وكان طموحا لطلب الملك والرياسة ، فكان كما وصفه ابن الخطيب جنديا ثغريا شهما عظيم التجلد ، وقد تمكن بما تحلى به من هذه الصفات وغيرها من مؤهلات الزعامة أن يسود قومه ، وقد ساعدته حالة الاضطراب التى سادت بلاد الأندلس – نتيجة للصراع بين الموحدين وأبى عبد الله محمد بن يوسف بن هود – على تثبيت أقدامه فى بياسة ووادى آش وما جاورهما من البلاد والقواعد والحصون ، واتجه إلى الموانى الجنوبية حتى يسهل عليه الاتصال بالعدوة المغربية ، وليكون فى مأمن من خطر الأسبان فى الشمال . وفى سنة (٦٣٥ هـ) تمكن من الاستيلاء على غرناطة ، واتخذها عاصمة لدولة بنى الأحمر . وليضفى على دولته الناشئة الشرعية ، دعا للخليفة المستنصر العباسى ببغداد ، كما كان يفعل منافسه ابن هود ، فى ذلك الوقت ، ولكنه عدل عن ذلك بالدعاء لأبى زكريا الحفصى سلطان افريقية . وقد توصل بسبب هذه الخطوة إلى الحصول على أمداد وفيرة من المال والاعانات ، التى كان لها أثر كبير فى صموده ونماء دولته التى خاضت صراعا مريرا مع نصارى أسبانيا ، ونجحت فى المحافظة على وجودها بالحرب معهم تارة ، وبمهادنتهم تارة أخرى . ويرجع الفضل فى معظم انتصارات أبى عبد الله محمد (ابن الأحمر) إلى أصهاره (بنى اشقيلولة) وأخيرا توفى مؤسس دولة بنى الأحمر ، فى جمادى

الثانية سنة (٦٧١ هـ) . واحساس منه بأهمية التعاون بين بنى الأحمر والقوة الجديدة التى ظهرت فى بلاد المغرب وهى قوة بنى مرين ، وجه قبيل وفاته بقليل النصيحة إلى ولى عهده محمد الثانى – الملقب بالفقيه – بضرورة دعوة بنى مرين والتعاون معهم لصد خطر النصارى الاسبان عن المسلمين فى الأندلس ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٣٠ – ٣٦ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٩٢ – ١٠١ ، ابن الخطيب كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٨ ، ١٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٣ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، محمد كمال شبانه : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطه ، ص ١٩ – ٢٥ ، محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ١٩٣٤ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ . .

(١٦٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٩ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣١٢ .

(١٧٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(١٧١) د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، ص ١٤٧ .

(١٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٤٤ ، (انظر الفصل الخاص بتوطد الدولة عن سبب الخلاف بين بنى الأحمر وبين اشقيلولة) .

(١٧٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٢٠ ، انظر الفصل الأول .

(١٧٤) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٦ .

(١٧٥) المصدر السابق ، ص ١٩٧ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٢٣ .

(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٢٤ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ .

(١٧٧) انظر الفصل الأول .

(١٧٨) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٤٥ .

(١٧٩) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ٢٩ ، (كان للأمير يوسف بن يعقوب دور كبير فى خلق التقارب بين والده يعقوب المرينى وابن الأحمر خلال العبور الثالث لأبى يوسف إلى الأندلس ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٢٨ ، وانظر الفصل الأول .

(١٨٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٨١) د. أحمد مختار العبادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد السابع والثامن ، ١٩٥٩ – ١٩٦٠ ، ص ٤٨ .

(١٨٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٤٢ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(١٨٣) المصدر السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٥٦٥ .

(١٨٤) انظر : الفصل الثانى .

(١٨٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٨٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ .

(١٨٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٢٢٨ .

(١٨٧) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٥٣ .

(١٨٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٨٩) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٥٨ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٩٣ .

(١٩٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٠ .

(١٩١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ٢٤٩ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٢٣ ، (اضطر الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بعد أن يئس من معاونة السلطان أبى سعيد المرينى ، أن يخوض الحرب ضد ملوك النصارى الذين تجمعوا وبلغ عددهم خمسة وعشرين ملكا ، وكانوا قد تجمعوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس . وقد أبلى عثمان بن أبى العلاء ومن معه من متطوعة بنى مرين بلاء حسنا ، فهزموا النصارى ، وتبعوهم يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام ، وبلغ عدد القتلى من النصارى خمسين ألف قتيل ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، المقريزى : السلوك القسم الأول ، جـ ٢ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى جـ ٢ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦) .

(١٩٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٨١ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(١٩٣) انظر أحداث هذه الموقعة الفصل الثانى .

(١٩٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ٥٠٦ ، ٥١٢ .

(١٩٥) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ٥٧ ، ٧٥ .

(١٩٦) المصدر السابق ، ص ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ .

(١٩٧) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ١٠٣ .

(١٩٨) المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، ١٥٤ ، (من ذلك شفاعة السلطان أبى الحجاج يوسف الأول فى الخطيب أبى عبد محمد بن مرزوق ، والشيخ محمد بن أبى بكر القرشى المقرى ، قاضى الجماعة بفاس . المصدر السابق ، نفس الصفحات ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠) .

(١٩٩) ابن الخطيب : كناسة الدكان ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، (انظر هذه الرسالة فى قسم الملاحق) .

(٢٠٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٩٤ – ٩٨ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٩٨ ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٢٠١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٩٦ ، د. أحمد مختار العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .

مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .

(٢٠٢) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ٦٢ .

(٢٠٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٦٨١ .

(٢٠٤) ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٥٣ ، ١٥٧ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢٠٥) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٨٤ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ١٠٨ .

(٢٠٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٨٥ .

(٢٠٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٩ ، وانظر ماكتبه ابن الخطيب عن ذلك الاستقبال ، ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .

(٢٠٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٠ .

(٢٠٩) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٦ ، ٧ ، (انظر هذا المرسوم فى الملحق رقم ٦) .

(٢١٠) د. أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، مجلة عالم الفكر ، تصدرها وزارة الاعلام فى الكويت ، المجلد الثامن — العدد الأول ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .

(٢١١) د. أحمد مختار العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول مايو ١٩٦٢ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢١٢) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٠ — ١٠٤ .

(٢١٣) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢١٤) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

(٢١٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

(٢١٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٧) د. أحمد مختار العبادى : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٥ .

(٢١٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ ، د. أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، عالم الفكر ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .

(٢١٩) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ .

(٢٢٠) شكيب أرسلان : الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية ، ط أولى ١٣٥٥ ، هـ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٧ ، (وذكر نفس نص هذا الجزء من المعاهدة ماريانوا ريباس بالار فى مقاله عن بنى مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣) .

(٢٢١) انظر الفصل الثالث .

(٢٢٢) انظر هاتين الحادثتين فى الفصل الثالث .

(٢٢٣) د. عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، دار القلم ط ١٩٧٦ ، ص ٥٢٠ .

(٢٢٤) د. حسن على حسن : الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، (وكانت المرية تصدر إلى المغرب الأقصى « آلات الصفر والحديد من السكاكين والأقفاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ، المرجع السابق ، نفس الصفحات ، د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت — ١٩٦٩ ، ط أولى ، ص ١٧١) .

(٢٢٥) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢١٠ .

(٢٢٦) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة ، ص ٣٢٢ .

(٢٢٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، (وقد عمل الفقيه الأديب الأندلسى مالك بن المرحل كاتبا للأمير أبى مالك بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، قبل قيام الدولة المرينية ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٩ .) .

(٢٢٨) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٠٦ – ١٠٨ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢٣٠) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢٣١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٩٤ .

(٢٣٢) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٥ .

(٢٣٣) ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٣٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٧ ، ص ٢٧٩ ، (قرأ ابن زمرك أيضا فى فاس بعض الفنون العقلية على الشريف أبى عبد الله العلوى التلمسانى ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٢٣٥) د. أحمد مختار : حياة ابن الخطيب المغربية ، مجلة البينة ، العدد الأول ، مايو ١٩٦٢ ، ص ٥٦ – ٥٨ ، (هذا عدا كتاب أعمال الأعلام الذى ألفه للسلطان الصغير أبى زيان محمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٥٥) .

(٢٣٦) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٧ ، ص ٣٠١ .

(٢٣٧) ابن فرحون : الديباج المذهب ، ت : د. محمد الأحمدى أبو النور ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢٣٨) المقرى : نفح الطيب : جـ ٥ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢٣٩) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ٣٤٧ .

(٢٤٠) عنان : عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثانى ، ص ٥٩٧ .

(٢٤١) المرجع السابق ، ص ٦٠١ .

(٢٤٢) د. محمد كمال شبانه : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٤٤ .

(٢٤٣) الفرديل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣١٦ .

(٢٤٤) ماريانو اريباس بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢٤٥) د. على حسنى الخربوطلى : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢٤٦) بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ ، (دأب السلطان يعقوب المرينى على استغلال أية فرصة تظهر فيها الخلافات بين نصارى أسبانيا لاضعاف موقفهم ، فوقف إلى جانب الفونسو العالم ضد ولده سانشو الذى انتزع منه العرش ، انظر ، من الفصل الأول) .

(٢٤٧) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢٤٨) المرجع السباق ، ص ١٩٢ .

(٢٤٩) بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ .

(٢٥٠) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

(٢٥١) بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أرغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ ، ١٩٦ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ص ١٦٢ .

(٢٥٢) بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .

(٢٥٣) د. محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٤٦ ، (انظر نص الوثيقة بقسم الملاحق) .

(٢٥٤) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢٥٥) المرجع السابع ، نفس الصفحة .

(٢٥٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٥٧) د. محمد كمال شبانه : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، ص ١٩٧ .

(٢٥٨) بالار : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطه ، تطوان ، العدد الثامن ١٩٦٣ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢٥٩) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ١٠٢ .

(٢٦٠) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٩٩ ، ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٨٣ .

(٢٦١) ابن خلدون : العبرة ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٠ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١ .

الفصل الخامس

النظم الإدارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين

النظم الإدارية والاقتصادية فى دولة بنى مرين

أولا : النظم الإدارية

أ - نظام الحكم

١ - السلطان المرينى :

ظهر المرينيون على مسرح الأحداث فى بلاد المغرب الأقصى قوة سياسية وعسكرية كبيرة ثائرة على الموحدين . والمرينيون يختلفون عن الحفصيين إذ أن الحفصين أعلنوا استقلالهم بإفريقية عن الموحدين سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) (١) ، وهم يختلفون أيضا عن بنى عبد الواد الذين أعلنوا استقلالهم بالمغرب الأوسط عن الموحدين سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) (٢) . فكان المرينيون خلال الفترة التى ثاروا فيها على الموحدين ، من سنة (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) إلى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، - وهى فترة تأسيسهم لدولتهم فى المغرب الأقصى بعيدين كل البعد عن أى ارتباط سياسى بالموحدين ، و لذلك حملوا على كاهلهم كل العبء العسكرى لإسقاط دولة الموحدين ، ومن نتائج ذلك أن نظام الحكم فى الدولة المرينية جاء مختلفا بعض الشىء عن نظام الحكم الذى كان سائدا فى الدولة الموحدية .

فالحفصيون فى إفريقية احتفظوا فى نظم حكمهم بكثير من تقاليد النظام السياسى الموحدى فى الحكم ، كاحتفاظهم بلقب (الموحدين) ذلك اللقب الذى أطلقوه على عمالهم ، كما احتفظوا أيضا بلقب (شيخ الموحدين) (٣) ويعبر ابن القنفذ عن ارتباط النظام السياسى الحفصى بالنظام السياسى الموحدى حين ذكر أن كليهما ينهل من معين واحد ، وهو التوحيد ، ويقيم دولته على أسس دينية محضة ، يقول ابن القنفذ : « وانقطعت الكلمة المؤمنية من البلاد الإفريقية لأن كلمة التوحيد على نوعين مؤمنية وحفصية »

أما المرينيون فقد أطلقوا للناس الحرية الكاملة فى الانتماء إلى المذهب الذى يريدونه (٥) . وعلى هذا فلم يصبح السلطان المرينى مصدرا للسلطات الدينية ، وإنما أصبح هذا السلطان مصدرا للسلطات السياسية فقط ، خلافا لما كان عليه الموحدون إذ كان الخليفة الموحدى مصدرا للسلطات الدينية والسياسية معا . (٦) وقد أشار السلطان أبو الحسن

إلى هذه الحقيقة الأساسية فى نظام الحكم المرينى حين قال : « أوصى جدنا عبد الحق رضى الله عنه بوصية التزمناها وهى أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطنة وهم صاحب القصبة وصاحب الشرطة والوالى وثلاثة المرجع فيها للرعية وهم أمام الصلاة والخطبة والقاضى والمحتسب . (٧) وهذا النص يطلع على حقيقة هامة أخرى ، وهى أن المرينيين اتخذوا نظام السلطنة شعارا للحكم بدلا من الخلافة ، وأن المرينيين منذ دخلوا المغرب الأقصى سنة (٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) ، وأميرهم عبد الحق يفكر فى تغيير نظام الحكم فى المغرب الأقصى إلى نظام السلطنة بدلا من نظام الخلافة الذى كان عليه الموحدون .

وظل رؤساء بنى مرين فى المغرب الأقصى منذ هذا التاريخ وحتى سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، يتخذون لأنفسهم لقب أمير ، وعددهم أربعة أمراء كلهم أبناء لعبد الحق المرينى . (٨) حتى إذا تمكن آخرهم الأمير يعقوب بن عبد الحق من إسقاط الخلافة الموحدية نهائيا سنة (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) ، أقام نظام السلطنة بدلا من نظام الخلافة الموحدية . ولا شك أن نظام السلطنة كان يمثل فى أذهان أمراء بنى مرين فلسفة متكاملة لنظام جديد قوامه إعطاء الحرية الدينية الكاملة للشعب دون تقييده بأفكار دينية معينة .

واتخذ رؤساء دولة بنى مرين لأنفسهم لقب (سلطان) ، وتسمى السلطان منهم (بأمير المسلمين) . (٩) وأصبح السلطان يمثل السلطة السياسية العليا فى الدولة ، أما أمور الدين ، فكانت من شأن الفقهاء والعلماء فى الدولة . وفى بعض الأحيان كان السلطان المرينى يلقب (بأمير المؤمنين) دون استعمال لقب الخلافة معه . (١٠) وعلى هذا لم يتخذ أحد من سلاطين بنى مرين لنفسه لقب خليفة سوى السلطان أبو عنان المرينى ، الذى لقبته بعض المراجع بأمير المؤمنين ، ورغم ذلك ، فلم تكن هذه التسمية شائعة لأبى عنان ، وإنما الذى شاع ، تسميته بالسلطان (١١) .

ومما يؤكد اختفاء استعمال لقب الخلافة والخليفة ، للدلالة على قمة السلطة فى الدولة المرينية ، شيوع استعمال لقب السلطان والسلطنة فى مختلف المصادر التى أرخت للدولة المرينية . ويروى ابن مرزوق أن والده السلطان أبى الحسن المرينى تشفعت لديه ، للعفو عن شخص ما ، وصعب على السلطان أبى الحسن أن يحقق رغبتها ، فقالت له والدته : « يا على لعلك غرتك سلطنتك وشغلتك عن حقى » (١٢) . كذلك اتخذ السلطان المرينى لنفسه لقبا من الألقاب إلى جانب التسمى باسم سلطان ، فأول سلاطين بنى مرين تلقب بالقائم بالله (١٣) .

وكانت البيعة للسلطان المرينى تتم على مرحلتين الأولى : يبايع فيها أهل الحل والعقد ولى العهد وهذه هى البيعة الخاصة (١٤) . وأهل الحل والعقد هم شيوخ بنى مرين والوزراء

وكبار رجال الدولة (١٥) . وهؤلاء كانوا أشبه ما يكون بمجلس وصاية على العرش ، إذ هم المكلفون بحماية العرش المرينى حتى يتولى السلطان الجديد زمام الأمور . فإذا لم يكن هناك ولى للعهد ، فإنهم يختارون إحدى الشخصيات من أبناء البيت المرينى ويبايعونها بيعة خاصة ، ثم يقدمونها للشعب للبيعة العامة . وهذا ما حدث بعد وفاة السلطان أبى الربيع سليمان المرينى ، فإن أهل الحل والعقد اختاروا أبا سعيد عثمان بن عبد الحق ، وبايعوه سلطانا على بنى مرين لوفاة أبى الربيع المفاجئة دون تعيينه ولى للعهد (١٦) .

والمرحلة الثانية هى البيعة العامة وهذه تتم بعد البيعة الخاصة ، حيث تبادر بها قبائل « زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء » (١٧) . وهذه البيعة الخاصة والعامة كما يقول عنها ابن خلدون : « هى العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر فى أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه فى شىء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره » (١٨) .

والذى يلاحظ أن نظام السلطنة المرينية كان وراثيا ، إذ كان يشترط فى السلطان أن يكون منتميا إلى البيت المرينى الحاكم ، وكثيرا ما كان السلطان الجديد ابنا (١٩) ، أو حفيدا (٢٠) ، أو أخا للسلطان المتوفى (٢١) . وقد جر ذلك النظام على الدولة المرينية ويلات كثيرة . ففى عصر نفوذ الوزراء الذى استمر من سنة (٧٥٩هـ ــ ١٣٥٧ م) إلى سنة (٨٦٩هـ ــ ١٤٦٥ م) ، أصبح سلاطين بنى مرين ألعوبة فى يد الوزراء ، حيث ضعف السلاطين ، وضعف تأثير أهل الحل والعقد على هؤلاء الوزراء ، وانفرد الوزراء بترشيح السلاطين ، ولم يكن أحد يجرؤ على الاعتراض على ما أقره الوزراء المستبدون . فتولى أمر بنى مرين سلاطين صغار السن لم يتجاوز سنهم فى بعض الأحيان خمس سنوات (٢٢) . ومنهم من تولى وهو مختل العقل كالسلطان أبى تاشفين بن أبى الحسن (٢٣) ومنهم من تولى الأمر وترك السلطنة للوزراء ، وأطلق العنان لشهواته وملذاته كالسلطان أبى زيان محمد ابن يعقوب بن أبى الحسن المرينى (٢٤) وقد أدى هذا فى النهاية إلى ضعف الدولة وسقوطها .

وقد أحاط سلاطين بنى مرين – خاصة فى عصر القوة فيما بين قيام الدولة سنة (٦٦٨هـ ــ ١٢٦٩ م) وحتى سنة (٧٥٩هـ ــ ١٣٥٧ م) – أنفسهم بمظاهر الأبهة والعظمة ، فاتخذوا لأنفسهم شارات الملك ، والآله والطبول فى مواكبهم « وجعلوها موكبا خاصا يتبع أثر السلطان يسمى الساقة وهم فيه بين مكثر ومقلل ... وقد بلغت فى أيام السلطان أبى الحسن فيما أدركناه (ابن خلدون) مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير ويأذنون للولاة والعمال والقواد فى اتخاذ راية

واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبيل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك » (٢٥) كما اتخذ سلاطين بنى مرين الطراز وهو أثواب من الديباج أو الحرير ترسم فيه أسماء السلاطين أو علامات تختص بهم ، وتكتب هذه الحروف لحمة وسدى بخيوط الذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط (٢٦) . كما اتخذوا المقصورة للصلاة فيها فى المساجد (٢٧) .

٢ - ولاية العهد :

كان منصب ولى العهد من المناصب الهامة فى الدولة المرينية ، وكان الهدف الأساسى من الاحتفاظ بهذا المنصب فى الدولة منذ أول قيامها ، هو الرغبة الأكيدة لدى سلاطين بنى مرين فى الاحتفاظ ببقاء الحكم والسلطة العليا فى الدولة وقفا على الأسرة المرينية ، والمحافظة على الدولة مما قد يدب فى أوصالها من منازعات وخلافات حول منصب السلطنة فى حالة خلاء منصب السلطان .

وأول من تولى هذا المنصب الأمير أبو مالك عبد الواحد بن السلطان يعقوب ابن عبد الحق - مؤسس الدولة المرينية - وقد اختاره والده بعد أن أصابه المرض وهو بمدينة سلاسنة (٦٦٩هـ - ١٢٧٠ م) (٢٨) . وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه ، حول حرص سلاطين بنى مرين على أن تكون السلطنة فى أبناء البيت المرينى من بعدهم . وقد أرسى السلطان يعقوب بن عبد الحق تقاليد اختيار ولى العهد ، التى اقتفى أثرها سلاطين بنى مرين من بعده ، إذ أن السلطان المرينى كان يرشح وليا لعهده ، وغالبا ما يكون أحد أبنائه ثم يعرضه على شيوخ بنى مرين ، فإذا ما وافقوا عليه أخذ عليهم البيعة والعهد والميثاق بتنصيب ولى العهد هذا بعد وفاته والالتزام بطاعته (٢٩) .

وكان ولى العهد فى الدولة المرينية غالبا ما يقوم فى كثير من الأحيان بوظيفة نائب السلطان ، فى أثناء غياب السلطان عن مقر حكمه فى فاس أو غيرها ، كما فعل السلطان أبو الحسن المرينى عندما أسند إلى ولى عهده الأمير أبى عنان ، مقاليد السلطة فى تلمسان ، عندما توجه لفتح إفريقية سنة (٧٤٨هـ - ١٣٤٧ م) (٣٠) .

وكثيرا ما قاد ولى العهد جيوش الدولة نيابة عن السلطان لقمع الفتن والثورات فى المغرب ، أو للحرب والقتال فى الميدان الأندلسى ، فقد أرسل السلطان يعقوب ابن عبد الحق ولى عهده الأمير يوسف للاستيلاء على سبتة من بنى العزفى سنة (٦٧٢هـ - ١٢٧٣ م) (٣١) . وأرسل السلطان أبو الحسن الأمير أبا مالك ولى عهده - إلى دار الحرب فى الأندلس سنة (٧٤٠هـ - ١٣٣٩ م) ، للاشتباك مع النصارى الأسبان وقد لقى حتفه فى هذه المعارك (٣٢) . وكثيرا ما لجأ سلاطين بنى مرين إلى ذلك الأسلوب لتدريب أبنائهم - أولياء العهود - على التمرس بأساليب الحكم والإدارة والحرب .

علاوة على ذلك حرص سلاطين بنى مرين على وضع أولياء العهود فى صورة رسمية ، فأحاطوهم بكثير من مظاهر العظمة والجلال ، حتى تكتسب شخصيتهم عند العامة والخاصة قدرها من التجلة والاحترام ، فكان السلاطين يضعون لولى العهد ألقاب الإمارة ، ويأمرونهم باتخاذ العلامة فى كتبهم لإنفاذ الأوامر ، ويعينون لهم الوزراء القائمين على شئونهم ويجعلون معهم الجلساء والخاصة والكتاب والشعراء (٣٣) .

وكانت ولاية العهد مثارا لكثير من المشكلات التى هددت كيان الدولة المرينية ، وكانت معظم هذه المشكلات تظهر عندما يموت السلطان المرينى دون أن يكون قد اختار وليا للعهد ، وكانت هذه الحالة مثار لخلافات حادة تنشب بين أهل الحل والعقد فى الدولة حيث يتبنى كل فريق منهم اتجاها معينا فى اختيار السلطان الجديد ، ومن ذلك ما حدث فى أعقاب مقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن عبد الحق ، إذ انقسم أهل الحق والعقد إلى فريقين الأول ضم شيوخ بنى مرين والعرب وهذا الفريق رشح للسلطنة أبا ثابت عامر حفيد السلطان المقتول . بينما الفريق الثانى الذى ضم الوزراء والحاشية والجند التزم حرفيا بمبدأ التوريث ، فرشح الأمير أبا سالم ابن السلطان يوسف (٣٤) .

ومن مشكلات ولاية العهد ما كان ينشأ عن عدم قدرة السلطان على المفاضلة بين أبنائه لاختيار واحد منهم ليكون وليا للعهد ، فالسلطان أبو الحسن المرينى حين لم يستطع المفاضلة بين ولديه الأمير عبد الرحمن ، والأمير أبى مالك ، أسند ولاية العهد لكليهما حيث « جعل لهما من أول دولته ألقاب الإمارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستحقاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية » (٣٥) . وقد أدى ذلك إلى قيام صراع بين الأميرين انتهى بمقتل الأمير عبد الرحمن (٣٦) .

وفى عصر نفوذ الوزراء لم يعد لولاية العهد قيمة كبيرة ، فكثير من سلاطين بنى مرين فى هذه الفترة لم يجرؤوا على تحديد ولى للعهد فى حياتهم ، لأن مقاليد الأمور والسلطة كانت فى يد الوزراء ، ولم يكن من صالح الوزراء تحديد ولى للعهد حتى يصبح فى إمكانهم اختيار السلطان الذى يريدونه .

٣ - الوزارة :

يذكر ابن خلدون أن الوزارة هى : « أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة » (٣٧) . أو هى مأخوذة من الموآزرة وهى المعاونة أيضا ، أو من الوزر بمعنى الاشتراك مع السلطان فى تحمل أوزاره وأثقاله (٣٨) . ولم يلجأ سلاطين

بنى مرين إلى ما كان متبعا فى الدولة الموحدية من تعيين الوزراء من أحد أبنائهم ، أو أقاربهم ، وإنما اختاروا لهذا المنصب من كانوا من أصحاب السيف ، ولم يكونوا من أصحاب القلم (٣٩) . ووفق ما ذكره الماوردى من أن الوزارة نوعان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ (٤٠) . فإنه يمكن القول بأن الوزير فى الدولة المرينية حتى سنة (٧٥٩هـ ـــ ١٣٥٧ م) كان وزير تنفيذ ، بمعنى أن الوزير كان مجرد واسطة بين السلطان والرعية ، والولاة ، يؤدى عن السلطان ما يأمر به وينفذ عنه كل أحكامه ، ويخبر بتجهيز الجيوش ، وتقليد الولاة ، ويعرض على السلطان ما يرد إليه من مهام الأمور وما يتجدد من الأحداث (٤١) . وهذا يرجع إلى قوة السلاطين وسيطرتهم على مقاليد الأمور . وقد تعددت لذلك المهام التى قام بها الوزير فى هذه الفترة ، فهو أحيانا يجهز الجيوش ، وقد يقودها لقمع بعض الفتن والثورات ، وقد يتولى الكتابة ، أو تسند إليه الولاية على إقليم من أقاليم الدولة لأهميته ، أو خطورة الأحوال فيه ، أو يقوم بوظيفة الحجابة بباب السلطان ، ومن هؤلاء الوزراء ، أبو معروف محمد بن يحيى ، استخدمه السلطان أبو سعيد المرينى « فى الولاية والقيادة . فلما ظهرت عاديته وبان منه الجور والظلم أخره عن خطته وعزله عن عمله وألزمه الوقوف ببابه للخدمة بين يديه ثم أجرى عليه لقب الوزارة وخططه بها مكاتباته ومخاطباته » (٤٢) . وأحيانا يسند إلى الوزير القيام بمهام الحجابة أو العطاء كأبى عبد الله بن قيجلات المراكشى (٤٣) .

وكانت هناك بعض الشخصيات تقوم بمهام الوزير دون أن تتقلد منصب الوزارة رسميا مثل أبى عمران موسى بن إبراهيم اليرنيانى استعمله أبو الحسن المرينى فى أعمال الوزارة دون أن يقلده اسمها (٤٤) .

وقد أشار ابن خلدون إلى أن ذلك النوع من الوزراء كان يطلق عليهم (المرشحون للوزارة نيابة) يقول ابن خلدون : « وبعث (أبو الحسن) إليها (بلاد الأندلس) مددا من العسكر مع موسى بن إبراهيم اليرنيانى من المرشحين للوزارة نيابة » (٤٥) .

بلغ عدد الوزراء الذين تقلدوا الوزارة ، فى مطلع الدولة المرينية ، ستة وزراء هم يحيى بن حازم العلوى ، ويحيى بن أبى منديل العسكرى ، وفتح الله بن عمر بن محمد السدراتى ، وعيسى بن ماسى الفودودى ، وعمر بن السعود بن خرباش الحشمى ، ومحمد بن عبد الله ابن عطو الجاناتى (٤٦) .

أما فى عصر نفوذ الوزراء من سنة (٧٥٩هـ ـــ ١٣٥٧ م) وحتى سقوط الدولة ، فكان الوزراء وزراء تفويض ، لأن سلاطين بنى مرين كانوا ضعافا تركوا لوزرائهم تدبير الأمور برأيهم وتوجيهها وفق اجتهادهم (٤٧) . ويتحدث ابن خلدون عن هذا النوع

من الوزارة فيقول انها « وزارة تفويض وهى حال ما يكون الوزير مستبدا عليه (أى على السلطان) » (٤٨) . ولذلك استبد هؤلاء الوزراء بالدولة وعلا نفوذهم على نفوذ السلاطين ، ومن هؤلاء الوزراء ، الحسن الفودودى ، وعمر بن عبد الله ، وأبو بكر ابن غازى ، ومحمد بن عثمان وقد جمع هذا الصنف من الوزراء جميع مقاليد السلطة فى أيديهم ، ولم يبق لمعظم السلاطين فى عصر نفوذ الوزراء سوى شكليات السلطنة ، ولذلك لم يكن هناك فى الدولة فى الغالب سوى وزير واحد أو اثنين فى معظم الأحوال (٤٩) .

٤ - الكتابة :

كانت وظيفة الكتابة فى الدولة المرينية من أهم وأخطر الوظائف المعاونة للسلطان المرينى ، ولذلك أفرد لها سلاطين بنى مرين ديوانا مستقلا بها ، أطلقوا عليه اسم ديوان الإنشاء والعلامة (٥٠) . وكان ذلك الديوان يضم عددا كبيرا من الكتاب الذين يقومون بتدبيج الكتب والرسائل . وقد ترأس هذا الديوان فى العصر المرينى عدد كبير من أئمة الفصاحة والبيان المغاربة منهم عبد الرحمن بن خلدون ، وعبد المهيمن بن محمد الحضرمى ، الذى استدعاه السلطان أبو سعيد المرينى من سبتة لتولى رئاسة هذا الديوان (٥١) . ويعتبر وصول عبد المهيمن الحضرمى إلى منصب الكتابة فى الدولة المرينية بداية مرحلة جديدة فى وظيفة الكتابة ، إذ كان الكتاب قبل ذلك يجيدون الخط ويعجزون عن الترسل بمستواه الرفيع ، ويرجع ابن خلدون ذلك إلى البداوة التى غلبت على الدولة المرينية فى أولها (٥٢) . ويذكر ابن خلدون أيضا أن أبا القاسم بن أبى مدين كان يتولى الكتابة والعلامة للسلطان أبى سعيد عثمان المرينى « وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع إلى عبد المهيمن فى قراءة الكتب وإصلاحها وإنشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقتصر عليه وجعل العلامة إليه سنة ثمان عشرة » (٥٣) . ومن الكتاب المغاربة الذين ترأسوا هذا الديوان أبو الحسن على الخزاعى التلمسانى (٥٤) .

وكان السلطان يعقوب بن عبد الحق ، ومن بعده السلطان يوسف بن أبى يعقوب المرينى . قد تركا لكتاب ديوان الإنشاء العلامة ، ووضع العلامة السلطانية على الكتب والرسائل التى تصدر من الديوان ، فكان كل منهم (الكتاب) يضع العلامة بخطه على كتابه إذا أكمله لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كأسنان المشط (٥٥) . وقد كان ذلك سبيلا إلى انحراف بعض الكتاب لتحقيق مآربهم الشخصية ، ومن هؤلاء الكتاب الذين استغلوا العلامة السلطانية ، أبو العباس أحمد بن على المليانى ، فقد كان بين أحمد بن المليانى وبين المصامدة ثأر ، إذ أن المصامدة وشوا بعم أبى على المليانى إلى السلطان يوسف ابن يعقوب ، وكان أبو على المليانى يتولى جباية المصامدة ، فاتهمته المصامدة بأنه احتفظ

ببعض الأموال لنفسه ، مما أثار السلطان عليه فحاسبه وعاقبه بالقتل ، وبعد مضى وقت غضب السلطان على المصامدة وأمر ابنه على – عامل مراكش – بالقبض على كبار رجال المصامدة ، واستعجل أبو العباس أحمد بن على المليانى للثأر من شيوخ المصامدة ، فأرسل إلى الأمير على كتابا عليه العلامة السلطانية ، بتنفيذ حكم الإعدام فى شيوخ المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ، ووضع على الكتاب العلامة التى تنفذ بها الأوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، فقتل الأمير على شيوخ المصامدة . وكانت هذه الحادثة درسا للسلطان أبى يعقوب يوسف ، فلم يترك الحبل على الغارب لكتابه ، وإنما قصر العلامة السلطانية على من يختاره من ثقات كتابه ، فأسندها إلى عبد الله بن أبى مدين (٥٦) .

وجرت العادة بعد ذلك فى ديوان الكتابة والإنشاء ، أنه حين ينتهى الكاتب من كتابة الكتاب أو الرسالة ، يكتب التاريخ ، ثم يعرض ما كتب على السلطان ، فيكتب السلطان بخطه فى آخرها ما صورته (وكتب فى التاريخ المؤرخ به) (٥٧) . وقد ذكر القلقشندى نقلا عن السلايحى : « أن ذلك مما أحدثه أبو حفص (عمر المرينى) عم السلطان أبى الحسن فى سلطنته ، وتبعه السلطان أبو الحسن على بعد ذلك مع وثوقه بكاتب سره حينئذ الفقيه الفاضل أبو محمد عبد المهيمن بن الحضرمى ، واعتماده عليه ومشاركته له فى كل أمر (٥٨) ويظهر من النص السابق أن من بين وظائف الكتابة وظيفة كاتب السر ، وكان صاحب هذه الوظيفة يلازم السلطان كثيرا ، خاصة عند خروج السلطان للجلوس للمظالم ، حيث كان هذا الكاتب هو المختص بأخذ الشكاوى من الجماهير ، وقراءتها على السلطان عند جلوسه لسماع المظالم ، والنظر فيما يراه بشأنها ، وفى بعض الأحيان كان كاتب السر يبيت عند السلطان إذ كان هذا الشخص أقرب مستشارى السلطان وخواصه (٥٨) . ويشبه منصب كاتب السر فى دولة بنى مرين ، منصب الأمين العام للدولة ، حيث كان يحتفظ بكافة التقارير التى يلزم عرضها على السلطان (٥٩) . ومن الذين تولوا هذه الوظيفة عبد الرحمن ابن خلدون (٦٠) .

وكان سلاطين بنى مرين يسندون إلى كتابهم فى بعض الأحيان بعض المهام الأخرى التى رفعت من شأن هذه الوظيفة وأصحابها ، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق ، اختص كاتبه عبد الله بن أبى مدين شعيب « بوضع علامته على الرسائل والأوامر الصادرة عنه وجعل إليه حسبان الخراج والضرب على أيدى العمال وتنفيذ الأوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاة الخلوات والإفضاء بذات الصدور » (٦١) .

٥ – الحجابة :

كانت وظيفة الحاجب فى الدولة وظيفة تنظيمية ، إذ يقوم الحاجب بباب السلطان

ليكون واسطة بينه وبين الناس ، ويروى ابن خلدون أن صاحب هذه الوظيفة كان معروفا فى البلاط المرينى باسم (المزوار) (٦٢) . وهو يترأس مجموعة الحرس السلطانى بباب السلطان والتى تسمى (بالجنادرة) ، والحاجب أو المزوار يقوم عن طريق هؤلاء الجنادرة بتنفيذ أوامر السلطان ، وعقوباته وإنزال سطوته بالمخالفين ، كما كان الحاجب أو (المزوار) هو المشرف العام على السجون ، وهو الذى يتولى تنظيم الناس وإلزامهم بالحدود فى دار العامة لعرض مظالمهم على السلطان (٦٣) . ويرى ابن خلدون أن وظيفة المزوار أو (الحاجب) بهذا المعنى كأنها وزارة صغرى (٦٤) .

وكان سلاطين بنى مرين يعينون بعض حجابهم إما من عبيدهم المخلصين ، أو من أهل الذمة ، كخليفة بن حيون الزمامى وكان يهوديا ، أو من الخصيان من أهل الثقة (٦٥) .

وعلى الرغم من أن ابن خلدون يرى أنه لا أثر لاسم الحاجب عند بنى مرين ، وإنما الذى كان فى بلاطهم هو (المزوار) ، ويشرح وظيفته بأنه « المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان فى تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته » (٦٦) . فإن بعض المصادر الأخرى ذكرت أن الوظيفة كانت موجودة وبهذا الاسم ، فالسلاوى يروى أن السلطان يوسف ابن يعقوب المرينى : « كان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد » (٦٧) وابن الأحمر فى النفحة النسرينية يتحدث عن حجاب هذا السلطان (يوسف بن يعقوب) فيقول : « حجابه عبد الله بن أبى مدين ، وخليفة بن حيون بن زمامة اليهودى » (٦٨) . وهذه الرواية الأخيرة تؤكد وجود هذا المنصب ، وأن صاحبه كان يحمل لقب الحاجب ، كما توضح الرواية أيضا أن أهل الذمة وصلوا إلى أرفع مناصب الدولة فى العصر المرينى .

والحجابة فى العصر المرينى بهذا المعنى تختلف عن الحجابة فى أيام الموحدين ، حيث كانت تعنى فى أيامهم رئاسة الوزراء (٦٩) . وظلت وظيفة الحاجب تسير فى الإطار السابق المحدد لها حتى سنة (٨٠٠هـ — ١٣٩٧ م) ، ففى هذه السنة تولى أمر بنى مرين السلطان أبو سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم ، وأصبح « النقض والإبرام وسائر التصرفات فى دولته للوزراء و الحجاب » (٧٠) وبمرور الوقت أصبح الحاجب يقوم بمهام الوزير ، وأصبح يطلق على الوزير اسم الحاجب ، وعلى الحاجب اسم الوزير (٧١) . وهذا يعنى أن الحجاب قفزوا إلى قمة السلطة فى الدولة ، وشاركوا حتى سقوط الدولة فى صنع كثير من أحداثها .

ب – إدارة الأقاليم

ـــ التقسيم الإدارى للدولة :

لم تختلف النظم الإدارية فى الدولة المرينية كثيرا عن النظم التى كانت سائدة قبل ذلك فى العصر الموحدى ، فقد سن الموحدون نظما لإدارة مصالح البلاد ، أطلقوا عليها اسم « التراتيب المخزنية » وقد ظلت هذه التراتيب سائدة فى المغرب طيلة قرون خمسة بعد زوال دولة الموحدين من المغرب (٧٢) .

وقد قسم المرينيون دولتهم من الناحية الإدارية إلى تسعة أقاليم ، وتدار هذه الأقاليم بواسطة عمال يعينهم السلاطين بأنفسهم ، ويخضعون مباشرة للسلطة المركزية الموجودة فى فاس ، والمتمثلة فى السلطان المرينى وجاءت أول إشارة لهذا التقسيم الإدارى فى عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق – مؤسس دولة بنى مرين – على النحو التالى (٧٣) .

١ – إقليم فاس : اعتبر المرينيون فاس إقليماً قائماً بذاته ، وذلك لضخامتها ، وكان أبو عبد الله الحدودى هو الوالى عليها فى عهد أبى يوسف يعقوب المرينى أول سلاطين بنى مرين .

٢ – إقليم مراكش وأعمالها وجميع بلاد السوس : ووليه أبو عبد الله محمد بن على .

٣ – إقليم أغمات وتينملل وجبالها : وكان عليه الفقيه أبو على المليانى .

٤ – إقليم سلا ونواحيها ومراسيها : تولاه أبو الحسن على بن عمران اليرنيانى المعروف بابن عِيْلة .

٥ – إقليم مكناسة ونواحيها : كان عليه على بن الأزرق .

٦ – إقليم رباط تازى ونواحيه : وعليه أبو سالم بن الأشقر التسولى .

٧ – إقليم سجلماسة : تولاه أبو زيد عبد الرحمن بن مردنيش .

٨ – إقليم درعة ونواحيها : تولاه يوسف بن على اليابانى .

٩ – الإقليم الذى ضم المدن التابعة للمرينيين من بلاد الأندلس : وكان عليه أبو الحسن ابن يوسف بن يزجاسن .

وهذا التقسيم يختلف قليلا عن التقسيم الذى كان فى عهد دولة الموحدين بالمغرب الأقصى ، إذ كان التقسيم فى أيام الموحدين ستة أقاليم فقط (٧٤) . أما المرينيون فزادوها ثلاثا ، لأنهم فصلوا بعض المناطق الهامة ، وجعلوها أقاليم إدارية مستقلة لأهميتها كإقليم سلا وإقليم درعة .

وكان لمدينة سبتة فى التقسيم الإدارى المرينى ، وضعها الإدارى الخاص فقد أسندت إدارة هذه المدينة إلى بنى العزفى مدة طويلة ، وذلك لخطورتها ، إذ كانت مركزا لتجمع القوات المرينية المتجهة صوب بلاد الأندلس وفى هذه المدينة تشكلت كثير من الأحداث السياسية ، التى دارت فى المغرب والأندلس ، فى العصر المرينى ، وفى عهد السلطان أبى عنان المرينى ، أسند بعض المهام الإشرافية على الولاة فى سبتة إلى الشريف أبى العباس – من آل البيت – فولاه نظارة المدينة ، وكان لهذا الناظر السلطة فى التقدم إلى السلطان بطلب عزل الوالى عند إخلاله بأمر من أمور الولاية (٧٥) وأطلق عليه فى منصبه اسم ناظر سبتة ، وقد ظل الشريف أبو العباس فى منصبه عشرين سنة ، وكان يتقاضى نظير هذه الوظيفة مرتباً شهرياً قدره ثلاثون ديناراً من الذهب فى أول كل شهر ، كما كان إيراد ميناء سبتة يقسم بينه وبين بيت المال يوم له ويومان لبيت المال (٧٦) .

والموظفون الرئيسيون فى كل إقليم من أقاليم الدولة المرينية هم : صاحب القصبة ، وصاحب الشرطة ، والوالى ، والقاضى ، والمحتسب (٧٧) .

ـ الدواوين :

إلى جانب هذه الأقاليم الإدارية فى الدولة المرينية ، كانت هناك الدواوين ، التى تمثل السلطة الإدارية العليا فى الدولة ، وكان فى مقدمة هذه الدواوين .

١ – ديوان الإنشاء والعلامة : وكان ذلك الديوان موجودا فى الدولة الموحدية تحت اسم ديوان الإنشاء (٧٨) . ووظيفة هذا الديوان كتابة الرسائل والمراسيم السلطانية إلى الولاة والعمال وغيرهم ، وصاحب العلامة فى هذا الديوان هو الذى يكتب بخطه أو يحسب النيابة عن السلطان علامته على المراسيم والرسائل السلطانية (٧٩) . ويلحق بهذا الديوان كتاب الإنشاء والصكوك والتوقيع على القصص المرفوعة للسلطان المرينى (٨٠) .

٢ – ديوان العسكر (٨١) : وفى بعض الأحيان أطلق عليه ديوان الجند ، ويرأس هذا الديوان إحدى الشخصيات العسكرية ، ووظيفته الاهتمام بأمر الجند ، ويطلق عليه كاتب ديوان الجند (٨٢) .

٣ – ديوان الخراج (٨٣) : ويهتم هذا الديوان بشئون الجباية والعطاء ، لذلك أطلق على المشرف عليه ، كاتب الجباية والعساكر ، أو صاحب الأشغال (٨٤) ، ويتولى هذا الشخص أمر الجباية والخراج ، كما يتولى حصر الجند وتقدير رواتبهم ، وصرف أعطياتهم (٨٥) . وهو مسئول أمام السلطان أو الوزير ، وخطه معتبر فى صحة الحسابات فى الجباية والعطاء (٨٦) . واشتمل هذا الديوان على كتاب الخراج والديوان ، وأهل الحساب والمساحة (٨٧) . وشهود بيت المال الذين كانوا يشهدون على دخل بيت المال والخارج منه ، وترجع إليهم سائر الأعمال ، وترفع إليهم جرائد الحسابات (٨٨) . ويتبع هذا الديوان أيضا عمال الزكاة الذين يخرجون لجمعها من النواحى ، واقتضاء الضرائب من سكان البادية (٨٩) .

وإلى جانب الدواوين كانت هناك فى الدولة المرينية بعض النظارات المحلية ، كنظارة الأحباس والأوقاف ، وهذه مرؤسة للقاضى ، وقد تجمع مع الحسبة (٩٠) . ومن الذين تولوا هذه النظارة الفقيه أبو عبد الله بن أبى الصبر . نظارة المارستان ، وهذه للإشراف على النواحى الصحية ، ونظارة المبانى ، وصاحبها يتولى الإشراف على مبانى الدولة والنفقة عليها (٩١) .

– النظم القضائية :

اهتم المرينيون كثيرا بالنظم القضائية ، لما لها من أهمية كبرى فى تحقيق العدالة واستقرار بقية النظم الإدارية الأخرى فى الدولة ، إذ أن هذه النظم القضائية هى صمام الأمن والأمان للمواطنين ، وكافة عناصر الإدارة الأخرى ، وهذه النظم هى القضاء ، وما يتبعه من مؤسسات قضائية أخرى كالنظر فى المظالم والشرطة ، والحسبة (٩٢) .

١ – القضاء :

منصب القضاء من الوظائف الهامة فى الدولة الإسلامية ، ولذلك فهو يأتى بعد منصب الخلافة فى الأهمية ، يقول النباهى : « فلا شرف فى الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء » (٩٣) . ولذلك اعتبر ابن خلدون القضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، أى أن الأصل أن يتولى الخليفة القضاء بنفسه (٩٤) . يقول ابن خلدون : « وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا فى عمومها » (٩٥) . ويشير الخشنى إلى خطورة منصب القاضى بقوله : « القاضى أعظم الولاة خطرا بعد الإمام جعله الله زماما للدين وقواما للدنيا :

لما تقلده القاضى من تنفيذ القضايا ، وتخليد الأحكام فى الدماء والفروج والأموال والأعراض وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار » (٩٦) . ولهذا احتفظ المرينيون لمنصب القضاء فى دولتهم بأهميته وجلاله كما كان عليه فى أيام الموحدين من قبلهم حيث حرص سلاطين بنى مرين على تعيين أكثر قضاة دولتهم بأنفسهم (٩٧) . .

وأول مناصب القضاء فى الدولة المرينية ، منصب قاضى الجماعة ، ووظيفة صاحب هذا اللقب فى السلم القضائى تعدل وظيفة قاضى الخلافة فى المشرق ، والذى كان يدعى بقاضى القضاة (٩٨) . وعلى هذا فقاضى الجماعة أعظم رتبة من بقية القضاة لأن ولى الأمر كان يستشيره فى كافة الشئون القضائية (٩٩) . وقد كان منصب قاضى الجماعة معروفا فى الأندلس منذ أمد بعيد (١٠٠) . ويبرر النباهى هذه التسمية بقوله : « والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة إذ كانت ولايتهم قبل اليوم غالبا من قبل القاضى بالحضرة السلطانية كائنا من كان فبقى الرسم كذلك » (١٠١) . وكان لقاضى الجماعة اختصاص مراقبة صاحب الشرطة والمحتسب (١٠٢) .

ثم يأتى بعد منصب قاضى الجماعة ، القضاة ، وهؤلاء إما أن يعينهم السلطان بنفسه (١٠٣) . أو يتولى بعض ولاة المدن الكبرى تعيينهم كمدينة سبتة ، إذ كان لوالى هذه المدينة الحق فى تنصيب قاض عليها ، وكان إعطاء هذه الصلاحيات للولاة لتعيين القضاة يتوقف إلى حد كبير على مكانة هؤلاء الولاة (١٠٤) .

وعرف المرينيون نوعا من القضاء ، وهو قضاء العسكر ، وهو أشبه ما يكون فى أيامنا بالقضاء العسكرى ، وقاضى العسكر كان يعينه السلطان بنفسه للفصل فى القضايا الخاصة بالجيش والجنود . ومن القضاة الذين تولوا هذا المنصب القاضى أبو عبد الله محمد المغربى (١٠٥) . ومحمد بن محمد الندرومى (١٠٦) .

ولم يكن منصب القضاء فى الدولة المرينية قاصرا على المغاربة فحسب ، وإنما تولى هذا المنصب عدد من القضاة الأندلسيين منهم إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقى الإشبيلى ، الذى خرج عن بلده إشبيلية بعد زحف النصارى إليها ، وتولى القضاء بسبتة بالنيابة ، ثم استقل بالمنصب حتى وفاته سنة (٧١٦هـ ـــ ١٣١٦ م) ، ومنهم أيضا على الغافقى (١٠٧) .

وكانت السمة الغالبة على أكثر قضاة الدولة المرينية شدة الصلاح والخوف من الله تعالى فيما يصدرونه من أحكام حتى أن أحدهم وهو الشيخ محمد بن محمد اللخمى المعروف بالقرطبى : « كان من شأنه إذا أتى المسجد للحكم فيه بين الناس ، يتركع ويتضرع إلى الله تعالى ويلح فى الدعاء ، ويسأله أن يحمله على الحق ويعينه عليه ويرشده للصواب ، وإذا فرغ

من الحكم يتركع ويستقبل الله تعالى يسأله العفو والمغفرة عما عسى أن يكون قد صدر منه مما تلحقه تبعة الآخرة » (١٠٨) . وكان ذلك الخوف من الله مدعاة إلى أن التزم بعض قضاة الدولة المرينية ببعض الأمور التى شددوا بها على أنفسهم ، وهى أمور خاصة بسلوكهم ، فكان القاضى أبو العباس الغبرينى مثلا منذ تولى منصب القضاء ، لا يحضر الولائم ، ولا يدخل الحمامات ، وابتعد عن مخالطة الناس حتى لا يتأثر بتلك المخالطات فى أحكامه (١٠٩) . لذلك كان اتصاف بعض القضاة بصفات لا تتفق مع منصب القضاء ، كالحدة ، مدعاة لإقالتهم من منصبهم . وهذا ما حدث مع القاضى محمد بن محمد بن سعيد ابن عبد الملك الأنصارى الأوسى المراكشى الذى تولى قضاء مراكش ، ثم عزل عن هذا المنصب بسبب ما كان فى خلقه من الحدة (١١٠) .

وكان للقاضى الحرية فى استخدام الأساليب التى يراها مناسبة للتعرف على المخالفين لقواعد الشرع ، فيؤثر عن القاضى أبى الحسن الصغير أنه اتخذ شماما يستنشق على الناس روائح الخمر كى يقيم عليهم حدها (١١١) .

وقد يسند إلى القاضى بعض الوظائف الأخرى قريبة الصلة بمنصب القضاء ، كالخطابة ، ومن القضاة الذين شغلوا المنصبين معا القاضى محمد بن على بن عبد الرازق الجزولى المعروف بابن الحاج (١١٢) . ومنهم أيضا القاضى الفقيه أبو عبد الله بن أبى الصبر الذى تولى القضاء مع الخطابة (١١٣) .

وقد يسند إلى القاضى القيام بمهمة السفير ، والذى كان يدفع سلاطين بنى مرين إلى اختيار بعض القضاة لهذه المهمة ، ما كان يتحلى به هؤلاء القضاة السفراء من صفات تؤهلهم للقيام بهذه المهام ، فالقاضى أبو إسحاق إبراهيم التسولى التازى ، استعمل فى السفارة إلى جانب توليه منصب القضاء لأنه كان « فارسا شجاعا جميل الصورة نبيه المشاورة فاره المركب وجيها عند الملوك » (١١٤) . ومن القضاة الذين استعملوا فى السفارة أيضا القاضى أبو الحسن الصغير ، وذلك فى عهد السلطان أبى الربيع سليمان المرينى (١١٥) .

وقد حرص سلاطين بنى مرين على تلبية حاجات القضاة ، فأجروا للقاضى راتبا يوميا بواقع مثقال من الذهب فى كل يوم ، كما منح كل قاضى قطعة أرض يزرع بها ما يحتاجه لنفسه وعليق دوابه (١١٦) . وقد حرص بعض القضاة على أن تكون رواتبهم من بيت المال ورفضوا أن يتقاضوا على القضاء شيئا من أرباب الخصومات ومن هؤلاء القضاة الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن أبى الصبر ، ويقول النباهى فى هذا الشأن : « وكان (أبو عبد الله محمد بن أبى الصبر) فى زمانه واحد قطره عدالة وجلالة وصلاحا وفضلا وعقلا وهو أيضا ممن لم يأخذ على القضاء أجرا . ونحا فيما يختص به من الجراية منحى سحنون بن سعيد فى وقته

وطلب أن يكون رزق وزعته من بيت المال لا من قبل أرباب الخصومات (١١٧) .

ومن الأنظمة المتصلة بالقضاء ، نظام العدول – جمع عدل – والعدل فى نظام القضاء الأندلسى – الذى اشتق منه نفس النظام فى بلاد المغرب – هو موظف قضائى مهمته صياغة الوثائق التى يطلبها المتقاضون لدعم موقفهم فى قضاياهم ، والقاضى هو الذى يقرر صحة نص الوثائق من عدمها ، ولا يباشر العدل مهمته إلا بعد أن يقوم القاضى « بتعديله » أى إثبات أنه عدل ، وبذلك يصبح أهلا للتوثيق (١١٨) .

وهناك عدة ملاحظات ينبغى الإشارة إليها بالنسبة لهؤلاء العدول ، فبعض أصحاب هذا المنصب كانوا موضع ثقة من سلاطين بنى مرين ، حتى إن هؤلاء السلاطين كانوا يرسلونهم فى بعض المهام السلطانية التى تحتاج إلى الدقة ، كتلك المهمة التى قام بها أحمد ابن أبى القاسم بن عبد الرحمن المعروف بابن القباب – والذى كان يسميه ابن الخطيب صدر عدول الحضرة الفاسية – وهذه المهمة كانت اختبار واستطلاع الأحوال السلطانية فى مدينة سلا (١١٩) . كما كانت توكل إلى هؤلاء العدول فى بعض الأحيان مهمة الإشراف على بعض الشئون المالية الخاصة بالإنفاق الدينى كالصدقات التى تخرج من بيت مال الدولة ، فقد وكل إلى نفس الرجل مهمة الإشراف من قبل السلطان أبى سالم المرينى على الصدقات التى أخرجت لبعض الرُّبط (١٢٠) .

والملاحظة الأخيرة على نظام العدول أن النظام القضائى كان يبيح لهؤلاء العدول الشهادة أمام القاضى ، وأن هذه الشهادة كانت تدر عليهم شيئا من الربح ، يقول ابن الخطيب عن ابن القباب : « ثم تعرفت (ابن الخطيب) أنه (ابن القباب) نسك ورفض العيش من الشهادة ككثير من الفضلاء » (١٢١) . على أن بعض هؤلاء العدول كان يرقى أحيانا ، فيتولى منصب القضاء كابن القباب الذى تولى منصب القضاء بجبل الفتح (١٢٢) .

٢ – النظر فى المظالم :

وهو نوع من القضاء ابتكره الإسلام ، حيث تكون السلطة فيه أوسع إذ يتولاه الخليفة أو السلطان نفسه ، أو من ينوب عنه من كبار القضاة (١٢٣) . ويقول ابن خلدون عن هذه الوظيفة : « وهى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه (السلطان) يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه » (١٢٤) . فالهدف من هذه الوظيفة تحقيق ما يعجز القضاء عن تحقيقه من أوجه العدل ورد الحقوق إلى ذويها كمحاكمة أصحاب السطوة والنفوذ فى الدولة أو الولاة أو كبار موظفى الدولة إذا اعتدوا على حقوق الناس (١٢٥) .

وقد حرص معظم سلاطين بنى مرين على الجلوس بأنفسهم للنظر فى المظالم ، وقد جرت العادة على أن يقدم المتظلمون ظلاماتهم إلى السلطان فى أثناء ركوبه فى موكبه للنظر فى المظالم ، وكان المتظلم يصيح من بعيد « لا إله إلا الله انصرنى نصرك الله » ، فتؤخذ ظلامته ، وتعطى إلى كاتب سر الدولة ، فإذا جلس السلطان فى القبة المعينة للنظر فى المظالم ، وجلس معه أكابر الأشياخ ، ووقف من دونهم من الأشياخ الصغار متكئين على سيوفهم فى مشهد رهيب ، وقرأ كاتم السر قصص أصحاب المظالم وغيرها ، نظر السلطان فى هذه المظالم بما يراه (١٢٦) .

وكان السلطان أبو الحسن يجلس يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع للنظر فى المظالم ، فتعرض عليه القضايا ، وترفع إليه الشكايات ، فيقضى فيها قضاءه ، علاوة على أنه فى كل يوم كانت تعرض عليه بعض قضايا المظالم ، فيقضى فيها (١٢٧) . وكان يعين للنظر فى المظالم من يثق بهم من كبار رجال دولته من الوزراء والفقهاء ، فمن الفقهاء أبو عبد الله الرندى ، وأبو عبد الله السطى ، ومن الوزراء عامر بن فتح الله السدراتى ، وغارى ابن الكاس ويروى ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن كان يترك قضايا المظالم عنده لتكون فى مأمن من العبث بها (١٢٨) .

واستكمالا للنظر فى المظالم على نحو دقيق يشمل كافة أطراف الدولة ، كان السلطان أبو الحسن يوجه للبلاد فى كل سنة ، من يتفقد أحوال الرعية ، ويحملون إليه شكاوى الناس من كافة الأقاليم ، وأصدر أوامره أن يجتمع فى كل بلد بعد صلاة الجمعة كافة رجال السلطة والإدارة والقضاء ، والوالى وقائد القصبة ، والقاضى ، والخطيب ، والعدول ، لينظروا فى شكاوى مواطنيهم ، فإذا استعصى عليهم شىء كتبوا به إلى السلطان لينظر فيه (١٢٩) .

وتجسد اهتمام سلاطين بنى مرين فى إشاعة العدل ورفع الظلم عن الناس ، فى بنائهم دورا للعدل ، أشبه بالمحاكم ، فى وقتنا الحاضر ، وأطلقوا عليها اسم (قبة العدل) ، وهذه كان يجلس فيها السلطان ، أو من ينوب عنه للقضاء فى المظالم وسماع شكاوى المواطنين (١٣٠) . وأطلق عليها أحيانا مجلس الفصل ، كمجلس الفصل الذى كان بفاس الجديد (١٣١) . وقد بنى سلاطين بنى مرين قباباً للعدل فى غير العاصمة المرينية فاس ، فبنى السلطان أبو الحسن قبة للعدل فى منصورة تلمسان ، وقبة للعدل فى سبتة (١٣٢) .

٣ – الشرطة :

عرفت الدولة المرينية منذ قيامها نظام الشرطة ، ولابد أنهم تأثروا فيه بنظام الشرطة الذى كان سائدا فى الدولة الموحدية ، والذى كان الهدف منه المحافظة على أرواح الناس

وحماية أموالهم وممتلكاتهم وصيانة حقوقهم (١٣٣) . ولاهتمام سلاطين بنى مرين بنظام الشرطة وحرصهم على انتشار الأمن بين ربوع بلادهم ، أسند والى حجابهم وظيفة صاحب الشرطة ، ولذلك اشتهر الحاجب فى الدولة المرينية باسم (المزوار) ، فهو إلى جانب مهامه فى تنظيم المقابلات السلطانية ، يشرف على تنفيذ أوامر السلطان ، وعقوباته ، وحفظ المعتقلين فى السجون (١٣٤) . ويبدو أنه كان يشرف على جهاز الأمن الداخلى للدولة ، ففى كل إقليم من أقاليم الدولة كان هناك إلى جانب الوالى ، وصاحب القصبة والقاضى والمحتسب ، صاحب الشرطة ، الذى كان يمنع انتشار الجرائم ، ويقيم الحدود ، ويباشر القطع والقصاص (١٣٥) . ومن الذين تولوا منصب صاحب الشرطة ، عامر بن محمد الهنتاتى ، ولاه السلطان أبو الحسن المرينى أحكام الشرطة بتونس ، فى أثناء الوجود المرينى بإفريقية (١٣٦) .

وكان صاحب الشرطة فى كل إقليم من أقاليم الدولة يأتمر بأمر والى الإقليم أو المدينة وينقل روجيه لوتورنو ، تأكيدات ليو الأفريقى (الحسن الوزان) من أنه كان فى فاس وحدها أربعة أصحاب شرطة ، كانو يعسون بالليل (١٣٧) . ولم يكن صاحب الشرطة فى الدولة المرينية مسئولا أمام السلطان عن دواعى الأمن فى البلاد فقط ، وإنما كان عليه أن يقدم تقارير وافية عن كل من تحوم حوله الشبهات إلى السلطان ، فتظهر عليه مثلا أية علامات تخالف وضعه الطبيعى فى الدولة ، كأن تظهر عليه علامات الغنى المفاجىء وكان على صاحب الشرطة أن يقدم تقاريره هذه مشفوعة بالأدلة التى تثبت صحة تقاريره (١٣٨) .

وقد تحدث ابن مرزوق عن إحدى هذه الحالات التى قام فيها صاحب شرطة فاس ، بتقديم تقرير عن أحد المواطنين بفاس ويدعى ابن بشيل ، ظهرت عليه علامات الغنى المفاجىء ، فاشترى الحدائق ، واتخذ مراكب الخيل والبغال ، وذكر صاحب الشرطة فى تقريره أن الفقهاء ذكروا له أن ابن بشيل عنده أمانة لعبد من عبيد السلطان ، تقدر بنحو عشرة آلاف دينار من الذهب ، ويخشى صاحب الشرطة أن يكون ابن بشيل ينفق منها ، وعلى الفور قام السلطان بالتحقيق فى التقرير المقدم إليه من صاحب الشرطة ، واستطاع ابن بشيل أن يبرىء نفسه من الشبهة التى حامت حوله (١٣٩) .

٤ - الحسبة :

وهى من الوظائف المعاونة للقضاء والشرطة ، ويقال لصاحبها المحتسب وصاحب الحسبة ، ومتولى الحسبة ، وناظر الحسبة ، ووالى الحسبة (١٤٠) . ويعرف ابن خلدون الحسبة بأنها : « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (١٤١) . فهى قضاء مستعجل يصدر فيه المحتسب الحكم وينفذه فى وقت واحد (١٤٢) . وهدفها حماية

الجماهير من الغش والاستغلال ورعاية المصالح والآداب العامة (١٤٣) . إذ وظيفة المحتسب البحث عن المنكرات ، والمحافظة على المصالح العامة فى المدينة كمنع المضايقات فى الطرقات ، ومنع الحمالين وأصحاب السفن من الإكثار فى الحمل ، والحكم فى أصحاب المبانى المتداعية بهدمها أو إزالتها ، والحد من ضرب المعلمين للصبيان ، كما أنه يراقب الغش والاستغلال ، والنقص فى الموازين والمكاييل (١٤٤) . ولذلك كان من الشروط الواجب توافرها فى المحتسب كما يقول الماوردى : « أن يكون حرا عدلا ذا رأى وصرامة وخشونة فى الدين وعلم بالمنكرات الظاهرة » (١٤٥) . ولكى يؤدى المحتسب واجبه على أحسن وجه ، كان له أن يتخذ الأعوان والغلمان ، يجمعون له الأخبار ، وهذا أدعى لبث الخوف والرعب فى قلوب العامة والمخالفين (١٤٦) .

وقد اهتم المرينيون بهذه الوظيفة اهتماما كبيرا ، فجعلوا صاحبها (المحتسب) أحد عناصر الإدارة الهامة فى كل مدينة من مدن الدولة المرينية ، حيث كانت المدينة تدار بواسطة الوالى والقاضى وصاحب الشرطة والمحتسب (١٤٧) . وهذا الأخير كانت مهمته النظر فى شئون الأسواق والسقائين والحمامات ، ويشرف على مايستعمل فى الأسواق أيضا من المكاييل والموازين ، ويتأكد من جودة البضائع ، خوفا من مضرتها للصحة العامة ، ويحرص على نظافة الحمامات ومراعاة الآداب العامة بها (١٤٨) . وقد بنى المحتسب « ذراعا » مضبوط قياسها ، لتكون أساسا لمقاييس جميع أهل القيسارية التى تباع فيها الأقمشة والمنسوجات (١٤٩) . كما كان المحتسب يقوم بدور الحكم فى الخصومات التى تنشب بين أهل الصناعة الواحدة فيما بينهم ، وأحيانا فى الخلافات التى تكون بين البائع والمشترى ، ولذلك كان المحتسب فى العصر المرينى يحيط نفسه بمجموعة من الأعوان من ذوى الخبرات المختلفة بالصناعات كعرفاء الأسواق وأمناء الصناعات الذين يشبهون ما يسمى الآن برؤساء الغرف التجارية والصناعية (١٥٠) . وتعنى كل هذه الوظائف للمحتسب فى العصر المرينى أنه كان يشرف بدرجة كبيرة على كثير من وجوه الحياة الاقتصادية فى الدولة (١٥١) . ويشير روجيه لوتورنو إلى بعض العقوبات التى كان ينزلها المحتسب بأرباب الصناعات الرديئة ، أو أصحاب السلع المغشوشة أو التالفة ، فقد كان هناك فى فاس لكل طائفة مصطبة تعرض عليها المصنوعات الرديئة ، وعليها أسماء أصحابها من الصناع المهملين ، وفى كثير من الأحيان لم يكن أمام الصانع غير الشريف من سبيل غير ترك المدينة والرحيل عنها ، وإذا باع جزار لحما تالفا ، فإن المحتسب يأمر بتقطيع اللحم إلى قطع صغيرة يصنع منها عقد يوضع فى رقبة الجزار ، الذى عرض هذا اللحم التالف ، ثم يطاف به فى المدينة فى حراسة أعوان المحتسب ، وهو يردد بصوت عال اعترافه بذنبه (١٥٢) .

ثانيا : النظم الاقتصادية

أ - النظام المالى لدولة بنى مرين :

عاشت دولة بنى مرين فترات كبيرة من حياتها فى بلاد المغرب فى ظل الرخاء والازدهار ، ومرجع ذلك إلى التنظيم الدقيق الذى سار عليه المرينيون فى سياستهم المالية واشرافهم عليها ، فضلا على ما كان لدى هذه الدولة من موارد اقتصادية هائلة ، دعمتها الأنشطة الرئيسية فى الدولة المتمثلة فى الإنتاج الزراعى والصناعى وسائر الأنشطة التجارية الأخرى .

وقد أقام المرينيون نظامهم المالى فى الجباية والإنفاق على أساس أن والى كل إقليم من أقاليم الدولة مسئول مسئولية كاملة عن الجباية والانفاق فى ولايته أمام الوزير المختص بالإشراف على خطة الجباية أو المتولى لها (١٥٣) . ووفقا للتقسيم الإدارى للدولة المرينية ، كانت هناك تسع ولايات تخضع من ناحية الإشراف المالى لإشراف دقيق (١٥٤) . وفى بعض الأحيان أسند الإشراف على ديوان الخراج إلى شخص دون الوزير ، وفى أحيان أخرى أسندت إلى الوزراء ، وكلاهما كان يخضع مباشرة للسلطان المرينى سواء كان وزيرا ، أو أقل من الوزير ، وهذا الشخص هو الذى يتولى بنفسه التدقيق والتوقيع بصحة الحسابات سواء فى الخراج أو العطاء (١٥٥) . وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله : « وأما دولة بنى مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذى يصحح الحسبانات كلها ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو الوزير وخطه معتبر فى صحة الحسبان فى الخراج والعطاء » (١٥٦) .

ويتحدث ابن خلدون ، وهو أحد رجال الإدارة فى الدولة المرينية عن أهمية ديوان الخراج فيقول : « اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهى القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الدخل والخرج ، وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى إباناتها والرجوع فى ذلك إلى القوانين التى يرتبها قومه تلك الأعمال وقهارمة الدولة وكلها مسطورة فى كتاب شاهد تفاصيل ذلك فى الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان » (١٥٧) . ويظهر من هذا النص أنه كانت هناك لائحة لديوان الخراج تتضمن القوانين المختلفة التى تضبط الدخل والمنصرف من الخزانة المرينية .

وكان المشرف على هذا الديوان يسمى فى عهد السلطان أبى الحسن كاتب الجباية والعساكر ، أو صاحب الأشغال ، وهذه إشارة إلى أن وظيفة هذا الديوان لم تكن الجباية فقط ، وإنما كانت توزيع العطاء على الجند وموظفى الدولة ، وقد أطلق على هذا الديوان فى عهد أبى عنان اسم ديوان الجند والحساب (١٥٨) .

واشتمل ديوان الخراج فى الدولة المرينية على عدد كبير من هؤلاء المهرة الذين تحدث عنهم ابن خلدون والذين كانوا يباشرون صرف العطاء وجمع الجبايات وكانوا يسمون بالكتاب (١٥٩) . وفى بعض الأحيان كان السلطان المرينى يسند إلى شخصية من الشخصيات الهامةفى الدولة ، مهمة توزيع العطاء والمرتبات ، فى بعض الأماكن الحساسة من الدولة ، فأبو الحسن المرينى وجه الخطيب ابن مرزوق ليقوم بتوزيع العطاء ، والرواتب على أهل رندة وجبل الفتح ، وقام بهذه المهمة لمدة سنة كاملة (١٦٠) . وجعل معظم سلاطين بنى مرين العمل فى هذا الديوان وقفا على المسلمين (١٦١) . كما استحدث المرينيون وظيفة جديدة فى ديوان الخراج ، لم تكن موجودة قبل ذلك عند المرابطين أو الموحدين وهى وظيفة (شهداء البيت) ، يقول ابن مرزوق فى شأن أصحاب هذه الوظيفة : « شهداء البيت (بيت المال) وهى أشرف خطط العدالة يشهدون على الحاصل فى بيوت الأموال الداخل والخارج ويرجع إليهم ساير الأعمال وترفع لهم الجرائد » (١٦٢) . ومن الذين تقلدوا هذه الوظيفة أبو العباس أحمد بن حسن البليانى التلمسانى (١٦٣) .

ومن الوزراء الذين تولوا ديوان الخراج ، أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتى ، وكان ذلك فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى (١٦٤) . ومن هؤلاء الوزراء أيضا ، أبو حركات عسكر بن طلحة بن تاحضريت ، وهذا الوزير « اشتد على الولاة وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم لأنه قد شاركهم فى الخطة بضبط الأمول » (١٦٥) .

ومن خلال النظام المالى المحكم الدقيق أمكن لبعض المؤرخين أن يحصلوا على بعض الإحصائيات الدقيقة عن الرواتب فى بعض قطاعات العمل فى الدولة المرينية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أنه خلال حصار الجزيرة الخضراء فى عهد السلطان أبى الحسن ولمدة عامين بلغت رواتب الجند الأندلسى والمرينى التى تتحملها الخزانة المرينية خمسين ألف دينار من الذهب فى كل شهر (١٦٦) .

ويروى القلقشندى معلومات وفيرة ومفصلة عن رواتب الأشياخ – كبار قادة الجيش المرينى – والجند فى العصر المرينى على اختلاف مستوياتهم ، فالأشياخ الكبار ، كانوا يمنحون إلى جانب الإقطاعات الجارية ، عشرين ألف مثقال من الذهب فى رأس كل سنة ، والأشياخ الصغار يأخذون نصف ما يأخذه الأشياخ الكبار (١٦٧) . أما الجند فهم على طبقات ، فمنهم

ين مثقالا من الذهب فى كل شهر ، ومنهم من يتقاضى ستة مثاقيل فى كل

ى القضاة ، فله فى كل يوم مثقال من الذهب ، وقطعة من الأرض يزرع بها
ـه وعليق دوابه (١٦٩) . كما كان كاتب السر يتقاضى فى كل يوم مثقالان
و له مَحيِّران (قريتان) يتحصل له منهما متحصل جيد من المال ، وإلى جانب
ت له رسوم كثيرة على البلاد ومنافع وإرفاقات يحقق منها دخلا كبيرا (١٧٠) .
المرينيين أقطعوا كبار موظفى الدولة إلى جانب رواتبهم الإقطاعات الجارية ،
ن نظم الإقطاع التى كانت سائدة آنذاك ، فى جهات كثيرة من العالم
لكن الذى يلاحظ هنا أن هذه الإقطاعات كانت مرتبطة بالوظيفة التى يؤديها
الاقطاع ، اذ أنه يتميز بهذا الإقطاع بسبب ما يقوم به من عمل فى خدمة

أول إشارة لنظام الإقطاع بمعناه الواسع فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ،
رزوق أن هذا السلطان ألغى نظام الالتزام فى تحصيل جبايات الدولة المرينية
ا رفعه (أبو الحسن المرينى) وكان شائعا شنيعا اكتراء الولاة للبلاد فإنهم كانوا
البلاد وكان سبب ذلك تمالؤهم على الخيانة فى ولايتهم على سبيل الأمانة فإذا
امتدت أيديهم وكثرت عاديتهم وظلمهم فإذا زجروا اعتلوا بالالتزام فأسقط
هذا اللقب ولم يبق له أثر فى المغرب فصار يوليهم إياها أمانة » (١٧١) .

النص يشير إلى عدة حقائق أولها : أن بعض سلاطين بنى مرين قبل السلطان أبى
ا إلى ولاة الأقاليم أمور الجباية بطريق الالتزام .

ا : أن عيوب هذا النظام ظهرت بوضوح متمثلة فى ظلم الولاة للشعب
ى دفع مبالغ كبيرة من المال .

: أن أبا الحسن قرر إلغاء هذا النظام ، واتباع نظام الأمانة ، حتى لايتعسف
اية الأموال أو مطالبة الناس بأكثر مما عليهم تعللا بالالتزام .

السلطان أبو الحسن يطمئن دائما على سلامة النظام الجديد بما كان يقوم به الفقيه
لقبائلى – الذى كان يتولى منصب صاحب الأشغال – من معارضة ما يجبى
: بما كان يجبى منها التزاما : « فيقول تقارب الخراجان أو زاد أحدهما
(١٧٢ .

ب - مصادر الدخل فى دولة بنى مرين

تعددت مصادر الدخل للخزانة المرينية ، وتكاد هذه المصادر تنحصر فى : الزكاة ــ الخراج - الجزية ــ الضرائب ــ الغنائم ــ المصادرات . ولم تكن هذه المصادر ثابتة ، فى كافة عهود سلاطين بنى مرين ، حيث مال بعض السلاطين المرينيين إلى قصر هذه المصادر على ما أمر به الشرع ، والاستغناء عن المصادر الأخرى التى لم يقرها الشرع ، ومال أخرون إلى التخفيف بإلغاء بعض الضرائب فقط ، فالسلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى والسلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب ، وضعا فى عهدهما نظاما جديدا للجباية اقتصرا فيه على الزكاة والأعشار الدينية فيما يخص رعايا الدولة من المسلمين ، والجزية فيما يخص الذميين (١٧٣) . ومن سلاطين بنى مرين الذين خففوا بعض الضرائب المفروضة على الشعب ، أبو الحسن المرينى ، الذى رفع كثيرا من المكوس من بوادى الدولة وحواضرها (١٧٤) .

١ - الزكاة :

وهى من المصادر الهامة للدخل أيام المرينيين ، وذلك لأنها تستند فى مشروعيتها ، وتحديد كمياتها إلى الشرع (١٧٥) . وظلت الزكاة بجميع أنواعها تخضع فى جمعها لسلطة الدولة ، وفقا للمقادير التى أمر بها الشرع . حتى إذا جاء عهد السطان أبى يعقوب يوسف المرينى ، ترك للناس حرية التصرف فى زكاة الفطر فقط ، بعد أن كانت الدولة تقوم بجمعها والإشراف على توزيعها وإنفاقها ، كباقى أنواع الزكاة الأخرى . أما باقى أنواع الزكاة فظلت تخضع فى جمعها . وصرفها - فى مصادرها الشرعية - إلى سلطة الدولة نفسها (١٧٦) . وحرص كثير من سلاطين بنى مرين على استعمال الفقهاء فى جمعها مراعاة للدقة والتزاما لجانب العدل فى ذلك ، إذ الفقهاء أقدر الناس على تقديرها وضبطها . ومن هؤلاء الفقهاء الذين استعملوا فى هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله القشتالى ، استعمله أبو الحسن المرينى « فى سماع الشكيات وفى الزكوات وألزمه حضور مجالسه العلمية » (١٧٧) .

٢ - الخراج :

لم ينظر المرينيون إلى أرض المغرب نظرة الموحدين إلى اعتبارها أرض خراج ، وإنما اعتبروا أرض المغرب أرض عشر لأنها أرض أسلم أهلها عليها (١٧٨) . لذا لم أجد فى المصادر التى تعرضت للعصر المرينى ذكر لكلمة خراج ، ولكن ذكرت كلمة عشر (١٧٩) . وذكرت كلمة أعشار الروم (١٨٠) . والأولى تشير إلى المتحصل من الأموال على الأراضى ،

وفقا لما أقره الشرع ، أى العشر فى الأرض التى تسقى سيحا أو بالماء (أى بدون معونة) ، أما الأراضى التى تسقى بغرب أو دالية أو ساقية (أى بمئونة) ففيها نصف العشر (١٨١) .

أما أعشار الروم فهى من موارد الدولة ، وهى الرسوم التى تؤخذ على أموال وتجارة أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الإسلام (١٨٢) . وكان بعض سلاطين بنى مرين يأمرون أحيانا باستخدام أموال هذه الأعشار فى إجراء بعض الإصلاحات فى المساجد ، وهذا يعنى أن المرينيين كانوا ينظرون إلى هذه الأعشار على أنها ضمن خراج الدولة ، طبقا لما ذكره أبو يوسف : « فما يؤخذ من المسلمين من العشور فسبيله سبيل الصدقة ، وما يؤخذ من أهل الذمة جميعا وأهل الحرب فسبيله سبيل الخراج » (١٨٣) .

٣ - الجزية :

شكلت الجزية مصدرا من مصادر الدخل للخزانة المرينية (١٨٤) . وهى ضريبة واجبة على جميع أهل الذمة (١٨٥) . وهم يدفعون هذه الضريبة فى مقابل ما يتمتعون به من الأمن والحماية فى ظل الحكومة الإسلامية وتؤخذ من الرجال الأحرار العقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبى ولا مجنون ولا عبد لأنهم أتباع وزرارى (١٨٦) . ولا تؤخذ الجزية أيضا من المسكين الذى يتصدق عليه ، ولا من مقعد ، ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولا من المترهبين وأهل الصوامع إن لم يكونوا ذوى يسار (١٨٧) . وأيضا لا تؤخذ من الشيخ الكبير الذى لا يستطيع العمل ولا شىء له (١٨٨) . وفى بعض الأحيان استخدم المرينيون حصيلة أموال الجزية فى إصلاح المساجد وترميمها (١٨٩) . أو أنفق منها على المارستانات وعلاج المرضى ومساعدة الفقراء بمرتبات شهرية تعطيها لهم الدولة (١٩٠) . وكانت هذه الجزية فردية بواقع دينارين وثمن دينار للفرد الواحد (١٩١) .

٤ - الضرائب :

فرض عدد من سلاطين بنى مرين ألوانا مختلفة من الضرائب ، غير تلك التى أقرها الشرع ، وقد زادت هذه الضرائب فى بعض الأحيان عن الحد ، الأمر الذى دعا بعض سلاطين بنى مرين إلى تخفيفها أو إلغائها وجاءت أول إشارة إلى وجود ضرائب زائدة على ما أمر به الشرع فى الدولة المرينية ، فى مطلع عهد السلطان يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق ، إذ رفع هذا السلطان ما كان مفروضا على الديار من ضرائب تعرف باسم الانزال ونوعا آخر من المكوس (١٩٢) . وتوالت بعد ذلك إشارات بعض المؤرخين إلى رفع أنواع أخرى من الضرائب عن كاهل الشعب المرينى ، كما حدث فى عهد السلطان أبى سعيد المرينى ، والسلطان أبى الحسن المرينى (١٩٣) . وقد أفاض ابن مرزوق فى الحديث عن أنواع الضرائب التى رفعها السلطان أبو الحسن عن شعبه منها (١٩٤) :

١ – الخرص : فرضت هذه الضريبة على الحدائق ، وكانت الحدائق تعجز فى كثير من الأحيان عن الوفاء بهذه الضريبة الأمر الذى دعا كثير من أصحابها إلى قطع أشجارها هروبا من هذه الضريبة .

٢ – الجمون : وهى ضريبة كانت تفرض على أهالى سجلماسة والقبلة على النخل والزروع ، وكان المتحصل من هذه الضريبة أحمالا كثيرة من الذهب .

٣ – الانزال : ضريبة مفروضة على ديار الاغنياء بعدوة الأندلس .

٤ – الفطرة : ضريبة تؤخذ فى رمضان .

ومن أنواع الضرائب التى حققت دخلا كبيرا للخزانة المرينية ، تلك الضريبة التى كان يدفعها التجار بصفة خاصة ، والتى أطلق عليها اسم (اللوازم المخزنية) (١٩٥) . كما كانت هناك الضرائب المعروفة باسم القبالات (١٩٦) . وهذا الاسم استخدم فى المغرب والأندلس ليدل على الضرائب التى كان يؤديها أصحاب الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية (١٩٧) . والمكوس (١٩٨) . وكانت تفرض على السلع المارة فى أماكن العبور (١٩٩) . وكانت هناك ضرائب أخرى تفرض على بائعى اللحوم المشوية فى الشوارع ، وعلى الخضر المطروحة للبيع فى الأسواق ، وعلى المكاييل فى أسواق الحبوب ، كذلك كانت الخزانة المرينية تتقاضى ضريبة معينة على كل ثوب من القماش المستورد من أوربا يباع فى القيسارية (٢٠٠) . وأخيرا فقد كانت الموانىء مصدرا هاما من مصادر الجباية ، أمدت المرينيين بكثير من الأموال فكان إيراد ميناء سبتة من الضرائب فى اليوم يتراوح بين خمسمائة دينار إلى سبعمائة وفى بعض الأحيان كان يصل إلى ألفى دينار فى اليوم (٢٠١) .

٥ – الغنيمة :

الغنيمة فى اللغة هى ما يناله الرجل أو الجماعة بسعى ، وشرعا هى كل ما أصابه المسلمون من عساكر الكفار عن طريق الحرب (٢٠٢) . أو هى على وجه التحديد « الأموال : أى المنقولات التى أخذت من المشركين بالقتال » (٢٠٣) .

والغنيمة بهذا المعنى كانت مصدرا هاما من مصادر الدخل فى الدولة المرينية ، لأن المرينيين اضطلعوا بأعباء الجهاد فى الميدان الأندلسى – بعد سقوط دولة الموحدين – ضد نصارى أسبانيا ، الذين كانوا يلحون لالتهام ما تبقى للمسلمين من ممتلكات فى بلاد الأندلس ، وحصل المرينيون نتيجة للمعارك التى خاضوها فى هذا الميدان على كثير من الغنائم ، التى دعمت دخل الدولةالمرينية ، وعززت موقفها المالى ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فالسلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق – مؤسس الدولة المرينية – خلال

عبوره الأول إلى بلاد الأندلس سنة (٦٧٤هـ — ١٢٧٥ م) ألحق الهزيمة بجيوش النصارى بقيادة (دون نونيو دى لارا) – الذى تسميه بعض المصادر العربية « ذنته » – (٢٠٤) . واستولى على غنائم كثيرة تحدث عنها المؤرخون (٢٠٥) . فصاحب الذخيرة السنية يروى أنها كانت « مائة ألف رأس من البقر وسبعة وعشرين ألف ، وأما الغنم فلا تحصى حتى بيعت الشاة منها بالجزيرة بدرهم وكان عدد الأسرى من الرجال والنساء والذرية سبعة آلاف وثمانى مائة وثلاثين نفسا وعدد البغال والحمير أربعة عشر ألف رأس وستمائة رأس وأما الدروع والسيوف والمغامز والتراس والبيضات فما لذلك عدد لكثرته فامتلأت أيدى المسلمين وصلح حالهم وحال أهل الأندلس » (٢٠٦) . والعبارة الأخيرة تبين مدى الأثر الاقتصادى الذى تحدثه هذه الغنائم من الرخاء والسعة على المواطنين المرينيين .

وقد طبق سلاطين بنى مرين القواعد الشرعية المرعية فى توزيع هذه الغنائم ، فالسلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى قسم الغنائم السابقة « على المجاهدين بالسوية والاعتدال للفارس سهمان والراجل سهم واحد بعد أن نزع الخمس لبيت المال » (٢٠٧) .

٦ – المصادرات :

كانت المصادرات من المصادر التى أمدت الخزانة المرينية بمبالغ كثيرة من الأموال ، فكان الولاة يوقعون على التجار عقوبة المصادرة ، فيصادرون السلع التى يحاول التجار اخفاءها لترتفع أسعارها ، وقد لا يكتفى الولاة بمصادرة السلعة ، فيوقعون غرامة تصل إلى خمسة أضعاف سعر السلعة المصادرة . وقد ألغى هذا النوع من المصادرات فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى الذى رآه عبئا ثقيلا على كاهل التجار الذين تعرضوا لكثير من أذى الولاة (٢٠٨) . يقول ابن مرزوق : « ومن جملة ما رفع عنهم (التجار) وظائف استغراق السلع إذا ظهر الولاة على أن التجار تحملوا فى سرقتها المخزن فكانوا يجعلون عقوبة ذلك أخذ السلعة كلها أو تغريم خمسة مخازن وهو تضعيف المغرم المعهود خمس مرات فكان الولاة يجمعون من ذلك أموالا جمة يلتزمون بسببها ما لا يلتزمونه » (٢٠٩) .

وكانت المصادرة عقابا يواجه به ولاة الأمر انحرافات المسئولين والموظفين فى الدولة ، فالسلطان أبو سعيد عثمان المرينى أمر بمصادرة أموال منديل بن محمد الكنانى نتيجة بعض الأخطاء الجسيمة التى أخذت عليه (٢١٠) . وأبو الحسن المرينى أمر بمصادرة الأملاك التى اشتراها الخطيب أبو الفضل محمد بن أبى الحسن المزوغنى من أموال الأحباس والأوقاف ، التى كان يشرف عليها ، بعد أن ثبت تورطه فى إنفاق هذه الأموال بطريق غير سليم (٢١١) .

ج - عناصر الاقتصاد المرينى

١ - الصناعة

مثلت الصناعة فى الدولة المرينية نشاطا من الأنشطة الاقتصادية الهامة ، التى يعتمد عليها المواطنون فى الدولة المرينية ، إذ أمدت هذه الصناعات المواطنين باحتياجاتهم ولوازمهم ، ومماساعد على قوة هذا اللون من النشاط الاقتصادى ، أن الموحدين خلفوا للمرينيين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها بعض مصادر التاريخ ، فالجزنائى يذكر أن مدينة فاس - قاعدة الصناعة الرئيسية فى المغرب الأقصى كان بها فى أواخر العصر الموحدى ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين دارا لصناعة الأطرزة ، وسبعة وأربعون دار لصناعة الصابون ، وستة وثمانون دار للدباغة ، ومائة وستة عشر دارا للصباغة ، واثنا عشر دارا لسباكة الحديد والنحاس ، وأحد عشر دارا لصناعة الزجاج ، ومن كوش الجير مائة وخمسا وثلاثين ، وألف ومائة وسبعون فرنا لصناعة الخبز ، وأربعمائة من أحجار صناعة الكاغيد (الجلد) ، عدا ما فى خارج المدينة من دور لصناعة الفخار ، تصل إلى مائة وثمانين دارا (٢١٢) .

ويذكر الجزنائى أن الصناعة قد ازدهرت فى العصر المرينى عما كانت عليه فى أيام الموحدين ، بسبب اتساع العمران حول فاس القديمة ، ببناء فاس الجديدة أو المدينة البيضاء وحى الملاح (٢١٣) . ويؤكد ذلك الجزنائى ، فبعد أن استعرض أنواع الصناعات السابقة التى ورثها المرينيون عن العهد الموحدى قال : « ولو مر (المار) بالمدينة البيضاء والملاح وما هو إلى ذلك من الكهوف مقيم الآن بفاس فكانت (المصانع) تنتهى لأكثر من ذلك » (٢١٤) .

ومما لا شك فيه أن ذلك التقدم الصناعى كان بسبب توفر المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة والتوتيا ، التى يصبغ بها النحاس الأحمر ليصبح نحاسا أصفر (٢١٥) . كذلك توفرت المواد الخام التى تدخل فى صناعة مواد البناء من الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال (٢١٦) . كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتى استخدمت فى صناعة أدوات الزينة (٢١٧) . وكذلك الياقوت المستخرج من جبل هزرجة بالقرب من أغمات (٢١٨) . كما توفرت أيضا أخشاب الأرز التى استعملت فى بناء المنازل والمنشآت والسفن ، وهذه توفرت بكميات كبيرة فى الغابات الكثيرة بالمغرب الأقصى ، كغابات جبال بنى يزغة ، التى تبعد عن فاس بثلاثين ميلا (٢١٩) . وتوفرت أيضا أنواع أخرى من الأخشاب استعملت فى صناعة الفحم ،

كخشب البلوط المتوفر فى منطقة جبل بنى بهلول (٢٢٠) .

وإلى جانب توفر المواد الخام توفرت الخبرات اللازمة للتقدم الصناعى ، ويروى ابن أبى زرع أن أكثر الأهالى فى عدوة القرويين من فاس القديمة كانوا صناعا (٢٢١) . وقد أكتسب الصناع فى العصر المرينى خبرتهم من رصيد الخبرة الكبير الذى كان فى عصر الموحدين ، والذى تضخم بسبب الخبرات الصناعية الوافدة إلى المغرب الأقصى من بلاد الأندلس (٢٢٢) .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى العصر المرينى صناعة عصر الزيتون لاستخراج زيت الزيتون ، واشتهرت فاس بهذه الصناعة لقربها من غابات الزيتون فى شمالى المدينة إلى نهر سبو ثم إلى نهر ورغة ، وحتى فيما وراء ذلك إلى سفوح الجبال التى تطل على البحر المتوسط (٢٢٣) . وصناعة السكر التى انتعشت فى المناطق التى تجود فيها زراعة قصب السكر فى جزائر بنى مرغناى وسلا ومراكش ، ففى هذه المراكز الثلاثة يعصر قصب السكر ، ويصنع منه القند ، ومن القند يكون السكر على أنواع كما يقول القلقشندى (٢٢٤) . وكانت فى مراكش أربعون معصرة لصناعة السكر ، وذلك لوفرة محصول قصب السكر هناك ، حتى أن حمل الحمار من هذا القصب كان يباع بدرهم (٢٢٥) .

كما نشطت فى العصر المرينى بعض الصناعات الدقيقة ، كصناعة الساعات والاسطرلابات (٢٢٦) . ففى سنة (٦٨٥هـ ــ ١٢٨٦ م) صنع المُعَدِل أبو عبد الله محمد بن الحباك ساعة لمعرفة الوقت ، وهى عبارة عن : « بدنا من الفخار بالقبة العليا فيه الماء وجعل على وجه الماء مجرى من نحاس فيه خطوط وثقاب يخرج منه الماء بقدر معلوم إلى أن يصل الخطوط فيعلم بذلك أوقات الليل والنهار فى أيام الغيم ولياليها » (٢٢٧) . وصنعت ساعات أخرى غير هذه الساعة ، كالتى صنعها أبو عبد الله محمد الصنهاجى سنة (٧١٧هـ ــ ١٣١٧ م) (٢٢٨) . وأجرى عليها أبو عبد الله محمد بن العربى تعديلات فى سنة (٧٤٧هـ ــ ١٣٤٦ م) (٢٢٩) . وفى سنة (٧٥٨هـ ــ ١٣٥٦ م) ، صنع المعدل أبو الحسن على بن أحمد التلمسانى للسلطان أبى عنان المرينى مجانة (ساعة) ، « بطيسان وطوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التى أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة فى طاس وتنفتح طاق » (٢٣٠) .

واهتم سلاطين بنى مرين اهتماما كبيرا بالصناعات الحربية لحاجتهم إلى الجيوش القوية التى يدافعون بها عن حدودهم ضد الأخطار التى تهددهم دائما من الشرق ، ولكى يقوموا بالجهاد المقدس دفاعا عن الإسلام فى بلاد الأندلس ، وتدل الروايات على أن المرينيين كانوا يملكون ترسانةقوية لصناعة الأسلحة اللازمة لجيوشهم ، حيث استخدم الجيش المرينى أحدث

أسلحة العصر فى معاركه فالمعروف طبقا لرواية ابن خلدون ، أن المرينيين كانوا روادا فى استعمال البارود ، بل لعلهم أول من استعملوه فى صناعة المدافع التى استخدمت فى قذف الأسوار ، وتحطيمها ، وجاءت أول إشارة لاستخدام هذه الأسلحة النارية ، عندما توجه السلطان أبو يوسف يعقوب المرينى لفتح سجلماسة سنة (٦٧٢هـ — ١٢٧٣ م) ، « ونصب عليه آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزنة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة ترد الأفعال إلى قدرة باريها » (٢٣١) . ولم يكن لهذه المدافع اسم ، وإنما اكتفى ابن خلدون بوصفها . وقد استعمل المرينيون هذا السلاح النارى فى الدفاع عن الجزيرة الخضراء التى هاجمها القشتاليون سنة (٧٤٢هـ — ١٣٤٢ م) (٢٣٢) . ونوع أخر من الأسلحة اهتم به سلاطين بنى مرين وهو المعروف باسم (قوس الزيار) وكلفوا مهندسى الأسلحة بصنعه ، وقد استخدمت هذه القوس فى حصار تلمسان الكبير فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب المرينى ، ويبدو أن هذه القوس كانت بعيدة المدى فى إصابة أهداف العدو (٢٣٣) .

يضاف إلى الأسلحة السابقة تلك الأسلحة التقليدية من السيوف ، والرماح ، والدرق ، والمجانيق ، والعرادات ، والآلات المختلفة التى تستخدم فى عمليات الحصار .

كما ازدهرت بعض الصناعات الأخرى وثيقة الصلة بالجيش ، كصناعة الأزياء العسكرية اللازمة للقادة والجند ، وتحدث القلقشندى عن أشكال هذه الأزياء العسكرية للأشياخ والجنود فقال : « أما الأشياخ وعامة الجند فإنهم يتعممون بعمائم طوال قليلة العرض من الكتان ، ويعمل فوقها إحرامات يلفونها على أكتافهم ، ويتقلدون السيوف تقليدا بدويا ، ويلبسون الخفاف فى أرجلهم وتسمى عندهم (الأنمقة) ، ويشدون فوقها المهاميز ، ويتخذون المناطق وتسمى (الحوائص) أو (المضمات) وهى من الذهب أو الفضة ، وقد يصل وزن المضمة ألف مثقال ، ولذلك لا يشدونها إلا فى يوم الحرب أو يوم التمييز — وهو يوم عرضهم على السلطان » (٢٣٤) . ، هذا عدا ما يصرف للأشياخ والجنود على مختلف رتبهم من الأثواب والشاش والجوخ وهى من لوازم الميدان (٢٣٥) .

ومن الصناعات التى ارتبطت بالجيش أيضا صناعة الأعلام والطبول اللازمة للجيش المرينى ، وقد أطلق على علم الدولة المرينية اسم العلم المنصور ، أو سعد الدولة ، وهو علم أبيض من حرير مكتوب فيه بالذهب المنسوج ، وفى أعلى دائرة آيات من القرآن الكريم ، وكان هذا العلم يحمل فى مواكب السلطان (٢٣٦) . ودون هذا العلم كانت تصنع أعلام أخرى صغيرة مختلفة الألوان يبدو أنها كانت ترمز إلى وحدات الجيش المرينى وأفرع أسلحته (٢٣٧) . وما من شك فى أن ضخامة الجيش المرينى تظهر بالتالى ضخامة الصناعات

العسكرية ، ولوازمها ، فقد بلغ تعداد الجيش المريني بعد فتح تلمسان فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى مائة وأربعين ألف جندى ، غير حفظة المدن والسواحل (٢٣٨) .

واهتم سلاطين بنى مرين أيضا بالصناعات اللازمة للأسطول المرينى ، وخاصة صناعة السفن لأهميتها لهم فى العمليات الحربية فى الميدان الأندلسى ، وللدفاع عن سواحل دولتهم ، وبلغ من اهتمام سلاطين بنى مرين ، أن أبا الحسن المرينى كلف أحد وزرائه ، وهو أبو ثابت عامر بن فتح الله السدراتى ، بالإشراف على بناء دار صناعة السفن بسبتة (٢٣٩) . كما اهتم بدار الصناعة الأخرى الموجودة بسلا ، فكان يرسل إليها أحمالا من خشب الأرز من موضع (منزل خولان) ، ليصنعها المهندسون البحريون سفنا حربية (٢٤٠) . كما كان أبو عنان المرينى يبنى السفن الصغيرة فى منزل خولان ، ثم تدفع هذه السفن فى وادى سبو حتى تصل إلى البحر المحيط (المحيط الأطلنطى) ، وبنى هناك من أنواع هذه السفن (شيطى) ، ويحمل مائة وعشرين محاربا ، (وشلر) ويحمل ستين محاربا (٢٤١) .

٢ – الزراعة

ازدهرت الزراعة فى العصر المرينى بفضل ما تمتع به المغرب الأقصى من دعائم لازمة للزراعة ، وأهمها وفرة مصادر المياه ، وجودة التربة ، وتنوع المناخ ، الذى كان له أثره فى تنوع المحاصيل والثمار (٢٤٢) . وقد أشار المراكشي إلى هذه الحقيقة الهامة حين قال : « وهى (أى أرض المغرب الأقصى) أخصب رقعة على الأرض فيما علمت وأكثرها أنهارا مطردة وأشجارا ملتفة وزروعا وأعنابا » (٢٤٣) . وأشهر مصادر المياه فى المغرب الأقصى هى :

١ – نهر مُلْوِيَة : وينبع فيما بين تلمسان ورباط تازا ويصب فى البحر المتوسط (٢٤٤) .

٢ – نهر سبو : وهو يحيط بمدينة فاس وشرقها وغربها (٢٤٥) .

٣ – نهر وَرْغَة : وهو يجاور نهر سبو ، وهما يصبان فى البحر المحيط (المحيط الاطلنطى) بعد أن يلتقيا معا عند الموضع المعروف باسم المعمورة (٢٤٦) .

٤ – نهر بَهْتا : ويقع هذا النهر بين مكناسة وسلا ويصب مياهه فى البحر المحيط (٢٤٧) .

٥ – نهر أم الربيع وأبو الرقراق : وهما فيما بين سلا ومراكشى ، وينبعان من جبال صينهاجة (الأطلس المتوسط) ، ويصبان فى البحر المتوسط ، ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى ، لوفرة مياهه ، وانتظام جريانه (٢٤٨) .

٦ – نهر تانسيفت ونهر السوس الأقصى : وهما على بعد أربعة أميال من مراكش ، ويصبان أيضا فى البحر المحيط (٢٤٩) .

٧ – نهر شَفْشَاوة : وهو ببلاد حاحة ويصب فى البحر المحيط (٢٥٠) .

وهذه الأنهار لا يقل ماؤها ، ولا ينقطع شتاء ولا صيفا (٢٥١) . وكان لذلك أثره الكبير فى استقرار الحياة الزراعية بالمغرب الأقصى . وغير هذه الأنهار الكبيرة فهناك بالمغرب الأقصى كثير من الأودية الصغيرة التى يظل فيها الماء طول السنة ، عدا فصل الصيف (٢٥٢) . وهذه تسهم بدورها فى وفرة الإنتاج الزراعى وكثرته ليفى بحاجة السكان .

وإلى جانب العوامل السابقة التى ساهمت فى ازدهار الزراعة فى العصر المرينى ، اهتم سلاطين بنى مرين بالزراعة ، فأقطعوا كبار رجال الدولة الإقطاعات الزراعية ، كالقضاة (٢٥٣) . وقادة الجيش ، وهم كبار الأشياخ الذين منحوا الإقطاعات الجارية (٢٥٤) . وكان إشراف هؤلاء على هذه الإقطاعات سبيلا إلى زيادة الإنتاج

فى إقطاعاتهم مما كان له أثره فى رخاء البلاد فى العصر المرينى .

ومن المحاصيل الزراعية التى توفرت فى العصر المرينى القمح والفول والشعير (٢٥٥) . وهى تمثل المحاصيل الرئيسية اللازمة لحياة الأهالى ، والعلوفات ، التى حرص المرينيون على توفرها لجيوشهم المحاربة . وقد ازدهرت زراعة القمح فى طنجة ، وزلول – فى شرق أزيلى – والبصرة وكرث وماسيته (٢٥٦) . وجهات أخرى كثيرة كبلاد السوس ، وسجلماسة (٢٥٧) . أما القطن والشعير فقد توفرت زراعتهما فى كرث والبصرة وماسيته (٢٥٨) . كذلك توفرت أنواع أخرى من المحاصيل التى تأتى بعد القمح والفول والشعير فى الأهمية كالزيتون الذى انتشرت مزارعه شمالى فاس إلى نهر سبو ثم إلى نهر ورغة ، وفيما وراء ذلك حتى سفوح الجبال التى تطل على البحر المتوسط (٢٥٩) . وقصب السكر ، الذى كثرت زراعته بأغمات ، وجزائر بنى مزغناى وسلا (٢٦٠) . والسمسم والقنب وسائر البقول . وهذه الأنواع جادت زراعتها فى إقليم أغمات الذى يبعد عن سجلماسة بثمانى مراحل (٢٦١) .

وإلى جانب هذه المحاصيل كانت هناك الخضر والفاكهة ، والأزهار فقد زرع الفلاحون فى المغرب الأقصى ما يحتاجه الأهالى لغذائهم اليومى من الخضراوات ، وقد ذكر القلقشندى ، بعضا من أنواعها وهى « الخيار ، والقثاء ، واللفت ، والباذنجان ، والقرع ، والجزر ، واللوبيا ، والكرنب ، والشمار ، والصعتر ، وسائر البقول » (٢٦٢) .

أما الفواكه ، فأنواعها كثيرة مستطابة ولذيذة ، منها البلح والعنب والتين والرمان ، والسفرجل والتفاح والكمثرى والمشمش والبرقوق والقراصيا والخوخ والتوت والجوز واللوز والأترج والليمون والليم والنارنج والبطيخ الأصفر والأخضر (٢٦٣) . واشتهرت فاس من بين جهات المغرب الأقصى بكثرة الفاكهة وتنوعها ، وتميزت عدوة القرويين بفواكه الخريف وعدوة القرويين بفواكه الصيف يقول ابن أبى زرع : « وبها (عدوة القرويين) الرمان السفرى الذى ليس فى المغرب مثله حلاوة وللذة وولادة والتين الشعرى والسبتى الطيب الحسن والعنب والخوخ والجزر والعناب والسفرجل والأترج وسائر الفواكه الخريفية تأتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والحلاوة وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وطيبها كالتفاح الطرابلسى الحلو الأخضر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ... والتفاح اللوبى والطلح والكلخى ، وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت كل ذلك فى نهاية الطيب والحسن » (٢٦٤) .

ومن الأزهار والرياحين التى جادت فى المغرب الأقصى ، والتى كثيرا ما ألهبت حماس الكتاب والشعراء ، الورد ، والبنفسج ، والياسمين ، والآس ، والنرجس ، والسوسن ،

والبهار (٢٦٥) . وكان لكثرة الأزهار والرياحين أكبر الأثر فى وفرة محصول عسل النحل ، وتوفره بكميات كبيرة حتى إن أهل المغرب كانوا يفضلون استعماله عن السكر ، واقتصر استعمال السكر عندهم على الغرباء والمرضى (٢٦٦) .

وبجانب هذا كله كانت هناك الغابات التى كانت مصدرا يمد أهالى المغرب الأقصى بالأخشاب والحطب ومن هذه الأخشاب خشب الأرز المستعمل فى بناء المنازل وصناعة السفن (٢٦٧) . فيروى أن السلطان أبا الحسن كان يرسل أحمالا كثيرة من خشب الأرز إلى دار الصناعة بسلا ، لصناعة سفن الأسطول المرينى (٢٦٨) . وكذلك فعل أبو عنان ، الذى كان يبنى بعض سفن الأسطول المرينى الصغيرة والقوارب فى دار صناعة السفن بمنزل خولان القريبة من غابات خشب الأرز (٢٦٩) . ومن أخشاب هذه الغابات البلوط الذى استخدم فى صناعة الفحم ، وكانت تدخل منه أحمال كثيرة إلى فاس من جبل بنى بهلول ، للاستعمال العادى كحطب ولصناعة الفحم (٢٧٠) . ومن أنواع الأشجار المنتشرة فى غابات المغرب الأقصى العرعر ، وخشبه جيد يستعمل فى الصناعات الخشبية ، والبناء (٢٧١) . والزان الأخضر ويصنع منه الفحم والقطران (٢٧٢) . وهناك أيضا أشجار الصنوبر ، وأشجار الأركان ، وهذا النوع الأخير له بذر يعصر ويستخرج منه زيت للطعام يسمى (زيت أركان) (٢٧٣) .

وساعدت كثرة هذه الغابات على توفر ثروة حيوانية ضخمة للمغرب الأقصى فى العصر المرينى ، لأن هذه الغابات وفرت كثيرا من عناصر الغذاء اللازم لهذه الحيوانات ، وتنوعت هذه الثروة الحيوانية بين الحيوانات الأليفة ، كالخيل ، والبغال ، والحمير ، والأبل ، والبقر ، والغنم (٢٧٤) . والحيوانات الوحشية ومنها « الوحش الحُمُر والبقر والنعام والغزال والمها » (٢٧٥) .

واهتم الناس أيضا بالدواجن والطيور ومنها الأوز والحمام والدجاج والكركى واسمه عندهم (الغُرْنُوق) (٢٧٦) . واهتم الناس أيضا بتربية الدجاج وحمايته فى أقفاص كبيرة (٢٧٧) .

الثروة السمكية :

من المؤكد أن شواطىء المغرب الأقصى التى تطل على البحر المتوسط ، والمحيط الأطلسى ، كانت تمد سكانه فى العصر المرينى ، بكميات كبيرة من الأسماك مختلفة الأنواع (٢٧٨) . كذلك كانت أنهار المغرب مصدرا لكثير من أنواع الأسماك ، التى كانت لونا من ألوان الغذاء خاصة لهؤلاء السكان القريبين من هذه الأنهار ففى فاس كان نهر سبو يمد المدينة بأنواع عديدة من الأسماك منها الشايل ، والبورى ، وأصناف الحوت وكانت

الكميات التى تخرج من هذا النهر وفيرة حيث تصل إلى فاس أحمال كثيرة من هذه الأنواع (٢٧٩) . وأضاف الجزنائى أنواعا أخرى مثل اللبين والسلباخ والبوقة ، وذلك كله حوت لذيذ الطعم كثير المنفعة (٢٨٠) . ومن قاع النهر يصاد الصدف الثمين الذى يقوم بالجواهر ، ولهذا سمى هذا النهر (نهر الجواهر) ، ومنه تصاد أيضا بعض السراطين المستعملة فى صناعة الأدوية (٢٨١) .

٣ – التجارة

انعكست حالة الأمن والاستقرار التى سادت الدولة المرينية على نشاطها التجارى ، وقد حرص سلاطين بنى مرين على توفير الأمن وكان ذلك هدفا رئيسيا لهم منذ اضطلاعهم بقيادة زمام الأمور فى بلاد المغرب الأقصى ، بعد أن عجز الموحدون عن توفير ذلك الأمن فأصاب البلاد ما أصابها من التدهور و الاضطراب (٢٨٢) . ودأب سلاطين بنى مرين على الضرب على أيدى كل من تسول له نفسه الاعتداء على الأموال ففى سنة (٦٦٩هـ ــ ١٢٧٠ م) ، بعد إعلان قيام الدولة بعام واحد توجه السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى منطقة درعة لتأديب بعض القبائل العربية التى كانت تثير الشغب ، وتعتدى على الناس والأموال ، ونقل هؤلاء العرب إلى مراكش ليكونوا تحت رقابة دقيقة من عمال الدولة هناك (٢٨٣) .

كما سهر المرينيون على تأمين طرق المواصلات بين مدن الدولة فاستحدثوا تنظيمات جديدة على طول الطرق التى تربط بين العاصمة فاس والمدن الأخرى ، كمراكش ، وتلمسان ، وسبتة ، وسميت هذه التنظيمات (بالرتب) وهى عبارة عن خيام تقام على مسافات متساوية تقدر باثنى عشر ميلا ، يسكنها أهل المنطقة التى تقام بها ، ويمنحون إقطاعا من الأرض على قدر كفايتهم ، وتلزمهم الإدارة المرينية ببيع الشعير والطعام ، وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم والمرافق على أن يقوم أهل المنطقة بحراسة المسافرين وأمتعتهم فإن ضاع منهم شيء كانوا الضامنين له (٢٨٤) . يقول ابن مرزوق : « فلا يزال المسافر كأنه فى بيته وبين أهله فى ذهابه وإقباله » (٢٨٥) .

علاوة على ذلك نظمت الدولة فرقا أطلقت عليها اسم (الغرباء) وهذه الفرق مهمتها حراسة الطرق وخدمتها ، كما كانت هذه الفرق جهازا للسهر على أمن الدولة ، إذ كان هؤلاء (الغرباء) عيونا وجواسيس يراقبون أى خطر يهدد الأمن أو سلامة البلاد ، فيبادرون بإبلاغه للسلطات المسئولة (٢٨٦) .

وإلى جانب استقرار حالة الأمن ، توفرت للنشاط التجارى الأسواق الداخلية ، والخارجية ، وهى الميادين التى تدور فيها السلع بيعا وشراء ، كما توفر الإنتاج الزراعى والصناعى ، وهما الأساس القوى لازدهار أى نشاط تجارى ، وقد تناول البحث الحديث عن الإنتاج الزراعى والصناعى ، ويبقى الحديث عن الأسواق الداخلية والخارجية التى كانت ميدانا لهذا النشاط .

التجارة الداخلية :

تركز النشاط التجارى الداخلى فى الدولة المرينية فى الأسواق التى أقيمت فى المدن ، أذ جرت العادة فى المغرب أن تختص كل صناعة بسوق ، وكل سوق بصناعة . وغالبا ما تكون الأسواق حول المساجد على نسبة اتصالها بهذه المساجد وظيفيا (٢٨٧) . فحول المسجد وقريبا منه نشطت الأحياء التى لها ارتباط باحتياجات المسجد (٢٨٨) . فهناك سوق الشماعين ، لوجوب الاستضاءة بالشموع فى الصلوات الليلية ، وهناك سوق العطارين ، والطيبيين (باعة البخور) لوجوب التعطر والتبخير بالجوامع ، وهنالك سوق القباقيبية لوجوب الوضوء ، وسوق الكتبيين لأن المساجد كانت مدارس ومعاهد للثقافة والعلم ، وإلى جانب هذه الأسواق كان هناك العدول ، والمأذونون لأن العقود كانت تتم ويشهد عليها فى المساجد (٢٨٩) . وفى فاس يظهر هذا الارتباط القوى بين المسجد والأسواق التجارية ، حتى إن أبواب المساجد ، سميت بأسماء هذه المناطق الاقتصادية النشيطة ، فمسجد القرويين له أبواب تحمل أسماء لها دلالات تجارية ، مثل باب الكتبيين حيث كان باعة الورق والكتب ، وباب الشماعين ، وبقربه باعة الشموع وباب الموثقين ، حيث يجلس الموثقون للقيام بأعمالهم فى كتابة العقود وتحريرها (٢٩٠) . ثم تتعاقب الأسواق طبقة طبقة إلى أن يكون آخرها إلى جوار سور المدينة وهى التى يجب أن تكون بعيدة عن المنازل والسكان حتى لا تؤذيهم بروائحها الكريهة أو أدخنتها ، أو الأخطار الناجمة عن الحريق أو الدوى ، مثل الدباغين ، والصباغين ، والسراجين ، والحدادين ، والنجارين (٢٩١) .

وكانت هناك الأسواق الخاصة ببيع الأقمشة والملابس ، وأطلق على هذا النوع من الأسواق اسم القيسارية (٢٩٢) . وإلى جانب هذه الأسواق كانت هناك الحوانيت ، ففى العاصمة فاس تمركزت فى وسط المدينة ، فى عدوة القرويين ، حوانيت القصابين ، مع وجود عدد منها فى الأحياء الأخرى ، وكان عدد هذه الحوانيت كلها نحو الأربعين (٢٩٣) . وهناك حوانيت أخرى كحوانيت الصباغين والختامين ، والسفاجين والخياطين وأطرزة الحاكة (٢٩٤) . وكان فى فاس أيضا عدد من حوانيت الأطعمة الجاهزة التى تعد المآكل ، مثل الفول المسلوق والمقانق (السجق) ، والمعجنات والحلويات والفواكه المقلية ، وهذه الحوانيت كانت تجد كثيرا من الرواد من الأهالى والمسافرين والغرباء (٢٩٥) .

وأهتم ولاة الأمر ، وخاصة بمدينة فاس ، بإقامة الفنادق وتجديدها لأهميتها الاقتصادية ، فهى موضع إقامة التجار والغرباء ممن لهم أثر كبير فى الحركة التجارية ، فضلا عن أن هذه الفنادق كانت مخازن لمختلف أنواع السلع و التجارات ، حيث كان التجار الوافدون يخزنون فيها بضائعهم لتوزع بعد ذلك على التجار بالجملة (٢٩٦) . فأبو عبد الله الحدودى قام

بتجديد الفندق الكبير بحى الشماعين ، الذى أوقف السلطان أبو يعقوب يوسف دخله للإنفاق على مسجد القرويين (٢٩٧) . وقد بلغ دخل هذا الفندق فى العام عشرة آلاف درهم (٢٩٨) . وقد أصبح هذا الفندق (فندق الشماعين) من أهم مراكز التجميع لأكبر الشخصيات العاملة فى التجارة وأرباب المال ، فالخطيب أبو الفضل محمد بن أبى الحسن المزوغنى خطيب جامع القرويين بفاس ، وهو الذى تولى منصب النظر فى التركات ، وودائع أموال الأوقاف ، أنفق مما تحت يده من أموال التركات والودائع ، على أمل أن يدفعه من غلات ريعه وأثمان زرعه ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن أبناءه تصرفوا فى زروع أبيهم وكان هذا الخطيب يقول : كنت أطمع فى أن يعطينى السلطان أبو الحسن « ثلاثة أحمال من الذهب أذهب بها إلى فندق الشماعين وأصب المال صباً وأدفع لكل ذى حق حقه » (٢٩٩) .

ويتحدث الجزنائى عن مكانة فاس التجارية والاقتصادية فى عصر بنى مرين ، حيث كانت مركزا لتجمع التجار من جميع البلدان والأقطار . وانتقل إليها (فاس) من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها متجر ومنزل وصناعة وتصرف واجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا (٣٠٠) . « فكانت فاس تقوم بدور العاصمة التجارية إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة ، فكانت لها تجارة واسعة مع سائر مدن الدولة ، خاصة ما كان قريبا منها مثل تازا شرقا ومكناسة غربا ، وحتى تلك المدن التى تبعد عنها مثل سلا ومراكش حيث كانت أسواق هذه المدن تحرص على ما تنتجه فاس من كماليات ، تحتاجها الطبقة المتوسطة من الأقمشة والأحذية وأغطية الرأس (٣٠١) .

التجارة الخارجية :

كانت تجارة المرور هى أهم أنشطة التجارة الخارجية فى الدولة المرينية ، حيث استفادت الدولة مبالغ كثيرة من الضرائب التى كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة ، ومن جانب آخر جنى التجار المرينيون منها أرباحا وفيرة ، فكان هؤلاء التجار المرينيون يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوربا وحوض البحر المتوسط (٣٠٢) .

وكان ميناء سبتة بالإضافة إلى موانىء المغرب الأقصى الأخرى هو أهم المرافىء التى تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ، إذ كانت مركزا لتجمع كثير من قوافل العصير والحرير والكتان (٣٠٣) . ومن أهم المنتجات التى صدرت إلى أوربا ، صناعات المنسوجات الصوفية والجلود ، وقد أشتهرت هذه المنسوجات فى أوربا باسم (Merinos) ميرينوس – وهى تسمية لا يخفى نسبتها إلى المرينيين من ظاهر اسمها المستعمل فى أوربا (٣٠٤) .

وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها ، وجنسياتها تتردد بين موانىء المغرب الأقصى – مهد المرينيين – وبين المرية قاعدة الاتصال الاقتصادية بين أوربا وبلاد المغرب ، ولذلك حرص سلاطين بنى مرين ، وسلاطين بنى الأحمر على تأمين التجارة الخارجية ، وذلك بالنص على ضرورة احترام النصارى للتجار المسلمين وحسن معاملتهم وعدم الاعتداء عليهم أو على أموالهم ، وذلك ضمن المعاهدات والوثائق التى أبرمت بين المرينيين ومعهم بنى الأحمر من ناحية ، ونصارى أسبانيا من ناحية أخرى (٣٠٥) .

وكانت أهم المنتجات التى استوردها المرينيون من بلاد الأندلس « آلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى » (٣٠٦) . كما استورد المرينيون الأحواض الرخامية المصنوعة فى المرية فاستورد السلطان أبو الحسن من المرية بيلة من الرخام الأبيض ، زنتها مائة وثلاثة وأربعون قنطارا ، وقد وضعت هذه البيلة فى المدرسة المصباحية إزاء مسجد القرويين (٣٠٧) .

وكانت قوافل الحج هى الوسيلة الرئيسية لربط المشرق العربى ومصر بالدولة المرينية فى مجال التجارة الخارجية ، علاوة على ما أحدثته من تنشيط للتجارة الداخلية ، والصناعات المحلية ، فحملت هذه القوافل كثيرا من المنتجات المرينية التى بيعت فى أثناء تقدم هذه القوافل إلى المشرق العربى ، وكانت الثياب الثمينة والحلى هى أهم ما تحمله قوافل الحج إلى المغرب الأوسط وإفريقية ، وطرابلس الغرب ومصر والحجاز (٣٠٨) .

وقد حمل تجار الجملة فى الدولة المرينية ، عبء الاشتغال بالتجارة الخارجية ، فكانوا على صلة دائمة بالتجار الأوربيين الذى استوطنوها فى مليلة ، وباديس وسبتة (٣٠٩) . كما كان يقع على عاتق هؤلاء التجار عبء توفير الأموال اللازمة للتجارة المصاحبة لقوافل الحج ، وكانوا أيضا ينظمون القوافل التى تحمل المنتجات المرينية إلى بلاد السودان من الأقمشة والجلود ، لتعود محملة بالتبر وريش النعام (٣١٠) . كما كان هؤلاء التجار يقومون بدورهم فى مجال التجارة الداخلية ، فيجمعون الصناعات المحلية والسلع ثم يبيعونها يوما بعد يوم لتجار التجزئة ، وكان تجار التجزئة فئتين الأولى : تبيع المنتجات الثمينة كالأقمشة الرفيعة ، والأحذية ، والحلى والأفاوية ، فى أماكن ثابتة فى قيسارية المدينة ، والثانية : تبيع حاجات الاستهلاك اليومى من المواد الغذائية والاستهلاكية والفئة الأولى كانت أكثر يسارا ، وكانت تمثل دائما الطبقة الوسطى فى المدن ، أما الفئة الثانية فكانت فقيرة (٣١١) .

المكاييل والموازين

من الأمور وثيقة الصلة بالحياة الاقتصادية المكاييل والموازين المستعملة فى العصر المرينى اذ هى تظهر مدى مرونة الحياة الاقتصادية فى الدولة ، فالمرينيون استعملوا فى حياتهم اليومية فى بيعهم وشرائهم أنواعا كثيرة من المكاييل والموازين ، وكانت المكاييل عندهم أكثر استعمالا من الموازين ، فهم لا يلجأون إلى الموازين إلا للضرورة وعند تعذر الكيل. ومن هذه المكاييل التى استعملها المرينيون (المد) وشاع استعماله فى فاس ، ويعادل عند أهلها ثمانين أوقية (٣١٢) . كما استعملوا أيضا (المدى) ، وأطلقوا عليه (اللوح) ، وفى هذا اللوح من المد المستعمل عند أهل فاس مائة وعشرون مدا (٣١٣) .

واستعمل المرينيون أيضا الصاع ، فابن أبى زرع يذكر أن من بين السلع التى كانت تباع بالصاع الملح يقول : « فالملح بالمدينة (فاس) كثير جدا يباع عشرة أصوع بدرهم » (٣١٤) . ومن المكاييل المستعملة أيضا (الصفحة) ، فيذكر صاحب الذخيرة السنية أنه فى سنة (٦٥٧هـ ـــ ١٢٥٨ م) : « كان الرخاء العظيم بالمغرب فلم يزل كذلك مدة خمس عشرة سنة ستة دراهم للصفحة الواحدة من القمح » (٣١٥) . وكانت الصفحة فى العصر المرينى تساوى خمسة عشر مدا (٣١٦) . واستعملوا أيضا نصف الصفحة ، وكانت تسمى عند أهل نكور فى إقليم الريف (بالسدس) (٣١٧) . واستخدم الأهالى لكيل الدقيق ما يعرف (بالربع) ، يقول صاحب الذخيرة السنية : « والدقيق الطيب بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع درهم » (٣١٨) .

وأكبر المكاييل التى استخدمها المرينيون (الوسق) فذكر القلقشندى عند حديثه عن الأرزاق التى أجراها سلاطين بنى مرين للأشياخ الكبار وهم كبار القادة فى الجيش المرينى – « لكل واحد منهم فى كل سنة عشرون ألف مثقال من الذهب يأخذها من قبائل وقرى ، وضياع ، وقلاع ، ويتصل له من القمح والشعير والحبوب من تلك البلاد نحو عشرين ألف وسق » (٣١٩) . والمعروف أن الوسق ستون صاعا بالصاع النبوى (٣٢٠) .

أما الموازين ، فاستخدم المرينيون منها القنطار ، وكان مقداره المقدار الشرعى وهو مائة رطل (٣٢١) . كما استعملوا الرطل فى أوزانهم أيضا ، فيروى صاحب الذخيرة السنية أسعار بعض السلع فى عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية فكانت : « إلعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعة أرطال بدرهم والسمن رطل ونصف بدرهم ولحوم البقر مائة أوقية بدرهم والكبش ستة دراهم والشابل الطرى بقيراط وثلاثة بدرهم » (٣٢٢) . وواضح من النص السابق أنهم استعملوا الأوقية ، وكان فى كل رطل

من الأرطال المستخدمة فى ذلك الوقت ست عشرة أوقية (٣٢٣) وفى الأوقية عندهم واحد وعشرون درهما (٣٢٤) .

السكة

تعتبر السكة الواجهة الحقيقية لأى نظام اقتصادى ، إذ يتوقف على قيمة هذه السكة ، وقوتها الشرائية الحكم على مدى الاستقرار الاقتصادى للدولة ، وحظها من الرفاهية والتقدم . ويعرف ابن خلدون – وهو أحد رجال الإدارة فى الدولة المرينية – السكة بأنها . « الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صورا أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصة بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وإن لم تقدّر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا » (٣٢٥) .

وإذا كان ابن خلدون يعرف فى النص السابق بالسكة ، وطريقة سكها وضبط أوزانها فإنه يؤكد على أنها « وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس فى النقود عند المعاملات ويتقون فى سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة » (٣٢٦) .

وكانت السكة المستعملة فى الدولة المرينية ، تصنع من الذهب والفضة ، وكان أغلب الذهب الذى تصنع منه هذه السكة يأتى من بلاد السودان ، وبعضه كان يجلب من المناجم المحلية الموجودة فى بلاد المغرب كالذهب الموجود فى جبال تازى ، الذى وصفه البكرى بأنه كان من أعتق الذهب وأجوده (٣٢٧) .

وأشار ابن أبى زرع إلى أن دور السكة فى أيام بنى مرين كانت فى فاس ، فذكر أنه كانت توجد دار للسكة فى عدوة القرويين وأخرى فى عدوة الأندلس (٣٢٨) . كما كانت هناك دار أخرى للسكة فى مراكش (٣٢٩) . وجعل المرينيون لدار السكة أمانة ، وهذه وظيفتها الإشراف على سك العملة ، ومراقبة صياغة الحلى ، واشتملت هذه الأمانة على أمين وعدول وكتاب ومعاونين (٣٣٠) . وأول من عين أمينا وناظرا لدار السكّة أيام بنى مرين على ابن محمد الكومى المديونى ، وظل فى هذه الوظيفة خمسين عاما منذ سنة (٦٧٤هـ ـــ ١٢٧٥ م) (٣٣١) .

وكان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق – مؤسس الدولة المرينية – هو أول

من اهتم بشأن السكة ، فأمر بتحقيق الدينار والدرهم والقنطار والرطل والأوقية والوسق والصاع والمد ، ومنع أيا من الناس من أن يحوز « من النقود إلا ما كان على سكته ، أو على قدر ذلك وصفته ، وجودته ، واختار من جيد تلك النقود المحمدية المنسوبة فيما زعموا لمحمد الناصر (الموحدى) التى فى الأوقية الواحدة منها ثلاثة وعشرون درهما » (٣٣٢) .

ولم يحاول المرينيون الاحتفاظ بشكل الدينار الموحدى المربع الشكل فغيروا شكله إلى التدوير ، وبذلك عادوا به إلى شكله الأول قبل العصر الموحدى ، ولكن المرينيين احتفظوا بوزن الدينار الذى كان عليه أيام الموحدين وهو ٤,٧٢٩ من الجرام (٣٣٣) . ولعل السبب فى احتفاظ المرينيين بوزن الدينار على ما كان عليه فى أيام الموحدين حرص بنى مرين على ألا تهتز قوة الدينار الشرائية . وقد أشار ابن بطوطة إلى ارتفاع هذه القوة الشرائية فى أيامه ، فقد لاحظ ابن بطوطة أن القوة الشرائية بالمغرب (أيام بنى مرين) كانت تعدل ثلاثة أضعافها بمصر (٣٣٤) .

وكان هناك فى العصر المرينى نوع من العملة يفوق فى قيمته الدينار الذهبى العادى ، وهذا النوع عبارة عن دينار ذهبى كبير زنته مائة دينار من الذهب ، واختص بضرب هذا النوع من العملة بالذات دار الضرب الموجودة بمراكش ، ويبدو أن الكميات التى كانت تضرب من ذلك الدينار قليلة جدا ، ولا تكون إلا بإذن من السلطان المرينى نفسه ، وتصرف كهدايا ، وجوائز لبعض الشخصيات الهامة الأثيرة لديه ، ومن هذه الشخصيات التى قدم لها هذا النوع من الدنانير الذهبية الشريف أبو العباس ، فقد كان هذا الشريف - الذى ينتمى إلى أهل البيت - يتمتع بمكانة سامية لدى السلطان أبى عنان المرينى ، وكان أبو عنان يأمر كل عام بسك دينار ذهبى من هذا النوع بدار السكة فى مراكش ، ليقدم لهذا الشريف فى الاحتفالات التى كانت تقام كل سنة بمناسبة المولد النبوى (٣٣٥) .

أما الدراهم فيشير القلقشندى إلى أن الدراهم المستعملة فى المغرب أيام المرينيين نوعان : درهم كبير ، ودرهم صغير ، والدرهم الكبير يساوى ثلث الدرهم النقرة المستعمل بمصر والشام ، والدرهم الصغير يساوى سدس الدرهم النقرة (٣٣٦) . وعند الإطلاق والاستعمال فإن كلمة الدرهم تعنى الصغير دون الكبير ، إلا فى مراكش ونواحيها فإنه يراد بالدرهم عند الإطلاق الدرهم الكبير (٣٣٧) . أما قيمة هذه الدراهم بالنسبة للدنانير ، فكل : « مثقال ذهب (دينار) يساوى عندهم (المرينيون) ستين درهما كبيرا » (٣٣٨) .

وإلى جانب الدنانير والدراهم كانت هناك عملات أصغر قيمة من الدينار والدرهم ، لتسهيل عمليات البيع والشراء لأنه « لما كانت فى المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم

أو بجزء منه احتاج الناس من أجل هذا فى القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى الذهب والفضة يكون بإزاء تلك المحقرات » (٣٣٩) . وقد رأى المقريزى أن هذه العملات الصغيرة لا يطلق عليها لفظ عملة (٣٤٠) .

وقد عرف المغرب الأقصى أيام الموحدين ألوانا من هذه العملات الصغيرة ، كأنصاف الدراهم وأرباعها وأثمانها والخراريب (٣٤١) . ويبدو أن هذه العملات استمر العمل بها أيام بنى مرين مع ظهور أنواع أخرى منها القيراط ، فيذكر صاحب الذخيرة السنية عند حديثه عن أثمان بعض أنواع الأسماك بأن : « الشابل الطرى بقيراط وثلاثة بدرهم » (٣٤٢) . والنص يعنى أن القيراط يساوى ثلث الدرهم .

وأخيرا فإن العصر المرينى تميز بقوة نقوده ، وكان ذلك معيارا لثراء الدولة وقوة اقتصادها (٣٤٣) . ويروى القلقشندى قائمة بمتوسط أسعار بعض السلع فى العصر المرينى مع مقارنة هذه الأسعار بالعملة المصرية فى ذلك الوقت فيقول : « سعر كل وسق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار . وهو ثلاثة عشر درهما وثلث درهم من نقرة مصر ، والشعير دون ذلك . وكل رطل لحم بدرهم واحد من الدراهم الصغار ، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار وعلى نحو ذلك » (٣٤٤) .

هوامش الفصل الخامس

(١) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٠٩ .

(٢) التنسى : نظم الدرر ، مخطوط ، ص ٤٤ ، الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(٣) طاهر راغب : الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن ، ص ٢٤٨ ، (« شيخ الموحدين » وصاحب هذا المنصب فى الدولة الحفصية أشبه ما يكون برئيس الوزراء ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧) .

(٤) ابن القنفذ : الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ، ص ١٠٨ .

(٥) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٥ .

(٦) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، ص ٦١٦ .

(٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٣ .

(٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٧٠ — ١٧٧ ، (وهؤلاء الأمراء الأربعة هم أبو سعيد عثمان ، ومحمد بن عبد الحق ، وأبو يحيى ويعقوب بن عبد الحق ، المصدر السابق ، نفس الصفحات) .

(٩) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٣٠ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٤ .

(١٠) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ ، ٢٤ .

(١١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .

(١٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٨ .

(١٣) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ .

(١٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(١٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٢ .

(١٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٨) المصدر السابق ، ط بيروت ، ط ، ص ١٧٤ .

(١٩) المصدر السابق ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ .

(٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٩٩ ، ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٤١ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٢ ، ١٣ .

(٢٣) المصدر السابق ، ورقة ١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٣ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٢ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١٤ .

(٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .

(٢٦) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٣٤ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٨ .

(٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٣ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٢٩) المصدرين السابقين ، نفس الصفحات ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٤ .

(٣٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٨٠ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ، ص ٨٢ .

(٣١) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٥٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٠ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ، ٢٢٩ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٥ ، ١٣٩ .

(٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٧٥ .

(٣٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٩ .

(٣٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٧) المصدر السابق ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

(٣٨) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

(٣٩) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، ص ٦٢١ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٤٠) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .

(٤١) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٠١ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٨٦ .

(٤٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤١ .

(٤٣) المصدر السابق ، ورقة ٢٣٧ .

(٤٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤٠ .

(٤٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٤٦) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٤ .

(٤٧) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٢ .

(٤٨) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

(٤٩) انظر الفصل الثالث .

(٥٠) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٩٨ .

(٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٦٤ ، جوليان : تاريخ

أفريقيا الشمالية جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٥٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٨ .

(٥٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥٤) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائرى ، ص ٢٠٨ .

(٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٥٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ .

(٥٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٦ .

(٥٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٥ ، محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائرى ، ص ٢١٠ .

(٦١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٩ .

(٦٢) المصدر السابق ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(٦٣) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(٦٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٦٥) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(٦٧) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ، الزركلى : الأعلام ، جـ ٩ ، ص ٣٤٢ .

(٦٨) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .

(٦٩) عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٦٢١ .

(٧٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(٧١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ .

(٧٢) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات من الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، مكتبة المنار – تونس ١٩٦٤ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٧٣) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٥ .

(٧٤) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ١٤١ ، (وأقاليم المغرب الأقصى الإدارية فى عهد الموحدين هى : فاس – سجلماسة – السوس – تلمسان – الصحراء سبتة وطنجة – المرجع السابق ، نفس الصفحة) .

(٧٥) المقرى : أزهار الرياض ، ٣٩ – ٤٢ .

(٧٦) المصدر السابق ، ص ٣٩ – ٤٤ .

(٧٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٣ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، مطبعة الحجاز ، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٢٠٦ .

(٧٨) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ١٦٥ .

(٧٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ص ٢٠٤ .

(٨٠) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٨١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٥ .

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٨٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .

(٨٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ .

(٨٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٢٠٤ .

(٨٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٥٠ .

(٨٨) المصدر السابق ، ورقة ١٩٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ .

(٨٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٩٠) المصدر السابق ، ورقة ١١٩ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٦٥ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٦ .

(٩١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٩٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط أولى ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٧ .

(٩٣) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢ .

(٩٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ١٨٤ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ١٧٥ .

(٩٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٩٦) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، ص ١٦٣ .

(٩٧) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٤٧ ، عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، ص ٦٢٨ ، الفرديل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٦٤ .

(٩٨) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢١ ، د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٥ ، ص ٦٩ .

(٩٩) حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٣٣٨ .

(١٠٠) الخشنى : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، ص ١٦٣ .

(١٠١) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢١ .

(١٠٢) الفرديل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٣ .

(١٠٣) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبى شنب ، ط : المطبعة الثعالبية ، الجزائر ١٩٠٨ ، ص ١٥٥ .

(١٠٤) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(١٠٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ص ٢٧٥ ،المقرى . نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ .

(١٠٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٩٠

(١٠٧) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٢ ، ١٣٣

(١٠٨) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٤ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(١١٠) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(١١١) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٤٧ .

(١١٢) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٥ .

(١١٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٨١ .

(١١٤) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٣٦ .

(١١٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ، ص ١٤٧ .

(١١٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ .

(١١٧) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١١٨) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، جـ ١ ، هامش ١٩٣ .

(١١٩) المصدر السابق ، جـ ١ ص١٩٣ ، ١٩٤ .

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(١٢١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٢٣) د. ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية ، ط ثالثة ، ص ٣٠٠ .

(١٢٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ١٨٥ .

(١٢٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ١٩٤ .

(١٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٦ .

(١٢٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٧٤ .

(١٢٨) المصدر السابق، ورقة ٧٥ .

(١٢٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٣٠) المصدر السابق ، ورقة ٧٤ .

(١٣١) عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٣ .

(١٣٢) المصدر السابق ، ورقة ٧٥ .

(١٣٣) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ١٧٢ .

(١٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٢٠١ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٤ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(١٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٠

(١٣٧) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٧٧ .

(١٣٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٦ .

(١٣٩) المصدر السابق ، ورقة ٤٦ ، ٤٧ .

(١٤٠) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٧٤ .

(١٤١) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ١٨٨ .

(١٤٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٤٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٠٠ .

(١٤٤) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ١٨٨ .

(١٤٥) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .

(١٤٦) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ١٨٨ ، د.حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الاقصى ، ص ٢٠٠ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٦ .

(١٤٧) موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب نشأتها وتطورها ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ١٩٧١ ، ص ٥٢ ، المصدر السابق ، نفس الصفحة . جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(١٤٨) د. نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب فى الإسلام ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٤١ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب ، ص ٥٧ .

(١٤٩) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٦٥٠ .

(١٥٠) المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ١٤٣ ، د. نقولا زيادة : الحسبة والمحتسب فى الإسلام ، ص ٤١ .

(١٥١) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٦٥ .

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(١٥٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣٩ .

(١٥٤) مجهول الذخيرة السنية ، ص ٩٥ .

(١٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٢٠٤ .

(١٥٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(١٥٧) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٢٠٢ ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٦ .

(١٥٨) المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .

(١٥٩) المصدر السابق ، ورقة ٥٥ .

(١٦٠) المصدر السابق، ورقة ٢٥٠ .

(١٦١) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٢ .

(١٦٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٩٢ .

(١٦٣) المصدر السابق ، نفس الورقة .
(١٦٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ابن الأحمر : روضة النسرين ، مخطوط ، ورقة ١١ .
(١٦٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
(١٦٦) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(١٦٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .
(١٦٨) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(١٦٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ .
(١٧٠) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٠٥ .
(١٧١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
(١٧٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(١٧٣) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .
(١٧٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .
(١٧٥) المصدر السابق ، ورقة ١٦١ .
(١٧٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٧٥ .
(١٧٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٤٩ .
(١٧٨) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٢١ ، د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٣٠ ، حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٣٣٨ ، (نظر الموحدون إلى المرابطين على أنهم كفرة ومجسمين ومبدلين لأحكام الله ، ولذلك ساوى عبد المؤمن بن على الموحدى بين أرض المرابطين ، وأرض المشركين وفرض عليها الخراج ، مستندا فى ذلك لرأى الإمام مالك فى فرض الخراج على أرض المشركين ، والتى استولى عليها المسلمون ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٢١) .
(١٧٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦١ ، (فى بيان ذلك يقول ابن مرزوق : (واقتصروا « سلاطين بنى مرين) بعد هذا الأمر النكر « يشير بذلك إلى الضرائب التى لم ينص عليها الشرع » على الزكاة والعشر) ، المصدر السابق ، نفس الورقة .
(١٨٠) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، ص ٨١ .
(١٨١) د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٣٠ .
(١٨٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ .
(١٨٣) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٤٥ .
(١٨٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ .
(١٨٥) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣١ .
(١٨٦) المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٢٤ .
(١٨٧) أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ١٣٢ ، د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٢٧ .

(١٨٨) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(١٨٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالى ، ص ٩٧ .

(١٩٠) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ .

(١٩١) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .

(١٩٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١١ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ٣٧٥ .

(١٩٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٥٩ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .

(١٩٤) المصدر السابق ، ورقة ١٥٩ - ورقة ١٦٤ .

(١٩٥) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٣٩ ، انظر الفصل الثانى .

(١٩٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ،ص ٣٧٥ .

(١٩٧) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٢٥ .

(١٩٨) المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

(١٩٩) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ، (مما يدل على أن هذه الأنواع السابقة من الضرائب كانت غير مشروعة أن ابن مرزوق قال بعد أن عدد هذه الأنواع عن سلاطين بنى مرين أنهم : « اقتصروا بعد هذا الأمر النكر على الزكاة والعشر ٢٢ » ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦١) .

(٢٠٠) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ، ص ٧٩ .

(٢٠١) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٤٢ ، ٤٤ .

(٢٠٢) د. حسن إبراهيم حسن ، د. على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ٢٥٢ .

(٢٠٣) د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص ١١٤ ، (أما الفيىء فيتسع معناه لما يؤخذ عنوة أو بالصلح من الأراضى والعقار ، المرجع السابق ، نفس الصفحة) .

(٢٠٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ١ ، هامش ص ٥٦٥ .

(٢٠٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٣ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٢٠ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢٠٦) المصدر السابق ، نفس الصفحات .

(٢٠٧) المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٢٠٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٦٠ .

(١٠٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٤٦ .

(٢١١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٢ .

(٢١٢) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٣ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٢١٣) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٤ .

(٢١٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢١٥) المراكشي : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٢ ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٥٢ .

(٢١٦) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، د. حسن على حسن : الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٩٣ .

(٢١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، (ويذكر ابن أبى زرع أن الحبة من هذه الأصناف كانت تباع بمثقال من الذهب أو أقل أو أكثر ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٤٥) .

(٢١٨) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٣ .

(٢١٩) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ٤٣ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ .

(٢٢١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، ص ٥٨ .

(٢٢٢) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٩٦ .

(٢٢٣) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٢٨ .

(٢٢٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(٢٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٢٦) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٩ .

(٢٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢٢٨) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٢٣٠) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٤٠ .

(٢٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، د. غوستان لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : محمد عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥ ، ص ٥٠٨ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، (ويذكر لوبون أن المؤرخين درجوا على الرأى بأن المعركة الأولى التى استعملت فيها المدافع هى معركة كريستى التى حدثت سنة ١٣٤٦ م بفرنسا ، وواضح مما سبق أن العرب استخدموا هذه الأسلحة قبل ذلك بوقت كبير ، د. غوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٠٧) .

(٢٣٢) المرجع السابق ، ص ٨٠٥ ، عنان الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٢٨٢ .

(٣٣٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٠ .

(٢٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٣ .

(٢٣٥) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .

(٢٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٦ .

(٢٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٣٨) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٠٩ .
(٢٣٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٤ .
(٢٤٠) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٨ ، محمد الفاس : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .
(٢٤١) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٢٤٢) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٦٢ .
(٢٤٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٥٥ .
(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .
(٢٤٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٣٣٠ .
(٢٤٦) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٤ .
(٢٤٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٦٤ ، المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٣٦٤ ، عبد العزيز بن عبد الله : جغرافية المغرب ، ط ثانية ، الدار البيضاء ١٩٥٦ ، ص ١٩ .
(٢٤٩) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
(٢٥٠) المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .
(٢٥١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٥٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٥٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ .
(٢٥٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
(٢٥٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
(٢٥٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ط بيروت ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢٥٧) المصدر السابق ، ص ٩٠ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٧٢ .
(٢٥٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨٠ ، ٨١ .
(٢٥٩) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٢٨ .
(٢٦٠) المصدر السابق ، ص ٩٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .
(٢٦١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٩٠ ، (من هذه البقول ذكر القلقشندى ، الحمص والعدس ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٥) .
(٢٦٢) المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
(٢٦٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢٦٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٢٦٥) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ .

(٢٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .
(٢٦٧) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ .
(٢٦٨) المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٢٦٩) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٧ .
(٢٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٦ .
(٢٧١) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ١٩ .
(٢٧٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢٧٣) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢٧٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ .
(٢٧٥) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ .
(٢٧٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٧٧) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٨٥ .
(٢٧٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ ، (انتشرت فى سبتة مصايد الحيتان التى لا يعدلها بلد فى إصابة الحوت وجلبه واصطياده ، ويصاد بها مائة نوع من السمك ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
(٢٧٩) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٢٨٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٥ ، (وذكر ابن أبى زرع هذه الأنواع من الأسماك باسم اللبيس والبورى والسيناخ والنسوقة ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٢٤٦ .
(٢٨١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٨٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٧٩ ، الجزنائى : زهرة الآس ص ٣٤ .
(٢٨٣) مجهول : الذخيرة السنية ص ١٣٨ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ١٩٧٣ ، ص ٣٠٧ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ .
(٢٨٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٦ ، ٢٨٧ .
(٢٨٥) المصدر السابق ، ورقة ٢٨٧ .
(٢٨٦) المصدر السابق ، ورقة ١٦٣ .
(٢٨٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٦ .
(٢٨٨) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٠ .
(٢٨٩) المرجع السابق ، ص ٦٦ .
(٢٩٠) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٠ .
(٢٩١) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ص ٦٦ .
(٢٩٢) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ص ١٦٠ .
(٢٩٣) المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٢٩٤) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٤ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

(٢٩٥) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٣٠ .
(٢٩٦) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ط أولى ١٩٦٩ ، ص ١٦٩ .
(٢٩٧) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٣ .
(٢٩٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٩٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١١٨ ، ١٢٢ (بلغت جملة ديون أبى الفضل واحدا وثلاثين ألف دينار وثلاثمائة دينار من الذهب العين ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٥٠) .
(٣٠٠) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٩ .
(٣٠١) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص١٣٧ ، ١٣٨ .
(٣٠٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٥٨ المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٦٣ ، وانظر ص ٢٧٥ ، (وهذا النوع اشبه ما يكون بتجارة الترانزيت فى أيامنا) .
(٣٠٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٢١٠ .
(٣٠٤) الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .
(٣٠٥) د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٣٠٦) المرجع السابق ، ص ١٧١ .
(٣٠٧) المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٣٠٨) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٣٨ .
(٣٠٩) المرجع السابق ، ص ١٥٩ (وزيادة حجم التجارة الخارجية بين المرينيين ومسيحى أسبانيا هو الذى يفسر شيوع العملة التى كان يستعملها نصارى أسبانيا فى أنحاء الدولة المرينية ، وهى العملة المعروفة باسم « الدوبل » « وهى تكبير دوبلن عند الأسبان » عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ص ٧٦) .
(٣١٠) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٣٨ .
(٣١١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الهيلالى ، جـ ١ ، ص ٥٨ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٥٩ — ١٦١ .
(٢١٣) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٧ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى ، ص ٧٦ .
(٣١٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٣١٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الهيلالى ، جـ ١ ، ص ٤٦ .
(٣١٥) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ٩٧ .
(٣١٦) موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى ، ص ٧٦ .
(٣١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣١٨) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .
(٣١٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .
(٣٢٠) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، د. ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص ٣٤٤ .

(٣٢١) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ٩١ ، موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى ، ص ٧٦ .

(٣٢٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .

(٣٢٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ .

(٣٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٢٥) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٣١٧ .

(٣٢٦) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣٢٧) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٠٥ .

(٣٢٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ط الرباط ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧ ، (وأشار الجزنائى إلى وجود هذين الدارين للسكة منذ أيام الموحدين ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٣) .

(٣٢٩) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٣٩ .

(٣٣٠) عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٥ .

(٣٣١) ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة ، ت : د. حسين مؤنس ، ص ٩٠ .

(٣٣٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٣٣٣) ابن خلدون : العبر ، ط بيروت ، جـ ١ ،ص ٢١٩ ، حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ص ٤٥٤ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الأول ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٣٣٤) المرجع السابق ، القسم الثانى ، ص٢٦ .

(٣٣٥) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٣٩ .

(٣٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١١٧ ، ابن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة ، ص ٨٩ .

(٣٣٧) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٣٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٣٩) المقريزى : ثلاث رسائل فى الحسبة ، مطبعة الجوائب ، ١٢٩٨ هـ ص ١٧ .

(٣٤٠) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ت : د. محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ ، ص ٦٦ .

(٣٤١) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٠٧ ، د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٢٢٩ .

(٣٤٢) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٤ .

(٣٤٣) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثانى ، ص ٢٦ .

(٣٤٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٧٨ .

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية والفكرية فى دولة بنى مرين

الحياة الاجتماعية والفكرية فى دولة بنى مرين

أولا : الحياة الاجتماعية

(أ) المجتمع المغربى فى دولة بنى مرين :

شكل البربر السواد الأعظم فى البناء الاجتماعى للمجتمع المرينى ، فمن هؤلاء البربر كانت الطبقة الحاكمة التى انتمت إلى إحدى هذه القبائل البربرية ، وهى قبيلة بنى مرين ، وبطبيعة الحال كان انتماء بنى مرين إلى زناتة سبيلا إلى علو كعب القبائل الزناتية فى الدولة المرينية ، حيث كانت قبائل زناتة دوما أكبر عون للمرينيين سواء فى مراحل تأسيس الدولة ، أو فى المراحل الأخرى ، إذ كانت قبائل زناتة تشكل عنصرا كبيرا من عناصر الجيش المرينى (١) .

كما ضم المجتمع المرينى عددا من الأندلسيين الوافدين من الأندلس ، وتميزت من هؤلاء الأندلسيين مجموعتان الأولى مجموعة الأندلسيين المشتركين فى الجيش المرينى ، وكانوا من الجند النشابة حملة الأقواس بصفة خاصة (٢) . ولمهارتهم فى الرماية تولوا قيادة المركب السلطانى ، ومن أشهر قادة هذا المركب من الأندلسيين إبراهيم البطروجى (٣) . أما المجموعة الثانية فهى طبقة العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم ، باحتلال النصارى الأسبان لها ، وهؤلاء كان لهم دورهم فى الحياة الدينية والثقافية فى الدولة المرينية (٤) .

كما كان هناك العرب ، الذين ضم الجيش المرينى كثيرا منهم ، وكان معظمهم من الفرسان (٥) . ولكن المرينيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية ، خاصة فى مرحلة تأسيس دولتهم ، إذ كانت القبائل العربية مذبذبة بين ولائها للموحدين وطاعتها لبنى مرين (٦) . وهذا ما دعا السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى نقل بعضهم من درعة إلى مراكش ليكونوا هنالك تحت رقابة عمالة (٧) . ويؤكد وجهة النظر هذه أن القبائل العربية فى إفريقية هى التى حملت لواء المعارضة ضد الوجود المرينى هناك ، وساهمت فى إعادة أفريقية للحفصيين ثانية على النحو الذى أشار إليه البحث قبل ذلك فى عهد أبى الحسن المرينى (٨) .

وقد ارتبطت الأسرة المرينية الحاكمة ببعض القبائل العربية برباط النسب ، فابن

مرزوق يروى أن الحاج أبا ريان سلطان بنى مهلهل ، كان خالا للسلطان أبى سعيد المرينى ، وقد كان هذا الشيخ هو ووترمار بن عريف من قبيلة سويد العربية ، ضمن رجالات العرب الذين يشاورهم السلطان أبو الحسن المرينى فى مجلسه (٩) . وقد تمركزت معظم هذه القبائل العربية فى عدة مواضع من نواحى المغرب الأقصى ، فأقامت قبائل جشم وهى : سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر فى تامسنا ، وأقامت قبائل معقل فى السوس الأقصى وتشمل هذه القبائل : الأثبج ، وذوى حسان والشبانات . أما قبائل رياح فقد أقامت فى أزغار وبلاد الهبط (١٠) .

إلى جانب هذه الأكثريات فى المجتمع المرينى كانت هناك عناصر أخرى تمثل أقليات صغيرة من الأتراك الغز ، والروم ، واليهود .

١ - الغز :

وهم من المماليك الغز المصريين (١١) وهؤلاء ينتمون إلى القبائل التركية التى كانت تسكن فى إقليم ماوراء النهر (١٢) . وهؤلاء ظهروا فى المجتمع المغربى منذ عهد المرابطين الذين استعانوا بهم فى جيوشهم (١٣) . وفى عهد الموحدين كانوا مصدر خطر كبير على الدولة إذ خاضوا صراعا مريرا مع الموحدين بزعامة أميرهم شرف الدين قراقوش ، ثم نجح الموحدون بعد ذلك فى ترويضهم والاستفادة من خبراتهم العسكرية ، فأصبحوا يشكلون عنصرا قويا من عناصر جيوشهم ، وأغدق الموحدون عليهم الأموال والأعطيات (١٤) ولكن الغز فى ظل الدولة المرينية ، لم تكن لهم تلك المكانة التى كانت لهم فى الدولة الموحدية ، وكانت هيئتهم تميزهم عن غيرهم من سكان البلاد إذ كانوا يضفرون شعورهم كالنساء (١٥) .

٢ - الروم :

أما الفرنج (١٦) . ومعظم هؤلاء كانوا يمثلون فرقة ضمن فرق الجيش المرينى ، وكان قائدهم يطلق عليه اسم قائد جند النصارى (١٧) . وحرص سلاطين بنى مرين على جمعهم فى مكان واحد عرف بحى الملاح بالقرب من البلد الجديد (١٨) . وكان لهم دورهم فى الحياة السياسية وخاصة خلال عصر نفوذ الوزراء (١٩) .

٣ - اليهود : وجدت أعداد كبيرة منهم فى المغرب الأقصى ، وكان أكثرهم بالعاصمة فاس حيث سكنوا حى الملاح مع الروم (٢٠) . وكان لليهود دور كبير فى الحياة السياسية فى الدولة المرينية ، حيث وصل بعضهم إلى أرفع مناصب الدولة ، فكان خليفة بن حيون بن زمامة حاجبا للسلطان يعقوب بن عبد الحق (٢١) . وتولت أسرة بنى وقاصة اليهودية قهرمة القصر السلطانى فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (٢٢) . وفى عهد آخر سلاطين

بنى مرين السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المرينى ، تولى منصب الوزارة اثنان من اليهود هما هارون وشاويل ، وقد أدى تحكم اليهود فى الدولة عن طريق هذين الوزيرين ، إلى مقتل السلطان عبد الحق المرينى وسقوط الدولة المرينية (٢٣) .

(ب) البناء والتعمير :

حرص المرينيون على تنشيط حركة البناء والتعمير فى دولتهم ، باعتبارها مظهرا لحياتهم الاجتماعية الراقية المتقدمة ، وقد شملت حركة البناء والتعمير جميع جوانب الحياة فى المجتمع المرينى ، من مدن جديدة ، ومنشآت عامة كالمساجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، والفنادق والقناطر علاوة على المنشآت العسكرية .

المدن الجديدة :

شعر المرينيون دائما بحاجتهم إلى إقامة المدن الجديدة ، فبنوا خلال عهدهم عددا كبيرا من المدن الجديدة ، وكانت هذه المدن آية من آيات الفن والعمارة فى ذلك الوقت ، وأصبحت هذه المدن ظاهرة تميز فن العمارة المرينى ، عن غيره من فنون العمارة الحفصية ، والعبد الوادية ، والأندلسية (٢٤) .

١ - فاس الجديد :

أو (المدينة البيضاء) ، وهذه المدينة أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ببنائها سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) أثر عودته من عبوره الأول إلى بلاد الأندلس (٢٥) . ويذكر ابن خلدون أن سبب بناء هذه المدينة يرجع إلى اتساع نطاق الدولة المرينية ، وكثرة الوافدين على السلطان المرينى فرأى السلطان يعقوب : « أن يختط بلدا يتميزه بسكناه فى حاشيته وأهل خدمته وأوليائه » (٢٦) .

ولكن صاحب الروض العاطر الأنفاس . يروى سببا آخر لبناء هذه المدينة ، وهو أن الفقيه أبا إبراهيم إسحاق بن يحيى الورياغى ، والذى عرف بالأعرج الذى كان إماما بجامع السلطان بفاس ، وكان ذلك الشيخ يأمر السلطان يعقوب بن عبد الحق بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وذات يوم أكثر عليه الشيخ فى الكلام ، فقال له السلطان : اخرج من بلدى ، فلما خرج ، أصاب السلطان ألم شديد ، فأمر السلطان برد الشيخ ، فقال الشيخ الورياغى : لا أدخل حتى يخرج هو ولا نكون أنا وهو فى بلد واحد ، فخرج السلطان فى الحين ، فسكنت عنه الآلام ، فأمر ببناء المدينة البيضاء (٢٧) .

ويبدو أن هذه الرواية صحيحة ، لأن ابن خلدون ، يروى أن السلطان يعقوب ، انتقل إلى المدينة البيضاء سنة (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) (٢٨) . بينما يروى صاحب الحلل الموشية ، أن المدينة البيضاء تم بناؤها فى ذى الحجة سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م) (٢٩) .

على كل حال فالمدينة بنيت ملاصقة لمدينة فاس القديمة ، فى ساحة الوادى ، ونزل فيها السلطان بحاشيته وذويه ، واختطوا بها الدور والمنازل ، والقصور ، وأجريت إليها المياه (٣٠) . وأصبحت هذه المدينة كما يقول ابن خلدون : « من أعظم آثار هذه الدولة وأنباها على الأيام » (٣١) .

٢ - البنية :

وهذه المدينة أمر ببنائها السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى ، وقد اختار لها مكانا لصق مدينة الجزيرة الخضراء ، وكان الهدف من بنائها أن تكون مركز تجمع للقوات المرينية ، لأن الجزيرة الخضراء ضاقت بالمقاتلين المرينيين ، ولأن السلطان يعقوب أراد أن يقى أهل الجزيرة الخضراء ضرر العسكر وجفائهم (٣٢) . وفى سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) شرع السلطان يعقوب بن عبد الحق فى بناء سور لهذه المدينة (٣٣) .

٣ - المنصورة :

أو منصورة تلمسان ، وهذه المدينة بنيت فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب المرينى فى أثناء حصاره الطويل لتلمسان سنة (٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) (٣٤) حيث اختط السلطان يوسف قصرا لسكنه بمكان فسطاطه من معسكره حول تلمسان واتخذ بعد ذلك مسجدا للصلاة ، ثم أدار الأسوار على هذا النطاق ، وأمر الناس بالبناء ، فبنوا الدور الواسعة ، والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة ، وأنشأوا البساتين ، وأجروا لها المياه (٣٥) . وفى سنة (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) ، تم استدارة السور حولها ، وأصبحت مصرا ، « من أعظم الأمصار والمدن وأحظها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق واحتفال بناء وتشييد منعة ، وأمر (السلطان يوسف) باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدا جامعا وشيد له مأذنة رفيعة ، فكان من أحفل مساجد الأمصار وأعظمها وسماها المنصورة » (٣٦) ولا زالت آثار أسوار هذه المدينة ، ومئذنة مسجدها الباقية حتى الآن تشهد على براعة المهندسين المرينيين وحسن ذوقهم (٣٧) .

٤ - تطاوين :

أو تطوان ، وهذه المدينة أسسها السلطان أبو ثابت المرينى سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) ، وكان الهدف من بنائها هدفا عسكريا ، لاتخاذها لنزول الجند

المرينى ، للأخذ بمخنق مدينة سبتة (٣٨) . وكان السلطان يوسف بن يعقوب قد بنى قصبتها سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها (٣٩) . والمعروف أن القصبة بالمغرب تكون وسط المدينة ، إذا كانت المدينة مربعة الشكل ، واقعة فى سهل ، وتكون فى أعلى الجبل وإذا كانت المدينة مثلثة الشكل ، منتشرة كالبرنس ، على سفح الجبل (٤٠) .

وكما اهتم المرينيون ببناء المدن الجديدة ، حرصوا أيضا على تجديد بعض المدن ، وبناء أسوارها ، وتجديد أبوابها ، ففى سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، أصدر السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى أوامره من الجزيرة الخضراء ببناء باب الجيسة ، وإصلاحه وتجديده ، وكان أبو يوسف قبل ذلك فى سنة (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، قد أمر بهدم السور القبلى من عدوة الأندلس من باب زيتون بن عطية ، إلى باب الفتوح ، وإعادة بنائه وترميمه (٤١) . والسلطان يوسف بن يعقوب المريني أمر بتجديد بناء مدينة وجدة ، وأسوارها وقصبتها وحماماتها ، وقصرها الكبير ، ومسجدها الجامع فى سنة (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) (٤٢) .

ولعل أروع مثال يدل على مدى البراعة والخبرة التى تمتع بها المهندسون والصناع المرينيون ، قدرتهم الفائقة على إنجاز المشروعات والقصور السلطانية ، التى كانوا يكلفون ببنائها فى أزمان قياسية ، ومن ذلك القصر الذى بناه المهندسون والصناع للسلطان أبى الحسن المرينى فى أسبوع واحد ، وساهم فى إقامته البناءون ، والنجارون ، والجباسون ، والزليجيون ، والرخامون ، والفنيون ، والدهانون ، والحدادون ، والصفارون ، واشتمل هذا القصر حسب أوامر السلطان أبى الحسن ، على أربع قباب مختلفة ، وديرتين تتصلان بهما ، منقوشة الجدران بالصناعات المختلفة ، بالجبص ، والزليج ، والنقش فى الأرز المحكم النجارة والصناعات المشتركة (أى التوريق والتسطير) ، ونقش ساحة هذا القصر وفرشها بالزليج والرخام ، بما فيها من طيافير الرخام ، والسوارى والنجارة فى السقوف ، ودهنها وتلبيس الأبواب ، والخوخ بالنحاس المموه بالذهب ، والحديد المقصدر ، وكان تصميم القصر قد رسم على قطعة من الكاغد ليلتزم به المهندسون والصناع (٤٣) .

وإلى جانب حركة البناء والتعمير التى قام بها سلاطين بنى مرين وحركة الاصلاح والترميم فى المدن المرينية ، كانت هناك المشروعات العمرانية الخاصة التى يقوم ببنائها الأفراد على مختلف المستويات ، ومن هذه المشروعات ما قام به الشريف أبو العباس فى سبته ، من أبنية ضخمة ، تصور وجه الحضارة المرينية « كالرياض الأعظم الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأنق فى بنائه وأبدع صنعته وجلب إليه الماء بالدوليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ، وكالرياض الذى بالصفارين حيث كان قعوده مع خواص الناس وعامتهم » (٤٤) .

وظهرت فاس الجديدة ذات شكل بديع ، حيث تعددت أشكال المبانى التى أقامها أهلها ، وكان أكثرها ، يتكون من طابقين ، أو ثلاثة طوابق أو أربعة (٣) .

المنشآت العامـــة :

١ - المســاجد :

اهتم المرينيون ببناء المساجد الجديدة ، فاحتوت كل مدينة من المدن الجديدة التى سبق الحديث عنها على مسجد كبير ، كالمسجد الجامع بفاس الجديد ، الذى بنى سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) ، وقد علقت بهذا المسجد ثرياه التى كان وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مائتان وسبعة وثمانون كأسا . (٤٥) وغير هذه المساجد فى المدن الجديدة ، مساجد أخرى لاتقع تحت الحصر بنيت فى سائر جهات الدولة ، وفى الزوايا والأربطة (٤٦) .

ويعد مسجد العباد بالقرب من قبر الولى الصالح أبى مدين شعيب مُتحفا للعمارة الدينية المرينية ، حيث زين بالفسيفساء المصنوعة من الخزف ، ومصلاه تتكون من خمس بلاطات ، وثلاثة صفوف ، وجدرانه وسقوفه ذات تربيعات مزخرفة بطلاء من الجص المنقوش ، ومحرابه عبارة عن فجوة ذات زوايا منظمة ، قوسها محمول على اسطونتين لكل منهما تاج أنيق ، مسبوق بقبة مقرنصة ، ويحف بصحن المسجد رواق ذو دعائم منشورية الشكل ، أما المئذنة فهى مزينة بالأجر المشبك والخزف (٤٨) .

وقد بنى هذا المسجد فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، على يدعم الخطيب بن مرزوق ، أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق (٤٩) . ويصف ابن مرزوق وهو شاهد عيان هذا المسجد بقوله « اشتمل (مسجد العباد) على الوضع الغريب وهو أن سقفه كلها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات ونجارة على جهة تخالف الجهة الأخرى فى الوضع قد رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة فلا يختلج فى النفس شكل ولا يعرض لها وهم أنها أشكال منجورة منقوشة وهى كلها مبنية أحكاء بالأجر والفضة واشتمل على المنبر العجيب الشكل المؤلف من الصندل والعاج والأبنوس المذهب » (٥٠) .

وابتنى السلطان أبو عنان المرينى مسجد سيدى الحَلوى ، ويحتوى هذا المسجد على مصلى تشتمل على ثمانية أعمدة ، وعلى الواجهات الأربع لمئذنته ، أشكال من الفخار المموه بالمينا (٥١) .

واهتم سلاطين بنى مرين كثيرا بترميم المساجد واصلاحها ، وتزويدها باحتياجاتها ، حفاظا على الرونق الحضارى لهذه المساجد ، ففى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق زود

مسجد القرويين ببيلة بباب الحفاة طولها سبعة وعشرون شبرا ، وهى مغشاة بالرصاص ، متصلة بخارج الباب ، وفوق هذا الباب أشباك من الخشب فتحت فيه أربع خوخات ، وارتفاع هذا الباب ستة عشر شبرا . وفى أيام ناظر الأحباس الفقيه القاضى أبى عبد الله محمد بن أبى الصبر فرش أمام هذا الباب بالرخام الأبيض والأكحل ، ويتدفق الماء من الجهة المعدة له نحو هذه البيلة ، وينصب على رخام أبيض وأزرق وأحمر يغسل فيه الحفاة أرجلهم ثم يغور الماء بعد ذلك فى قناة معدة لذلك (٥٢) . وفى سنة (٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) زود أبو عبد الله بن أبى الصبر ناظر الأحباس مسجد القرويين بعنزة « فيها غرابة الصنعة ونفاسة الخشب وإتقان الألصاق ودقة الخرط والنقش ما يقضى بالعجب » (٥٣) . وكانت هذه الإضافات والإصلاحات تتم تحت إشراف كامل من سلاطين بنى مرين بل إن بعضهم تبرع لإتمام هذه الاصلاحات من ماله الخاص ، فالسلطان يوسف بن يعقوب تبرع بخلخال من الذهب ، زنتهما خمسمائة دينار من الذهب ، للمساهمة فى إعادة بناء الحائط الجوفى لمسجد القرويين ، وأشرف على إعادة بناء هذا الحائط الفقيه القاضى أبو غالب المغيلى ، وانتهى البناء سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) (٥٤) .

ونال مسجد الأندلس بالعدوة الأندلسية نفس العناية التى لقيها مسجد القرويين ، ففى سنة (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، قام والى فاس أبو الحسن على بن محمد الحلودى ببناء الباب المدرج على غرار الباب المدرج بمسجد القرويين ، ووضع فى أسفل الباب نقيرا من الخشب ملس بالرصاص ، وجلب إليه الماء من عيون ابن الصادىء ، ليدخل عليه الحفاة ، وعمل عليه شباكا من خشب الأرز ، بباب يدخل إليه من أراد الصعود إلى أدراجه ، ووضع فى نهاية الأدراج باباً عظيما ، وصنع عن يمين الخارج من أسفل الأدراج سقاية ونمقها بالجص والحجر المنجور ، وأنواع الأصباغ ، كل ذلك بصناعة محكمة (٥٥) .

وفى سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) أمر السلطان يوسف بن يعقوب ، بإصلاح مسجد الأندلس وتجديده وجلب الماء إليه من نهر مصمودة ، وفى عهد حفيده أبى ثابت ، أعاد جلب الماء إلى المسجد من العين الموجودة خارج باب الحديد كما كان عليه فى أيام الناصر الموحدى ، وتولى الإشراف على عملية الإصلاح أبو العباس أحمد الجيانى (٥٦) .

كما حرص سلاطين بنى مرين على تهيئة المساجد فى دولتهم كى تؤدى رسالتها على أتم وجه ، ومن ذلك ما أمر به السلطان أبو عنان المرينى ، بأن يوضع فى أعلى المآذن فى مساجد فاس ، صارى من خشب ، وفى النهار يرفع عليه علم فى أوقات الصلاة ، وفى الليل يوقد سراج مزهر ، ليستدل من بعد من لم يسمع نداء المؤذن على أوقات الصلاة ، وفى يوم الجمعة أمر بأن يرفع على الصارى علم أزرق ، ليعلم الناس أن اليوم يوم جمعة ، وهذه الخطوات تدل

على مدى اهتمام السلاطين بالروح الدينية والتزامهم بها (٥٧) .

٢ - المدارس :

تعتبر المدارس المرينية أبلغ دليل على روعة العمارة المرينية ، حيث اهتم المرينيون باستكمال كافة لوازم هذه المدارس ومتطلباتها ، حيث كان الطلبة يقيمون فيها على نفقة السلطان المرينى . وجاء اهتمام سلاطين بنى مرين بالمدارس ، لأنهم اتخذوا منها ميدانا لتدريس الفقه المالكى (٥٨) . ويبدو أن ذلك عجل برحيل مذهب التوحيد الذى سيطر على بلاد المغرب أمدا طويلا .

وقد أنشأ المرينيون مدارسهم بمفهوم جديد ، حيث لم تكن هناك فى المغرب قبل العصر المرينى مدارس للتعليم العالى المتخصص ، ولسكنى الطلبة ، وإنما كان العلماء المدرسون يلقون دروسهم فى المساجد ، وبصفة خاصة فى جامع القرويين ، وقد ابتنى المرينيون مدارسهم فى العاصمة فاس وفى غيرها من مدن المغرب الأقصى (٥٩) .

وكانت مدرسة الصفارين أولى المدارس التى بناها سلاطين بنى مرين فى دولتهم ، بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق ، وسميت بهذا الاسم لأنها أقيمت بالقرب من السوق الذى تصنع فيه أوانى النحاس الأصفر ، ولما تم بناؤها عين لها السلطان المدرسين ، وأجرى على طلبتها النفقة ، وزود المدرسة بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس (٦٠) . وجاءت مدرسة الصفارين بسيطة فى فنها المعمارى ، حيث يحتوى صحنها فى الوسط على بركة مستطيلة الشكل اصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، وألحق بها مصلى صغير تؤدى فيه الصلوات (٦١) . كما ابتنى أبو يوسف يعقوب مدرسة أخرى بمراكش (٦٢) .

وجاء السلطان أبو سعيد المرينى ، فاهتم ببناء المدارس ، فأسس فى فاس وحدها مدرسة العطارين ، ومدرسة المدينة البيضاء ، ومدرسة الصهريج ، والمدرسة الكبرى مدرسة الوادى ، والمدرسة المصباحية ، نسبة إلى الإمام مصباح بن عبد الله الباصلوتى ، وهو أول من عين للتدريس بها (٦٣) . وتحتوى هذه المدرسة على مائة وسبع عشرة غرفة ، وتحتفظ بظلة جميلة من الخشب المنقوش ، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاها (٦٤) . وقد جلب السلطان أبو الحسن المرينى لهذه المدرسة من الأندلس بيلة من الرخام الأبيض ، وزنها مائة وثلاثة وأربعون قنطارا (٦٥) .

ولم يقف سلاطين بنى مرين عند الاهتمام ببناء المدارس فى عاصمتهم فاس ، وإنما أنشأوا المدارس فى سائر بلاد المغرب ، فأنشأ أبو الحسن المرينى « فى كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة فأنشأ بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة وببلد مكناسة وسلا

وطنجة وسبتة وأنفا وأزمور وأسفى وأغمات ومراكش والقصر الكبير وبالعباد ظاهر تلمسان وبالجزاير مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان (٦٦) فكانت إحدى هذه المدارس ، وهى مدرسة سلا متخصصة فى دراسة الطب (٦٧) . ويؤكد ابن مرزوق أن هذه المدارس كانت آية فى فن البناء والعمارة ، حيث اشتملت فى عناصر بنائها على : « المبانى العجيبة والصنائع الغريبة والمصانع العديدة والاحتفال فى البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعها من الزليج البديع والرخام المجزع والخشب المحكم النقش » (٦٨) .

وتعتبر المدرسة العنانية التى أسست سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) قمة الفن المعمارى المرينى (٦٩) . إذ أن الآثار المعمارية المرينية السابقة ، كانت لا تزال تحت تأثير الفن الموحدى ، الذى يمتاز بالبساطة ، والبعد عن كثرة الزخارف ، مسايرة لمبادئهم الدينية . فبناء هذه المدرسة يؤكد أن المرينيين أدخلوا على الفن الموحدى التنسيق والتزويق ، وصاروا يهتمون بالنقش على الجبص ، والخشب ، ولايتركون موضعا فى الحيطان أو السقوف والأبواب ، دون أن ينقشوه ، وبالغوا فى ترصيع الأرض ، وأسافل الجدران بالزليج الرقيق المختلف الألوان ، واستخدموا الرخام بجميع ألوانه ، وهذه المميزات ، أضفت على منشآتهم البهاء الممزوج بالرقة والعذوبة (٧٠) .

وهذه المدرسة العنانية استغرق بناؤها سبع سنين ، ولندع جوليان (٧١) يصف لنا هذه المدرسة التى وصفها الكتانى فى سلوة الأنفاس بأنها المدرسة العجيبة (٧٢) . يقول : « ويفضى بابها بمصراعيه الخشبيين المصفحين بالبرنز المتقن الصنع إلى مدخل ذى درجات حافاتها من الجزع والخزف وبجوانبه دكات من الخزف المتعدد الألوان . أما صحنها الفسيح المغطى بالرخام الأبيض أو الوردى وبالجزع . فقد كسيت جوانبه بالفسيفساء ، وفتحت نوافذ غرفة وسط زخرف من الجص » (٧٣) . ثم ينقل جوليان وصف ب . ريكار فى هذا الصدد :

« وفى أعلى ذلك تحتضن الدعامات مداميك العقود الكبيرة المستعارة الخشبية التى تحمل الإفريز الأعلى المزخرف بالآيات القرآنية والمحمى بظلة لم يأت مثلها فى الروعة » (٧٤) . ويستأنف جوليان الوصف : « وتضىء كوى بلورية المصلى المكون من بلاطتين عرضانيتين بأطرافهما الهندسية المتداخلة على أكمل وجه ... كما وجدت ميضاة مسقوفة على أروع صورة » (٧٥) .

وقد زار السلطان أبو عنان هذه المدرسة عند تمامها ، فلما عرض عليه المهندس القائم على تنفيذها ملفا يتضمن تكاليف البناء ، ألقى به أبو عنان فى الوادى الذى يجلب الماء للمدرسة وقال قولته المشهورة (٧٦) :

ليس لما قرت به العين ثمن   لا بأس بالغالى إذا قيل حسن

وأمر أبو عنان ، بأن تقام أمام مدرسته منجانة (ساعة) لمعرفة الأوقات ، قام بصناعتها أبو الحسن على بن أحمد التلمسانى (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) (٧٧) .

ويبدو أن المرينيين أرادوا بالتوسع فى التعليم – بإنشاء المدارس على نحو لم تعرفه بلاد المغرب من قبل – اقتحام جميع المنافذ على مذهب التوحيد للقضاء عليه ، وقد نجحت هذه السياسة بفضل ما كان لدى الناس من ارتباط شديد بالمذهب المالكى ، فما لبث معظمهم أن ترك مذهب التوحيد وعاد فى هدوء إلى مذهب الإمام مالك ، الذى كان يلقى رواجا كبيرا فى بلاد المغرب الأقصى ، ومما يعزز ذلك أن المرينيين أقاموا مدارسهم على أساس أن الطالب يتعلم ويقيم فى المدرسة ، وذلك ليتيحوا خلق جيل جديد من الطلبة ليسوا من أهل المدن فحسب ، وإنما من بين أهل البوادى والأرياف ، فانتشر التعليم بفضل هذه السياسة على نحو كبير .

٣ – المستشفيات ودور الرعاية :

منذ تقلد بنو مرين زمام الأمور فى بلاد المغرب الأقصى وهم يحرصون على بناء المارستانات (المستشفيات) لعلاج المرضى ، فأول سلاطينهم يعقوب بن عبد الحق ، بنى المارستانات للمرضى والمجانين ، ورتب لهذه المستشفيات الأطباء لتفقد أحوال المرضى ، وأجرى على الجميع المرتبات والنفقات من بيت المال ، ورتب كثيرا من أموال الجزية للاهتمام بالجذامى والعميان (٧٨) .

وتابع سلاطين بنى مرين بعد ذلك الاهتمام بالشئون الصحية وبناء المستشفيات فابتنى السلطان يوسف بن يعقوب (مارستانا) لعلاج المرضى بمنصورة تلمسان (٧٩) . وابتنى السلطان أبو الحسن المرينى بفاس مارستانات لمداواة المرضى والاعتناء بهم (٨٠) . كما جدد إحدى هذه المستشفيات التى كانت بالقرب من القيسارية بفاس (٨١) . واعتنى السلطان أبو الحسن أيضا بالعيون الساخنة التى يتداوى بها الناس ، فبنى (حمة خولان) ، على وجه محكم كما يقول الجزنائى ، لعلاج المرضى بما يخرج من هذه العين من مياه معدنية ساخنة (٨٢) . وتولى إدارة هذه المارستان فى العصر المرينى نظار يعينون لهذا الغرض ، ومن الذين تولوا إدارة مارستان فاس فى عهد أبى عنان ، محمد بن القاسم بن أبى بكر القرشى المالقى (٨٣) .

واهتم المرينيون أيضا بدور الرعاية الاجتماعية التى تقدم خدماتها لمواطنى الدولة غير القادرين ، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق أسس عددا من الزوايا والأربطة لإيواء المسافرين ، وعابرى السبيل وذوى الحاجات خصوصا فى النواحى المقفرة البعيدة عن العمران ، وأوقف

عليها الأوقاف الكثيرة . وأمر بتطهير الأيتام (أى ختانهم) وكسوتهم والإحسان إليهم بالدراهم والطعام (٨٤) .

واهتم سلاطين بنى مرين كثيرا برعاية الشيوخ والضعفاء ، الذين لا يستطيعون النفقة على أنفسهم فخصصت لهم رواتب تكفيهم ورصدت أسماؤهم ، كما يقول ابن مرزوق فى جرائد العمال تحت اسم شيوخ الجامع ، وبنى لهم السلطان أبو الحسن دورا لإقامتهم ، وكانت توزع عليهم الكسوة فى كل سنة بصفة منتظمة (٨٥) . وما طبقته الدولة على الشيوخ طبقته أيضا على الأيتام ، وأكثر من ذلك فإن السلطان أبا الحسن أعطى لكل يتيم قطعة من الأرض تكفيه . وكانت عاشوراء موسما لختان الأيتام وكسوتهم فكانت الدولة تصرف لكل يتيم قميصا وأحزاما ، ويعطى عشرة دراهم ، وما يكفيه لطعامه من اللحم (٨٦) .

٤ - الفنادق :

ارتبط إنشاء الفنادق فى العصر المرينى بازدهار الحركة التجارية فى البلاد ، حيث لعب الفندق دورا كبيرا فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب ، إذ كانت هذه الفنادق فى أغلب الأحيان ملتقى للتجار من شتى البلدان والنواحى ، ولذلك اتخذ الفندق وضعا معينا يتفق مع وظيفته الاقتصادية ، فكان أشبه ما يكون بمخزن أو سقيفة ، بها شهود عدول لتحرير عقود البيع والشراء ، وبها أيضا سماسرة يسهلون عمليات البيع والشراء ، وكان بها المنادون على البضائع التى تباع بالمزاد العلنى ، كما كان بالفنادق أمناء لتسعير البضائع ، والتأكد من سلامتها من الغش ، وأيضا مترجمون يتولون الترجمة بين التجار من مختلف الجنسيات ، وضم الفندق أيضا بعض نواحى الخدمة اللازمة للتجار والمقيمين به فاشتمل على برادعى وسراج ، لإصلاح أدوات الدواب ، وبيطار ليعالج الدواب وينعلها ، ومستودعات للعربات والدواب والعلف والبضائع ، وفى الدور الأول من الفندق غرف ليستأجرها النزلاء والمسافرون للمبيت (٨٧) . ومن أشهر هذه الفنادق بمدينة فاس فندق الشماعين الذى كان مركزا كبيرا لرجال المال والتجارة (٨٨) . أنشأه القاضى أبو عبد الله بن أبى الصبر فى موضع كان خربا بالقرب من مسجد القرويين (٨٩) . وانتشر على طول الطرق فى أنحاء الدولة المرينية مايشبه الفنادق الصغيرة ، وهذه كانت تقوم بخدمة المسافرين ، والمحافظة على أمتعتهم ، وقد تواجدت هذه الفنادق الصغيرة على مسافات ثابتة يعلمها المسافرون تقدر باثنى عشر ميلا (٩٠) .

٥ - القناطر :

أجرى المرينيون فى أيامهم تجديدات شاملة لمعظم القناطر التى تصل بين عدوتى الأندلس والقرويين فى مدينة فاس القديمة ، وتتضمنت هذه التجديدات إصلاح مايحتاج إلى

الإصلاح ، وإعادة بناء ما تهدم من هذه القناطر . ومن القناطر التى أصلحت قنطرة (أبى طوبة) ، أصلحها السلطان أبو سعيد المرينى ، كما أعاد أبو سعيد – على نفقة الدولة – بناء قنطرة (الصباغين) وقنطرة (الرميلة) وقنطرة (السلسلة) ، وهذه الأخيرة هدمها السيل العظيم الذى اجتاحها سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) ، كما تطوع الأهالى ببناء قنطرة (الوقادين) (٩١) وهذه القناطر كانت لها أهميتها فى حركة الاتصال بين العدوتين .

واعتنى السلطان أبو الحسن المرينى ببناء المزيد من القناطر داخل فاس وغيرها من مدن المغرب فأنشأ قنطرة (وادى ردات) ، وقنطرة (بنى بسيل) ، وقنطرة (الوادى) ، وقنطرة الرصيف ، وقنطرة (وادى سطيف) بتلمسان ، وقنطرة (باب الجياد) ، وقنطرة (مينا) (٩٢) .

يضاف إلى ذلك اهتمام أبى الحسن بمشروعات المياه وتوصيلها بسهولة إلى مستعمليها من الناس ، يقول الفقيه أبو الحسن على بن محمد بن فرحون اليعمرى : « ما مررت فى بلاد المغرب بسقاية ولا مصنع من المصانع التى يعسر فيها تناول مياه الشرب والوضوء فسألت عنها إلا وجدتها من إنشاء السلطان أبى الحسن » (٩٣) . وقد انفق أبو الحسن أموالا طائلة لتوصيل المياه إلى داخل مدينة سلاحيث الموضع المعروف باسم (برج حمام) . وكذلك فى تلمسان حيث أدخل المياه إلى مواضع لم يعهد دخول الماء إليها كمنشر الجلد ، وسويقة إسماعيل (٩٤) .

٦ – التحصينات الدفاعية :

اهتم المرينيون اهتماما كبيرا بإقامة التحصينات الدفاعية ، وذلك راجع بالطبع إلى طبيعة دولتهم التى تميزت بكثرة الحروب التى خاضتها ، سواء فى مرحلة تأسيسها أو فى مرحلة ازدهارها وتوسعها ، وتركزت أهم هذه التحصينات الدفاعية على الحدود الشرقية للمغرب الأقصى ، لمواجهة خطر بنى عبد الواد ، وفى بلاد الأندلس ، وعلى طول سواحل الدولة المطلة على البحر المتوسط لمواجهة خطر الأسطول الأسبانى ، على ساحل البحر المحيط لمواجهة نفس الخطر .

وقد انحصرت المنشآت العسكرية ، قبل عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، فى إقامة المدن ذات الصبغة العسكرية ، مثل البنية التى بنيت فى بلاد الأندلس لصق الجزيرة الخضراء ، لتكون مقرا للجيوش المرينية المحاربة فى الميدان الأندلسى (٩٥) . ومنصورة تلمسان التى حملت نفس الصفة منذ أول إنشائها (٩٦) . وكذلك تطوان بالقرب من سبتة (٩٧) . وأفراك التى بناها السلطان أبو سعيد المرينى بالقرب من سبتة (٩٨) . وبالإضافة إلى إقامة المدن ذات الطبيعة العسكرية ، بناء الحصون والأسوار حولها ، وشحن هذه الحصون بالأقوات والمؤن ،

كبناء السور الغربى لسلا ، لاكمال استدارة السور حولها حتى لا يقتحمها أحد من البحر (٥) . وبناء السور حول (بادس) مرفأ الجواز إلى بلاد الأندلس (١٠٠). كان ذلك فى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق ، الذى شحن أيضا حصن تاونت على الحدود الشرقية لدولته فى مواجهة يغمراسن بن زيان (١٠١) . وفى عهد السلطان يوسف بن يعقوب أعيد بناء مدينة وجدة ، وحصنت أسوارها ، كما بنى نفس السلطان حصن تاوريرت على الحدود الشرقية فى مواجهة بنى عبد الواد (١٠٢) .

واتخذت التحصينات الدفاعية فى الدولة المرينية منذ عهد السلطان أبى الحسن المرينى شكلا جديدا يتميز بضخامة هذه التحصينات ، واختلافها فى كثير من الأحوال عما سبقها من تحصينات فى الفترات السابقة . ففى عهد هذا السلطان ، انشئت المحارس على طول الساحل من آسفى إلى جزائر بنى مزغناى ، وهذه المحارس عبارة عن أبراج عالية ، رتب فيها السلطان أبو الحسن المستطلعون والمستكشفون للبحر ، فإذا ما ظهرت أية قطعة بحرية للعدو بادر هؤلاء المستطلعون والحراس إلى اشعال النار فى الابراج ، والدوى بالنفير ، فتتنبه سائر المحارس على طول ساحل الدولة المطل على البحر المتوسط ، فى ليلة أو أقل من الليلة (١٠٣) .

وعلى نفس النمط أقام السلطان أبو الحسن أبراج الماء ، وهذه الابراج أقامها فى الماء أمام سبتة لتشرف على حركة السفن ، وتراقب الداخل والخارج منها ، والبرج الأول كان ببحر (بشول) أمام سبتة ، والثانى فى مشحن سبتة ، كما بنى برجين من نفس الطراز بجبل الفتح لنفس الغرض (١٠٤) .

وقرر أبو الحسن المرينى بعد استيلائه على جبل الفتح سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٧ م) تحصين جبل الفتح لأهميته الاستراتيجية ، إذ يقف هذا الجبل على عتبة عدوة الأندلس ، فهو على حد قول ابن مرزوق : مفتاح هذه العدوة ومغلقها . وكان مشروع تحصين هذا الجبل - على الصورة التى يريدها السلطان أبو الحسن ، وهى احاطة الجبل بكاملة بسور يحتضنه من سفحه - يعد ضربا من المستحيل فى نظر الكثيرين ، ولكن أبا الحسن صمم على تنفيذ هذا المشروع الدفاعى الضخم ، ورصد له الأموال ، وحشد له العمال والثقات والأمناء ، حتى تم بناؤه (١٠٥) . « وصارت التربة الحمراء بالمبانى الحافلة والمساكن العالية بيضاء ، وصارت بها أسواق وجامع للصلاة والخطبة وحمام . وتعدد فيها المساجد وفى غيرها من سفح الجبل اتخذت فيها قرى ومساكن » (١٠٦) . وشحن أبو الحسن أبراج الجبل كلها والسفح والدور بالأبطال والشجعان من الرجالة والفرسان ، وأجرى عليهم ومن معهم من أسرهم المرتبات الكافية (١٠٧) .

ولم يكن اهتمام أبى الحسن بجبل الفتح فحسب ، وإنما اهتم أيضا بجميع المعاقل والحصون التى للمسلمين بالأندلس ، فشحنها بالحبوب ، وسائر الأقوات ، وما تحتاجه هذه الحصون من الآلات من الخشب والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والجلد والجبن والشحم ، والزيت كل هذا بكميات تثير العجب والدهشة (١٠٨) .

(ج) المظاهر الاجتماعية :

هناك بعض المظاهر الاجتماعية التى يمكن تتبعها من خلال المصادر والمراجع ، وهى تتعلق بالحياة الخاصة لسلاطين الدولة المرينية ، وتتعلق أيضا بمواطنى الدولة على اختلاف طبقاتهم .

(أ) الحياة اليومية لسلاطين بنى مرين :

كان من عادة معظم سلاطين بنى مرين أن يجلس الواحد منهم فى بكرة كل يوم ، ويحضر مجلسه الأشياخ الكبار – (وهم قادة الجيش) – فيمد لهم السماط – (الموائد) – الذى يحتوى على ألوان مختلفة من الأطعمة والحلوى ، بعضها مصنوع من السكر ، ومعظمها مصنوع من العسل والزيت ، فيأكلون ويتفرقون إلى أماكنهم (١٠٩) . وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه ، وقد لا يركب ، أما فى آخر النهار فقد يركب السلطان فى حرسه الخاص بعد العصر ، ويخرج إلى مكان فسيح فى الصحراء ، وغالبا ما يكون ذلك فى يومى الاثنين والخميس ، ويقف على مكان مرتفع ، ويسمى ذلك المكان مجلس العرض أو برج الذهب ، وتتطارد أمامه الخيل ، ويتطاعن الفرسان ، فى بيان عملى ، تمثل فيه الحرب أمام السلطان ، على سبيل التدريب (١١٠) . وقد يحضر مجلس العرض أبناء الملوك ، وبعض السفراء الذين يتصادف وجودهم فى ذلك الوقت ، وقد يعرضون عليه هناك ما يحملون معهم من الهدايا (١١١) . وبعد انتهاء البيان العملى ، يعود السلطان فى موكبه إلى قصره (١١٢) .

ثم يعقد السلطان بعد ذلك مجلسا يضم عددا من العلماء وشيوخ بنى مرين ، وكبار رجال الدولة وأعيانها ، فتمد أمامهم الموائد ، فيأكلون ، ويأكل معهم السلطان ، وبعد الانتهاء من الطعام ، يعرض كاتب السر مالديه من تقارير يريد عرضها على السلطان تتضمن مهام الدولة ، وقد يجلس مع السلطان بعد ذلك من يسامره فى بعض الليالى ، وربما اقتضت الحال مبيت كاتب السر عنده (١١٣) .

وكان السلطان أبو الحسن المرينى ، غالبا ما يجلس للقراءة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر ، فكان يقرأ الأخبار والسير ، كالسير لأبى الربيع ، وسراج الملوك ، وفتوح الشام ، وغيرها من كتب الحديث ، كصحيح مسلم والبخارى ، وكان الخطيب ابن مرزوق

أحد الذين تولوا القراءة بين يدى أبى الحسن . وغالبا ما كان السلطان يواصل ذلك المجلس العلمى بعد صلاة المغرب ، ومما كان يحرص على قراءته فى ذلك الوقت الموطأ ، ومن العلماء الذين كانوا يحضرون ذلك المجلس أبو عبد الله الرندى ، وأبو زيد بن الإمام ، وشقيقه أبو موسى ، وأبو عبد الله السطى ، وأبو عبد الله بن عبد الرازق ، وأبو عبد الله الآبلى ، وأبو عبد الله بن الصباغ المكناسى ، وأبو عبد الله بن الحفيد السلوى (١١٤) . وبعد صلاة العشاء ، تقرأ على السلطان بعض الشكاوى والرسائل التى تتعلق بالدولة ، ويتولى التوقيع عليها بنفسه (١١٥) .

٢ - البلاط المرينى :

فى مطلع قيام الدولة ، كان يغلب على البلاط المرينى طابع البداوة ، ولم يستقر سلاطين بنى مرين كثيرا فى بلاطهم فى أول دولتهم ، إذ كان عليهم دائما ، القيام بزيارات دورية لأقاليم الدولة ، لدعم السلطة المرينية فى هذه الأقاليم ، وحل ما بها من مشكلات (١١٦) . ومما يلفت النظر أن السلطان المرينى عندما كان يقوم بهذه الجولات ، كان عدد سكان فاس الجديد (مقر البلاط) يهبط إلى النصف تقريبا ، لأن معظم سكانها كانوا من العسكريين ، ورجال البلاط الذين يرافقون السلطان المرينى دائما ، فإذا عاد السلطان ،امتلأت المدينة مرة ثانية ودبت فيها الحياة من جديد (١١٧) .

ويذكر ابن مرزوق أن البلاط المرينى كان يحوى خداما يختصون بالسلطان فى خطط متعددة وعلى مراتب مختلفة ومعروفة ، وكان لولى العهد مثل ذلك ، فكان له حاجبه ، وكاتبه وأمينه ومتولى مراكبه ، فإذا ماتوفى السلطان ترك خدامه مكانهم إلى خدام ولى العهد ، وفى بعض الحالات كان السلطان الجديد يحتفظ بخدام أبيه مبرة لوالده ، ووفاء له ، وهذا ما حدث حيث احتفظ السلطان أبو الحسن بكثير من رجال البلاط الذين كانوا فى عهد والده السلطان أبى سعيد المرينى (١١٨) .

ويأتى السلطان فى البلاط المرينى على قمة الهرم ، ومن بعده الوزراء ، وكان هؤلاء أصحاب السلطة بعد السلطان ، وفى عصر نفوذ الوزراء ، أصبحت السلطة المطلقة فى أيديهم ، وكان هؤلاء الوزراء دائما موضع الاحترام من قادة الجند ، وكبار موظفى الدولة ، الذين كانوا عادة من بنى مرين ، أو من القبائل العربية الكبرى (١١٩) . ولم يكن للنساء دور مباشر فى هذا البلاط ، لأنهن كن محجوبات فى القصور ، ولكن الذى لاشك فيه أنهن كن يلعبن أدوارا غير مباشرة فى التأثير على السلطان ، ولا يغيب عن أذهاننا ، طلب والدة السلطان أبى الحسن إلى ولدها السلطان ، حين تشفعت لديه للعفو عن أحد الأشخاص ، وأبطأ فى تحقيق رغبتها (١٢٠) .

وآخر درجة فى البلاط ، كانت تشمل الخدم ، وغالبهم كان من الخصيان من الرقيق أو من المعتوقين ، وقد نظموا فى داخل البلاط بطريقة هرمية ، وكان فى ذلك مجال كبير للتنافس والغيرة ، وكثيرا ما كانت قصور بنى مرين مجالا لكثير من الدسائس والمؤامرات ، التى كان لها أثرها على الدولة نفسها ، كما حدث حين قتل أحد هؤلاء الخدم من الخصيان السلطان يوسف بن يعقوب المرينى (١٢١) .

٣ - الاحتفالات :

كانت هناك احتفالات ومناسبات كثيرة يظهر فيها السلطان المرينى أمام جمهور شعبه الذى كان يشارك فى هذه الاحتفالات ، إما بالتجمع لرؤيتها والتمتع بها ، أو بالمشاركة الفعلية فى هذه الاحتفالات ، ومن بين هذه الاحتفالات :

(أ) الاحتفال باستقبال وفود الدول :

جرت العادة فى الدولة المرينية أن يشارك أبناء الشعب فى استقبال الوفود التى تأتى لزيارة السلطان المرينى ، إظهارا للحفاوة بهذه الوفود ، وتعبيرا عن جو الصداقة والود ، وكانت تقام لذلك الاستقبالات والاحتفالات التى يحضرها السلطان ، ومن هذه الاحتفالات ، الاستقبال الشعبى الذى أقيم بمناسبة قدوم وفد من دولة مالى يحمل هدية عظيمة للسلطان أبى سالم المرينى ، وقد تضمنت هذه الهدية زرافة ، كانت غريبة الشكل لأن أحدا من الناس فى العصر المرينى لم يشاهدها قبل ذلك (١٢٢) .

وكان يوم وصول ذلك الوفد يوما مشهودا ، حيث جلس السلطان لاستقبالهم بمجلس العرض ببرج الذهب ، « ونودى فى الناس بالبروز إلى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غمر بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة إعجابا بخلقتها » (١٢٣) ، وفى الحفل أنشد الشعراء قصائدهم ، مدحا وتهنئة ، وقدم الوفد مامعه من الهدايا للسلطان ، « والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزوع فى أوتار قسيسهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحثون التراب على رءوسهم على سنة ملوك العجم » (١٢٤) . وقد أنشد ابن خلدون فى هذا الحفل قصيدة قال فيها (١٢٥) :

قدحت يد الأشواق من زند	وهفت بقلبى زفرة الوجد

إلى أن قال :

ورقيمة الأعطاف حالية	موشية بوشائج البرد
وحشية الأنساب ما أنست	فى موحش البيداء بالقرد

تسمو بجيد بالغ صعدا شرف الصروح بغير ما جهد

(ب) الاحتفال بسفر السلطان :

كان من عادة السلطان المرينى إذا سافر ، أن يخرج من قصره ، وينزل بموكبه خارج العاصمة كى يرتحل من هناك ، وقبيل الصبح تدق طبول كبيرة لإشعار الناس بسفر السلطان ، وبعد صلاة الصبح تخرج القبائل ، وكل قبيلة تقف فى مكان معلوم لها فى طريق السلطان صفا صفا ، ولكل قبيلة رجل يحمل علما يقف به فى مكان معلوم فى الترتيب لايتعداه (١٢٦) .

فإذا صلى السلطان الصبح جلس حوله جماعة تعرف بالطلبة ، يقرءون حزبا من القرآن ، ويذكرون شيئا من الحديث النبوى (١٢٧) . ويصف القلقشندى التقاليد المرعية للسلطان فى هذا الاحتفال فيقول : « فإذا أسفر الصبح ركب (السلطان) وتقدم أمامه العلم الأبيض المعروف بالعلم المنصور ، وبين يديه الرجّالة بالسلاح والخيل المجنوبة ، بثياب السروج الموشية ، ويعبرون عن ثياب السروج بالبراقع . وإذا وضع السلطان رجله فى الركاب ، ضرب على طبل كبير يقال له تريال ثلاث ضربات إشعارا بركوبه . ثم يسير السلطان بين صفى الخيل ، ويسلم كل صف عليه بأعلى صوته « سلام عليكم » ويكتنفانه يمينا وشمالا ، وتضرب جميع الطبول التى تحت البنود الكبار الملونة خلف الوزير على بعد من السلطان ، ولايتقدم أمام العلم الأبيض إلا من يكون من خواص علوج السلطان وربما أمرهم بالجولان بعضهم على بعض ثم ينقطع ضرب الطبل إلى أن يقرب من المنزل » (١٢٨) .

(ج) الاحتفال بالمولد النبوى :

وأول من اعتنى بالاحتفال بالمولد النبوى السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ، ففى سنة (٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) أمر « بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له وصيره عيدا من الأعياد فى جميع بلاده » (١٢٩) . وسار سلاطين بنى مرين بعد ذلك على هذه السنة من الاحتفال بالمولد النبوى ، ففى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، يستعد الناس لهذه المناسبة بأنواع المطاعم والحلويات ، والطيب والبخور ، وإظهار الزينة والتأنق فيها (١٣٠) .

وعلى المستوى الرسمى تبدأ الاحتفالات عادة فى شهر ربيع الأول ، بعد صلاة المغرب ، حيث يعد السلطان مجلسا حافلا ، يستدعى الناس إليه ، فيجلسون فيه بترتيب معلوم ، ويتناولون الطعام ، « فإذا قضى شأن الطعام أحضر من الفواكه الحاضرة فى الوقت ما يوجد فى إبانه ثم يأتى باليابس بعدها ثم يأتى بالكعك والحلاوات ثم يؤتى بمدام

السكر » (١٣١) . وبعد ذلك يتلو المقرءون القرآن ، وينشد المنشدون القصائد والمدائح النبوية ، فتطير بها قلوب الناس فرحا ، وفى نهاية الحفل يوزع البخور والشمع على الفقراء والمسافرين ، وفى نهاية الاحتفالات ، يجلس الكتاب لتوزيع العطاء بهذه المناسبة على الشرفاء ، وكبار الفقهاء والأئمة والخطباء والفضلاء (١٣٢) . وقد تابع سلاطين بنى مرين بعد أبى الحسن الاحتفال بالمولد النبوى ، وزاد أبو عنان فى هذه الاحتفالات ، حتى أن ابن أبى دينار اعتبره أول من اعتنى بهذه المناسبة من بين سلاطين بنى مرين (١٣٣) .

(د) صلاة العيـــد :

كانت صلاة العيد من المناسبات التى يجرى الاحتفال بها على جميع مستويات الشعب ففى ليلة العيد ، ينادى والى المدينة فى أهلها بالمسير ، فيخرج أهل كل سوق ، متجملين بأحسن الثياب ، ومعهم علمهم الذى عليه رمز صناعتهم أو مهنتهم الذى يدل عليهم ، ويبيت الناس خارج المدينة فإذا ركب السلطان لصلاة العيد فى الصباح الباكر ، اصطف الناس صفوفا يستعرضها السلطان وهى تمشى أمامه ، ثم يركب السلطان ، ويركب العسكر معه ميمنة وميسرة ، ومن خلفه الخدم والأعلام منشورة والطبول خلف الموكب تدق حتى يصلى السلطان ثم يعود ، فينصرف أصحاب الأسواق والمهن إلى بيوتهم ، ويحضر طعام السلطان خواصه ، وأشياخ الدولة (١٣٤) .

٤ - الأفراح والأتراح :

لم تختلف الأفراح والأتراح فى المجتمع المرينى كثيرا عما هو معروف لدى سائر المجتمعات الأخرى فى بلاد المغرب ، وقد تحدث ابن خلدون فى إشارات موجزة عن بعض الأفراح السلطانية ، فعندما تزوج الأمير أبو الحسن المرينى من فاطمة ابنة السلطان أبى يحيى ابن أبى زكريا الحفصى ، زفت العروس فى موكب ضخم من أساطيل الدولة الحفصية حتى وصلت إلى المياه الإقليمية للدولة المرينية عند مرسى غساسة سنة (٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) (١٣٥) . وكان السلطان أبو سعيد المرينى والد أبى الحسن ، قد أعد مواكب الدواب لاستقبال العروس ، ونقلها إلى قصرها هى وأمتعتها وأثقالها ، « وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها وأعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله فى دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء مايتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع وتحدث الناس به » (١٣٦) .

وقد تزوج السلطان أبو الحسن من أختها الثانية عزونة بعد وفاة فاطمة فى موقعة طريف ، وبلغ صداق عزونة خمسة عشر ألف دينار من الذهب ، ومائتا خادم ، وزفت هى

الأخرى إلى السلطان أبي الحسن فى الأساطيل الحفصية حتى مرسى غساسة وكان يرافقها الأمير الفضل بن أبي يحيى صاحب بونة (١٣٧) .

وعلى المستوى الشعبى كان للأفراح طابعها الخاص الذى يختلف عن الأفراح السلطانية ، فغالبا ماتكون هذه الأفراح أكثر انطلاقا ، وتدور أحداثها فى منزل العروسين ، حتى إذا جاء موعد الزفاف ، دقت الموسيقى ، وكانت الاحتفالات تستمر عادة أسبوعا حتى تنتقل العروس إلى منزل الزوجية (١٣٨) .

ومن المناسبات الأخرى التى كانت مجلبة للفرح والسرور الولادة والطهارة ، فبعد تمام الطهارة ، يلبس الطفل رفيع الثياب ، ويحمل على بغل عبر المدينة ، تعبيرا عن فرحة أهله (١٣٩) .

أما عن العادات المتبعة فى الجنائز ، فيحدثنا ابن مرزوق عن أشهر الجنائز وأعظمها ، وهى جنازة والدة السلطان أبى الحسن المرينى ، فقد شيعت هذه السيدة إلى مقرها الأخير فى موكب مهيب ، تحرك من تلمسان فى المغرب الأوسط إلى شالة قرب ساحل البحر المحيط ، وقد ضم الموكب السلطان وكبار رجال الدولة والشرفاء والعلماء والصلحاء ، وأمر السلطان ببناء مسجد فى كل موضع كان المبيت فيه من تلمسان إلى شالة ، ومع المسجد عمارة وزاوية ، وأوقف السلطان باسمها بعض الأوقاف لينفق منها على هذه المواضع (١٤٠) . وكان معظم سلاطين بنى مرين يحرصون على الخروج لتشييع العلماء والصالحين والصوفية ، ومن هؤلاء السلاطين السلطان أبو العباس أحمد المرينى ، الذى خرج لتشييع جنازة الشيخ الصوفى ابن عباد (١٤١) .

وعلى المستوى الشعبى كان الحزن يغمر بيت الميت ، ويغسل الميت ثم يكفن ويحمل إلى المقبرة بعد الصلاة عليه ، وكان محظورا على النساء السير فى الجنائز ، بل يسير الرجال مرددين بعض الأدعية الدينية ، وغالبا ما كانت المقابر بالقرب من أسوار المدينة (١٤٢) .

وأربطت بالأتراح زيارة القبور ، حيث دأب كثير من سلاطين بنى مرين على زيارة قبور موتاهم ، ويحدثنا ابن مرزوق عن اهتمام أبى الحسن الشديد بقبر والده السلطان أبى سعيد المرينى ، حيث كان يواظب على زيارة قبره مبرة له ، ويجرى الجرايات الكثيرة على ضريحه ويرتب القراء للقراءة عليه ليلا ونهارا ، لايفترون ، حتى أصبح مكان الضريح ملاذا لكل خائف أو طالب حاجة (١٤٣) . كما كانت أضرحة الصالحين محل اهتمام السلاطين والعامة ، فالسلطان أبو الحسن كان يختص قبر الولى الصالح أبى مدين بتلمسان بالزيارة فى يوم الأربعاء من كل أسبوع ، وقد رصد ابن مرزوق معظم هؤلاء الصالحين الذين اهتم السلطان أبو الحسن بزيارة قبورهم والترحم عليهم (١٤٤) .

٥ - الملابـــس :

اختص السلطان المريني لنفسه بلبس البرنس الأبيض الرفيع ، ولا يلبس هذا النوع من الثياب ذو سيف غير السلطان (١٤٥) . أما الزى العسكرى للسلطان والأشياخ وعامة الجند فى سائر الأيام ، فإن الجميع كانوا يتعممون بعمائم طويلة ، قليلة العرض ، مصنوعة من الكتان ، مع إحرامات يلفونها على أكتافهم ، وكانت تغلب عليهم الطبيعة البدوية ، إذ كانوا يتقلدون سيوفهم تقليدا بدويا ، ويلبسون الخفاف فى أرجلهم ، وتسمى عندهم الأنمقة ، ويشدون فوق هذه الأنمقة المهاميز ، ويتخذون المناطق وهى (الحوائص) ، ويعبرون عنها بالمضمات وهى من الفضة أو الذهب ، وربما بلغت كل مضمة من هذه المضمات ألف مثقال ، ولكنهم لا يلبسونها إلا فى يوم الحرب أو يوم التمييز (العرض العسكرى) (١٤٦) .

أما العلماء وأهل الصلاح فانهم يلبسون البرانس الملونة ، وقد يسمح لهم أحيانا بلبس البرانس البيضاء ، أما ملابس القضاة والعلماء والكتاب وعامة الناس ، فقريبة الشبه من زى الجند ، إلا أنهم يضعون على رؤسهم العمائم الخضراء (١٤٧) . أما الفقراء ، كالأيتام ، فأنهم كانوا يلبسون قمصانا ويربطون على هذه القمصان الأحزمة ، وفى كثير من الأحيان كانت الدولة توفر لهم هذا الكساء كل عام (١٤٨) .

ثانيا : الحياة الفكريـة

شهد المغرب الأقصى فى عهد المرينيين حصاد قرنين من المجهودات العلمية ، بفضل جهود المرابطين والموحدين فى مجالات الثقافة والعلم والأدب ، وما أن جاء المرينيون حتى انطلقت الحياة الفكرية فى عهدهم إلى آفاق أرحب وأوسع ، أتاحت للعقلية المغربية مزيدا من النضوج (١٤٩) . وقد دعم سلاطين بنى مرين انطلاق الحياة الفكرية فى عهدهم بدعائم أهمها :

١ — أن سلاطين بنى مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينية (١٥٠) . وعلى هذا الأساس لم يفرضوا على العلماء فى دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة .

٢ — احتضن سلاطين بنى مرين فى مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم ، وآرائهم وأفكارهم ، بل لقد سمح المرينيون فى كثير من الأحيان بتدريس آراء الموحدين فى مدارسهم ، احتراما منهم لحرية الفكر (١٥١) .

٣ — أن المرينيين أوجدوا فى المغرب الأقصى أكبر قاعدة فكرية وثقافية قامت فى بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامى ، وتمثلت هذه القاعدة فى ذلك العدد الضخم من المدارس العالية المتخصصة التى انتشرت فى أنحاء المغرب الأقصى على نحو لم يسبق له مثيل ، دون تمييز بين المدن الصغرى ، والمدن الكبرى ، بل امتدت هذه المدارس إلى مناطق أخرى من بلاد المغرب ، فى المغرب الأوسط حين كان تحت سلطة المرينيين .

٤ — لم يضع سلاطين بنى مرين أمام العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأدبائهم المهاجرين إلى المغرب الأقصى — تحت وطأة الزحف النصرانى على ممتلكات المسلمين فى الأندلس — أية عوائق ، تعوق اقامتهم فى ربوع الدولة المرينية ، والتمتع بكل المميزات التى يتمتع بها أقرانهم من العلماء المرينيين ، بل لقد انضم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس سلاطين بنى مرين العلمية ، وشغل بعضهم مناصب كبرى فى الدولة المرينية ، كابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابن الأحمر ، وابن رضوان ، وابن مرزوق ، وابن جزى والمقرى ، وغيرهم من العلماء الذين تفيئوا ظلال بنى مرين (١٥٢) . وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تطعيم الحركة الفكرية فى العصر المرينى برصيد هائل وضخم من الثقافة الأندلسية المتنوعة .

واستطاع بنو مرين بهذه الدعائم الأربعة تنمية الحركة الفكرية ، وتعميق جذورها فى المغرب الأقصى ، حتى أصبحت فاس عاصمة للفكر فى بلاد المغرب ، إلى جانب كونها العاصمة السياسية للدولة ، ويمكن استيعاب جوانب هذه الحركة الفكرية الواسعة من خلال ما يأتى :

(أ) مجالس سلاطين بنى مرين العلمية :

كانت مجالس سلاطين بنى مرين ندوات علمية رفيعة ، والذى دفع سلاطين بنى مرين إلى عقد هذه المجالس ، شغفهم بالعلم وحبهم له ذلك الحب الذى كان سمة غالبة على أكثر سلاطينهم يقول الكتانى : « وكانوا من أحسن الملوك سيرة وسياسة ونباهة وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ولذلك استفحل ملكهم وطالت دولتهم وعظمت صولتهم فكانوا مقرا للعلوم والأخبار ومحل اجتماع دائرة العلم الذى عليه المدار » (١٥٣) .

وقد عقد سلاطين بنى مرين مجالس العلم ، للمناظرة والمحاضرة ، ومطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء (١٥٤) . وكان الكثير من هؤلاء السلاطين محبا للعلم مهتما به ، ومنهم على سبيل المثال السلطان أبو عنان المرينى الذى كان « فقيها يناظر فيه العلماء الجلة وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين وله حظ صالح من العربية والحساب وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله فصيح القلم كاتبا بليغا حسن التوقيع شاعرا مجيدا ومن نظمه » (١٥٥) :

إذا تصدر للرياسة خامل ... جرت الأمور على الطريق الأعوج

وقد عرف البلاط المرينى فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى أعظم مجالس العلم التى شهدتها الدولة المرينية ، حيث احتضن البلاط المرينى فى عهده حشدا من العلماء لا يحصى عددا ، ويكفى للتعبير عن كثرتهم أن عدد من استشهد من علماء ذلك البلاط ، عند رحيل أبى الحسن من افريقية ، - بسبب غرق الأسطول الذى كان يقلهم - كان أربعمائة عالم ، فكيف بأعداد العلماء الآخرين الذين لم يركبوا ، والذين كانوا فى مواطن أخرى غير افريقية فى عهد أبى الحسن (١٥٦) . وما من شك فى أن كثرة المدارس التى أنشأها المرينيون ، كان لها أكبر الأثر فى تخريج أجيال كثيرة من العلماء وإلى جانب هذه المدارس الرسمية التى كانت تشرف عليها الدولة ، كانت المساجد على عادتها تقوم برسالتها التقليدية ، فامتلأت بالعلماء والفقهاء يدرسون العلم ، ويقصدهم الناس للشورى ، أو قراءة القرآن ، كما قصد هذه المساجد الصلحاء والعباد ، وقاموا بدورهم فى تقديم الفتوى والعلم للناس على اختلاف مستوياتهم (١٥٧) .

وكان السلطان أبو الحسن المرينى من أبر سلاطين بنى مرين بالعلماء ، وأعرفهم بقدرهم وكان يحرص أشد الحرص على تتبع أخبار العلماء فى أنحاء دولته ، حتى إذا سمع عن عالم مبرز له رسوخ قدم فى العلم ، أرسل فى استدعائه ، وضمه إلى خواص أهل مجلسه ، وأجرى عليه الجرايات والنفقات التى تكفيه (١٥٨) .

« فاجتمع بحضرته أعلام ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها ثم استمر على هذا العمل فى دخوله بلاد إفريقية » (١٥٩) . ولعل هذا هو الذى يفسر كثرة العلماء فى البلاط المرينى فى عهده .

ومن هؤلاء العلماء الذين ضمهم مجلس السلطان أبى الحسن على سبيل المثال لا الحصر الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الزواوى ، الذى كان إماما فى القراءات (١٦٠) . والخطيب ابن مرزوق الذى كان قمة فى الحديث والفقه (١٦١) . ومحمد بن إبراهيم بن أحمد العبدرى الذى اشتهر بالآبلى الذى كان أعلم أهل عصره بالعلوم العقلية كما يقول الكتانى (١٦٢) . والفقيه النحوى أبو عبد الله الرندى . وأبو زيد عبد الرحمن بن الإمام ، وشقيقه موسى ، وأبو عبد الله بن الصباغ المكناسى ، وأبو عبد الله بن الحفيد السلوى ، وأبو عبد الله بن عبد السلام (١٦٣) .

وكان السلطان أبو الحسن يتخير من بين علماء مجلسه من يقرأ بين يديه أمهات الكتب ، والمؤلفات العربية ، وبصفة خاصة كتب الفقه والحديث ، فكان ابن مرزوق الخطيب يقرأ بين يديه ، صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وكتاب الشفاء ، وتهذيب ابن هشام ، والحلية للحافظ أبى النعيم الأصبهانى ، والمدهش للجوزى ، وجملة من كتب الوعظ والحديث ، وكذلك الموطأ ، والتهذيب لابن الحاجب (١٦٤) .

علاوة على ذلك فقد شجع سلاطين بنى مرين حركة التأليف والعلماء وأجزلوا لهم الهبات والعطايا ، على مؤلفاتهم واختراعاتهم تشجيعا لهم على مواصلة العمل حيث كان العلماء يعرضون على سلاطين بنى مرين إنتاجهم العلمى والأدبى ، أولا بأول طمعا فى نيل مكافآتهم ، وكانت جوائز سلاطين بنى مرين لهؤلاء العلماء والأدباء سخية تذكرنا بما كان يحدث فى البلاط الأموى والعباسى من تقدير العلماء والأدباء .

ومن أمثلة ذلك أن الفقيه أبا عبد الله بن أبى زكريا العزفى أهدى إلى السلطان أبى الحسن كتابا ألفه فى ذم الخمر وبيان عيوبها ، فاستحسنه السلطان ، وأمر أن يوضع الكتاب – وكان سفرا ضخما – فى كفة والدراهم من دار السكة فى الكفة الأخرى ، وأعطى لأبى عبد الله الموزون من الدراهم (١٦٥) . ونفس السلطان أهدى إليه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم

ابن السبيل التعالبى أسطرلابا ، صنعه بنفسه ، فأعطاه السلطان أبو الحسن مثل وزن الأسطرلاب دنانير من الذهب (١٦٦) .

(ب) المذهب المالكى :

استعاد المذهب المالكى مكانته التى كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين ، الذين صادروا معظم كتب ومؤلفات هذا المذهب وأحرقوها (١٦٧) . وكان سلاطين بنى مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا المذهب ، فأبو الحسن المرينى كان يحرص على أن تقرأ بين يديه المؤلفات العديدة فى المذهب المالكى ، وكان يصغى جيدا لما يلقى عليه من أدلة أهل السنة ، وبيان مذهبهم ، فإذا ماعرضت أدلة المعتزلة أو غيرهم من المذهب الأخرى أعرض عنها ، ونهى عن الخوض فيها ، وزجر من تمادى فى ذلك (١٦٨) .

وكان سلوك سلاطين بنى مرين ينبىء دائما عن حفاوتهم بالمذهب المالكى ، وعلمائه أحياء وأمواتا ، لأنه المذهب الأثير عند شعبهم ، فقد قام السلطان أبو عنان المرينى ، بتجديد ضريح الشيخ أبى ميمونة دراس بن إسماعيل ، وهو من أوائل حملة المذهب المالكى إلى بلاد المغرب (١٦٩) . وجعل أبو عنان على قبره رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ، ونصبت عند رأسه فى رمضان سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) .

ومنذ قيام الدولة المرينية وولع الشعب المرينى ومثقفيه بالمذهب المالكى ظاهر وواضح فى عدد العلماء المتزايد الذين كانوا يعكفون على دراسة مؤلفات المذهب المالكى الأساسية (١٧٠) . وبلغ من هيمنة المذهب المالكى فى العصر المرينى ، أن أحد علمائه ، بل لعله أكبر علماء مذهب مالك فى وقته ، وهو عبد الرحمن بن عفان الجزولى ، كان يحضر مجلسه العلمى أكثر من ألف فقيه ، مالكى معظمهم يستظهر المدونة (١٧١) . هذا إلى جانب العديد من علماء المذهب المالكى الآخرين الذين قاموا بتدريس المذهب المالكى فى المدارس المرينية والمساجد ، حيث كان هذا المذهب محورا لنظام التعليم فى العصر المرينى (١٧٢) . ومن أمثال هؤلاء العلماء ، أبو محمد عبد الله القشتالى ، المدرس بمدرسة الحلفاويين ، والذى كان يدرس فيها مختصر المدونة للبراذعى (١٧٣) . ومصباح بن عبد الله اليالصوتى ، الذى تنسب إليه المدرسة المصباحية لأنه أول من درس بها المذهب المالكى (١٧٤) . وأبو الحسن الصغير الذى كان يدرس المذهب أيضا بجامع الأصدع فى فاس ، وكان يحضر مجلسه نحوا من مائة نفس ، واشتهر عنه أنه كان يفتتح فى مجلسه أكثر من ثمانين كتابا فيعرضها حفظا عن ظهر قلب كما يقول الكتانى (١٧٥) . وقد كان فكر أبى الحسن الصغير مثارا لتأليف عدد من الكتب والمؤلفات التى تتعلق بالمذهب المالكى ، والتى ترد على بعض المسائل التى خاض فيها أبو الحسن الصغير ، ومن ذلك الكتاب المسمى « نصرة الفقير فى الرد على أبى الحسن الصغير »

لأبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى (١٧٦) .

ومنهم أيضا إبراهيم بن عبد الرحمن التسولى تلميذ أبى الحسن الصغير ، جلس لتدريس مذهب مالك بمدرسة عدوة الأندلس ، وكان مجلسة وقفا على التهذيب والرسالة (١٧٧) . وأخيرا أحمد بن أبى محمد قاسم بن عبد الرحمن الشهير بالقباب ، الذى « اشتغل بتدريس مختصر البراذعى بالمدرسة فى المدينة البيضاء ، وبقراءة كتاب الموطأ بالجامع الأعظم من مدينة فاس فظهر علمه وحفظه ومعرفته » (١٧٨) .

(جـ) العلوم الدينية :

شهد العصر المرينى ازدهار العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ، والتوسع فى دراستها إلى مدى بعيد ، مع الميل إلى التبسيط والتفريع فيها ، ودليل ذلك كثرة العلماء الذين نبغوا فى هذه العلوم ، ووفرة مؤلفاتهم (١٧٩) . والذى يلفت النظر أن هذه العلوم تأثرت بالروح الدينية التى سادت المغرب أيام المرينيين ، تلك الروح التى تشبعت بالمذهب المالكى ، وأصبحت هذه العلوم تواكب هذا المذهب ، حيث عكف العلماء وتلاميذهم على دراستها والتأليف فيها ، فأبو محمد عبد الله الورياغى ، وهو أحد كبار الفقهاء فى العصر المرينى ، كان يعرف المذاهب الأربعة ويقوم بتدريسها وترجيح مذهب مالك عليها (١٨٠) .

١ - التفسير وعلوم القرآن :

اهتم العلماء والمفسرون فى العصر المرينى بدراسة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، واهتم سلاطين بنى مرين أيضا بالقرآن الكريم وتفسيره ، وفهمه ، فعلى سبيل المثال كان السلطان أبو عنان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه (١٨١) . ويروى الكتانى أن أبا عنان استدعى محمد بن إبراهيم الصغار المراكشى ، وهو من علماء القراءات السبع ، فكان يعارضه القرآن برواياته السبع (١٨٢) .

ومن العلماء الذين اهتموا بتفسير القرآن الكريم ، محمد بن يوسف بن عمران المزدغى المتوفى سنة (٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) وكان محدثا حافظا ، له كتاب فى تفسير القرآن (١٨٣) ، ومحمد بن محمد بن على المعروف بابن البقال المتوفى سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) (١٨٤) ، ومحمد بن على العابد الانصارى المتوفى سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م) الذى اختصر التفسير للزمخشرى ، وجرده من مسائل الاعتزال (١٨٥) . وابن البنا العددى الذى كانت له موضوعات كثيرة فى التفسير وحاشية على الكشاف للزمخشرى (١٨٦) . ومنهم أيضا الخطيب ابن مرزوق الذى كان مشاركا فى

تفسير القرآن (١٨٧) . ومحمد بن أبى البركات السكاك المتوفى سنة (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) (١٨٨) . ومحمد بن أبى غالب بن أحمد السكاك المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) (١٨٩) .

وازدهرت فى العصر المرينى أيضا بعض العلوم المتصلة بالقرآن الكريم كعلم القراءات ، فكان من مشاهير هذا العلم أبو عبد الله الشريشى الخراز المتوفى سنة (٧١٨ هـ / ١٤١٥ م) وهو من شريش ، أدرك أشياخا جلة من أئمة علم القراءة والضبط وعلم القراءات ، وله تآليف عديدة فى ميدان علوم القرآن منها رجز بعنوان « مورد الظمآن فى رسم أحرف القرآن » ، وله نظم آخر فى رسم القرآن سماه « عمدة البيان » ، وتأليف آخر فى رسم القرآن مثل مورد الظمآن ولكنه منثور (١٩٠) .

ومن شيوخ القراءات فى العصر المرينى أبو الحسن على بن سليمان الأنصارى القرطبى المتوفى سنة (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) ، ومن تآليفه التجويد ومختصره ، والمنابع فى قراءة نافع ، وترتيب الأداء ، والجمع بين الروايات فى الإقراء ، وتبيين طبقات المد وترتيبها (١٩١) . ومن الأساتذة فى علوم القرآن ، ميمون الفخار المتوفى سنة (٨١٦ هـ / ١٤١٣ م) . وكان فقيها أستاذا ، له تآليف عدة فى علوم القرآن رسما وقراءة ، منها التحفة ، والدرة والمورد المروى فى نقط المصحف العلى (١٩٢) . ومن تلاميذه ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجاديرى ، الذى ألف رجزا فى القراءات سماه « النافع فى أصل حروف نافع » (١٩٣) . ومن علماء القراءات أيضا محمد بن على البقال المتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (١٩٤) . وأحمد بن محمد الزواوى (١٩٥) .

٢ - علم الحديث :

ازدهر علم الحديث فى العصر المرينى ، باعتبار أن الحديث هوالمصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، ومن أوائل علماء الحديث فى ذلك العصر الحافظ عبد المهيمن الحضرمى ، الذى كان إماما فى علم الحديث ، وحجة فى حفظه ورجاله ، ذكر الزركشى أنه كانت له أربعينيات فى الحديث ، ومجلس لتدريس الحديث بتونس أيام وجود المرينيين بها (١٩٦) . وكان محمد بن عبد الرازق الجزولى من علماء الحديث الذين تألقوا فى مجلس السلطان أبى عنان ، حيث كان هذا السلطان يأخذ عنه الحديث (١٩٧) .

وقد لقى علم الحديث رواجا كبيرا ، حيث كان بعض العلماء من المتصوفة كابن عاشر ، يتكسبون من نسخ كتب الحديث وبيعها (١٩٨) . ولذلك كانت كتب الحديث أوسع انتشارا من غيرها من المؤلفات الأخرى ، وبعكس ذلك حرص الأهالى على تعليم أبنائهم للحديث ، فكان عبد الله محمد العبدوسى ، وهو أحد علماء الحديث ، يحفظ وهو صغير فى

كل خميس خمسة أحاديث من صحيح مسلم ، وكان والده يعطيه على حفظها درهما (١٩٩) .

ونتابع الكلام عن رجال الحديث فى العصر المرينى ، فكان منهم محمد بن عبد الرحمن التيمى ، الذى يروى الحديث بأسانيده ومتونه ، ويستظهر مطولاته (٢٠٠) . ويعتبر ابن رُشيد الذى توفى سنة (٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) شيخ المحدثين فى العصر المرينى إذ كان « فريد عصره جلالة وعدالة وحفظا وأدبا وسمتا وهديا واسع الأسمعة عالى الاسناد صحيح النقل أصيل الضبط تام العناية بالصناعة الحديثية قيما عليها بصيرا بها محققا فيها ذاكرا للرجال » (٢٠١) . له رحلته التى سماها « ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين لى مكة وطيبة » وقد ملأها بمسائل الحديث بالأسانيد العديدة ، التى تدل على علو كعبه فى هذا المجال (٢٠٢) . ويذكر ابن القاضى أنه كانت له دراية كبيرة بعلم الجرح والتعديل المتصل بعلم الحديث يقول : « وكان له تحقق بعلوم الحديث وضبط أسانيده وميز رجاله ومعرفة انقطاعه واتصاله » (٢٠٣) .

واشتهر أيضا فى هذا المجال محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسى المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) الذى ألف تحفة الناظر ونزهة الخاطر فى غريب الحديث ، وأيضا الجامع المعد فى جزأين (٢٠٤) . وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المعروف بالقباب المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) الذى كان له مجلس كبير فى الحديث حضره لسان الدين بن الخطيب (٢٠٥) . ومنهم أيضا يحيى بن أحمد السراج المتوفى سنة (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) الذى كان فقيها محدثا مكثرا فى الرواية ، انتهت إليه رواية الحديث ورياسته فى العصر المرينى (٢٠٦) .

٣ - الفقــــه :

لقى علم الفقه فى العصر المرينى تقدما كبيرا ، يدل على ذلك كثرة الفقهاء الذى نبغوا وتفوقوا فيه فى هذا العصر ، والمؤلفات الكثيرة التى ألفت فى مختلف فروع الفقه ، ويرجع البعض السبب فى نهضة الفقه فى العصر المرينى إلى ما تعرض له الفقهاء ، وعلماء الفقه من الضغط والتحرش بهم فى العصر الموحدى ، الأمر الذى دعا الفقهاء إلى معاودة نشاطهم بقوة كبيرة فى العصر المرينى ، خاصة وأن الفقهاء أصبحت لهم المكانة السامية فى البلاط المرينى ، وفى مجالس العلم ، التى كانت تعقد فى هذا البلاط ، كما تولى الفقهاء أرفع المناصب فى الدولة فى مجالات منها القضاء والخطابة والإفتاء ، ولذلك امتازت كتاباتهم بكثرة الجمع والتحصيل ، وحسن التصرف والتعليل (٢٠٧) .

ومن أشهر العلماء المشتغلين بالفقه فى العصر المرينى محمد بن محمد الإبن أحمد المقرى المعروف (بالمقرى الكبير) المتوفى سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) (٢٠٨)وأحمد بن قاسم بن

عبد الرحمن الجذامي الذى عرف (بالقباب) ، والمتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) . وكانت له مجالسه فى الفقه والأصول ، وأخذ عنه الفقه جماعة من جلة العلماء كالشاطبى ، ومن مؤلفاته ، اختصار أحكام النظر لابن العطاف ، وشرح على قواعد عياض ، وشرح على بيوع ابن جماعة ، وكان فكر القباب مثارا لتأليف بعض الكتب فألف العقبانى « لب اللباب فى مناظرات القباب » (٢٠٩) .

ومما يلفت النظر أن كبار علماء الفقه فى الدولة المرينية ، كانوا يعيبون طريقة المختصرات التى حرص على وضعها بعض العلماء والفقهاء وبخاصة فى ميدان الفقه ، وقد عارضها هؤلاء العلماء معارضة كبيرة ، وكان القباب يرى أن ابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، أفسدوا الفقه بما ألفوه من مختصرات فى هذا العلم ، وقد عبر عن هذا القباب حين لقى ابن عرفة فى تونس وعرض ابن عرفة على القباب مختصره الفقهى (٢١٠) . فقال له القباب « تأليفك هذا لانفع به للمبتدىء لصعوبته ولايحتاج إليه الشهير » (٢١١) . وكان ذلك الاعتراض سببا فى أن ابن عرفة أخذ فى بسط عبارته فى آخر مختصره وكذلك اعترض اليزناسنى ، وهو الفقيه الكبير على ابن شاس ، حين استشاره ابن شاس فى وضع مختصره الذى سماه (الجواهر) ، فأشار عليه اليزناسنى ألا يفعل . ولكن ابن شاس ، مضى فى تأليف مختصره ولم يعمل بإشارة اليزناسنى (٢١٣) .

(د) المواد العلمية :

لم تكن الحياة الفكرية فى الدولة المرينية قاصرة على العلوم الدينية ، وإنما شملت أيضا مختلف المواد العلمية الأخرى ، كاللغة والنحو ، والتاريخ والسير والرحلات ، والجغرافيا والفلك ، والرياضيات ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب . وهذه العلوم قامت بدورها فى إذكاء الحركة الفكرية ، ودعمها فى العصر المرينى حتى أصبح التقدم فى مجالاتها سمة من سمات هذا العصر .

١ – اللغة والنحو :

تابع علماء اللغة فى العصر المرينى الجهود التى بذلها علماء اللغة فى العصر الموحدى ، تلك الجهود التى كانت تستهدف التعرف على أسرار اللغة ومعانيها (٢١٤) . وقد زاد من اهتمام العلماء فى العصر المرينى بعلوم اللغة ، نشاط حركة البحث فى العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث ، وشعور العلماء الدارسين لهذه العلوم ، بحاجتهم إلى دراسة علوم اللغة ، إذ هى الأساس لفهم كثير من مسائل هذه العلوم . ولذلك كان معظم العلماء فى العصر المرينى على صلة كبيرة بالدراسات اللغوية ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى دعم اللغة العربية وتقويم الألسنة فى ذلك العصر .

ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن البقال المتوفى سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) ، كان له حظ وافر من الأدب واللغة والبيان والعروض (٢١٥) . ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن الشيخ الكبير الذى كان له باع مديد فى التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب (٢١٦) .

ومن العلماء الذين كانت لهم اهتمامات كبيرة بعلوم اللغة محمد بن يحيى العبدرى المعروف (بالصدفى) ، كان إماما فى العربية ذاكرا للغة (٢١٧) . ومنهم أيضا إبراهيم بن عبد الله المعروف بابن الحاج ، ومن مؤلفاته فى علوم اللغة ، كتاب فى التورية على حروف المعجم أكثره مروى بالأسانيد ، وثالث القوانين فى التورية والاستخدام والتضمين (٢١٨) .

وأدى اهتمام العلماء فى مختلف التخصصات بعلوم اللغة إلى نهضة كبرى فى علم النحو ، فظهر عدد كبير من علماء النحو البارزين ، منهم على سبيل المثال ، محمد بن موسى السلوى المتوفى سنة (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ، الذى أظهر تفوقا واضحا فى تدريس علم النحو بفاس ، ومن الكتب التى كان يهتم بتدريسها فى فاس كتاب سيبويه (٢١٩) .

ويعتبر ابن آجُرّوم أشهر علماء النحو فى العصر المرينى ، وهو صاحب المقدمة المشهورة باسم الأجرومية ، وقد وصفه شراح مقدمته كالمكودى والراعى وغيرهما بالإمامة فى النحو (٢٢٠) . وقد استفاد منه كثير من العلماء كالسيوطى الذى عرف منه كثيرا من مسائل النحو ، وقد ذكر ذلك صراحة فى بغية الوعاة فقال : « وهنا شىء آخر وهو أنا استفدنا من مقدمته (ابن آجروم) أنه كان على مذهب الكوفيين فى النحو لأنه عبر بالخفض مرة وهو عبارتهم وقال : الأمر مجزوم وهو ظاهر فى أنه معرب وهو رأيهم » (٢٢١) . وقد نقل السيوطى فى بغيته عن الراعى ألوانا من العلوم الأخرى التى برع فيها ابن آجروم مثل الفرائض والحساب ، وله مصنفات وأراجيز فى القراءات ، ولكن الغالب عليه معرفة النحو والقراءات ، وكان يلقن علومه ومعارفه لأهل فاس حتى توفى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) (٢٢٢) .

ومن النحاة الذين تألقوا فى العصر المرينى محمد بن على بن حياتى الغرناطى ، النحوى المحقق المتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (٢٢٣) . ومحمد بن على (إبقال) الذى كان له تحقيق فى علم النحو والمتوفى سنة (٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م) (٢٢٤) ومن نحاة العصر المرينى المشهورين أيضا عبد الرحمن بن صالح بن على المكودى المتوفى سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) ، وهو أحد النحاة المبرزين بمدينة فاس ، له شرح على ألفية ابن مالك ، أجاد فيه غاية الإجادة ، وكذلك أكب على فهمه طلبة مدينة فاس ، وله نظم فى

التصريف ، وشرح على مقدمة ابن آجروم (٢٢٥) . ومنهم أيضا الجاديرى المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، صاحب كتاب المذكر والمؤنث (٢٢٦) .

٢ - التاريخ والسير والرحلات :

تألق فى العصر المرينى عدد كبير من المؤرخين ، وكتاب السير والرحلات وقد أرخ معظم هؤلاء للدولة المرينية ، والبحث اعتمد على عدد كبير من أبحاث هؤلاء المؤرخين . وتناولت معظم هذه المؤلفات بالدراسة فى البحث الخاص بمصادر الرسالة . ومن هؤلاء المؤرخين ابن أبى زرع صاحب الأنيس المطرب ، وابن عذارى المراكشى صاحب البيان المغرب ، والجزنائى الذى ألف كتاب زهرة الآس فى تاريخ بناء مدينة فاس ، وابن خلدون ومؤلفه الضخم العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ولسان الدين بن الخطيب ، صاحب الإحاطة فى أخبار غرناطة ، وابن مرزوق الخطيب ومؤلفه الضخم عن أبى الحسن المرينى ، والذى سماه ، المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن . وقد تهيأ لهؤلاء الثلاثة ابن خلدون ، وابن الخطيب ، وابن مرزوق ، مالم يتهيأ لغيرهم من المؤرخين ، إذ أنهم كانوا على صلة قوية بسلاطين بنى مرين والبلاط المرينى ، ومن ثم كانوا يراقبون أحداث العصر المرينى فى أيامهم عن كثب ، لذا حفلت مؤلفاتهم بكثير من المعلومات التاريخية القيمة عن الدولة المرينية .

ومن مؤرخى العصر المرينى أيضا إسماعيل بن الأحمر ، الذى أوى إلى كنف بنى مرين ، وتضمنت مؤلفاته كروضة النسرين ، والنفحة النسرينية واللمحة المرينية كثيرا من أخبار بنى مرين ، كما عاش فى العصر المرينى ، صاحب الحلل الموشية ، وصاحب الذخيرة السنية ، وابن عبد الملك المراكشى ، وهو من كتاب السير والتراجم ، وأبى عبد الله الزرعى السبتى ، وله مؤلف ضخم يقع فى أربعين سفرا رتبه على حروف المعجم فى أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم (٢٢٧) . ومن المؤرخين أيضا ابن القنفذ ، صاحب الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية (٢٢٨) .

ويضاف إلى هؤلاء المؤرخين الرحالة من أمثال العبدرى صاحب الرحلة الشهيرة (٢٢٩) ، وابن رُشيد صاحب رحلة ملء العيبة (٢٣٠) . وابن بطوطة ورحلته المشهورة ، التى أمر السلطان أبو عنان ابن حزى الكلبى بتدوينها ، وصياغتها ، صياغة أدبية ، كانت من أعظم ماكتب فى أدب الرحلات (٢٣١) .

من الرواد المؤرخين للحضارة الإسلامية أبو الحسن على الخزاعى التلمسانى ، الذى ألف كتابا عن الحضارة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ بعنوان « تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية » (٢٣٢) . وفى هذا الكتاب لم يترك أبو الحسن خطة ولا وظيفة ولا مرتبة ولا صناعة ، أو عملا آخر من

أعمال المجتمع الإسلامى إلا وأثبت أصله فى الإسلام ، ودليله من السنة وعمل الخلفاء الراشدين ، وأول من باشر تلك الأعمال من الصحابة ، أو ممن ولاه الرسول ﷺ عليها (٢٣٣)

٣ - الجغرافيا والفلك :

ظهر فى العصر المرينى عدد من العلماء الذين اهتموا بالدراسة والبحث فى علمى الجغرافيا والفلك ، ومنهم على سبيل المثال ، ابن البناء العددى المتوفى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) (٢٣٤) . ويقف ابن البناء على قمة العلماء فى هذين العلمين ، حيث ذكر ابن شاطر أن ابن البناء العددى كان ينظر فى أحكام النجوم ، وعلم الهيئة ، ومؤلفاته فى مجالى الفلك والجغرافيا تشهد بتفرده فى هذين العلمين . ومن هذه المؤلفات ، تنبيه الفهوم على مدارك العلوم ، وله رسالة فى الرد على مسائل مختلفة نجومية وفقهية ، ومنهاج الطلاب فى تعديل الكواكب ، والمستطيل والسيارة فى تعديل الشارة ، وله المناخ من تعديل الكواكب ، والمناخ فى رؤية الأهلة ، والمناخ فى تركيب الأرياح ، وتأليف فى أحكام النجوم ، ومداخل ثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية ، ومقالة فى علم الاسطرلاب ، ورسالة العمل بالصفحة الزقالية ، وأخرى فى السكازية (٢٣٥).

وإلى جانب هذه المؤلفات ، له عدة قوانين تمثل خلاصة دراساته وأبحاثه ، مثل قانونه فى معرفة الأوقات بالحساب ، وقانون فصول السنة ، وقانون ترحيل الشمس ، وله كلام عمل الطلسمات ، وكلام على الزجر والفال والكهانة ، وكلام على خط الرمل (٢٣٦) .

ومن علماء الفلك فى العصر المرينى عبد الرحمن بن محمد الجاديرى المتوفى سنة (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ، الذى كان جغرافيا فلكيا متفوقا جمع بين العديد من المهارات المتعددة ، من العمل بآلة الاسطرلاب ، وبالصفيحة السكازية ، وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول ، وله مؤلفات جغرافية منها ، تنبيه الأنام على مايحدث فى أيام العام ، وروضة الأزهار فى علم وقتى الليل والنهار (٢٣٧) .

٤ - الرياضيات :

نشط علم الرياضيات فى العصر المرينى ، يشهد بذلك النشاطُ الصناعى الضخم وحركة البناء والتعمير الكبرى التى كانت فى أيام المرينيين ، إذ هى تمثل الجانب التطبيقى لهذا العلم ، حيث تقدمت فى هذا العصر الآلات والأجهزة العلمية كالاسطرلابات والساعات ، وهذه الآلات والأجهزة اعتمدت كثيرا على علم جر الأثقال أو الميكانيكا (٢٣٨) .

ومن علماء الرياضيات البارزين فى العصر المرينى محمد بن على بن عبد الله بن الحاج المتوفى سنة (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (٢٣٩) . وهو من الوافدين إلى فاس من إشبيلية ، برع فى الحيل الهندسية ، ونقل الأجرام ، ورفع الأثقال ، ونظرا لما يتمتع به من علم وبراعة فى الرياضيات والهندسة ، فقد أشرف على بناء دار الصناعة البحرية فى مدينة سلا (٢٤٠) .

ومن علماء الرياضيات أيضا محمد بن الشيخ الكبير ، الذى برع فى علم الحساب (٢٤١) ، وكذلك ابن البناء العددى المتوفى سنة (٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ، وهو الذى ألف كتاب التلخيص فى علم الحساب ، ورفع الحجاب عليه (٢٤٢) . وأحمد بن عبد الله العطار المتوفى سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) ، وهو من العلماء البارزين فى علم الحساب (٢٤٣) .

٥ - الفلسفة والمنطق :

شهد العصر المرينى نشاطا فى علمى الفلسفة والمنطق ، ولكن الدراسة فى علم المنطق كانت أكثر من الفلسفة ، لأن المشتغلين بالمنطق ، لم يلقوا المعارضة ، أو المقت الذى كان يلقاه المتشغلون بالفلسفة ، فابن الخطيب يذكر أن أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ، وهو من المشتغلين بالعلوم والفلسفية « مُقت لاشتغاله بعلم الفلسفة » (٢٤٤) . ورغم ذلك كان هناك عدد من المتشغلين بالفلسفة والمؤلفين فيها من أمثال محمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسى المتوفى سنة (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) وهو الذى اختصر المقدمات لابن رشد (٢٤٥) .. ومن مؤلفاته أيضا الأسئلة والأجوبة ، واختصار الحدود للشيرازى (٢٤٦) . ومنهم أيضا ابن البناء العددى الذى ألف فى الفلسفة ، مراسم الطريقة فى علم الحقيقة ، وله شرح عليه ، والمقالات الأربع (٢٤٧) .

أما المنطق فيلاحظ أن العلماء الذين درسوا المنطق كانوا من هؤلاء العلماء الذين استفادوا منه فى دراستهم لعلوم أخرى كالفلك والرياضيات ، كابن البناء العددى الذى ترك مؤلفات عديدة فى المنطق منها الكليات فى المنطق وشرح عليه ، والقوانين ، الذى وضعه ابن البناء لابن القاضى العمرانى ، والأصول والمقدمات (٢٤٨) . ومنهم المقرى الكبير الذى كان مشاركا فى الأصلين الجدل والمنطق (٢٤٩) .

٦ - الطب :

وهو من العلوم التى لقيت رواجا كبيرا ، لاهتمام المرينيين بصحة المواطنين فى دولتهم ، ولكثرة المارستانات التى أنشئت لعلاج المرضى والمصابين فى عهدهم ، ومن مشاهير العلماء المتشغلين بالطب ، أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائى المعروف بابن شعيب المتوفى سنة

(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) (٢٥٠) . تتلمذ ابن شعيب على يد يعقوب الدرّاس بتونس ، فأخذ عنه الطب والهيئة ، وسافر إلى غرناطة ، وهناك قام بدراسة ضخمة عن تغيير الأدوية المنفردة (٢٥١) . ومنهم أيضا محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفى المتوفى سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، وكان له « نظر فى الطب ودون فيه » (٢٥٢) .

ومن الأندلسيين الذين عملوا بالطب فى العاصمة المرينية فاس محمد بن قاسم بن أبى بكر القرشى المالقى ، رحل هذا الطبيب إلى فاس ، حيث تولى بها الإشراف على المارستان ، كان ذلك فى ربيع الثانى سنة (٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) فى عهد السلطان أبى عنان المرينى (٢٥٣) .

ومن المؤلفات الطبية المشهورة فى العصر المرينى ، الكتاب الذى ألفه ابن الخطيب وعنوانه « عمل من طب لمن حب » وهو مؤلف طبى كبير ، تناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة ، مع ذكر أسباب كل مرض ، وأعراضه ، وطرق علاجه ، وتحوطاته ، ونظام الغذاء الذى يناسبه ، كما يتحدث فيه عن مختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها ، وذكر ابن الخطيب فى مقدمة الكتاب ، أنه لم يجد لخدمة أبى سالم أفضل من الطب ، فألف له هذا الكتاب تعبيرا عن حبه لهذا السلطان ، وكان ذلك فى سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) (٢٥٤) .

(هـ) المكتبات :

حرص المرينيون على تدعيم العلم والعلماء ، بإنشاء المكتبات اللازمة لهم ، وكانت هذه المكتبات ركائز قوية للحركة الفكرية فى الدولة المرينية ، فأول سلاطين بنى مرين يعقوب ابن عبد الحق ، زود المدرسة التى أنشأها ، والمعروفة باسم مدرسة الصفارين ، بمجموعة فريدة من الكتب ، ذكر بعض المؤرخين ، أنها تألفت من ثلاثة عشر حملا ، وهذه الكتب هى التى طلبها السلطان يعقوب بن عبد الحق من شانجة – (سانشو) ملك قشتالة – أن يرسلها إلى المغرب بعد أن تم توقيع الصلح بينهما فى أثناء عبوره الرابع إلى بلاد الأندلس سنة (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، وكانت هذه الكتب نواة للمكتبة السلطانية بفاس (٢٥٥) . وذكر السلاوى أن هذه الكتب ضمت « جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفاسيره كابن عطية والثعلبى ومن كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الأصول والفروع واللغة العربية والأدب وغير ذلك » (٢٥٦) .

وجرت العادة فى المغرب أن تكون دور الكتب بالمساجد والأربطة والمدارس ، وأعظمها ما يكون بقصر السلطان (٢٥٧) . إلا أن انشاء دار مستقلة للكتب فى العصر المرينى

بوجه خاص ، يرجع الفصل فيه للسلطان أبى عنان المرينى ، فمن رغبة هذا السلطان فى العلم وحبه له ، نبعت فكرة إنشاء دار للكتب على نحو ماهو معروف لدينا الآن ، إذ احتوت هذه الدار على كتب تخدم شتى العلوم كما يقول الجرتانى « من علوم الأبدان والأديان واللسان والأدهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها » (٢٥٨) . وقد جرى المرينيون فى تنظيم هذه المكتبة على ماهو معروف الآن من استخدام أمناء المكتبات لحفظ الكتب ، وتنظيمها ، واستقبال الزائرين للمكتبة ، وتقديم الكتب التى يرغبون فى الاطلاع عليها (٢٥٩) .

وقد ألحق أبو عنان بهذه المكتبة الكبرى ، خزانة كبرى للمصاحف ، أعد بنفسه تصميمها « وسهل بها على الناس تلاوة القرآن فى كل وقت من الأزمان وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجليلة السنية وأباحها لمن أراد التلاوة فيها ... وكتب (أبو عنان) فوق هذه الخزانة » مانصه الحمد لله أمر بانشاء هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبد الله فارس أيد الله أمره وأعز نصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبعمائة رزقنا الله خيرها » (٢٦٠) . ولم تكن المكتبات العامة فى العصر المرينى فى العاصمة فاس وحدها ، وإنما كانت هناك بعض المدن فى المغرب الأقصى اشتهرت بكثرة الكتب الموجودة بها فى العصر المرينى ، مثل سبتة ، التى كانت كما يصفها المقرى خزانة للكتب (٢٦١) .

(و) الأدباء والشعراء :

شهد العصر المرينى حركة أدبية واسعة ظهرت قوية متفوقة ، ساعد على قوتها وازدهارها تشجيع سلاطين بنى مرين وأمرائهم للأدباء والشعراء فى دولتهم ، واجزالهم العطاء لهم ، فنبغ عدد كبير من الشعراء والأدباء فى ظل البلاط المرينى ، واحتلوا مكانة مرموقة ، ووظائف كبرى ، فالشاعر أبو القاسم رضوان البرجى ، تولى وظيفة الإنشاء بباب السلطان أبى عنان المرينى (٢٦٢) . وأعطى السلطان يعقوب بن عبد الحق الشاعر عبد العزيز الملزوزى ، ألف دينار وخلعة على قصيدة نظمها وأنشدت بمحضره فى يوم عيد الفطر (٢٦٣) . وكان الأمير أبو مالك – أول ولى عهد لبنى مرين – يكافىء نفس الشاعر الملزوزى على اشعاره ، وخاصة مايرتجله من الشعر ، حتى إنه أعطاه فى يوم خمسمائة دينار وكسوه (٢٦٤) . ومن الشعراء من أوكلت إليه مهمة الرد على الرسائل الشعرية التى كانت توجه إلى السلطان المرينى أحيانا من بلاط بنى الأحمر فى الأندلس ، وكان الشعراء فى هذه الحالة يدبجون القصائد التى تتضمن الأفكار التى يريد السلطان المرينى أن يعبر عنها . ومن ذلك أن ابن الأحمر سلطان غرناطة أرسل قصيدة إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق بعد واقعة (زننة) المشهورة يستعطفه على لسان شاعره أبى عمرو بن البرابط يقول فى مطلعها (٢٦٥) :

هل من معينى فى الهوى أو منجدى   من متهم فى الأرض أو من منجد
هذا الهوى ذاع فهل مسعف   باجابة وانابة أو مسعد

وقد صدّر السلطان يعقوب بن عبد الحق جوابه على رسالة ابن الأحمر بنظم لشاعره عبد العزيز الملزوزى « بما نصه لبيك لاتخشى اعتداء المعتدى .. الخ .. وكذلك أجاب عنها مالك بن المرحل بقوله شهد الاله وأنت بأرض اشهدى الخ . فأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الأحمر بقوله قل للبغاء وللعداة الحسد .. الخ » (٢٦٦) . وقد أتاحت هذه المناسبات ازدهارا كبيرا لشعر المناسبات فى العصر المرينى ، وشعر الوصف أيضا ، حيث كان سلاطين بنى مرين يجدون متعة كبيرة – وخاصة المتذوقين منهم للشعر – فى تكليف الشعراء بوصف مايروق لهم من أشياء ، فالسلطان أبو عنان ، كلف شاعره أبا القاسم النجارى ، بوصف صيد رآه فى غدير ، فقال (٢٦٧) :

ولربَّ يوم فى حماك شهدته   والسرح ناشرة عليك ظلالها
حيث الغدير يريك من صفحاته   درعاً تجيدُ به الرياح صقالها
والمنشآت به تدير حبائلاً   للصيد فى حِيَل تدير حبالها

كما كان ولاة الأمر فى الدولة المرينية ، على قدر رفيع من تذوق الأدب والشعر ، فأبو عنان المرينى ، يستقبل الخليلى ، الذى قدم سفيرا عن سلطان غرناطة ابن الأحمر ، أنشد فى حضرة أبى عنان ، أبياتا لابن خفاجة يفتخر فيها ببلاد الأندلس ، فقال أبو عنان عن ابن خفاجة « كذب هذا الشاعر – يشير بذلك إلى كونه جعلها (الأندلس) جنة الخلد ، وأنه لو خير لاختارها على ما فى الآخرة – وهذا خروج من ربقة الدين » (٢٦٨) . فقال الخليلى : « يامولانا بل صدق الشاعر لأنها موطن جهاد ، ومقارعة للعدو وجلاد ، والنبى ﷺ الرؤوف الودود الرحيم العطوف يقول : « الجنة تحت ظلال السيوف » ، فاستحسن منه (أبو عنان) هذا الكلام ، ورفع عن قائل الأبيات الملام ، وأجزل صلته (الخليلى) » (٢٦٩) .

وكان من بين سلاطين بنى مرين وأمرائهم شعراء موهوبون ، ينظمون الشعر ، وأن كان يغلب على قصائدهم القصر ، ومن هؤلاء السلاطين ، السلطان أبو العباس أحمد المرينى الذى تولى أمر بنى مرين سنة (٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ، فهذا السلطان كانت له ميول أدبية وولع بالشعر ، يقول عنه الكتانى : « كان أديبا شاعرا مجيدا مدركا بديع التشبيه » (٢٧٠) . ومن شعره (٢٧١) :

ياعاذلى دع عنك عذل العاذل   واخلع عذارك فى الحبيب الواصل

وإذا ذكرت عشية بمحاسن فاذكر عشايانا بدار العادل

وله أيضا :

أما الهوى ياصاحبى فالفته وعهدته من عهد أيام الصبا
ورأيته فوت النفوس وحليها فتخذته دينا إلى ومذهبا

وكان الأمير أبو مالك بن أبى يوسف ، يروى كثيرا من الشعر ، ويأخذ نفسه بنظمه ، فينظم منه البيتين والثلاثة ، فمن شعره فى الافتخار بنفسه (٢٧٢) :

أجود بمالى لكلّ العُفَاة واقتحم الهول فى المعضلات
أقود الجيوش وأصلى الحروب واقتطف الهام بالمرهفات
وأحمى ثُغرى من أن تنال وأغزو وأنهب أرض العُدات

كما شغل الأدب أذهان الناس على اختلاف مستوياتهم ووظائفهم فى الدولة المرينية ، فجلسوا يتحاورون فى معنى لفظ ، أو تشبيه شىء ، ومن ذلك ما رواه المقرى على لسان أبى عبد الله بن جُزَىّ الأندلسى ، كاتب السلطان أبى عنان المرينى ، قال : تنازع الكتاب أرباب الأقلام والرؤساء أصحاب السيوف فى تشبيه العِذار ، وقالت كل فرقة : لا نشبهه إلا بماهو مناسب لصنعتنا ، فلما فرغوا قال ابن جزى معبرا عن ذلك (٢٧٣) :

أتى أولو الكتب والسيف الأولى عزموا
من بَعْد سِلْمى على حربى وإسلامى
بكل معنى بديع فى العِذار عَلى
مَا تقتضى منهم أفكار أحلامى
فقال ذو الكتب : لا أرضى المحارب فى
تشبيهه لا وأنفاسى وأقلامى
وقال ذو الحرب : لا أرضى الكتائب فى
تشبيهه ومظلاتى وأعلامى
فقلت أجمع بين المذهبين معا
باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وتعددت أغراض الشعر التى تناولها الشعراء فى العصر المرينى ، ومن هذه الأغراض الرثاء ومن الذين برعوا فيه الشاعر أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ، الذى اشتهر بمراثيه العديدة فى جاريته صبح ، وكانت هذه الجارية رومية من أجمل الجوارى حسنا ، فأدبها ذلك الشاعر ولقنها حظا كبيرا من العربية ، حتى نظمت الشعر ، واشتد حبه لها وغرامه بها ،

وما لبثت أن ماتت ، وهو أشد ما يكون حبا لها ، فكان بعد وفاتها لايرى إلا فى تأوه دائم ، وأسف شديد على وفاتها ، ومن رثائه لها قوله (٢٧٤) :

ياقبر صُبْــح حلّ فيك بمهجتى أسنى الأمانــى
وغـدوت بعـد عيانهـــا أشهى البقاع إلى العيان
أخشى المنيـــــة أنها تقضى مكانك عن مكان
كم بين مقبور بفـــاس وقابـــر بالقيــــروان

ويروى عن ابن شعيب ، أنه كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر المحدثين (٢٧٥) .

وقد اشتهر فى العصر المرينى عدد كبير من الشعراء منهم محمد بن محمد القشتالى (٢٧٦) . ومحمد بن عبدون الذى أطلق عليه شاعر أهل العدوة (٢٧٧) .

ومن أعظمهم مالك بن المرحل « وكان شاعرا رقيقا مطبوعا نافذ الذهن شديد الإدراك قوى العارضة سريع البديهة رشيق الألفاظ حلو الدعابة » (٢٧٨) . توفى سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) . « وكان شاعر المغرب فى وقته واستعان على ذلك بالمقاصد اللسانية لغة وبيانا وعربية وعروضا وحفظا واطلاعا ... له أنظام بديعة وتآليف حسنة منها التوشيات النبوية على حروف المعجم والتزم افتتاح بيوتها بحروف السروى سماها الوسيلة الكبرى المرجو نفعها فى الدنيا والأخرى ، ومنها كتاب الفصيح لثعلب وشرحه » (٢٧٩) . وأوصى مالك بن المرحل أن يكتب على قبره أبيات أربعة هى (٢٨٠) :

زُر غريبـــا بمغـــرب نازحـــا مالــه ولـــى
تركـــوه موســـــدا بين تـــرب وجنـــدل
ولتقـــل عنـــد قبـــره بلســـــان التـــزلـــل
رحـــم الله عبــــده مـــالك بـــن المرحــــل

كما لمع فى البلاط المرينى عدد كبير من الشعراء الأندلسيين ، الذين وفدوا إلى هذا البلاط وشغلوا فيه — بفضل ما تمتعوا به من ملكات أدبية وشعرية — أرق مناصب الدولة ، وقد رحل بعض هؤلاء الشعراء إلى المشرق ، فجمعوا فى أسلوبهم بين رقة المشارقة ، وجزالة المغاربة ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الحاج النميرى الغرناطى ، الذى غذى البيئة الأدبية فى العصر المرينى بكثير من ألوان الشعر التى روى بعضها المقرى فى كتابه نفح الطيب ، ومن بينها قصيدة من خمسة وثلاثين بيتا ، يهنىء فيها الشاعر السلطان أبا عنان عند شفائه من مرض ألم به (٢٨١) . ومنهم أبو القاسم بن رضوان النجارى ، الذى تولى وظيفة الإنشاء بباب سلطان المغرب أبى عنان المرينى (٢٨٢) .

ويعد لسان الدين بن الخطيب أشهر هؤلاء الشعراء الأندلسيين ، الذين عاشوا أمدا طويلا ، بين ربوع الدولة المرينية ، وكانت قريحة ابن الخطيب تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التى تمر بها الدولة المرينية فى الفترة التى أقام فيها فى الدولة المرينية ، ومن ذلك نونيته المشهورة ، وهى قصيدة طويلة ، مدح فيها السلطان أبا سالم المرينى حين فتح تلمسان ، والقصيدة تزيد على المائة بيت. يقول فى مطلعها (٢٨٣) :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لهجت نفسى بفتح تِلْمِسانِ

وكان ابن الخطيب قد كتب قبل هذه القصيدة نثرا ، خاطب به السلطان أبا سالم المرينى حين ورد على ابن الخطيب – وهو مقيم بشالة سلا – رسالة تخبره بفتح أبى سالم لتلمسان ، وكانت هذه الرسالة بمثابة برقية تهنئة منه لأبى سالم المرينى (٢٨٤) .

وكانت أول أعمال ابن الخطيب الأدبية المغربية قصيدته التى أنشدها بين يدى السلطان أبى سالم المرينى فى حفل مشهود حين قدومه إلى المغرب ، وكانت هذه القصيدة بداية لحياة ابن الخطيب الأدبية المغربية ، وفى مطلع هذه القصيدة يقول (٢٨٥) :

سلا هل لديها من مخبرة ذكرُ وهل أعشب الوادى ونمَّ به الزهرُ
وهل باكر الوَسمى داراً على اللوى عفت آيها إلا التوهُّمُ والذكرُ

وتميزت أشعار ابن الخطيب المغربية بطول النفس ، فكثير من هذه الأشعار كان من المطولات ، وهذا يدل على ارتباط الشاعر النفسى ببنى مرين ، وقوة عاطفته نحوهم ، وتنوعت الأغراض التى قيلت فيها هذه المطولات بين الأغراض السياسية والاجتماعية ، فمن مطولات ابن الخطيب التى خاطب بها السلطان أبا عنان المرينى على أثر انصرافه من بابه ، هذه القصيدة التى بلغت مائة بيت يقول فى مطلعها (٢٨٦) :

أبدى لداعى الفوز وجْهَ منيبِ وأفاق من عَذْل ومن تأنيبِ

وأخيرا ، فقد كان هؤلاء الشعراء الأندلسيون سببا فى دفع الحركة الأدبية ، وخلق جيل من الشعراء المغاربة ، بما أوجدوه فى الدولة المرينية من حيوية فى مجال الشعر .

وإلى جانب الشعراء كان هناك الأدباء الذين حذقوا فن الكتابة ، التى ازدهرت كثيرا فى العصر المرينى بسبب وجود عدد كبير من مشاهير الكتاب من أمثال ، عبد المهيمن الحضرمى ، وابن خلدون وابن مرزوق الخطيب . كانت كتاباتهم نماذج فذة فى فن النثر . وقد شجع سلاطين بنى مرين هؤلاء الكتاب ، وضموا كثيرا منهم إلى ديوان الإنشاء وتعتبر الرسائل التى صدرت عن هذا الديوان بأقلام هؤلاء الكتاب – إلى بلاط المماليك فى مصر ، وبنى الأحمر فى الأندلس – نماذج طيبة لفن الكتابة فى ذلك العصر .

ومن الفنون الأدبية الأخرى التى عرفها العصر المرينى فن المقامات ، ومنها « مقامة الافتخار بين العَشْر الجوار » لعبد المهيمن الحضرمى (٢٨٧) . كما ارتقى فن الخطابة ، وقد مارسها كثير من سلاطين بنى مرين ، خاصة خطبهم التى كانوا يوجهونها إلى جنودهم ، قبل بدء القتال ، ومن تلك الخطب ، خطبة السلطان أبى يعقوب يوسف المرينى ، قبل إحدى معاركه الكبرى بأسبانيا ، يقول فيها : « يامعشر المسلمين ، وعصابة المجاهدين : أن هذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وإن الجنة قد منحت لكم أبوابها وزيدت أترابها فخذوا فى طلابها ، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين ، فى جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات شهيدا ، ومن عاش عاش غانما مأجورا حميدا ، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٢٨٨) . ومن نماذج الخطابة فى العصر المرينى الخطب الدينية التى كانت تلقى فى المواسم الدينية ، وأيام الجمع ، والأعياد ، ولابن عباد الرندى مدونة ، تحفل ببعض الخطب ، كان الخطباء فى العصر المرينى يحرصون على قراءة ما يتعلق منها بالمولد النبوى فى حضرة السلطان المرينى تبركا بها ، وكذلك يقرءونها فى المجتمعات فى المواسم والأعياد (٢٨٩) . كما كان هناك من فنون النثر المناظرات ، ومن أمثلتها ، المناظرة التى كانت بين مالك بن المرحل وابن أبى الربيع النحوى ، حول لفظة وقعت فى شعر مالك بن المرحل وهى لفظة « كان ماذا » وأنكرها عليه ابن أبى الربيع (٢٩٠) .

(ز) التصــوف :

وقبل أن نختم البحث ينبغى أن نتحدث عن التصوف الذى كان له دوره فى الحركة الفكرية ، حيث امتاز العصر المرينى بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف وأساتذته ، ولم يكن سلاطين بنى مرين يشعرون بأى خطر من امتداد نفوذ الصوفية ، لأن الدولة المرينية كانت قوية مهيبة الجانب ، ولأن المرينيين من ناحية أخرى انصرفوا إلى استكمال بناء صرح الحضارة المغربية (٢٩١) . وتطلب ذلك المزيد من حرية الفكر ، التى أتاحها المرينيون للجميع وفى ظلها ازدهر التصوف . وصرنا نرى معظم سلاطين بنى مرين قريبين من كبار أقطاب التصوف أحياء وأمواتا ، فالسلطان أبو الحسن المرينى هو الذى بنى مسجد العباد بالقرب من قبر قطب التصوف أبى مدين شعيب ، وجاء المسجد آية من آيات الفن المعمارى فى العصر المرينى (٢٩٢) . وأبو عنان المرينى بنى مسجدا لقطب آخر من أقطاب التصوف وهو الحَلوى (٢٩٣) .

ودأب كثير من سلاطين بنى مرين على متابعة زيارة قبور هؤلاء المتصوفة تبركا بهم ، وإظهارا للاهتمام بهم ، فأبو الحسن المرينى كان يزور قبر أبى مدين شعيب فى يوم الأربعاء من كل أسبوع (٢٩٤) . ويروى الكتانى أن السلطان أبا العباس أحمد بن أبى سالم حضر جنازة الصوفى ابن عاشر الذى كان عند أهل فاس بمثابة الشافعى عند المصريين (٢٩٥) .

ولقى المتصوفة الأحياء تقدير سلاطين بنى مرين ، واحترامهم ، فكانوا يحفظون لهم مكانتهم ويقدرون لهم دورهم الدينى ومكانتهم العلمية والصوفية ، بل أن بعض المتصوفة كان يفرض شروطا معينة حين يطلب السلطان المرينى لقاءه ، وكانت مكانة هؤلاء الزهاد والمتصوفة تدفع السلاطين إلى قبول هذه الشروط فى مقابل لقائهم والاستماع إليهم ، وإلى مواعظهم ، ونصائحهم ، وقد حدث هذا حين فرض الشيخ أبو عبد الله الكومى الضرير المراكشى على السلطان أبى الحسن المرينى شروطا ، قبلها هذا السلطان ، والتزم بها تماما طول فترة اللقاء مع الشيخ المتصوف (٢٩٦) . ونفس السلطان ، انتقل بنفسه إلى مدينة آسفى ، للقاء الشيخ المتصوف أبى عبد الله الهزمى ، ويحكى ابن مرزوق قصة هذا اللقاء فيقول : « فلما وصل (أبو الحسن) بموكبه إلى المسجد .. ثم لما دخل إلى الصحن والشيخ (الهزمى) على حاله مستقبلا إلى القبلة وكان آية وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة أردت (ابن مرزوق) أن أشير على الشيخ بلقائه وأنا وأبو الفضل بن أبى مدين فنهانا (أبو الحسن) عن ذلك وقصده فقبل يده وجلس بين يديه وقبل الشيخ كذلك يديه نفعه الله وقال (أبو الحسن) ياسيدى أوصنى أفدنى أدع لى فأوصاه وأفاده ودعا له فقال له (أبو الحسن) ياسيدى هاك تقبل مناما تلبسه بحسب البركة مما تتخيره فقال ياأمير المسلمين هذه الجبة علىَّ نحو من عشرين عاما وكأنها لم ينتصف عنها اللباس ومن البعيد أن يبقى من العمر قدر مامر بها وأنا اليوم فى الثمانين » (٢٩٧) .

وجدير بالملاحظة أن المتصوفة فى العصر المرينى تركوا بصماتهم على كثير من جوانب الحياة فى المجتمع المرينى سواء من الناحية السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية ، فكان من بين المتصوفة من تولى منصب القضاء ، كالحسن بن عثمان التجانى (٢٩٨) ، ومحمد بن على الكزولى (٢٩٩) . ومحمد بن أحمد بن بكر بن يحيى المقرى الذى كان قاضيا للجماعة بفاس ، وألف فى التصوف كتابه المعروف باسم « أقامة المريد ورحلة المتبتلْ » وكتاب « الحقائق والرقائق » (٣٠٠) ومن المتصوفة من تولى الإمامة والخطابة بالعاصمة فاس ، كأبى عبد الله محمد بن إبراهيم الرندى ، الذى كان إماما وخطيبا بمسجد القرويين (٣٠١) . ومنهم من كان يقوم بمعاونة السلطان فى أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كمحمد بن موسى الحلفاوى الاشبيلى ، الذى استعان به السلطان أبو عنان للضرب على أيدى المعتدين والعابثين (٣٠٢) . ومن المتصوفة من حاول القيام بدور سياسى فى صرف السلطان يوسف بن يعقوب عن حصار تلمسان ، فقصده العالم المتصوف أبو زيد الهزميرى ، والسلطان فى حصاره العظيم لتلمسان ، الذى دام سبع سنوات ، وكانت الحالة فى تلمسان سيئة إلى الغاية على حد تعبير الكتانى ، حيث أكل الناس الفيران ، وبلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير من الذهب ، ولكن السلطان يوسف رفض المحاولة التى قام بها ذلك الشيخ الصوفى ، ويذكر الكتانى أيضا ، أنه لم

تكد تمر أيام بعد عودة أبى زيد ، حتى قتل السلطان يوسف ، واتجه جيشه نحو الغرب داخلا المغرب الأقصى بسلطان آخر (٣٠٣) .

وقد حسم المتصوفة كثيرا من المسائل التى دار حولها الخلاف بين العلماء فى فاس فى عصر بنى مرين ، ومن هذا مارواه صاحب سلوة الأنفاس من أن جدلا عظيماً دار فى فاس ، واستمر ثلاثة أيام بين العلماء حول الحوض والصراط أيهما أسبق ، فلما سئل فى ذلك العالم المتصوف أبو زيد الهزميرى المتوفى سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) (٣٠٤) : « نظر إلى السماء واتسعت عيناه اتساعا عظيما ، ثم قال الجنة الميزان الحوض الصراط ويشير بأصبعه إلى السماء » (٣٠٥) .

وخرج السائل من عنده إلى مجلس العلماء ، فاذا المجلس على حاله من الخلاف حول نفس المسألة ، فأخبرهم السائل بما قاله الهزميرى ، فبكى أبو عبد الله البقورى وقال : ليس الخبر كالعيان (٣٠٦) . والمعروف أن أبا زيد الهزميرى هو صاحب الطريقة الهزميرية بالمغرب ، وكان ابن شاطر وابن البناء العددى كلاهما من تلاميذه وعلى طريقته (٣٠٧) .

ومما يلفت النظر أن العصر المرينى ضم عددا كبيرا من المتصوفة المتضلعين فى مختلف العلوم والمعارف (٣٠٨) . وهؤلاء كان لهم دورهم فى خدمة التصوف على أسس صحيحة ، كمحمد بن موسى الحلفاوى المتوفى سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) الذى كان حافظا للحديث ، ذاكرا للفقه باحثا فى مسائله (٣٠٩) . وكيحيى ابن السراج المتوفى سنة (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) ، الذى انتهت إليه رياسة الحديث فى وقته (٣١٠) . وأحمد بن سعيد الشهير بالجباك المتوفى سنة (٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م) ، الذى كان فقيها متصوفا شاعرا ، نظم كثيرا من قصائد الشعر فى التصوف (٣١١) .

وجاء انتشار علماء الصوفية فى مدن المغرب الأقصى ، وتنقلهم بينها ، إلى جانب المدارس التى أنشأها المرينيون ، فرصة عظيمة لإذكاء الحركة الفكرية فى المغرب الأقصى – مهد الدولة المرينية – وهذا بدوره فتح السبيل أمام نشر العلم والثقافة فى أرياف المغرب الأقصى وبواديه (٣١٢) . فابن عاشر قطب الصوفية فى العصر المرينى والمتوفى سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، تنقل بين سلا وطنجة وفاس .

ومن أشهر الصوفية فى العصر المرينى الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى بكر بن عباد المتوفى سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) (٣١٣) . طلب العلم صغيرا ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم تعلم العلوم النحوية والأدبية والأصولية والفروعية ، ثم أخذ بعد ذلك فى طريق الصوفية والمباحثة عن الأسرار الالهية (٣١٤) ومن

كلامه : « الاستئناس بالناس من علامات الافلاس وفتح باب الأنس بالله تعالى الاستيحاش من الناس » (٣١٥) . ومن كلامه أيضا : « من لازم الكون وبقى معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له طريق الغيوب الملكوتية ولاخلص بسره إلى فضاء مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته » (٣١٦) .

هوامش الفصل السادس

(١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، انظر الفصل الأول .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٣ .

(٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٠٦ – ١٠٨ ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٥) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ ، د. حسن على حسن : دراسات فى تاريخ المغرب العربى ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٨ ، ص ٢٦٤ ، (وتألف العنصر العربى بالمغرب الأقصى فى عهد المرينيين ، من بقايا العرب الفاتحين ، يضاف إليهم القبائل العربية التى جاءت إلى المغرب فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، على شكل الموجات التى عرفت فى التاريخ المغربى باسم الغزوة الهلالية ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ .) .

(٦) انظر فيما سبق الفصل الأول .

(٧) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ .

(٨) انظر فيما سبق الفصل الأول .

(٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٤٦ .

(١٠) السلاوى : الاستقصا ، ط الدار البيضاء ، جـ ٣ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(١١) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، هامش ص ٢٨٨ .

(١٢) د. عبد المنعم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، مكتبة النهضة المصرية ، ط أولى ١٩٥٩ ، ص ١٣٤ .

(١٣) د. حسن على حسن : دراسات فى تاريخ المغرب العربى ، ص ٢٦٤ .

(١٤) المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٨٩ .

(١٥) د. حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الأقصى ، ص ٣٦٦ ، (ويطلق جوليان على هؤلاء الغز اسم المرتزقة الآسيويين ، أما ابن خلدون فيطلق عليهم وعلى غيرهم من أجناد الروم اسم المرتزقة ، ضمن العناصر المكونة للجيش المرينى فى إحدى الغزوات الموجهة لإشبيلية ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٠٧ ، جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .) .

(١٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٣٠ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .

(١٧) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٣ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(١٩) انظر الفصل الثالث .

(٢٠) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٩ ، جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ ، (يذكر ياقوت أن فاس كانت من أكثر بلاد المغرب يهودا ، وانهم كانوا يختلفون إليها من جميع الآفاق ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ٣٣٠ .) .

(٢١) ابن الأحمر : النفحة النسرينية واللمحة المرينية ، مخطوط ، ورقة ٢٦ .

(٢٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٢٤) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثانى ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٥) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧

(٢٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة . انظر خريطة المدينة بقسم الخرائط .

(٢٧) مجهول : الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، مخطوط ، ورقة ١٧٧ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٥ .

(٢٩) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ .

(٣٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٥ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٣٤٩ .

(٣١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، ص ١٩٥ ، الزركلى : الاعلام جـ ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٣ ، الزركلى الاعلام ، جـ ٩ ، ص ٢٦٣ .

(٣٣) مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، ص ١٤٧ .

(٣٤) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٢١ .

(٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ ، (مأذنة ، هكذا فى الأصل) .

(٣٧) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٨ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣٨) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٧ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ، د. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٨٧١ ، (ويسميها ابن خلدون تيطاوين) .

(٣٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤٠) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٢ .

(٤١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤٢) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المرينية ، القسم الثانى ، ص ٥٧ - ٥٩ ، (الازر : افريز زخرفى يدور حول الجزء السفلى من الجدار) ، (مانويل جوميث : الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة : د. لطفى عبد البديع ، د. السيد عبد العزيز سالم ، الدار القومية للتأليف والترجمة ، جـ ١ ، ١٩٦٨ ، ص ٤٨٨) ، التوريق : زخرفة نباتية متداخلة ، ص ٤٩٠ .) .

(٤٤) المقرى : أزهار الرياض ، ص ٤٠ .

(٤٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، ص ٤٢ ، ٥٧ .

(٤٦) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(٤٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧١ .

(٤٨) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، (دعائم : دعائم تسند جدران البناء من الخارج) ، (مانويل جوميث : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ص ٤٩٢) ، بالآجر المشبك : زخرفة هندسية أو نباتية متشابكة ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .) .

(٤٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٠ .

(٥٠) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ٣٠ .

(٥٢) الجزنائى : زهرة الآس ص :٦٣ ، ٦٤ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٥٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ٩٨ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٦٦ ، (ويذكر الجزنائى أن ذلك الإصلاح كان فى سنة (٦٩٦ هـ) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥٥) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٦٦ .

(٥٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ت : الفيلالى ، جـ ١ ، ص ١١٠ .

(٥٧) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣٩ .

(٥٨) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٥٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ ، محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، معهد الدراسات العربية العالية ، ط ١٩٦١ ، ص ٤٧ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٧٣ .

(٦٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٢٨ ، (وأطلق عليها الجزنائى اسم المدرسة اليعقوبية) .

(٦١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

(٦٢) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٥ .

(٦٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٤ ، ٨٧ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٦٤) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

(٦٥) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٧ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٣ ، ٢٤ ، د. السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦.

(٦٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ .

(٦٧) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٣٠ .

(٦٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٣ .

(٦٩) محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٧٠) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٠ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٣٠ ، (الزليج : نوع من الخزف تكسى به الجدران وتتخذ زخارفه أشكالا هندسية ، مانويل جوميث : الفن الإسلامى فى أسبانيا ، ص ٤٩) .

(٧١) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

(٧٢) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٧٣) جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

(٧٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٧٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة (انظر خريطة هذه المدرسة بقسم الملاحق) .

(٧٦) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٧٧) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٤٠ .

(٧٨) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٣٢ ، مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ .

(٧٩) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٢١ .

(٨٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٦ .

(٨١) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٤٣ .

(٨٢) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٨٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٩١ .

(٨٤) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٠ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .

(٨٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٨٦) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٨٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٨٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٢ ، الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٧٣ .

(٨٩) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٩٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٩١) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٣١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٧ .

(٩٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٧ .

(٩٣) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٨ .

(٩٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٧٧ .

(٩٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ١٩٣ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٩٧) المصدر السابق ، ٢٣٧ .
(٩٨) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
(٩٩) مجهول : الذخيرة السنية ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(١٠٠) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق جـ ٧ ، ص ١٩٤ .
(١٠١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .
(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .
(١٠٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦٦ ، عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، القسم الثانى ، ص ٥٧ .
(١٠٤) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٧ .
(١٠٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ .
(١٠٦) المصدر السابق ، نفس الورقة . (وتعدد ، هكذا فى الأصل) .
(١٠٧) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(١٠٨) المصدر السابق ، ورقة ٢٦٣ .
(١٠٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١١٨ .
(١١٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٢ ، عمر رضا كحالة : مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام ، ص ٢٠٣ .
(١١١) المصدر السابق ، ورقة ٤٢ .
(١١٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٥ .
(١١٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٦ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٢ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ص ١١٨ .
(١١٤) المصدر السابق ، ورقة ٤٣ .
(١١٥) المصدر السابق ، ورقة ٤٤ .
(١١٦) انظر الفصل الأول ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ص ١١٥ .
(١١٧) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(١١٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣٣ .
(١١٩) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ص ١٦٦ .
(١٢٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٢٨ ، (انظر الفصل الخامس) .
(١٢١) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ص ١١٦ ، ١١٧ .
(١٢٢) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(١٢٣) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ٣١٠ .
(١٢٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، السلاوى ، الاستقصا ، ١٢٠/٢ .
(١٢٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(١٢٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٢٠٨ .
(١٢٧) المصدر السابق نفس الصفحة .
(١٢٨) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(١٢٩) السلاوى : الاستقصاء ، جـ ٢ ، ص ٤٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٤٥ (مع خلاف فى اللفظ) .
(١٣٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٥٣ ، ٥٤ .
(١٣١) المصدر السابق ، ورقة ٥٤ .
(١٣٢) المصدر السابق ، ورقة ٥٤ ، ٥٥ .
(١٣٣) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
(١٣٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٠٧ .
(١٣٥) ابن خلدون : العبر ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٥٢ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٦٨ .
(١٣٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق جـ ٧ ، ص ٢٥٢ ، السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ٥٧ ، (مع خلاف فى اللفظ) .
(١٣٧) ابن خلدون : العبر ط بولاق جـ ٧ ، ص ٢٦٧ ، الزركشى : تاريخ الدولتين ص ٧٩ .
(١٣٨) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .
(١٣٩) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
(١٤٠) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٣١ .
(١٤١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٣٤٩ .
(١٤٢) روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(١٤٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ١٣٣ .
(١٤٤) المصدر السابق ، ورقة ٦٨ وما بعدها .
(١٤٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .
(١٤٦) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٠٣ .
(١٤٧) المصدر السابق .
(١٤٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٢٨٠ .
(١٤٩) محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ص ٢٢ ، ٢٣ .
(١٥٠) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٦١ ، جـ ١ ، ص ١٨٤ ، محمد الفاسى : التعريف بالمغرب ، ص ٤٧ ، روجيه لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٧٣ .
(١٥١) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٦ .
(١٥٢) عبد الله كنون : النبوغ المغربى جـ ١ ، ص ١٨٥ .
(١٥٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٦٨ .
(١٥٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٥٥) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٣١٥ (مع خلاف فى اللفظ) .

(١٥٦) عبد الله كنون : النبوغ المغربى جـ ١ ، ص ١٨٥ .

(١٥٧) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ٨٣ .

(١٥٨) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ١٤١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٩٢ .

(١٥٩) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن مخطوط ورقة ١٤١ .

(١٦٠) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ .

(١٦١) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٣٣٤ .

(١٦٢) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٣٧٤ ، ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبى شنب ، ص ٢١٥ .

(١٦٣) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٤٣ .

(١٦٤) المصدر السابق ، ورقة ١٥٠ - ١٥٦ .

(١٦٥) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ٢٠٥ .

(١٦٦) المصدر السابق ، نفس الورقة .

(١٦٧) المصدر السابق ، ورقة ٣٨ .

(١٦٨) الجزنائى : زهرة الآس ، ص ١٥ ، ١٦ .

(١٦٩) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(١٧٠) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، ص ٣٢٢ .

(١٧١) المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٢٥٨ .

(١٧٢) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ص ٢٤٠ .

(١٧٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(١٧٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية ، مجلة البينة ، العدد الثامن ١٩٦٢ ، ص٢٨ .

(١٧٥) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٧ .

(١٧٦) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ١٤٨ .

(١٧٧) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٥٣ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٨٤ .

(١٧٨) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ .

(١٧٩) عبد الله كنون : النبوغ المغربى جـ ١ ، ص ١٨٩ .

(١٨٠) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ، ابن عساكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، ط فاس ، ١٣١٤ ، ص ٢٧ .

(١٨١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(١٨٢) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(١٨٣) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٣٨ .
(١٨٤) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .
(١٨٥) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٤٤ ، عبد الله كنون : النبوغ المغربي جـ ١ ، ص ١٩٤ .
(١٨٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(١٨٧) المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(١٨٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ .
(١٨٩) المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ص ١٤٨ .
(١٩٠) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .
(١٩١) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .
(١٩٢) المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٢ ، ٣ .
(١٩٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٢٥٩ .
(١٩٤) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
(١٩٥) المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(١٩٦) الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨٦ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٢٧٩ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ورقة ١٤٤ .
(١٩٧) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ .
(١٩٨) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٧٨ .
(١٩٩) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .
(٢٠٠) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٣٩ .
(٢٠١) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٩١ .
(٢٠٢) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .
(٢٠٣) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٨٠ .
(٢٠٤) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
(٢٠٥) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٦٠ .
(٢٠٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .
(٢٠٧) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، جـ ١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .
(٢٠٨) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن القاضي : جذوة الأقتباس ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ص ١٥٥ .
(٢٠٩) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٦٠ .
(٢١٠) عبد الله كنون : النبوغ المغربي جـ ١ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٢١١) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٦٠ .
(٢١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٢١٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣

(٢١٤) د. حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى ، ص ٥٧١ ، حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٣٩١ .

(٢١٥) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ ، ابن عساكر : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، طبع حجر ، فاس ١٣١٤ ، ص ٣٢ .

(٢١٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢١٧) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٣٨ .

(٢١٨) المصدر السابق ، ص ٨٨ ، المقري : نفح الطيب ، جـ ٧ ، ص ١٠٩ .

(٢١٩) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم ط أولى ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢٢١) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

(٢٢٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢٢٣) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢٢٤) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٢٢٦) الكتاني : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

(٢٢٧) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

(٢٢٨) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٧٨ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٢٣٠) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٢٣١) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ، جـ ١ ، ص ١٩٨ ، (وعن ابن جُزَي انظر المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٧٠) .

(٢٣٢) محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ص ٢٠٩ .

(٢٣٣) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام جـ ٢ ، ص ١١٤ .

(٢٣٤) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٧٧ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ط حجر بفاس ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

(٢٣٥) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، جـ ١ ، ص ٧٣ (الصفيحة الزرقالية والسكازية ، نوعان من الاسطرلابات والأولى تنسب إلى مخترعها أبو إسحاق النقاش (الزرقالي) الأندلسي ، وأمكن بواسطة هذه الصفيحة الزرقالية رسم المسقطين المجسمين لدائرة خط الاستواء ، ودائرة البروج على نفس السطح ، انظر ، شاخت وبوزوث : تراث الإسلام ، ترجمة : د. حسين مؤنس وأحسان صدقي العمد ، عالم المعرفة - الكويت ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢٣٦) المصدر السابق جـ ١ ، نفس الصفحة ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ص ٧٧ .

(٢٣٧) الكتاني : سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢٣٨) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٩٢ .

(٢٣٩) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٨٠ .
(٢٤٠) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٤١) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .
(٢٤٢) ابن القاضى : جذوة الأقتباس ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢٤٣) المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٢٤٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ت : محمد عبد الله عنان ، ط دار المعارف ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .
(٢٤٥) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ، ص ٢٧٨ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٤٧ .
(٢٤٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٢٤٧) المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢٤٨) المصدر السابق ، نفس الصفحات .
(٢٤٩) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ص ١٥٥ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٢ .
(٢٥٠) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٢٥١) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٧ .
(٢٥٢) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٧ .
(٢٥٣) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٢ ، ص ٥١٥ .
(٢٥٤) المصدر السابق ، ط دار المعارف ، جـ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ .
(٢٥٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ١ ، ص ٢١٠ ، عنان : نهاية الأندلس ص ١٠٦ ، Toynbee, A., Op. Cit., P.336.
(٢٥٦) السلاوى : الاستقصاء ، جـ ٢ ، ص ٣١ .
(٢٥٧) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ص ٦٤ .
(٢٥٨) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٤٦ .
(٢٥٩) نفس المصدرين السابقين ، ونفس الصفحات .
(٢٦٠) الجزنائى : زهرة الآس ص ٦٩ .
(٢٦١) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ، ص ٢١٠ .
(٢٦٢) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ، ص ١٠٦ – ١١٢ .
(٢٦٣) السلاوى : الاستقصا ، ط الدار البيضاء جـ ٣ ، ص ٦٤ .
(٢٦٤) مجهول : الذخيرة السنية ١٤١ .
(٢٦٥) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق جـ ٧ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ (والقصيدة من القصائد الطويلة ، فهى تقع فى تسعة وأربعين بيتا ، المصدر السابق نفس الصفحات) .
(٢٦٦) ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٢٠٠ .
(٢٦٧) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١٠٨ .
(٢٦٨) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٦٨١ .

(٢٦٩) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢٧٠) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

(٢٧١) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ .

(٢٧٢) مجهول : الذخيرة السنية ص ١٤٠ .

(٢٧٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ط دار المعارف ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .

(٢٧٥) المصدر السابق ، ط دار المعارف ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(٢٧٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٤٦ .

(٢٧٧) المصدر السابق ص ١٧٨ .

(٢٧٨) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ، ص ٩٩ .

(٢٧٩) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢٨٠) المصدر السابق جـ ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢٨١) المقرى : نفح الطيب جـ ٧ ، ص ١٠٨ - ١٢١ .

(٢٨٢) المصدر السابق جـ ٦ ، ص ١٠٦ - ١١٢ .

(٢٨٣) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٣٢ - ٣٧ .

(٢٨٤) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٧ - ٤٠ .

(٢٨٥) المصدر السابق جـ ٥ ، ص ٨٥ - ٨٩ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ص ١١٠ - ١١٣ ، ابن خلدون : العبر ، ط بولاق ، جـ ٧ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

(٢٨٦) المقرى : نفح الطيب جـ ٦ ، ص ٤٥١ - ٤٥٩ .

(٢٨٧) عبد الله كنون : النبوغ المغربى جـ ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢٨٨) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢٨٩) المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٢٩٠) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٥ - ٧١ .

(٢٩١) عبد العزيز بن عبد الله : الفكر الصوفى والانتحالية بالمغرب ، مجلة البينة ، السنة الأولى ، ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢٩٢) جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٢٩٣) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠ ، ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، مخطوط ، ورقة ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢٩٤) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن مخطوط ورقة ٦٨ .

(٢٩٥) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢٩٦) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ، ورقة ٥٧ - ٦٠ .

(٢٩٧) المصدر السابق ورقة ٦٠ ، ٦١ ، (نحو من عشرين عاما ، هكذا فى الأصل) .

(٢٩٨) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢٩٩) ابن القاضى : درة الحجال جـ ٣ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن القاضى : جلوة الاقتباس

ص ١٤٣ ، عبد العزيز بن عبد الله : الفكر الصوفى والانتحالية بالمغرب ص ٩٧ .

(٣٠٠) ابن فرحون : الديباج المذهب ط أولى ١٣٥١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٣٠١) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٣٠٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٩٢ .

(٣٠٣) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ٥٣ ، التنسى : نظم الدرر : مخطوط ص ٤٧ .

(٣٠٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٦٣ .

(٣٠٥) الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٢ ، ص ٥٤ .

(٣٠٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣٠٧) المصدر السابق جـ ٢ ، ص ٥٢ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ٧٣ ، ابن الموقت : السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، جـ ١ ، ص ٧١ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ .

(٣٠٨) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ص ١٩٢ .

(٣٠٩) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ١٩٢ .

(٣١٠) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .

(٣١١) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣١٢) الفردبل : الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى ص ٣٩٤ .

(٣١٣) الكتانى : سلوة الأنفاس ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .

(٣١٤) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٥ ، ص ٣٤١ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ص ٢٠١ .

(٣١٥) المقرى : نفح الطيب جـ ٥ ، ص ٣٤٣ .

(٣١٦) المصدر السابق جـ ٥ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .


الملاحـــق

ملحق رقم (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم إلى الملك المؤيد بفضل الله العادل الهمام ، ذى الشيم المحمودة والاهتمام أمير المسلمين ، وناصر الدين المجتهد فى إقامة دعوة الحق أبى يوسف بن عبدالحق ، نورالله تعالى به الآفاق ، وجمل ببهائه الجيوش والرفاق ، من وليه ومحبة فى الله تعالى المستجير برحمة الله تعالى دعوته ، والمبتهل له بالدعاء فى ائتلاف كلمة الإسلام وصلاح شأنه محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر بن نصر سلام عليكم . على حضرته العلية ورحمة الله وبركاته أما بعد فإن الله تعالى أيد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك الشتات والاختلاف وأنعم على عباده بدولتكم السنية ، وإظهار جنودكم المرينية الذين هم فى حرب الأعادى أولو بأس شديد . (طويل)

مرين جنود الله أكبر عصبة   فهم فى بنى أعصارهم كالمواسم
مشنفة أسماعهم لمدائح   مسورة أيمانهم بالصوارم

تطول علينا بمعلوم حمّك ، ومشهود جدك وقد جعلك الله رحمه تحيى بجيشها بجيوشك السريعة ، وخلفك سلما إلى الخير وذريعة ، فقد تطاول العدو النصرانى على الإسلام ، واهتضم جنابه كل الاهتضام ، وقد استخلص قواعدها وفرق بلدانها وقتل رجالها وسبى ذراريها ونساءها وغنم أموالها . وقد جاءنا أبراقه وأرعاده ، وعدده وابعاده ، وطلب منا أن نسلم له ما بقى بأيدينا من المنابر والصوامع والمحاريب والجوامع ، ليقيم بها الصلبان ، ويثبت بها الأقسة والرهبان .

وقد وطأ الله لك ملكا عظيما شكرك الله على جهادك فى سبيله ، وقيامك بحقه وإجهادك فى نصر دينه وتكميله ، ولديك من نية الخير فابعث باعث بعثك إلى نصر مناره واقتباس نوره وعندك من جنود الله من يشترى الجنات بنفسه ويحضر الحرب بإماته فإن شئت الدنيا فالأندلس قطوفها دانية ، وجناتها عالية وإن أردت الآخرة بها جهاد لا يفتر وهذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، واحتمال معروفكم ونحن نستعين بالله العظيم وبملائكته المسومين ، ثم بكم على الكافرين ، فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين . ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ . والله تعالى يجمعنا على كلمة التوحيد ينصرها . ونعمة الإسلام بالملك يشكرها ورحمة الله نتحدث وننشرها . والسلام الموصول المبارك على أمير المسلمين ورحمة الله وبركاته[1] » .

ملحــق رقم (٢)

وقد ذكر الإمام الخطيب أبو عبدالله بن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبى الحسن هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر ابن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجوهر النفيس الملوكى ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حللا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الإنان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الأكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن المشقفات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرس والمخاد المنبوق والحلل ثمانمائة ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلاة بالذهب المنظم بالجوهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضمتان من ذهب بما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجوهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلد أشرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مغربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلية مذهبة وهى من حرير أبيض مرابطها حرير ملون وعمودها عاج وأبنوس وأكبارها من فضة مذهبة ومن البزات الأحرار المنتقات أربعة وثلاثون ومن عتاق الخيل العراب ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والإناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة »[1] .

ملحق رقم (٣)

يقول ابن الوردى : « وهذا السلطان أبو الحسن ملك عالم مجاهد عادل كتب من مدة قريبة بخطه ثلاثة مصاحف ، ووقفها على الحرمين وعلى حرم القدس وجهز معها عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكا بالشام ووقف على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة . ووقفت على نسخة توقيع بمسامحة الأوقاف المذكورة بمؤن وكلف وأحكار أنشأه صاحبنا الشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى أحد الموقعين الآن بدمشق . (نص توقيع ابن نباتة المصرى) .

أوله الحمد لله الذى أرهف لعزائم الموحدين غرباً وأطلعهم بهممهم حتى فى مطالع الغرب شهبا ، وعرف بين قلوب المؤمنين حتى كان البعد قربا . وكان القلبان قلبا ، وأيد بولاء هذا البيت الناصرى ملوك الأرض وعبيد الحق سلما وحربا ، وعضد ببقائه كل ملك إذا نزل البر أنبته يوم الكفاح أسلا ويوم السماح عشبا ، واذا ركب البحر لنهب الأعداء كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، وإذا بعث هداياه المتنوعة كانت عرابا تصحب عربا ، ورياضا تسحب سحبا ، وإذا وقف أوقاف البر سمعت الآفاق من خط يده قرآنا عجبا واهتزت بذكراه عجبا .

ومنها : وذو الولاء قريب وإن نأت داره ، ودان بالمحبة وإن شطّ شط بحره ومزاره ، وهو بأخباره النيرة محبوب كالجنة قبل أن ترى موصوف كوصف المشاهد وإن حالت عن الاكتمال بطلعته أميال السرى ، ولما كان السلطان أبو الحسن سر الله ببقائه الإسلام والمسلمين ، وسره بما كتب من اسمه فى أصحاب اليمين « وما أدراك ما أصحاب اليمين » هو الذى مد اليمين بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها وسطر الختمات الشريفة فنصر الله حزبه بما سطر من أحزابها ، ومد الرماح أرشية فاشتقت من قلوب الأعداء قليبا والأقلام أردية فشفت ضعف البصائر وحسبك بالذكر الحكيم طبيبا .

ومنها : ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الأعداء بالهذى .

ومنها : وأمر بترتيب خزنة وقراء ، عن مطالع أفقها ووقف أوقافها تجرى أقلام الحسنات فى إطلاقها وطلقها ، وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الأملاك التى سرت من

مغرب الشمس إلى مشرقها ، ورغب فى المساحة على تلك الأملاك من أحكار ومعونات وأوضاع ديوانية وضع بها خط المساحة فى دواوين الحسنات المسطرات فأجيب على البعد داعيه ، وقوبل بالإسعاف والإسعاد وقفه ومساعيه وختمها بقوله : « والله تعالى يمنع وقف هذه الجهات بما سطر له فى إكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاة الأمور فى تقريرها ويتقبل من الواقف[1] .

ملحق رقم (٤)

وإلى هذا – وصل الله سعدكم ، (أبو عنان المرينى) – وحرس مجدكم ووالى النعم عندكم – فإننا تعرفنا فى هذه الأيام من خدامكم الوافدين علينا بهديتكم ، ماعندكم من استدعاء الأساطيل المنصورة من محل إنشائها ، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها ، وأن فروض العزائم شرع فى أدائها ، وأولياء الملة قد تذامرت على أعدائها ، وحكماؤها (قد) شمرت لإزالة دائها ، فسألنا الله إتاحة الخيرة ، وتكييف الصنائع المسرة ، وبادرنا لسبر ما عندكم من التشوف إلى مالنا من الأساطيل الجهادية ، والمقاصد الودادية . فإن توفر لكم فى الاستعانة بها أرب ، أو بان فى الاحتياج إليها مذهب ، نشرع فى إصلاحها وتيسيرها ، وننظر فى إبرام أمورها ، لتكون مرهفة الحد ، آخذة أهبتها قبل القصد ، ونعلمكم – مع ذلك – أن رسولنا إليكم فى الأيام الماضية والأشهر المتقاضية فلانا ، لما وصل من لدنكم أوصل فى الطعام المعتاد من سلفكم – قد سهم الله – إلى هذه الجزيرة وعدا – وأنهى اليها اجتهادا فى أمره وجدا ، وأنكم جددتم من حسنات بيتكم عهدا ، فأورينا فى الشكر زندا ، وأوضحنا فى الثناء قصدا (٣١ : ب) وقد كانت عادة والدكم – أزلفه الله إليه ، وجدد ملابس الرحمة والرضوان عليه – أن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الأمداد ، وتعيين موضعه من سواحل البلاد . ونحن نأمل أن تسلكوا ذلك العمل فى سبيل الجهاد ، وتخلدوا من الأعمال الصالحة مايجده من يؤمل حسن المعادة أذكرناكم بذلك على سبيل الوداد ، وكرم الاعتقاد ، ووجهنا من يقرر لديكم ماعندنا من جميل الولاء لى أخوتكم الرفيعة العلاء ، ويتكلم بين يديكم فى هذه الأشياء ، ويجرى من تبين الخلوص على سبيل السواء ، وهو القائد الكذا أبوفلان ، وصل الله عزته ، ووالى رفعته . ومقامكم يتفضل بالإصغاء إليه ، والقبول من ذلك على ما لديه ، والسلام !!

ملحـق رقم (٥)

وبعده ما صورته : « للشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأحظى الأرفع الأمجد الأسمى الأوحد الأنوه الأرق ، العالم المعلم الرئيس الأعرف المتفنن الأبرع المصنف المفيد الصدر الأحفل الأفضل الأكمل أبى عبدالله ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل الأسنى الأعز الأرفع الأمجد الوجيه الأنوه الأحفل الأفضل الحسيب الأصيل الأكمل المبرور المرحوم أبى محمد بن الخطيب ، قابله أيده الله بوجه القبول والإقبال ، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال ، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرر من مقاصده الحسنة فى خدمة أمرنا العال ، وأمر فى جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة المجال ، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية ، فى كل شهر عن مرتب له ولولده الذى لنظره من مجبى مدينة سلا حرسها الله فى كل شهر . ومن حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورفع الاعتراض ببابها فيما يجلب من الأدم والأقوات على اختلافها من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده خدامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ، فلا يطلب فى شىء من ذلك بمغرم ولا وظيف ، ولا يتوجه فيه إليه بتكليف يتصل له حكم جميع ما ذكر فى كل عام تجديدا تاما . واحتراما عاما ، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتى على الدوام ، واتصال الأيام ، وأن يحمل بجانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعى والمحاشاة فى السخر مهما عرضت . والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف ، وتتضاعف أسباب المنن والعوارف ، بفضل الله ، وتحرر له الأزواج التى يحرثها بتالمغت من كل وجيبة وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة ، بالتحرير التام بحول الله وعونه . ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، ان شاء الله ، وكتب فى العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة ، وكتب فى التاريخ » ، انتهى .

وقوله : « وكتب فى التاريخ » هو العلامة السلطانية فى ذلك الزمان ، يكتب بقلم غليظ ، وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة « صح فى التاريخ » .

ملحـق رقم (٦)

نــص الوثيقــة

الصادرة من السلطان يوسف الأول إلى قائده ابن كماشة ، مفوضا فيها بإبرام الصلح مع بيدرو الرابع ملك أراجون ، لصالح السلطان أبى الحسن المرينى ، نقلا عن النسخة المخطوطة والمحفوظة بمحفوظات التاج الأرجونى ببرشلونة .

تحت رقم (٤٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

ليعلم من يقف على هذا الكتاب ويسمعه ، أننا الأمير عبدالله يوسف ، ابن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل ، ابن فرج ، بن نصر ، سلطان غرناطة ومالقة والمرية ووادى آش وما إليها ، وأمير المسلمين – لما انعقد الصلح بيننا وبين السلطان الأجل المرفع الأوفى المبرور الأخلص دون بطره ، سلطان أرغون وبلنسية وقرصعة وميورقة ... وقمط برجلونة . أسعده الله بطاعته ورضاه . طلبنا من محل أبينا السلطان الجليل المعظم الاشهر الأوحد أمير المسلمين أبى الحسن سلطان العدوة – أيده الله أن – ينعم بالأذن لنا فى عقد صلح معه على بلاده ، على ما جرت به عوائد صلحه مع تلك المملكة ، وأعطانا مقدرة لعقد ذلك . فاقتضى نظرنا أن وجهنا إلى السلطان دون بطرة بروم عقد الصلح على بلاد السلطان أبى الحسن بالعدوة والأندلس القائد الأجل الأعز الأرفع الأمجد الحسيب الأصيل الأفضل خاصة ، الحظى لدينا ، المبرور الأخلص ، أبا الحسن بن كماشة ، وصل الله عزته ورفعته وأمرنا له بهذا المكتوب ، وظهيرا على أن يعقده فى ذلك فنحن لمضيه ، وتلزمه من أذن لنا فيه ، بما عندنا فى ذلك من قبل السلطان أبى الحسن ، ولأن يكون هذا ثابتا ، ولا يلحق فيه شك ، أمرنا بكتب هذا المكتوب ، وجعلنا عليه خط يدنا وطابعنا ، مثابة علينا لإمضاء حكمه وذلك فى السادس عشر لشعبان من عام خمسة وأربعين وسبعمائة (ديسمبر ١٣٤٤)[1] .

ملحق رقم (٧)

جداول بأسماء الخلفاء والسلاطين والحكام الذين عاصروا الدولة المرينية

أ - بنو مرين

١ - أبومحمد عبدالحق بن أبى خالد محيو بن أبى بكر ابن حمامة المرينى .	(٥٩٢ هـ / ١١٩٥م)
٢ - ابوسعيد عثمان بن عبدالحق (أدرغال)	(٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)
٣ - محمد (الأول) بن عبدالحق	(٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)
٤ - أبو يحيى أبوبكر بن عبدالحق	(٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)
٥ - أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق	(٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)
٦ - أبويعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله	(٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)
٧ - أبوثابت عامر بن أبى عامر	(٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م)
٨ - أبوالربيع سليمان بن أبى عامر	(٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
٩ - أبوسعيد عثمان (الثانى) بن يعقوب	(٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)
١٠ - أبوالحسن على بن عثمان	(٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
١١ - أبوعنان فارس المتوكل بن على	(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
أبوزيان محمد بن فارس أبى عنان (ولى ثم عزل فى الحال)	(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م)
١٢ - محمد السعيد بن أبى عنان (وعمره خمس سنوات)	(٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م)
١٣ - أبو سالم إبراهيم بن على	(٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م)
١٤ - أبوعامر تاشفين بن على	(٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)
١٥ - عبدالحليم بن أبى على عمر (انفرد بسجلماسة منذ ربيع الأول سنة ٧٦٣)	(٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م)
١٦ - أبوزيان محمد (الثانى) المنتصر ابن أبى عبدالرحمن	(٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م)
١٧ - أبو فارس عبدالعزيز المستنصر بن على	(٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
١٨ - أبو زيان محمد (الثالث) السعيد بن عبدالعزيز	(٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

١٩ – (أ) أبوالعباس أحمد المستنصر بن إبراهيم ومعه (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

١٩ – (ب) عبدالرحمن أبويفلوسن (بمراكش) (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

٢٠ – موسى بن أبى عنان ، المتوكل على الله أبوفارس . (٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م)

٢١ – أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م)

٢٢ – أبو زيان محمد (الرابع) الواثق بالله
ابن أبى الفضل المستنصر ، (للمرة الثانية) (٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م)

٢٣ – أبوفارس بن أحمد (٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م)

٢٤ – عبدالعزيز بن أحمد (٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م)

٢٥ – عبدالله بن أحمد (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م)

٢٦ – أبوسعيد عثمان (الثانى) بن أحمد (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)

٢٧ – أبومحمد عبدالحق بن أبى سعيد (٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م)
(الثانى)

ب – بنو الأحمر فى الأندلس

١ – أبوعبدالله محمد (الأول) الغالب بن يوسف بن نصر. (٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م)

٢ – أبوعبدالله محمد (الثانى) الفقيه ابن محمد (الأول). (٦٧١ / ١٢٧٢ م)

٣ – أبوعبدالله محمد (الثالث) المخلوع ابن محمد (الثانى) (٧٠١ هـ / ١٣٠١ م)

٤ – أبوالجيوش نصر بن محمد (الثانى) (٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)

٥ – أبوالوليد إسماعيل (الأول) بن فرج (٧١٣ هـ / ١٣١٣ م)

٦ – محمد (الرابع) بن إسماعيل (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م)

٧ – أبوالحجاج يوسف (الأول) النيار بن إسماعيل (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)

٨ – محمد (الخامس) الغنى (بالله) ابن يوسف (٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م)

٩ – أبوالوليد إسماعيل (الثانى) بن يوسف (٧٦٠ هـ / ١٣٥٤ م)

١٠ – أبوسعيد محمود (السادس) بن إسماعيل (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)

محمد (الخامس) ، (للمرة الثانية) (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م)

١١ – أبوالحجاج يوسف (الثانى) بن محمد (الخامس) (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م)

١٢ – محمد (السابع) المستعين بن يوسف (الثانى) (٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م)

١٣ – أبوالحجاج يوسف (الثالث) الناصر ابن يوسف (الثانى) (٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)

١٤ – محمد (الثامن) المتمسك بن يوسف (الثالث) (٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م)

١٥ – محمد (التاسع) الصغير بن نصر (٨٣١ هـ / ١٤٢٧م)

١٦ – محمد (الثامن) ، للمرة الثانية (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م)

١٧ – أبوالحجاج يوسف (الرابع) بن محمد (السادس) (٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م)

١٨ – محمد الثامن (للمرة الثالثة) (٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م)

١٩ – محمد (العاشر) الأحنف بن عثمان (٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م)

٢٠ – سعد المستعين بن على (٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م)

٢١ – محمد (العاشر) ، للمرة الثانية (٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)

٢٢ – سعد (للمرة الثانية) (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)

٢٣ – أبوالحسن على بن سعيد (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)

ج - المماليك فى مصـر

١ - المماليك البحرية

١ - المعز عزالدين أيبك	(٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م)
٢ - الظاهر ركن الدين بيبرس (الأول)	(٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م)
٣ - السعيد ناصرالدين بركة خان	(٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)
٤ - العادل بدرالدين سلامش	(٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)
٥ - المنصور سيف الدين قلاوون	(٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)
٦ - الأشرف صلاح الدين خليل	(٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م)
٧ - الناصر ناصرالدين محمد بن قلاوون (للمرة الأولى)	(٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م)
٨ - العادل زين الدين كتبغا	(٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)
٩ - المنصور حسام الدين لاجين المنصورى	(٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م)
١٠ - الناصر ناصرالدين محمد (للمرة الثانية).	(٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م)
١١ - المظفر ركن الدين بيبرس (الثانى)	(٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)
١٢ - الناصر ناصرالدين محمد (للمرة الثالثة).	(٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
١٣ - المنصور سيف الدين أبوبكر بن الناصر	(٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)
١٤ - الأشرف علاءالدين كجك بن الناصر	(٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)
١٥ - الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر	(٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م)
١٦ - الصالح عمادالدين إسماعيل بن الناصر	(٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م)
١٧ - الكامل سيف الدين شعبان (الأول) بن الناصر	(٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م)
١٨ - المظفر سيف الدين حاجى (الأول)	(٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م)
١٩ - الناصر ناصرالدين الحسن بن الناصر (للمرة الأولى)	(٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٢٠ - الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر	(٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م)
٢١ - الناصر ناصرالدين الحسن (للمرة الثانية).	(٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م)

٢٢ – المنصور صلاح الدين محمد (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)
٢٣ – الأشرف ناصرالدين شعبان (الثانى) (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
٢٤ – المنصور علاءالدين على (٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م)
٢٥ – الصالح صلاح الدين حاجى (الثانى) (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م)
٢٦ – برقـوق (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)

٢ – المماليك البرجية

١ – الظاهر سيف الدين برقوق بن أنس العثمانى . (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)
٢ – الناصر ناصرالدين فرج بن برقوق (٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م)
٣ – المنصور عزالدين عبدالعزيز بن برقوق (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
٤ – العادل المستعين بالله أبوالفضل (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
٥ – المؤيد سيف الدين شيخ المحمودى (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
٦ – المظفر شهاب الدين أحمد بن المؤيد الشيخ . (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
٧ – الظاهر سيف الدين ططر (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
٨ – الصالح ناصرالدين محمد بن ططر (٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م)
٩ – الأشرف سيف الدين برسباى (٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م)
١٠ – العزيز جمال الدين يوسف بن برسباى (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م)
١١ – الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م)
١٢ – المنصور فخرالدين عثمان بن جقمق (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)
١٣ – الأشرف سيف الدين إينال العلائى الظاهرى الأجرود (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م)
١٤ – المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م)
١٥ – الظاهر سيف الدين خشقدم (٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م)

د – بنو حفص فى أفريقيـة

١ – أبوزكريا يحيى (الأول) ، (استقل عن الموحدين) (٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م)

٢ – أبوعبدالله محمد (الأول) المنتصر (٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)

٣ – أبوزكريا يحيى (الثانى) ، الواثق (خلعه إبراهيم الأول) (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م)

٤ – أبوإسحق إبراهيم (الأول) ، (أعدم سنة ٦٨١) (٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م)

أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة (الدعى) رمضان (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

الانقسام

٥ – أبوحفص عمر (الأول) ، (بتونس) (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)

أبو زكريا يحيى المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم (الأول) (ببجاية حتى سنة ٦٩٨) (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م)

٦ – أبو عبدالله (أبوعصيدة) ، محمد (الثانى) المنتصر بن يحيى (الثانى) (بتونس) (٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م)

أبوالبقاء خالد الناصر (الأول) (ببجاية. أنفرد بالحكم بعد ذلك) (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م)

٧ – أبوبكر (الأول) الشهيد بن يحيى (الأول) (ببجاية. ثم انفرد بالحكم) (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

٨ – أبوالبقاء خالد (الأول) الناصر ، (وحده) (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

أبوبكر (الثانى) المتوكل ، (بقسنطينة وبجاية) (٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٩ – أبويحيى زكريا اللحيانى بن أحمد ، (بتونس) (٧١١ هـ / ١٣١١ م)

١٠ – أبوضربة محمد (الثالث) المستنصر (بتونس) (٧١٧ هـ / ١٣١٧ م)

١١ – أبويحيى أبوبكر (الثانى) المتوكل ، (وحده) (٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

١٢ – أبوحفص عمر (الثانى) (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م)

الاحتلال المرينى (٧٤٧ هـ)

أبوالعباس أحمد (الأول) ، الفضل (بقسنطينة وبجاية)	(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
أبوزيد عبدالرحمن بن أبى بكر الثانى ، (بقسنطينة)	(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
أبوعبدالله محمد المنصور بن أبى بكر الثانى ، (ببجاية)	(٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
١٣ - أبوالعباس أحمد (الأول) الفضل المتوكل ، (نهائيا)	(٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م)
١٤ - أبوإسحق إبراهيم (الثانى) المستنصر (بتونس) تولى من	(٧٥١ هـ / حتى ٧٧٠ هـ)
استولى بنو مرين على بجاية	(٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م)
احتل بنو مرين أفريقيا كلها للمرة الثانية	(٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م)
أبوإسحق إبراهيم (الثانى) المستنصر (استقر بتونس)	(٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م)
أبوعبدالله محمد المنصور بن أبى بكر (الثانى) ، (استقر ببجاية)	(٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)
١٥ - أبوالبقاء خالد (الثانى) بن إبراهيم (الثانى) ،	(٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م)
١٦ - أبوالعباس أحمد (الثانى) المستنصر ، (وحده)	(٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م)
١٧ - أبوفارس عبدالعزيز المتوكل بن أحمد (الثانى)	(٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م)
١٨ - أبوعبدالله محمد (الرابع) المنتصر بن محمد	(٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)
١٩ - أبوعمر عثمان بن محمد (الرابع) حكم حتى سنة	(٨٣٩ هـ / ١٤٣٥ م) (٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م)

هـ - بنو زيان فى المغرب الأوسط

أ - الفرع الأكبر بنو عبدالواد :

١ - أبويحيى يغمراسن بن زيان	(٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)
٢ - أبوسعيد عثمان (الأول) بن يغمراسن بن زيان	(٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)
٣ - أبوزيان محمد (الأول) بن عثمان	(٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م)
٤ - أبوحمو موسى (الأول) بن عثمان	(٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م)
٥ - أبوتاشفين عبدالرحمن (الأول) بن موسى	(٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)

ب - السيادة المرينية :

١ - أبوالحسن على (المرينى)	(٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م)
٢ - أبوعنان فارس	(٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)

(زيانيون كانوا بالمنفى ثم حكموا فى وقت واحد)

١ - أبوسعيد عثمان (الثانى) بن عبدالرحمن	(٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م)
٢ - أبوثابت الزعيم بن عبدالرحمن	

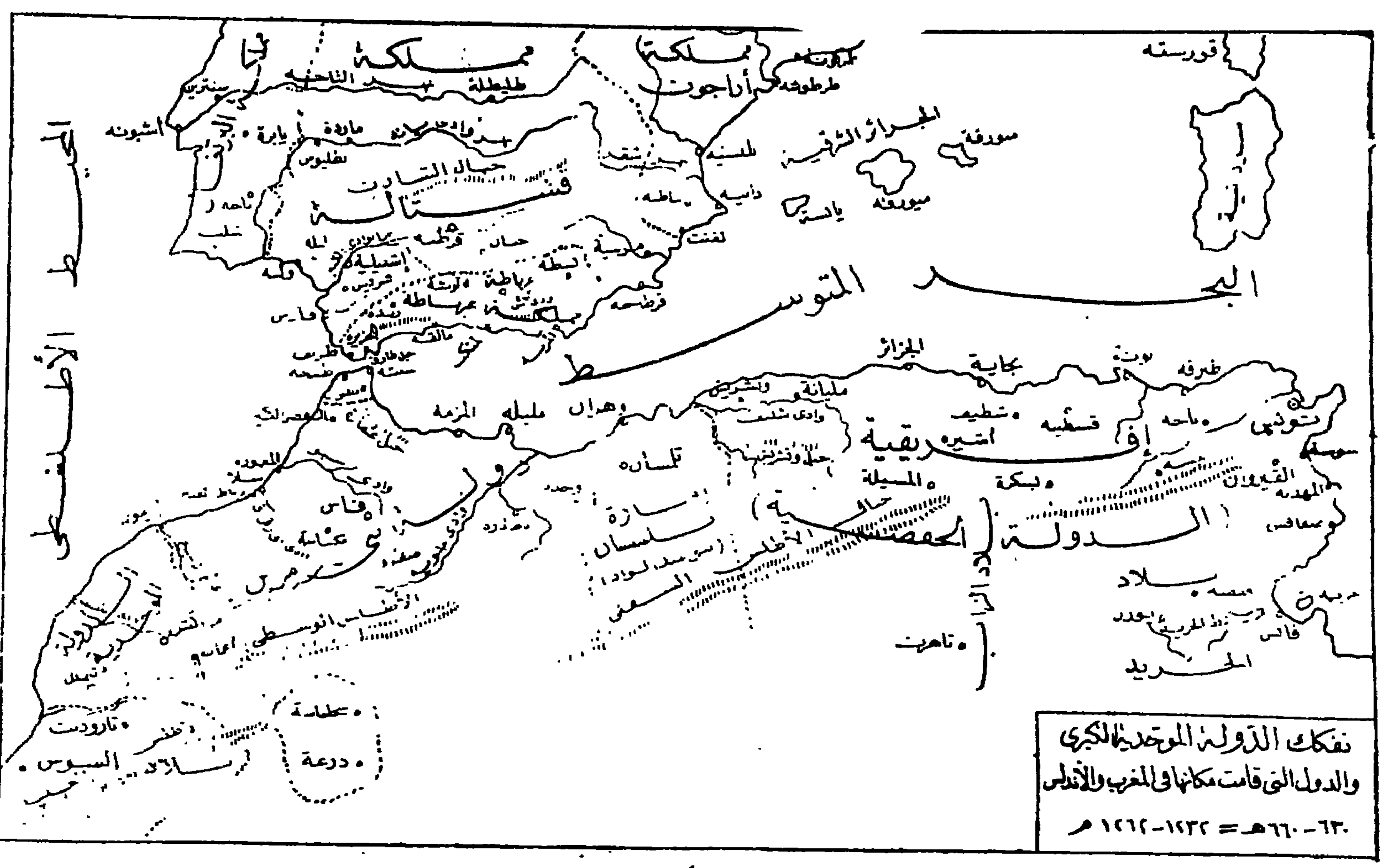
جـ - الفرع الأصغر (بنو زيان)

٦ - أبوحمو موسى (الثانى بن يوسف)	(٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م)
٧ - أبوزيان محمد (الثانى) بن عثمان	(٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م)
٨ - أبوتاشفين عبدالرحمن (الثانى) بن موسى	(٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م)
٩ - أبوثابت يوسف بن عبدالرحمن	(٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)
١٠ - أبوالحجاج يوسف بن موسى	(٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م)
١١ - أبوزيان محمد (الثالث) بن موسى	(٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م)

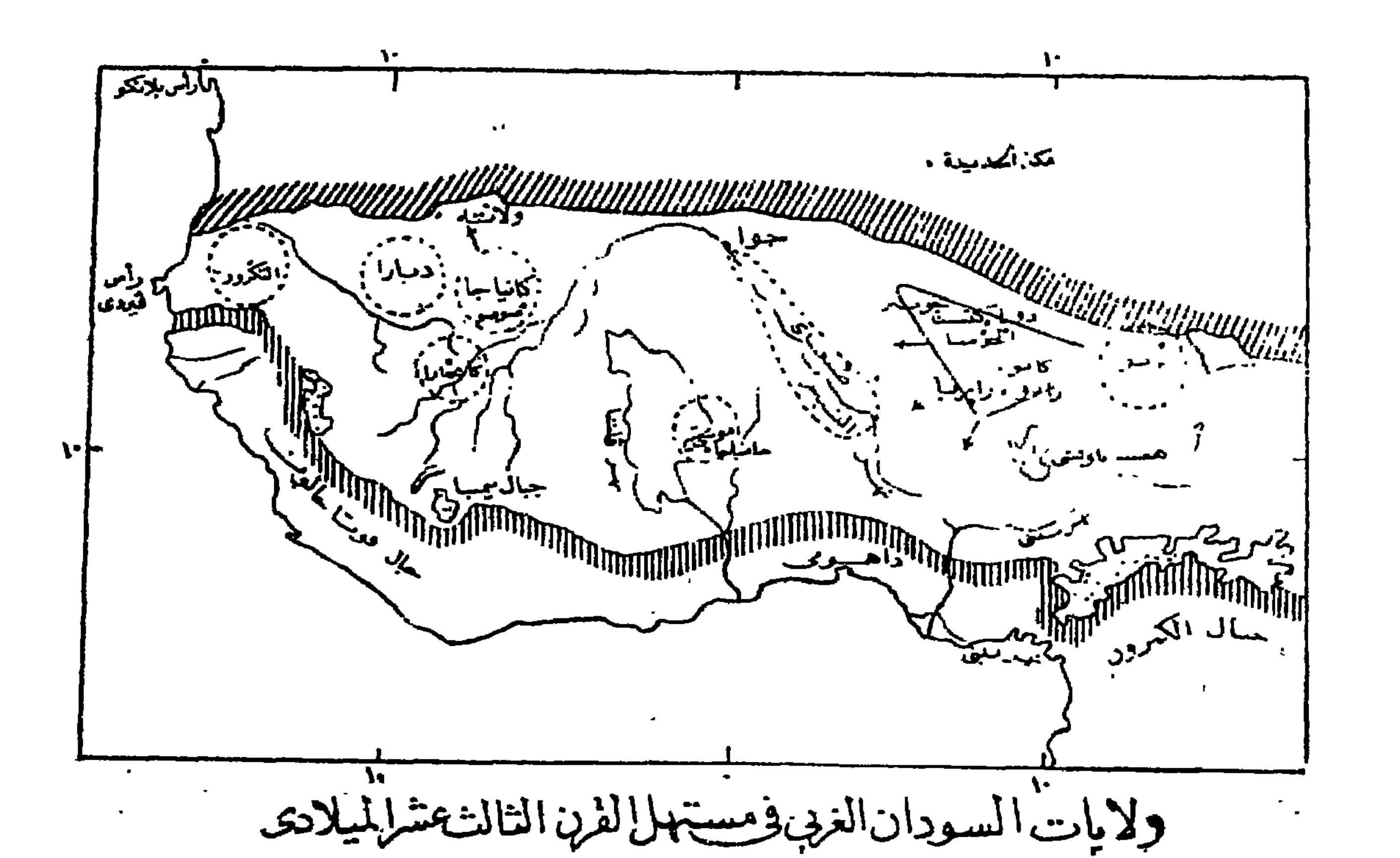
١٢ - أبومحمد عبدالله (الأول) بن موسى (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م)
١٣ - أبوعبدالله محمد (الثانى) الواثق بن موسى (٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م)
١٤ - عبدالرحمن (الثالث) بن محمد (الثانى) (٨١٤ هـ / ١٤١١ م)
١٥ - سعيد بن موسى (٨١٤ هـ / ١٤١١ م)
١٦ - أبومالك عبدالواحد بن موسى (للمرة الأولى) (٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)
١٧ - أبوعبدالله محمد (الثالث) بن عبدالرحمن (٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م)
١٨ - عبدالواحد (للمرة الثانية) (٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م)
١٩ - أبوالعباس أحمد المعتصم بن موسى (٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م)
٢٠ - أبوعبدالله محمد (الرابع) المتوكل (٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م)

ملحوظـــة :

اعتمدت فى رصد هذه التواريخ على جداول زامباور ، والجداول التى ضبطها الأستاذ الدكتور محمد حلمى محمد أحمد فى كتابه الخلافة والدولة فى العصر العباسى .

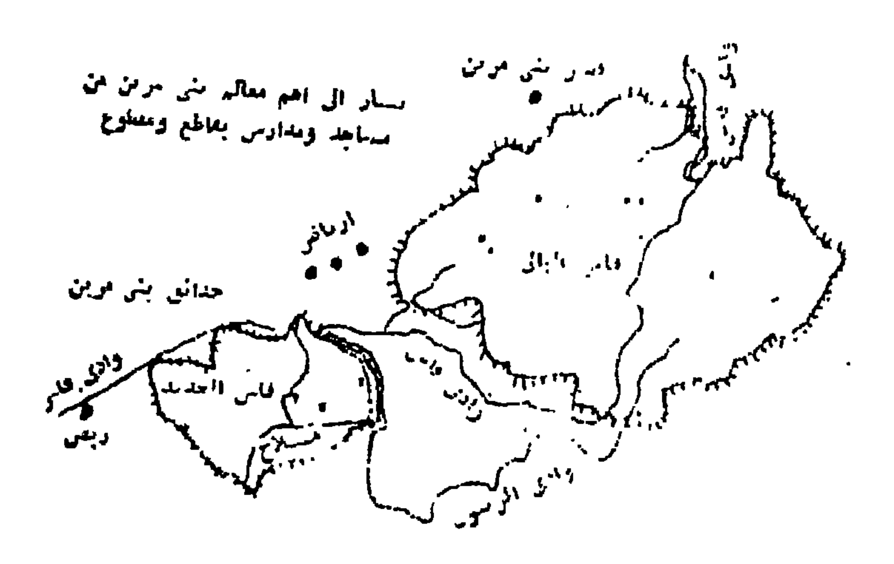


عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، القسم الثانى ، ص ٥٦٩ .



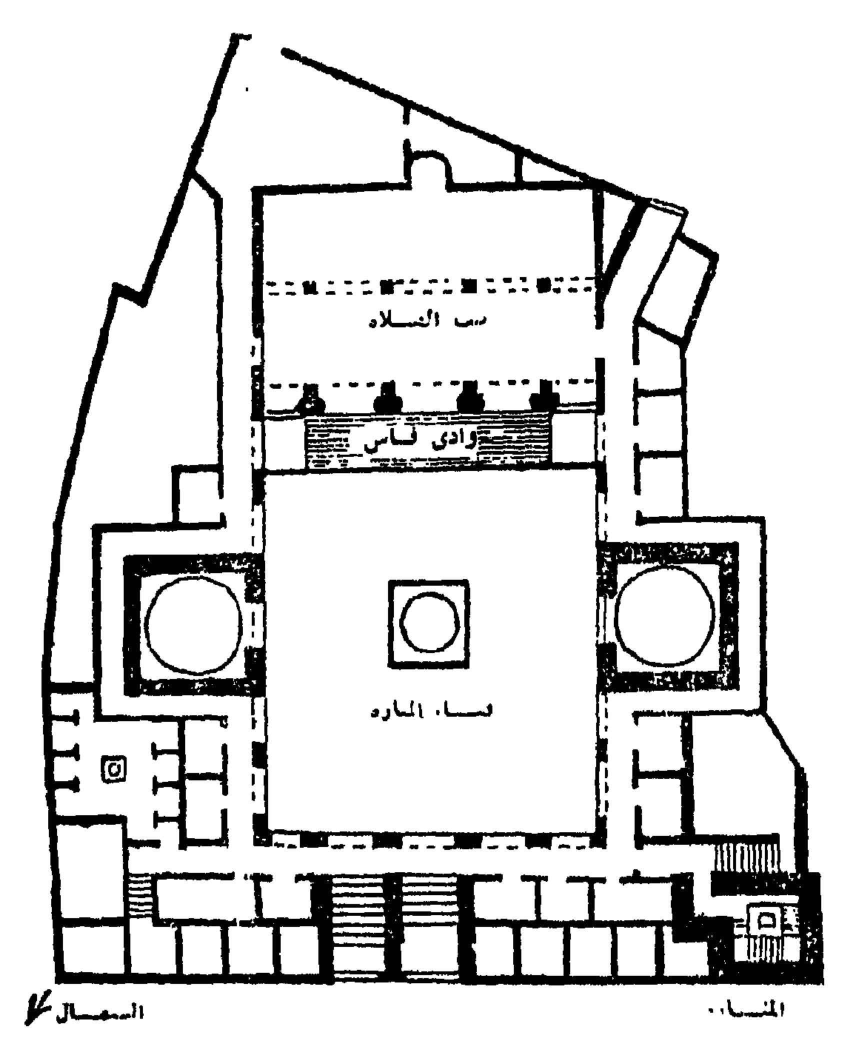
ولايات السودان الغربي في مستهل القرن الثالث عشر الميلادي

حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة ، ص ٥٨



شكل 20 ـ مدينة فاس فى عهد بنى مرين

جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .



شكل 23 — رسم للمدرسة العنانية بفاس (الطابق السفلي)

جوليان : تاريخ أفريقيا الشمالية ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

١ - التنسى :

عبدالجليل ، نظم الدرر والعقيان فى بيان شرف بنى زيان .
مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم ٨٦٦١ح) .

٢ - ابن الأحمر :

إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، النفحة النسرينية واللمحة المرينية رقم (٤/٣٥٧/تاريخ)
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط . (المغرب) .

٣ - مجهول :

ألف سنة (١٠٩٩ هـ) .
الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس . (رقم ٣٣٧ تاريخ) .
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .
عن الخزانة العامة بالرباط .

٤ - ابن مرزوق :

محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمسانى . المسند الصحيح الحسن . (رقم ١٨٥ تاريخ) .
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط .

٥ - النويرى :

شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالكريم البكرى المعروف بالنويرى .
نهاية الأرب فى فنون الأدب (رقم ٥٤٩ معارف عامة) . بدار الكتب والوثائق المصرية .

ثانيا : المصـــادر العربيـــة

١ - ابن بطوطـــة :

أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى :
(٧٠٤ هـ - ٧٧٦ هـ) .
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار الجزء الثانى - الطبعة الثانية . مطبعة التقدم .

٢ - البغـــدادى :

صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى (٧٣٩ ه) .
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ت : على محمد البجاوى .
الجزء الأول والثانى والثالث . الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
دار إحياء الكتب العربية .

٤ - البكـــرى :

أبوعبيد (ت : ٤٨٧ هـ) .
المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ط . مكتبة المثنى ببغداد .

٤ - الجزنائـــى :

أبوالحسن على
زهرة الآس فى بناء مدينة فاس .
تحقيق : الفردبل .
ط . ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م مطبعة باستيد جوردان - الجزائر .

٥ - ابن حجـــر :

شهاب الدين أحمد (العسقلانى) (ت : ٨٥٢ هـ) .
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة الجزء الأول والثانى والثالث والخامس
ت : محمد سيد جاد الحق .
دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٦ - ابن حـــزم :

أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى
(٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ).

جمهرة أنساب العرب .
تحقيق : عبدالسلام محمد هارون - الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١.
٧ - أبو حمو :
موسى بن يوسف .
واسطة السلوك فى سياسة الملوك مطبعة الدولة التونسية .
تونس - ١٢٧٩ هـ .
٨ - الحميرى :
أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى (جمعه ٨٦٦ هـ).
صفه جزيرة الأندلس .
تحقيق : الافى بروفنصال .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
القاهرة : ١٩٣٧ م .
٩ - ابن حوقل :
أبو القاسم بن حوقل النصيبى .
صورة الأرض .
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
١٠ - الخشنى :
أبوعبدالله محمد بن حارث بن أسد (ت ٣٦١ هـ).
قضاة قرطبة وعلماء إفريقية .
ت : السيد عزت العطار الحسينى .
مكتبة الخانجى - القاهرة ١٣٧٢ هـ .
١١ - ابن الخطيب :
لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ).
كناسة الدكان بعد انتقال السكان .
ت : د. محمد كمال شبانة .
طبعة : ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .
ـــــ :
اللمحة البدرية فى الدولة النصرية

ت : محب الدين الخطيب .
المطبعة السلفية – القاهرة .
١٣٤٧ .

ــــ :

القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام .
ت : د. أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى
دار الكتاب – الدار البيضاء : ١٩٦٤ .

ــــ :

الإحاطة فى أخبار غرناطة
ت : محمد عبدالله عنان
طبعة الخانجى ، واستخدمت أيضا طبعة دار المعارف لنفس المحقق ، وأشرت إليها فى هوامش الرسالة بطبعة دار المعارف .

١٢ – ابن خلدون :

عبدالرحمن . (ت ٨٠٨ هـ) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر . الجزء السابع .
المطبعة المصرية ببولاق – ١٢٨٤ هـ .
وطبعة مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ببيروت : ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.
الجزء الأول ، والسادس .

١٣ – ابن أبى دينار :

أبوعبدالله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى .
المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس .
الطبعة الثالثة – ١٣٨٧ هـ .
تحقيق : محمد شمام .
المكتبة العتيقة تونس .

١٤ – ابن أبى زرع :

على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى عمر بن أبى زرع الفاسى .
الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس .
نشر دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط : ١٩٧٣ .

ـــــ :
وطبعة أخرى حققها : محمد الهاشمى الفيلالى . الجزء الأول والثانى .
المطبعة الوطنية – الرباط : ١٣٥٥ – ١٩٣٦ .

ـــــ :
وطبعة أخرى : طبعت طبع حجر بفاس سنة ١٣٠٣ هـ .

١٥ – **الزركشـى :**
أبوعبدالله محمد بن إبراهيم .
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية .
تحقيق : محمد ماضور .
الطبعة الثانية : ١٩٦٦ م .
المكتبة العتيقة بتونس .

١٦ – **الـزركلى :**
خير الدين .
الأعلام ، قاموس تراجم .
الطبعة الثانية : ١٩٥٤ م .
فى عشرة أجزاء .
مطبعة كوستاتوماس – القاهرة .

١٧ – **السـلاوى :**
أحمد بن خالد الناصرى .
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
الجزء الأول والثانى – مصر (١٣١٢ هـ).

ـــــ :
وطبعة الدار البيضاء : ١٩٥٤.
ت : جعفر الناصرى ومحمد الناصرى .
الجزء الثالث والرابع .
دار الكتاب – الدار البيضاء .
وأشرت إلى هذه الطبعة فى هوامش الرسالة بطبعة الدار البيضاء تميزا لها
من الطبعة الأخرى .

١٨ – **السـيوطى :**
جلال الدين عبدالرحمن .

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة .
ت : محمد أبوالفضل إبراهيم .
الجزء الأول الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
مطبعة عيسى البابى الحلبى - القاهرة .

١٩ - **ابن عـذارى :**
المراكـش .
البيان المغرب .
تحقيق : أوثينى ميراندا وإبراهيم الكتانى .
ومحمد بن تاويت : الجزء الرابع : ١٩٥٦ .
المطبعة الحسنية : تطوان .

٢٠ - **ابن عســاكر :**
أبوعبدالله محمد بن على بن عمر بن الحسين بن مصباح دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر .
طبع حجر بفاس ، سنة ١٣١٤ .

٢١ - **ابن فرحـون :**
المالـكى (... - ٧٩٩ هـ)
الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب وبهامشه كتاب نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتى .
الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٥١ هـ

ـــــ :
وطبعة أخرى للديباج المذهب
تحقيق : د. محمد الأحمدى أبوالنور .
الجزء الأول والثانى
دار التراث : القاهرة

٢٢ - **ابن القاضـى :**
أحمد بن محمد بن محمد ، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام .
مدينة فاس .
طبع حجر فاس : ١٣٠٩ هـ

ـــــ :
درة الحجال فى أسماء الرجال .

تحقيق : محمد الأحمدى أبو النور .
دار التراث بالقاهرة : والمكتبة العتيقة بتونس . .
الطبعة الأولى : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
الجزء الثانى والثالث .

٢٣ - **القلقشندى :**
أبوالعباس أحمد
صبح الأعشى
الجزء الخامس ، والسابع ، والثامن طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م .

٢٤ - **ابن القنفذ :**
أبوالعباس أحمد بن حسين بن على بن الخطيب .
(ت : ٨١٠ هـ - ١٤٠٧ م) .
تحقيق : محمد الشاذلى النيفر وعبدالمجيد التركى .
الدار التونسية للطباعة والنشر : ١٩٦٨م .

٢٥ - **الكتانى :**
محمد بن جعفر بن إدريس الحسنى الإدريسى .
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس .
الجزء الأول والثانى والثالث .
طبع حجر بفاس سنة ١٣١٦ هـ .

ـــــ :
الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس .
طبع حجر بفاس سنة ١٣١٤ هـ .

٢٦ - **الماوردى :**
أبوالحسن على بن محمد بن حبيب البصرى .
الأحكام السلطانية .
طبعة : مطبعة الوطن : القاهرة ١٢٩٨ هـ .

٢٧ - **مجهول :**
الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية .

تحقيق : ى . س . علوش .
المطبعة الاقتصادية : رباط الفتح ١٩٣٦ م .

٢٨- مجهـول :
الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية .
تحقيق : محمد بن أبى شنب .
مطبعة جول كربونل . الجزائر .
١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م .

٢٩ - مجهـول :
كاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) الاستبصار فى عجائب الأمصار .
تحقيق : د. سعد زغلول عبدالحميد .
مطبعة جامعة الإسكندرية : ١٩٥٨ م .

٣٠ - أبوالمحاسـن :
يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .
(٨١٣ هـ - ٨٧٤ هـ) .
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
الجزء التاسع . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

٣١ - المراكشـــى :
عبدالواحـد .
المعجب فى تلخيص أخبار المغرب .
تحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى .
طبعة أولى : ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
مطبعة الاستقامة : القاهرة .

٣٢ - ابن مـريم :
أبوعبدالله محمد بن محمد بن أحمد .
البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان .
المطبعة الثعالبية- الجزائر : ١٩٠٨ م .

٣٣ – المقريـزى :
تقى الدين أحمد بن على .
إغاثة الأمة بكشف الغمة .
تحقيق : د. محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
١٣٥٩ هـ – ١٩٤٠ م .

ـــــ :
الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .
مطبعة التأليف – القاهرة ١٨٩٥م .

ـــــ :
ثلاث رسائل فى الحسبة .
مطبعة الجوانب – قسطنطينية ١٢٩٨ هـ .

ـــــ :
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
الجزء الثانى الأقسام : الأول والثانى والثالث .
نشر : د. محمد مصطفى زيادة .
القاهرة : ١٩٧١ م .

٣٤ – المِقّـرى :
أحمد بن محمد المقرى التلمسانى .
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .
تحقيق : د. إحسان عباس .
دار صادر – بيروت .
١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

ـــــ :
أزهار الرياض فى أخبار عياض .
تحقيق : مصطفى السقا (وآخرون) .
الجزء الأول : ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٣٥ - ابن المـوقت :

محمد بن محمد بن عبدالله المراكشى .
السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية .
الجزء الأول والثانى .
طبع حجر بفاس سنة ١٩٣٦ م .

٣٦ - النباهـى :

أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن .
تاريخ قضاة الأندلس .
المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع .
بيروت - لبنان .

٣٧ - ابن الـوردى :

زين الـدين عمـر .
تاريخ ابن الوردى .
الجزء الثانى - المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ .

ـــــ :

تتمة المختصر فى أخبار البشر .
الطبعة الأولى - الجزء الثانى .
تحقيق : أحمد رفعت البدراوى .
دار المعرفة بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٣٨ - ياقــوت :

شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله .
الحموى الرومى البغدادى (٦٢٦ هـ) .
معجم البلدان .
دار بيروت ودار صادر : ١٩٥٧ م .
وطبعة : الخانجى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م .
تحقيق : محمد أمين الخانجى .

٣٩ - يحيى بن خلدون :

محمد بن محمد بن محمد بن الحسن .
بغية الرواد فى ذكر الملوك فى بنى عبدالواد .

تحقيق : الفردبل .
الجزء الأول والثانى .
مطبعة بيير فونطانا الشرقية بالجزائر .
سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م .

٤٠ - **ابن يوسف الحكيم :**
أبوالحسن على .
اللوحة المشتبكة فى ضوابط السكة .
تحقيق : د. حسين مؤنس .
مدريد : ١٩٦٠ م .

٤١ - **أبو يوسف :**
يعقوب بن إبراهيم (١٨٢ هـ) .
كتاب الخراج .
الطبعة الرابعة - ١٣٩٢ هـ .
المطبعة السلفية - القاهرة .

ثالثا : المراجـع العربيـة

١ - **إبراهيم أحمد العدوى : (دكتور) .**
التاريخ الإسلامى آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية .
مكتبة الأنجلو المصرية ط : ١٩٧٦ .

٢ - **إبراهيم على طرخان : (دكتور) .**
دولة مالى الإسلامية .
الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة : ١٩٧٣م .

٣ - **إحسان عباس : (دكتور) .**
تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى القرن التاسع الهجرى .
الجزء الأول والثانى ، ط : أولى
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م .

٤ - **أحمد شلبى : (دكتور) .**
تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ النظم القضائية فى الإسلام
مكتبة النهضة - ط : أولى ١٩٧٦ .

٥ - **أحمد النائب الأنصارى :**
المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب منشورات مكتبة
الفرجانى - طرابلس الغرب ليبيا .

٦ - **أرسلان : شكيب :**
الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية الجزء الثانى - ط أولى
١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م
المطبعة الرحمانية بمصر .

٧ - **حركات : إبراهيم :**
المغرب عبر التاريخ
الجزء الأول ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م
دار السلمى - الدار البيضاء .

٨ - على إبراهيم حسن : (دكتور) .
على إبـــــراهيم حسن : (دكتـــــور) .
النظم الإسلامية
الطبعة الرابعة : ١٩٧٠ .
مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

ـــــ :
انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى معهد الدراسات العربية العالية .
القاهرة : ١٩٥٧ .

٩ - حسن أحمد محمود : (دكتور) .
الإسلام والثقافة العربية فى إفريقية .
الجزء الأول - الطبعة الثانية : ١٩٦٣
دار النهضة العربية .

١٠ - حسن الباشا : (دكتور) .
دراسات فى الحضارة الإسلامية .
دار النهضة العربية .
طبعة : ١٩٧٥ .

١١ - حسن حسنى عبدالوهاب :
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية .
مكتبة المنار - تونس : ١٩٦٤ .

ـــــ :
خلاصة تاريخ تونس
الطبعة الثالثة - تونس : ١٣٧٣ هـ .

١٢ - الزاوى : الطاهر أحمد .
ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى إلى نهاية العهد التركى .
الطبعة الأولى : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
دار الفتح للطباعة والنشر - بيروت .

١٣ - **زاهـر رياض : (دكتور) .**
الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى .
مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٦٨ م

١٤ - **السيد عبدالعزيز سالم : (دكتور) .**
تاريخ مدينة المرية الإسلامية .
قاعدة أسطول الأندلس .
دار النهضة العربية — بيروت .
الطبعة الأولى : ١٩٦٩ م .

ـــــ :

المغرب الكبير (العصر الإسلامى) .
الدار القومية للطباعة والنشر : ١٩٦٦ م .

١٥ - **صلاح الدين المنجد : (دكتور) .**
مملكة مالى عند الجغرافيين المسلمين .
دار الكتاب الجديد — بيروت ١٩٦٣ م .

١٦ - **عبدالله على عـلام : (دكتور) .**
الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبدالمؤمن بن على .
دار المعارف : ١٩٦٨ م .

١٧ - **عبدالحميـد حاجيـات :**
أبوحمو موسى الزيانـى
حياتـه وآثـاره .
طبعة — ١٩٧٤ م .

١٨ - **عبد الرحمن زكى : (دكتور) .**
الجيش المصرى فى العصر الإسلامى الجزء الأول والثانى .
مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٧٠ .

ـــــ :

تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية سلسلة الألف كتاب رقم ٣٨٤ .
المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع .

الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا .
معهد الدراسات الإسلامية .
مطبعة يوسف – القاهرة.

١٩ – **عبدالرحمن على الحجى : (دكتور) .**
التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة .
دار القلم – دمشق .
طبعة ١٩٧٦ م – ١٣٩٦ هـ.

٢٠ – **عبدالرحمن الجيلالى**
تاريخ الجزائر العام .
الجزء الثانى . منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت .
الطبعة الثانية : ١٩٦٥ م .

٢١ – **عبدالعزيز بن عبدالله :**
مظاهر الحضارة المغربية .
دار السلمى – الدار البيضاء .
القسم الأول – ط : أولى ١٩٥٧م .
القسم الثانى – ط : أولى ١٩٥٨م .

ـــــ :
عبدالعزيز بنعبدالله
جغرافية المغرب
الطبعة الثانية ١٩٥٦ .
الدار البيضاء .

٢٢ – **عبدالمنعم حسنين : (دكتور) .**
سلاجقة إيران والعراق .
مكتبة النهضة المصرية .
طبعة أولى : ١٩٥٩ .

٢٣ – **عثمان الكعاك :**
مراكز الثقافة فى المغرب

معهد الدراسات العربية العالية .
القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٨م .

الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط .
معهد الدراسات العربية العالية .
القاهرة : ١٩٦٥ م .

٢٤ - **على حسنى الخربوطلى : (دكتور) .**
الإسلام فى حوض البحر المتوسط .
دار العلم للملايين - بيروت .
طبعة : ١٩٧٠ م .

٢٥ - **عمر رضا كحالة :**
مباحث اجتماعية فى عالمى العرب والإسلام .
مطبعة الحجاز بدمشق : ١٩٧٤ .

٢٦ - **عنان : محمد عبدالله .**
عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس .
القسم الثانى : عصر الموحدين .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
المطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

ـــــ :
الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال .
نشر مؤسسة الخانجى - القاهرة .
الطبعة الثانية : ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

ـــــ :
نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
الطبعة الثالثة : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٢٧ - **فؤاد دياب :**
المغرب الأقصى بين الماضى والحاضر .
كتب سياسية - الكتاب رقم ١٤١ .

٢٨ - كرد علي : محمد
الإسلام والحضارة العربية
الجزء الثانى - ١٩٣٤ م
مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .

محمد جمال الدين سرور : (دكتور) .
دولة بنى قلاوون فى مصر .
دار الفكر العربى : ١٩٤٧ .

٣٠ - محمد حلمي محمد أحمد : (دكتور) .
الخلافة والدولة فى العصر العباسى
مكتبة الشباب .
طبعة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

٣١ - محمد ضياء الدين الريس : (دكتور) .
الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية .
الطبعة الثانية : ١٩٦١ م .
مكتبة الإنجلو المصرية .

—— :
النظريات السياسية الإسلامية .
الطبعة الثالثة : ١٩٦٠ م.
مكتبة الإنجلو المصرية .

٣٢ - محمد بن عبدالسلام بن عبود :
تاريخ المغرب .
الجزء الأول - الطبعة الثانية ١٩٥٧ .
دار الطباعة المغربية - تطوان .

٣٣ - محمد بن عمرو الطمار :
تاريخ الأدب الجزائرى .
الجزائر - طبعة : ١٩٦٩ م .

٣٤ - محمد الفاسى :
التعريف بالمغرب .

معهد الدراسات العربية العالية .
طبعة : ١٩٦١ م .

٣٥ – **محمد الفاضل بن عاشور :**
أعلام الفكر الإسلامى فى تاريخ المغرب العربى .
مكتبة النجاح – تونس .

٣٦ – **محمد كمال شبانة : (دكتور) .**
يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة .
لجنة البيان العربى – الطبعة الأولى : ١٩٦٩م .

٣٧ – **محمد الهادى العامرى :**
تاريخ المغرب العربى فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول .
الشركة التونسية للتوزيع .
الطبعة الأولى : ١٩٧٤ م

٣٨ – **محمد ولد داده :**
مفهوم الملك فى المغرب .
دار الكتاب اللبنانى – ودار الكتاب المصرى .
طبعة أولى : ١٩٧٧ .

٣٩ – **مراجع عقيلة الغناى : (دكتور) .**
سقوط دولة الموحدين .
منشورات جامعة بنغازى
الطبعة الأولى : ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٤٠ – **موسى لقبال :**
الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها .
الطبعة الأولى : ١٩٧١م .
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر .

٤١ – **نقولا زيادة : (دكتور) .**
الحسبة والمحتسب فى الإسلام .
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٣م .

كما أشرت فى هامش الرسالة إلى الأطلس العربى ، الذى طبع بإدارة المساحة العسكرية بالقاهرة – واستخدمت الطبعة الخامسة ١٩٧٢م .

رابعا : رسائل جامعية غير مطبوعة

١ - حسن علي حسن : (دكتور) .
الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة .
رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم : ١٩٧٣م .

٢ - طاهر راغب حسين :
الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن
رسالة ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٧٥ .

٣ - علي محمد عمر : (دكتور) .
دولة الظاهر برقوق وأسرته في مصر .
رسالة دكتوراه كلية دار العلوم : ١٩٧٧ .

٤ - محمد عيسى صابر سليم الحريري
الدولة الرسمية بالمغرب قيامها وتطورها .
رسالة ماجستير بكلية دار العلوم : ١٩٧٥ .

خامسا : كتب مترجمة الى العربية

١ - الفـــردبل :
الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى من الفتح العربى حتى اليوم .
ترجمة : عبدالرحمن بدوى .
دار ليبيا للنشر والتوزيع – بنغازى : ١٩٦٩ .

٢ - جوليــان :
شارل أندريه .
تاريخ أفريقيا الشمالية .
ترجمة : محمد مزالى والبشير بن سلامة
الدار التونسية للنشر : ١٩٧٨ .

ـــــ :
تاريخ أفريقيـا .
ترجمة : طلعت عوضى أباظة .
دار نهضة مصر – ١٩٦٨م .

٣ - خليل أدهم الدم :
تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة
الجزء الأول : ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م .
دار المعارف – القاهرة .

٤ - روجيـه لوتورنو :
فاس فى عصر بنى مرين .
ترجمة : د . نقولا زيادة .
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بيروت – سلسلة مراكز الحضارة .
طبعة : ١٩٦٧ .

٥ - رولاند أوليفر : وجون فيج .
موجز تاريخ إفريقية .
ترجمة : د. دولت أحمد صادق .

الدار المصرية للتأليف والترجمة .
سلسلة دراسات افريقية .
طبعة : يونية ١٩٦٥ .
٦ - زامباور : إدوارد فون .
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى .
ترجمة : د. زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود .
الجزء الأول ، ط ١٩٥١م .
٧ - غوستاف لوبون : (دكتور) .
حضـارة العرب
ترجمة : محمد عادل زعيتر
طبعة : ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م دار إحياء الكتب العربية .
٨ - ليفـى بروفنســال :
الإسلام فى المغرب والأندلس .
ترجمة : د. السيد محمود عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى .
سلسلة الألف كتاب رقم (٨٩) .
مكتبة نهضة مصر .
٩ - مانويل : جوميث مورينو .
الفن الإسلامى فى أسبانيا
ترجمة : د. لطفى عبدالبديع ، والسيد محمود عبدالعزيز سالم .
الدار المصرية للتأليف والترجمة .
طبعة : ١٩٦٨ .
١٠ - يوســف أشــباخ :
تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين .
ترجمة : محمد عبدالله عنان .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
الجزء الثانى : ط : القاهرة ١٩٤١م .

سادسا : أبحاث نشرت فى بعض المجلات العربية

١ - أحمد مختار العبادى : (دكتور) .

حياة ابن الخطيب المغربية .

مجلة البينة ، وزارة الدولة للشئون الإسلامية - المغرب .

العدد الأول - السنة الأولى - مايو : ١٩٦٢م .

ـــــ :

فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية .

فى مدريد .

المجلدان السابع والثامن : ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

ـــــ :

من التراث العربى الأسبانى :

مجلة عالم الفكر - وزارة الإعلام فى الكويت .

المجلد الثامن - العدد الأول - أبريل ، مايو ، يونيو ١٩٧٧ .

٢ - حسن إبراهيم حسن : (دكتور) .

مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية .

مجلة البينة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية والمغرب .

العدد الأول - السنة الأولى - مايو : ١٩٦٢م .

٣ - حسن على حسن : (دكتور) .

الجيش المغربى فى دولة الموحدين .

حوليات كلية دار العلوم .

العدد الخامس : ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م .

ـــــ :

الغزو الهلالى للمغرب .

المجلة التاريخية المصرية .

المجلد الرابع والعشرون ١٩٧٧ .

٤ - **عبدالعزيز بن عبدالله :**

الفكر الصوفى والانتحالية بالمغرب .

مجلة البينة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب .

العدد - السنة الأولى : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م .

٥ - **ماريانو أريباس بالار :**

بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة .

تطوان - مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية .

العدد الثامن ١٩٦٣م .

٦ - **محمد الفاسي :**

نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المرينى الأدبية .

مجلة البينة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب .

العدد الثامن - السنة الأولى : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م .

٧ - **محمد المنونى :**

علاقات المغرب بالشرق أيام السلطان أبى الحسن المرينى .

تطوان . مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية .

العدد الأول : ١٩٥٦م .

٨ - **محمود على مكى : (دكتور) .**

الرحلات بين المشرق والأندلس .

مجلة البينة . وزارة الدولة للشئون الإسلامية . المغرب

العدد الثانى - السنة الأولى - يونية ١٩٦٢م .

سابعا : المراجع الإفرنجية

1. **Abdallah laroui,**
   l'histoire du maghreb un essai de synthèse (1970).

2. **Condé,**
   Historia de la Dominación de los Arabes en Espana, Vol. III.

3. **Fage, J., D.,**
   Africa Discovers Her Past, London (1970).

4. **Gautier, E.,F.,**
   Le passé de L'Afrique du Nord, (1964).

5. **Julien, A.,**
   Hist. de l'Afrique du Nord (De la conquéte ARABEA 1830), (1968).

6. **Pedro Aguado Bleye,**
   Manual de historia de Espana, Vol. I, Madrid (1963).

7. **Roland Oliver,**
   The dawn of African history, second edition, (London).

8. **Roland Oliver, & J. D. fage,**
   A short history of Africa, (Penguin Books).

9. **Toynbee, A.,**
   La rousse encyclopedia of ancient and medieval history.

It studies mainly the system of administration i.e. the sultan, his heirs, the Cabinet, secretaries and Guards. It explains also the administrative divisions of the country. The different officies of the state, and the police.

The economic life illustrates the financial system of the dynasty, its resources and economic activities, such as, industry, agricaltural affairs and trade.

The sixthchapter : social and intellectual life of Bani Marin.

It explains the classes of the society, the policy of Bani Marin in their building and material affairs, social aspects illustrating the daily life of the Sultans, their courts and their Festivals. It explains also the policy of Bani Marin to encourage the intellectual life and especiallyreligious studies and at last encouraging poets and learned people.

The thesis ends with some Appendices, illustrating maps and lists of the references.

Summery of the Thesis

This thesis studies «The political life and the aspects of civilization in the «Dynasty of Bani-Marin» «at Al-Maghreb. This dynasty arose in the Far Maghreb» in the second half of the seventh century A.H./13th A.D., and continued its activities till it fell in 869A.H. 1465 A.D.

This thesis contains six chapters and appendixes.

The first chapter : The Rise of the Dynasty of Bani Marin.

It studies the abode of Bani Marin in Al-Maghreb. how they gained leadership over the tribes there, also their political role during the reign of al Mowahhids, their activities in conquering the great cities of al Maghreb and their capture of al-Mowahhids capital «Marocco» (668 A.H./1269 A.D.) and at last the Bani Marin efforts to establish their rule in Al-Maghreb and spain.

The second chapter: The Estabilization of the Dynasty and its expansion.

It deals With the efforts of Bani Marin to estabilize their dynasty since the sultan Abi-Ya'qub yousif, then Abi-Thabit Amer, Abi Al-Rabie suliman, Abi Said othman Al-Marini. It explains also the extent of the dynasty during the reign of Abi Al-Hassan Al-Marini and his son abi Anan Al-Marini.

The Third chapter: The reign of the influence of the Ministers and the fall of the Dynasty of Bani Marin.

It explanis how the dynasty of Bani Marin began to decline since the suyeranity of the Ministers, and how the Bani Al-Ahmar interferred into the internal affairs of Bani Marin, and the intrigues of the ministers of Bani Al-Ahmer, that led to the fall of the Dynasty.

The fourth chapter: Foreign relations of Bani Marin.

It explains the foreign relations : ploitical, economic and cultural of Bani Marin with their neighbours. The Bani Marin had wide relations with egypt, Bani hafs in Tunis, Bani Abd-Al Wad in the middle Maghreb, Bilad Al-Sudan, Bani al-Ahmar and with the Christians of spain.

The fifth chapter : The administration and economic intitutions of Bani Marin.